

الْتَّعْقِيبُ الْمَصْدَرِيُّ

وَدَلَالَاتُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
وَأَبْحَاثٌ أُخْرَى

الدكتور
وائل الحربي





الْتَّعْقِيبُ الْمَصْدَرِيُّ
وَدَلَالَاتُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
وَابحاثُ اخْرِيٍّ

رقم الإبداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2015/9/4521)

225

الحربي، وائل محمد

التعليق المصدري ودلاته في القرآن الكريم وأبحاث أخرى / وائل محمد
الحربي. عمان: دار الأيام للنشر والتوزيع، 2015

(318) ص

ر.إ: 2015/9/4521

الواصفات: / الفاظ القرآن الكريم/ إعجاز القرآن الكريم/ القرآن الكريم
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف
عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

الطبعة الأولى 2016

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق إستعادة

المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطوي مسبق من الناشر

عمان - الأردن

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in any retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing from the publisher.



دار الأيام للنشر والتوزيع

عمان-ش الملك حسين - وسط البلد أول طلعة

جبل الحسين بجانب سرفيس جبل الحسين خط 9

ص.ب. 925636 العبدلي 11190 الأردن

هاتف: 00962 6 4633362 00962 6 4633352 تشاكس:

00962 797 509925- 00962 795 707630 جوال:

E-mail:salah_tallawi@yahoo.com

التعليق المصادر

ودلاته في القرآن الكريم

وأبحاث أخرى

الدكتور

وائل العربي





مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com رابط بديل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيٍّ وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾

الإسراء: ٨٥

﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ٨٥

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمدٌ آل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المتوجبين.

يحتوي هذا الكتاب على خمسة أبحاث لغوية نشرت متفرقة في مجلات علمية محكمة، درست في البحث الأول الموسوم بـ(التعقيبُ المصنديُّ ودلالةُه في القرآنِ الكريم) ظاهرة لغوية أسلوبية امتازت بها اللغة القرآنية، وقد كشف هذا البحث عن تجليات هذه الظاهرة الأسلوبية في النص القرآني، من حيث خصائصها الصرفية والنحوية، وأثرها في دلالة النص الكريم، في حالي النصب والرفع في ضوء دراسة ما جاء فيها من قراءات قرآنية والموازنة بينها.

وكان البحث الثاني بعنوان (الابتكارُ اللغويُّ في الخطابِ القرآني عندَ الطاهرِ بنِ عاشرُور دراسةً في المفهوم والمراجعات)، وقد حاولت في هذا البحث الكشف عن مفهوم الابتكار اللغوي في الخطاب القرآني في فكرِ الشيخ الطاهر بن عاشرور. وهو مصطلاح جديد ابتدعه الشيخ الطاهر، وأراد عن طريقه أن يلفت أنظار الدارسين إلى أنَّ القرآنَ الكريمَ أتى بالجديد على المستوى اللغوي مما لم تعرفه العرب سابقاً، وأنَّ هذا الابتكار اللغوي هو مظهر من مظاهر إعجاز القرآن وبلاعنته التي وقف أمامها العرب مبهورين. وقد سعت هذه الدراسة إلى قراءة ما عده الشيخ الطاهر مبتکراً قراءة تأصيلية توازن أقواله بما يقاريها من أقوال العلماء السابقين حتى تتمكن هذه الدراسة من معرفة مدى الجدة في آرائه، من جهة، ومن أجل الكشف عن أفق التجديد اللغوي عنده في ضوء رؤيته للظاهرة اللغوية التي يعالجها وزاوية النظر إليها وتوظيفها في فهم النص القرآني وتلمُّس نواحي الإبداع والجمال فيه، ومن ثمَّ تساعدُنا في التوصل إلى مرجعياته الفكرية واللغوية والفنية التي احتمل إليها في رؤيته للابتكار اللغوي في النص القرآني من جهة أخرى.

أما البحث الثالث المعنون بـ(جماليات التحْيَة في القرآنِ الْكَرِيمِ في ضوء جُهود المفسِّرين) فكان يهدف إلى دراسة التحْيَة الإسلامية المتمثلة بعبارة: (السلام عليكم) وتشكلاتها الأخرى المختلفة في النص القرآني، دراسةً لغوية بلا غية تفيد من جهود المفسِّرين في رسم صورة متكاملة عن الألفاظ المعبرِ بها عن التحْيَة، ولمعرفة ما تؤديه من معانٍ في ضوء ما قدمه المفسرون من قراءات لها في أثناء تفسير النص القرآني بالاستعانة بالسياقات، اللغوية منها أو غير اللغوية، التي وردت التحْيَة فيها، تمهدًا للوصول إلى غاية أخرى يسعى البحث إلى تحقيقها، وهي الوقوف على كل معلم جالي وأسلوبي يتعلق بالتحْيَة في القرآنِ الْكَرِيمِ، في حاولةٍ للكشف عن معانٍ السلام وجالياته - بصفته تحْيَة الإسلام - في القرآنِ الْكَرِيمِ.

أما البحث الرابع: (إصلاح اللُّفْظ وترسيمه في العربية) فيتناول نظرية إصلاح اللُّفْظ وترسيمه في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وهي جُزءٌ من المنظومة الفلسفية الحاكمة للعقلية اللُّغَوِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، في النَّظَرِ والتألِيلِ. وقد سعى هذا البحث إلى الكشف عن أصل القول بإصلاح اللُّفْظ وترسيمه في الفكر اللُّغَوِيِّ العربيِّ، وأهم مظاهره في اللغة العربية صوتيًا وصرفياً ونحوياً.

وعالجت في البحث الأخير: (نقدُ اللُّسانياتِ عِنْدَ الدَّكْتُورِ رَشِيدِ العَبَيْدِيِّ) النقد الذي وجهه الدكتور رشيد العبيدي، وهو أحد أعلام الدرس اللُّغويِّ العراقيِّ الحديثِ، إلى اللُّسانياتِ الحديثةِ. وقد شجعنا على البحث في هذا الموضوع ما وجدناه من جهود علمية، تجلت في بعض كتبه، وكان غايته قراءة ما قدمته اللُّسانياتِ الحديثةِ بمناهجها ودراساتها قراءة نقدية لا تكتفي بالعرض والتلخيص، وقد توزع البحث إلى مجموعة من المخاور، يتناول كل محور توجهاً نقدياً من توجهاته في نقد اللُّسانياتِ، لغرض رسم صورة متكاملة لللامتحنة الفكريَّة التي يصدر عنها والمرجعيات التي يستند إليها في نقاده، مما يساعد في الوقوف على الدوافع وراء هذا التوجُّه النَّقدي عندَه.

وأخيراً يسرني أن أتوجّه بالشكر الجزييل إلى هذه الدار الكريمة ، لقيامها بإصدار هذا الكتاب خدمةً للغتنا العربية، وإعلاءً للغة القرآنِ الْكَرِيمِ، والله الموفق.

الْتَّعْقِيبُ الْمَصْدَرِيُّ وَدَلَائِلُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه المتوجبين ومن والاه..

يكشف هذا البحث عن ظاهرة لغوية أسلوبية جديدة في الخطاب القرآني الكريم، وهي التعقيب بالمصدر، وقد انقسم البحث على أربعة محاور، درست في المحور الأول مفهوم التعقيب المصدري وتاريخ ظهور هذا المصطلح في الدراسات القرآنية، وتناولت في المحور الثاني من البحث نوع المصدر العقب به في القرآن الكريم، وعالجت في المحور الثالث التعقيب بالمصدر من حيث الدلالة الصرفية والدلالة التحوية، ودرست في المحور الأخير من البحث دلالة التعقيب المصدري بين النصب والرفع في ضوء القراءات القرآنية، وختمت البحث بخاتمة أجمل فيها أهم نتائج البحث.

مفهوم التعقيب المصدري؛

التعقيب مصطلح يستعمل في مجالات مختلفة، ولكننا نستعمله هنا للتعبير عن ظاهرة لغوية في القرآن الكريم، ومن ثم فلا بد لنا من الإحاطة باستعمالاته في اللغة وفي ميادين العلوم الإسلامية؛ ليكون ذلك تميضاً لدراسته والتأنصيل له والكشف عن امتداداتيه المتنوعة. فالتعقيب في اللغة مصدر قياسي على زنة تفعيل من الفعل الثلاثي (عقب) المزيد بالتضعيف. وعندما رجعنا إلى المعجمات نستشيرها في التعقيب، وجدنا أن له معانٍ عدّة؛ لعل المعنى الأساس الذي تعود إليه هو: أن يجيء الشيء بعد الشيء متأخراً عنه، قال الخليل (ت 170هـ): ((كُلُّ شَيْءٍ يُعَقِّبُ شَيْئاً فَهُوَ عَقِيقُهُ كَقُولُكَ)) خلَفَ يَخْلُفُ هَمْزَلَةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذَا قَضَى أَحَدُهُمَا عَقِيبَ الْآخَرِ فَهُمَا عَقِيَّانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا عَقِيبُ صَاحِبِهِ، وَيَعْتَقِيَانِ وَيَتَعَاقِيَانِ: إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمَا ذَهَبَ الْآخَرُ. وَعَقِيبُ اللَّيْلِ

النهار والنهر الليل: أي خلفه)¹. وقال ابن فارس (ت 392هـ): ((العين والقاف والباء أصلان صحيحان: أحدهما يدل على تأخير شيء وإثباته بعده غيره. والأصل الآخر يدل على ارتفاع مشددة وصعوبة))². كما ورد هذا التعريف عند أصحاب المصطلحات أيضا، فالتعليق: ((أن يؤتى بشيء بعد آخر))³. وهو معنى الفعل (عقب) غير المضعف الذي يجعل إلى معنى: آخر الشيء ونهايته، أو ما يخلفه؛ جاء في اللسان ((عقب كل شيء، وعقبه، وعاقبته، وعقبته، وعقباه، وعقبانه: آخره))⁴. وفيه ((عقب الشيب يعقب ويعقب عقوبا، وعقب: جاء بعد السواد.... والعقب والعقب والعاقبة: ولد الرجل. ولد ولده والباقيون بعده... وعقب مكان أبيه يعقب عقباً وعاقبة، وعقب إذا خلف))⁵. كما ورد في لسان العرب معنى: أن يعمل الرجل عملا ثم يعود فيه: ((قال شمر: التعليب أن يعمل عملا في صلاة أو غيرها، ثم يعود فيه من يومه؛ يقال: عقب بصلاة بعد صلاة، وغزوة بعد غزوة؛ قال: وسمعت ابن الأعرابي يقول: هو الذي يفعل الشيء ثم يعود إليه ثانية. يقال: صلى في الليل ثم عقب، أي عاد في تلك الصلاة))⁶. والمعنى الجامع هنا هو الدلالة على العودة إلى عمل سابق أو الموالاة بين الأشياء؛ ومنه الانتظار لغرض الموالاة بينها - وهو ما لا يكون إلا بعد آخر العمل السابق ونهايته - ففي المعجم: ((عقب بصلاة بعد صلاة، وغزاة بعد غزاة : والم))⁷ وفيه: ((عقب وأعقب إذا فعل هذا مرة وهذا مرة))⁸، وفيه أيضا: ((وعقتك الذي يعاقبك في

1 العين: 1/179، (عقب).

2 معجم مقاييس اللغة: 4/77، (عقب). ونقل الفيومي في: المصباح المنير: 2/419، عن ابن فارس انه قال: ((والباب كله يرجع إلى أصل واحد، وهو ان يجيء الشيء بعقب الشيء، أي متاخرًا عنه)).

3 التوقيف على مهامات التعريف: 102.

4 لسان العرب: 1/611، (عقب). وينظر: أمالي القالي: 1/184.

5 لسان العرب: 1/613، (عقب).

6 نفسه: 1/615، (عقب).

7 نفسه: 1/614، (عقب).

8 نفسه: 1/615، (عقب).

العمل، يعمل مرة وتعلّم مرة¹). وجعل ابن الأثير حقيقة معنى التعقيب: إتباع العمل عملاً، قال: ((وحقيقة التعقيب: إتباع العمل عملاً، كفولهم لمن يحيي ه مرّة بعد أخرى ولمن يحدث غزوة بعد غزوة وسيراً بعد سير، وللفرس الذي لا ينقطع حضره، ولمن يعتذر بعد الإساءة، ويقتضي دينه كرة بعد كرة))². وقد ذكر ابن منظور(ت 711هـ) معنى آخر للتعقيب هو: الاستثناء، قال: ((وولى على عقبه، وعقبيه، إذا أخذ في وجه ثم اثنى. والتعقيب: أن ينصرف من أمر أراده))³ ، فقد جعله يعني الاستثناء من أمر أراد فعله. كما أن للتعقيب معنى آخر هو: اصفار ثمرة العرفة⁴. ويدو أن القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف هما اللذان رسما خطوط هذه المعانى وحددا اتجاهها، انطلاقاً من الاستعمال الوارد فيما ، فقد ورد في القرآن الكريم: (ولى مدبراً ولم يعقب) [النمل 10]، وفسره المفسرون بأنه لم يتبع إدباره إقبالاً أو التفاتاً⁵ ، كما فسر بأشياء؛ منها ما ذكره صاحب الناج: ((قيل : أي لم يعطف ولم يتضرر، وقيل: لم يكث، ... وقيل: لم يلتفت ... وقيل: لم يرجع))⁶ ، فقد أفادت هذه الآية الكريمة معنى الانتظار والمكث. ومنه قوله تعالى: (لا معقب لحكمه) [الرعد 41]، أي: لا أحد يتبع حكمه ردًا⁷ . ومنه قوله تعالى: (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) [الرعد 11]، والعقبات ملائكة الليل والنهار ؛ لأنهم يتعاقبون، أي إن ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار⁸ ،

1 نفسه: 1 / 616، (عقب).

2 الفائق في غريب الحديث والأثر: 3 / 12.

3 لسان العرب: 1 / 612، (عقب).

4 ينظر: القاموس المحيط: 116، (عقب).

5 ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 4 / 109، والكتشاف: 3 / 350، والمحرر الوجيز: 4 / 251، وزاد المسير: 3 / 353، ومفاتيح الغيب: 24 / 594، والجامع لأحكام القرآن: 13 / 283.

6 ينظر ناج العروس: 3 / 310، (عقب).

7 ينظر: الكشاف: 2 / 535، والمحرر الوجيز: 2 / 190، وزاد المسير: 2 / 501، ومفاتيح الغيب: 19 / 53، والجامع لأحكام القرآن: 9 / 334.

8 ناج العروس: 3 / 407، (عقب).

ومنه يُستفاد معنى الموalaة بين الأشياء في العمل. كما ورد هذا اللفظ ومشتقاته في الحديث الشريف، من ذلك قول الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): ((من عقب في صلاة فهو في الصلاة))¹. ومعنى التعقيب في الصلاة، هنا، هو: الجلوس بعد أن يقضيها لدعاء أو مسألة². ومن هنا كان المفهوم الإسلامي للتعليق في المساجد وهو: انتظار الصلوات بعد الصلوات³. ومنه قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): ((معقبات لا يخيب قائلهن))⁴، ((وهي التسبيحات. سميت معقبات؛ لأنها يختلف بعضها بعضاً، أو لأنها عادت مرة بعد مرة، أو لأنها تقال عقب الصلاة))⁵. وهذا نجد القاموس الفقهي جعل للتعليق المعاني الآتية: التردد في طلب مجدًا، وان تعمل عملا ثم تعود فيه، والجلوس بعد الصلاة للدعاء، وهو في الصدقة الاستثناء؛ يقال ليس في صدقة تعقيب، أي: استثناء⁶. كما ورد التعقيب في الأمثال العربية أيضاً في قوله: ((لاغزو إلا التعقيب)) وهو أن يغزو مرة ثم يثني من سنته⁷.

يرد مصطلح التعقيب في مصطلحات النحو العربي، وذلك في سياق باب العطف في دلالة الفاء على التعقيب، وهو خلاف دلالة (ثم) على التراخي، كفوفهم: مررت بزيد فعمرو، أي: مررت بزيد وعلى عقبه مررت بعمرو، وقد أطلق عليها الشاعري اسم: فاء التعقيب⁸. ويبدو أن معنى الموalaة والتتابع حاضر في هذا الاستعمال الاصطلاحي. ومنه

1 الحديث في: صحيح مسلم: 1 / 418، باب استحباب الذكر...، وسنن الترمذى: 5 / 479، وسنن النسائي: 3 / 75.

2 ينظر: لسان العرب: 1 / 615، (عقب)، وختار الصحاح: 213، (عقب).

3 ينظر: لسان العرب: 1 / 612، (عقب).

4 الحديث في: صحيح مسلم: 1 / 418، باب استحباب الذكر...، وسنن الترمذى: 5 / 479، وسنن النسائي: 3 / 75، نوع آخر من التسبيح.

5 ناج العروس: 3 / 408، (عقب).

6 ينظر القاموس الفقهي: 254.

7 ينظر: مجمع الأمثال: 2 / 245.

8 فقه اللغة وسر الغربة: 244. وينظر: التبيان في أقسام القرآن: 142-144.

لام التعقيب في نحو قوله تعالى: (إِن كُنْتُمْ لِرُؤْيَا تَعْبُرُونَ) [يوسف: 43]. وتسمى بلام التعقيب لأنها عقبت الإضافة. وهي تدخل مع معمول اسم الفاعل كما يدلُّ من السياق، قال الأزهري: ((وهي تدخل مع الفعل الذي معناه الاسم كقولك فلان عابر الرؤيا وعاشر للرؤيا. وفلان راهب ربه وراهب لربه. ومن ذلك قول الله تعالى: (للذين هم لربهم يرعبون) [الاعراف: 154] إنما دخلت اللام تعقيباً للإضافة. المعنى: الذين هم راهبون لربهم، ورهبوا ربهم، ثم ادخلوا اللام على هذا المعنى لأنها عقبت الإضافة))¹. وهنا يحضر معنى التناوب؛ إذ تعقب اللام الإضافة في المعنى، فهما يتعاقبان.

ومن أجل أن نحدد مفهوماً واضحاً للتعليق المصيري، فلا بد لنا من الوقوف على مفهومه عند من استعمل هذا المصطلح، لمعرفة دلالاته في السياق الذي ورد فيه، وأقدم إشارة إلى التعقيب المصيري وجدناها عند الزمخشري (ت 538هـ) في تفسيره قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِيَالَ تَخْسِبَهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مِنَ السَّحَابِ صَنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَثْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)، إذ قال: ((صَنْعَ اللَّهِ مِنَ الْمَصَادِرِ الْمُؤْكَدَةِ، كَوْلَهُ: وَعَدَ اللَّهُ صَنْعَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ مُؤْكَدَهُ مَحْذُوفٌ.... وَجَعَلَ هَذَا الصُّنْعَ مِنْ جَمِيلِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي أَثْقَنَهَا وَأَتَى بِهَا عَلَى الْحِكْمَةِ وَالصَّوَابِ، ...، فَانْظُرْ إِلَى بِلَاغَةِ هَذَا الْكَلَامِ، وَحَسْنِ نَظْمِهِ وَتَرْتِيهِ، وَمَكَانَةِ إِضْمَادِهِ، وَرِصَانَةِ تَفْسِيرِهِ، وَأَخْذِ بَعْضِهِ بِحِجْزِهِ بَعْضٌ، كَأَنَّا أَفْرَغْ إِفْرَاغًا وَاحِدًا لِلْأَمْرِ مَا أَعْجَزَ الْقَوْيَ وَأَخْرَسَ الشَّقَائِقَ. وَنَحْوُ هَذَا الْمَصِيرُ إِذَا جَاءَ عَقِيبَ كَلَامٍ، جَاءَ كَالْشَّاهِدِ بِصَحْتِهِ وَالْمَنَادِي عَلَى سَدَادِهِ، وَأَنَّهُ مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِلَّا كَمَا قَدْ كَانَ). لا ترى إلى قوله: صَنْعَ اللَّهِ، وَصَنْعَةَ اللَّهِ، وَوَعَدَ اللَّهُ، وَفَطَرَتَ اللَّهُ: بَعْدَ مَا وَسَمَهَا بِإِضَافَتِهَا إِلَيْهِ بِسْمِ الْتَّعْظِيمِ، كَيْفَ تَلَاهَا بِقَوْلِهِ الَّذِي أَثْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صَنْعَةَ،

1 ينظر: تهذيب اللغة: 2/ 229، 15/ 297.

لا يختلف الله المعاد لا بديل لخلق الله¹). يلحظ أن الزخشري قد استعمل لفظ (عقيب) الذي اشتقت منه مصطلح (التعليق) في ما بعد. وهو يتحدث هنا عن استعمال النص الكريم للمصدر (صنع الله) وبلاهة استعماله ووظيفته الدلالية في تقوية المعنى وتثبيته. وكما هو ظاهر فإن التعقيب المصدري هنا هو الجبي، مصدر يردف معنى الجملة السابقة ويقويه أو يحمله؛ فلا يدخل الشك إلى قلب المتكلمي وعقله وإنما يقبل على الكلام بالقبول والموافقة؛ فهو شاهد على صدق الكلام السابق وسداده. وقد نقل أبو حيان هذا الكلام ثم علق على قول الزخشري: إن الله تعالى (جعل هذا الصنع من جلة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب) بأن هذا القول من مذهب الاعتزال احتال إلى إدراجه في كلامه بالتلاعب بالألفاظ وإدارتها على التحو الذي يريد، قال: ((وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَ مِنْ شَفَاعَيْهِ وَتَكْثِيرِهِ فِي الْكَلَامِ، وَاحْتِيَالِهِ فِي إِدَارَةِ أَفْنَاطِ الْقُرْآنِ لِمَا عَلَيْهِ، مِنْ مَذَاهِبِ الْمُعْتَزِلَةِ))². ومن إشارات القدماء إلى التعقيب أيضاً ما نجده في كتاب الفوائد المشوقة المنسوب إلى ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، وذلك في القسم الرابع والخمسين من أقسام الفصاحة والبلاغة، الذي عنونه بالتعليق المصدري، وفيه بين الغرض منه؛ قال: ((وإنما يعمد إلى ذلك لضرب من التأكيد لما تقدمه والإشعار بتعظيم شأنه أو بالضد من ذلك))³. ثم نقل كلام الزخشري السابق بنصه ولكنه أضاف إليه أن من التعقيب المصدري ما يستعمل لغرض الذم ومثل، قال: ((وأما الثاني وهو ضد الأول وذلك ما يراد به تصغير الشأن كقولهم إذا ذكروا إنساناً يريدون ذمه قد ركب هواه واستمر على غيه وعادى على جهله وسحب ذيل عجبه - وما أشبه ذلك ثم يقول - صنع

1 الكشاف: 3/387-388. وينظر: مفاتيح الغيب: 24/574، وفيه رأي القاضي عبد الجبار المعتزلي، قال: ((قال القاضي عبد الجبار فيه دلالة على أن القبائح ليست من خطيئه وإنما وجوب وصفها بالهدا متفقة وتكون الأجماع مانع منه والجواب: أن الإنكار لا يحصل إلا في المركبات قيمتها وصف الأعراض بها والله أعلم)).

2 البحر الحبيب: 8/274.

3 الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن: 252.

الشيطان الذي غالب النفوس وميل الألباب - ومثل ذلك كثير فاعرفه))¹. فقد جعل فائدته في تأكيد ما تقدم من الكلام وتعظيم شأنه أو تقليل شأنه والخطأ من أثره وقيمة. كما نجد إشارة أخرى إلى التعقيب المصدرى عند سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفى (ت 710هـ) في كتابه الإكسير في علم التفسير، وذلك في النوع العاشر من علوم القرآن الموسوم بالتعليق المصدرى ، وقد وصفه بأنه: ((هو تعقيب الكلام بالمصدر إشارة إلى تعظيم شأنه أو ذمه وسباه))². ثم أورد الشواهد القرآنية الثلاثة التي سبق أن ذكرها ابن القيم. ومن ذلك ما نجده في حاشية الشهاب، إذ يقول عن قوله تعالى: (وَئَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ ثَمُرٌ مِّنَ السَّحَابِ صَنْعُ اللَّهِ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا خَيْرًا بِمَا تَفْعَلُونَ) [النمل 88]: ((وقوله: ونحن له عابدون ملائمن لقوله صبغة الله لأنها دين الله فالمصدر كالفذلكة لما سبق))³. فقد وصف استعمال المصدر في تلك الموضع التي أشار إليها بالفذلكة لما سبق من الكلام. والفذلكة: كَلِمَةٌ مُخْتَرَعَةٌ مِنْ قَوْلِكَ: فذلك الرجل حسابه، إذا أجمل حسابه: فذلك كَذَا وَكَذَا عَدَدًا، وَكَذَا وَكَذَا قَفِيزًا⁴ ، واستعمال الشهاب كلمة الفذلكة هو، في نظرنا، استعمال يرادف التعبير بالتعليق المصدرى كما يبدو من معناها اللغوى. وقد أشار الأستاذ خالد بن عثمان السبti إلى التعقيب المصدرى أيضاً في المقصد الثالث الموسوم بالقواعد اللغوية الخاصة بالتفسير، قال: ((التعليق بالمصدر يفيد التعظيم أو الذم))⁵. هذه هي أهم الإشارات الصريحة التي وجدناها عن التعقيب المصدرى في ما اطلعنا عليه. وهناك إشارات غير صريحة إلى هذه الظاهرة الأسلوبية اللغوية تمثلها وتكشف عن دلالتها، ومن ذلك ما نجده عند سيبويه، إذ قال: ((هذا باب ما يكون المصدر فيه توكيداً لنفسه نصباً وذلك قوله: له على ألف

1 نفسه: 253.

2 الإكسير في علم التفسير: 205.

3 حاشية الشهاب=عنابة القاضي: 2 / 248.

4 ينظر: ناج العروس: 27 / 293-294، (عقب).

5 مختصر في قواعد التفسير: 8.

درهم عزفأ..... وإنما صار توكيداً لنفسه لأنه حين قال: له على، فقد أقرَّ وأعترف.... واعلم أنه قد تدخل الألفُ واللام في التوكيد في هذه المصادر المتمكنة التي تكون بدلاً من اللفظ بالفعل: كدخولها في الأمر والنفي والخبر والاستفهام، فأجزرها في هذا الباب مجرها هناك. وكذلك الإضافة بمنزلة الألف واللام. فاما المضاف قوله الله تبارك وتعالى: (وَتَرِي الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَرَ مِنَ السَّحَابِ صَنْعَ اللَّهِ) [النمل 89]، وقال الله تبارك وتعالى: (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مِنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ). وعد الله لا يخلف الله وعده) [الروم 5-6]. وقال جلَّ وعزَّ: (الَّذِي أَخْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ). وقال جلَّ ثناؤه: (وَالْمُحْسَنُاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) [النساء 24]. ومن ذلك: الله أكْبَرُ دَعْوَةُ الْحَقِّ. لأنَّه لَمْ يَقُولْ جَلَّ وعزَّ: (مر السَّحَابِ)، وقال: (أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ)، عُلِمَ أَنَّه خَلَقَ وَصَنَعَ، ولَكُنَّه وَكَدَ وَبَثَ للْعِبَادِ. ولما قال: (حَرَمْتُ عَلَيْكُمْ أَمْهَانَكُمْ) حَتَّى افْتَضَى الْكَلَامُ، عُلِمَ الْمُخَاطَبُونَ أَنَّ هَذَا مَكْتُوبٌ عَلَيْهِمْ، مَبْتَأِتُ عَلَيْهِمْ، وقال: كِتَابُ اللَّهِ، توكيداً كما قال: صَنْعُ اللَّهِ، وكذلك: وَعْدُ اللَّهِ، لأنَّ الْكَلَامَ الَّذِي قَبْلَهُ وَعْدٌ وَصَنْعٌ، فَكَأَنَّه قَالَ جَلَّ وعزَّ: وَعْدًا وَصَنْعًا وَخَلْقًا وَكِتَابًا. وكذلك: دَعْوَةُ الْحَقِّ؛ لأنَّه قد عُلِمَ أَنَّ قَوْلَكَ: الله أَكْبَرُ، دُعَاءُ الْحَقِّ ولَكُنَّه توكيده، كَأَنَّه قَالَ: دُعَاءُ حَقًّا. وَاعْلَمُ أَنَّه، هَذَا الْبَابُ أَتَاهُ النِّصْبُ كَمَنْصُوبٍ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْمَصَادِرِ فِي أَنَّه لَيْسَ بِصَفَةٍ وَلَا مِنْ اسْمٍ قَبْلَهُ، وإنَّمَا ذَكْرُه لِتُؤَكَّدَ بِهِ، وَلَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى مَضْمِنٍ يَكُونُ مَا بَعْدَهُ رَفِعاً وَهُوَ مَفْعُولٌ بِهِ) ¹. فقد أشار سيبويه إلى هذه الظاهرة، وإن لم يسمها، وإلى أنها تتَّلَفُ من جملة يتبعها مصدر يؤكد معناها ويشتبه، ومثل لها. ولعل من الإشارات المهمة إلى هذه الظاهرة اللغوية أيضاً ما جاء عند الفراء الذي التفت إلى تشابه التركيب النحوى الذي يرد فيه المصدر المؤكَد لغيره في القرآن الكريم كما نبه على وظيفته الدلالية التي ترتكز أساساً على التوكيد والتقوية؛ قال في تفسير قوله تعالى: (لَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوْسِعِ قَدَرَةً

1 كتاب سيبويه: 1/381-383

وعلَى المُقْتَرِ قَدْرَةً مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُخْسِنِينَ) [البقرة 236]: ((وقوله متاعاً بالمعروف منصوب خارجا من القدر لأن نكرة والقدر معرفة. وإن شئت كان خارجا من قوله «مَتَعُوهُنَّ» متاعاً ومتعة. فاما حقاً فإنه نصب من نية الخبر لا أنه من نعت المتاع. وهو كقولك في الكلام: عبد الله في الدار حقاً. إنما نصب الحق من نية كلام المخبر كأنه قال: أخبركم خبراً حقاً، وبذلك حقاً وقبح أن يجعله تابعاً للمعرفات أو للنكرات لأن الحق والباطل لا يكونان في أنفس الأسماء إنما يأتي بالإخبار. من ذلك أن تقول: لي عليك المال حقاً، وقبح أن تقول: لي عليك المال الحق، أو: لي عليك مال حق، إلا أن تذهب به إلى أنه حق لي عليك، فتخرج منه مخرج المال لا على مذهب الخبر. وكل ما كان في القرآن مما فيه من نكرات الحق أو معرفته أو ما كان في معنى الحق فوجه الكلام فيه النصب مثل قوله «وَعَذَ الْحَقَّ» و «وَعَذَ الصَّدْقَ» ومثل قوله «إِنَّهُ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَذَ اللَّهُ حَقًا» هذا على تفسير الأول¹). ويلاحظ أنه يسمى هذا النوع من المصادر في مثل هذا الاستعمال بالخروج مما قبله، وقد يسميه أحياناً بالقطع مما قبله. وقال أيضاً: ((وقوله: وَعَذَ الصَّدْقَ الَّذِي (16). كقولك: وعدا صدقاً، أضيف إلى نفسه، وما كان من مصدر في معنى حقاً فهو نصب معرفة كان أو نكرة، مثل قوله في يونس: «وَعَذَ اللَّهُ حَقًا»²). ومن الأمثلة التي نلمس فيها هذه الظاهرة وتبين إحساس الفراء بهذه الظاهرة اللغوية في القرآن الكريم، ما ورد في قوله: ((وما كان من سنت الله، وصيغة الله وشبهه فإنه منصوب لاتصاله بما قبله على مذهب حقاً وشبهه. والرفع جائز لأنه كالجواب الا ترى أن الرجل يقول: قد قام عبد الله، فتقول: حقاً إذا وصلته. وإذا نويت الاستئناف رفعته وقطعته مما قبله. وهذه محض القطع الـ الذي تسمعه من النحوين)). ومن ذلك ما ورد عند الزجاج، عن قوله تعالى (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِذْ تُوَابَ الدُّنْيَا تُؤْتَهُ مِنْهَا وَمَنْ يُرِذْ تُوَابَ الْآخِرَةَ تُؤْتَهُ مِنْهَا

1 معاني القرآن للفراء: 1 / 154.

2 نفسه: 3 / 53.

وَسَجْزِي الشَّاكِرِينَ) [آل عمران 145]، إذ قال: ((كِتَابًا مُؤْجَلًا) على التوكيد، المعنى كتب الله ذلك كتاباً مؤجلاً أي كتاباً ذا أجل...، ومثل هذا التوكيد قوله عز وجل: (كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) لأنه لما قال: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَائِكُمْ وَبَئَاثِكُمْ) دل ذلك على أنه مفروض عليهم فكان قوله: (كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) توكيداً. وكذلك قوله عز وجل: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَثْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) لأنه لما قال: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَخْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تُمْرُ مَرَّ السَّحَابِ) دل ذلك على أنه خلق الله وصنعه. فقال: (صُنْعَ اللَّهِ) وهذا في القرآن في غير موضع، وهذا بعراه عند جميع النحوين)¹، وهكذا نجد الفراء يشير إلى أن هذه الظاهرة غير قليلة في القرآن الكريم. ومن ذلك ما نجده من إحساس جامع العلوم الباقيولي بالتشابه في البناء النحوي لشواهد الآيات التي تشملها هذه الظاهرة؛ إذ خصص باباً للمصادر المتصوبة الواردة في القرآن الكريم والعامل فيها فعل مضمر دل عليه ما قبله، ذكر فيه الكثير من الشواهد المتضمنة للتعقب بالمصدر².

تدل هذه الإشارات إلى التفات بعض القدماء إلى هذه الخصيصة اللغوية الأسلوبية في النص القرآني الكريم، غير أنهم لم يقفوا إلا على شواهد معدودة ومكررة لا تمثل جميع ما ورد منها في القرآن، كما أنهم لم يتسعوا في الكشف عن صورها في العبارة القرآنية، كما اكتفوا بتحديد دلالتها في أنها تأتي لغرض: تعظيم شأن المذكور أو ذمه. ولذلك سيكون مدار هذا البحث على تحديد أهم صورها التي وردت في القرآن الكريم والكشف عن سياقاتها ودلالاتها في تلك السياقات.

نوع المصدر المعقب به:

ولما كان هذا الأسلوب يعتمد المصدر النائب عن فعله؛ فلا بد لنا من أن نبين أن النحاة يقسمون المصدر في العربية على ثلاثة أقسام، هي: المصدر المؤكد لعامله،

1 معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 1 / 474-475.

2 بنظر: إعراب القرآن للباقيولي المنسوب خطأ للزجاج: 2 / 767.

والمصدر المبين لنوع عامله، والمصدر المبين لعدد عامله. وهذا التقسيم فيه نظر، لأنه لم يستوف أقسام المفعول المطلق من جهة، ولأن الاقتصار على هذه الأقسام يؤدي إلى الواقع في التعارض بين هذا التقسيم والواقع اللغوي¹. ومن ذلك التعارض قول النحاة إن عامل المصدر المؤكّد لا يمحّف لأنّهم يرون أنّ الغاية من المصدر توكيده عامله، فهو لا يمحّف جوازاً لأنّ الغرض من المصدر هو التوكيد؛ فهو مسوق لتوكيد معنى عامله في النفس، وتقويته، ولتقرير المراد منه، - أي: لإزالة الشك عنه - ولبيان أن معناه حقيقي لا مجازي²؛ ولكن النحاة - في الوقت نفسه - يذكرون أن العامل في المصدر المؤكّد لضمون الجملة مخدوف، كما في نحو: (أنت ابني حفا) و(له علي ألف دينار عرفا)، وهذا يؤدي إلى شيءٍ من التعارض - شكلياً على أقل تقدير -؛ يقود إلى القول بأن المصدر المؤكّد غير المصدر المؤكّد لضمون الجملة، ولذا علينا الفصل بين المصدر المؤكّد لعامله والمصدر المؤكّد لضمون الجملة³. وقد أحس بهذا التناقض بعض القدماء، ومنهم ابن الناظم (ت 686هـ) وأبن عقيل (ت 769هـ) والأشموني (ت 900هـ) والصبان (ت 1206هـ)⁴.

وقد تناول الشاطبي هذه المسألة بالبحث، وانتهى إلى: ((أن للمصدر المؤكّد في هذا الباب إطلاقين: أحدهما أن يراد به المؤكّد لفعله، ...، والثاني: أن يراد به المؤكّد للجملة المذكورة قبله، وليس بمؤكّد لعامله الذي هو الفعل المقدر.... فالاطلاقيان مختلفان في الاصطلاح ... وإذا تابع الاصطلاحان لم يدخل أحدهما على الآخر))⁵. ويمكن أن نلمس شيئاً من هذا التعارض عند بعض المحدثين أيضاً، ومنهم الشيخ مصطفى الغلاياني، فهو يقول عن المصدر الذي حُذف عامله وجوباً: ((واعلم أن ليس المصدر،

1 ينظر: معاني النحو: 2/131.

2 ينظر: النحو الواقي: 2/219.

3 ينظر: معاني النحو: 2/131-132.

4 ينظر: شرح ابن الناظم: 193-194، ويوازن بن: شرح ابن عقيل: 1/593-595، ورأي الشيخ محمد عبّي الدين عبد الحميد بهامشة، وشرح الأشموني: 1/472، وحاشية الصبان: 2/173.

5 المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبي: 3/238-239. وينظر فيه: 3/253.

الذي يُؤتى به بَدلاً من التلفظ بفعله، من المصادر المؤكدة (كما زعم جمهور من النحاة)، وإنما هو ضرب آخرٍ من المصادر، كما علمت. ولو كان مؤكداً لم يجز حذف عامله، لأنَّه إنما أتى به ليؤكَّد عامله ويقوِّيه. فحذف العامل بعد ذلك يُنافي ما جيء بال المصدر لأجله. ولو كان مؤكداً لجأ ذكر العامل معه. ولم يقل بذلك أحدٌ منهم، مع إجماعهم على أنه يجوز ذكر العامل ومصدره المؤكَّد له معاً. نحو (يا أَيُّهَا آمْنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [الأحزاب 56])¹. على الرغم من انه ذكر قبل ذلك - في الموضع السابع من الموضع التي يحذف فيها العامل في المصدر وجوباً- أن عامل المصدر المؤكَّد لضمون الجملة مذوق وجوباً؛ قال: ((المصدر المؤكَّد لضمون الجملة قبله. سواء أجيء به مجرد التأكيد (أي لا لدفع احتمال المجاز، بسبب أنَّ الكلام لا يحتمل غيرَ الحقيقة) نحو ذلك على الوفاء بالعهد حقاً، أم للتأكيد الدافع لإرادة المجاز نحو هو أخي حقاً))²، فهو يقرر، من جهة، أن المصدر المذوق العامل - وهو الذي جيء به بَدلاً من التلفظ بفعله- ليس من المصادر المؤكدة، ولكنه، من جهة أخرى، يتبع النحوة فيقرر أن العامل في المصدر المؤكَّد لضمون الجملة مذوق. وبناء على ما سبق يمكن القول إن أمر حذف عامل المصدر المؤكَّد ليس على إطلاقه ، ولكن يمكن النظر إليه على انه قسمان؛ الأول: المصدر المؤكَّد لعامله وهو الذي لا يجوز حذف عامله، والأخر: المؤكَّد لضمون الجملة وهو الذي يكون عامله مذوقاً وجوباً ومفهوماً من دلالة الجملة التي قبله، وقد أغنت الجملة التي قبله عن ذكره، لذا قيل إن حذف عامله حذف واجب.

وقد حدد النحوة الموضع التي يحذف فيها العامل في المصدر وجوباً³ على النحو

الآتي:

1 جامع الدروس العربية: 3 / 42.

2 نفسه: 3 / 42.

3 ينظر: النحو الوافي: 228، والموجز في قواعد اللغة العربية: 261-259.

1. في الطلب أمراً أو نهياً أو دعاءً أو استفهاماً، نحو: صبراً يا أخي على مصابك، و إقداماً لا تأخراً، و نقيناً له ورعياً، و أكسلاً وقد جد منافسك؟ [١].
 2. مصادر مسموعة شاع استعمالها ولا أفعال معها، ولكن القرائن دالة عليها مثل: سمعاً وطاعة، عجباً، حداً وشكراً لا كفراً، معاذ الله سبحانه الله، لبيك، لبيك وسعديك، وحنانيك؟ دواليك، حذاريك [٢].
 3. في تفصيل بجمل أو بيان عاقبة مثل: (فَشَدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) [محمد] [٣].
 4. إذا كرر المصدر أو حصر أو استفهم عنه وكان عامله خبراً عن اسم عين مثل: أنت رحيلأ رحيلأ، إنما أنت رحيلأ، أنت رحيلأ؟ والمقدار في ذلك كله فعل ترحل أو راحل [٤].
 5. أن يكون فعلأ علاجيأ تشبيهياً بعد جملة مشتملة عليه وعلى صاحبه: مررت على أخيك فإذا له بكاءً بكاءً ثكلى. استمعت إلى خالد فإذا له سجع سجع حمام. فإن لم تقدم جملة أو كان الفعل غير علاجي وجب الرفع تقول: لأنـيـكـ بكـاءـ ثـكـلىـ،ـ خـالـدـ ذـكـاءـ دـاهـيـةـ.
- ويهمنا أن نقف هنا على ما له علاقة بموضوع بحثنا (التعليق المصدري)، وهو المصدر المؤكـدـ لمـضـمـونـ الجـملـةـ،ـ لـأنـ التـعـقـيـبـ بـالـمـصـدـرـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ إـنـماـ جاءـ عـنـ طـرـيقـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ الـمـصـادـرـ دـوـنـ غـيرـهـاـ،ـ وـهـوـ يـتـمـثـلـ فـيـ حـالـتـيـنـ يـجـبـ فـيـهـماـ حـذـفـ العـاـمـلـ فـيـ الـمـصـدـرـ،ـ وـهـماـ:ـ الـأـوـلـىـ:ـ أـنـ يـقـعـ الـمـصـدـرـ بـعـدـ جـمـلـةـ مـضـمـونـهـ؛ـ وـيـكـونـ الـمـصـدـرـ فـيـهـاـ مـؤـكـدـ لـنـفـسـهـ،ـ بـأـنـ يـكـونـ وـاقـعـاـ بـعـدـ جـمـلـةـ مـضـمـونـهـ كـمـضـمـونـهـ،ـ وـمـعـنـاهـ الـحـقـيـقـيـ -ـ لـمـجـازـيـ -ـ كـمـعـنـاهـ،ـ وـلـاـ تـحـتـمـلـ مـرـادـاـ غـيرـ مـاـ يـرـادـ مـنـهـ،ـ فـهـيـ نـصـ فـيـ مـعـنـاهـ الـحـقـيـقـيـ،ـ كـقـولـكـ:ـ لـكـ عـلـيـ أـلـفـ اـعـتـرـافـ؛ـ وـ:ـ أـنـتـ تـعـرـفـ لـوـالـدـيـكـ فـضـلـهـمـاـ يـقـيـنـاـ.ـ وـلـاـ يـصـحـ فـيـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ الـأـسـالـيـبـ تـقـديـمـ الـمـصـدـرـ عـلـىـ الـجـمـلـةـ الـتـيـ يـؤـكـدـ مـعـنـاهـاـ،ـ وـلـاـ تـوـسـطـ بـيـنـ جـزـائـهـ.

والحالة الثانية: أن يقع المصدر بعد جملة ليدفع احتمال المجاز فيها، ويجعل معناها نصاً في أمر واحد بعد أن لم يكن نصاً. ويسمى مؤكداً لغيره ، كقولك: **هذا أخي حقاً فلولا** المصدر **حقاً لاحتتمال الكلام الأخوة المجازية**، و **نحو**: **هذا بيقي قطعاً أي: أقطع برأيي قطعاً**، **فلولا عجيء** المصدر: **قطعاً بجاز** فهم المعنى على أوجه متعددة بعضها حقيقي، والآخر مجازي، أقربها: أنه بيتي حقاً، أو: أنه ليس بيتي حقيقة، ولكنه منزلة بيتي، لكثرة تردد عليه، أو: ليس بيتي ولكنه يضم أكثر أهلي. ويكون المصدر في هذا النوع واقعاً بعد جملة معناها ليس نصاً في أمر واحد يقتصر عليه، ولا يحتمل غيره، وإنما يحتمل عدة معانٍ مختلفة، منها المعنى الذي يدل المصدر عليه قبل مجبيه، فإذا جاء بعدها منع عنها الاحتمال، وأزال التوهم، وصار المعنى نصاً في شيء واحد. ولم يشترط النحويون أن تكون الجملة السابقة على المصدر المؤكد مشتملة على لفظه¹.

وقد أشار القدماء إلى دلالة هذا النوع من المصادر-أعني المؤكد لمضمون الجملة- على التوكيد؛ فقد تناول سيبويه الجوانب التركيبية لهذا الأسلوب وطريقة بنائه، كما أشار إلى الغرض من استعماله، وهو التوكيد والتثبت، وتحدث أيضاً عن العامل في هذا النوع من المصادر المستعملة للتوكيد، التي سبق أن مرت بنا الشواهد التي ذكرها مثل: له على ألف درهم حقاً، وكتاب الله عليكم، وصبغة الله ، قال: ((واعلم أنَّ نصب هذا الباب المؤكِّد به العامُ منه وما وُكَّد به نفسه، ينصب على إضمار فعل غير كلامك الأوَّل، لأنَّه ليس في معنى كيَفَ ولا لِمَ، كائِنَه قال: أَحْقُّ حَقًا، فجعله بدلاً كظُنَّا من أَطْنُ،، وكتب الله تبارك وتعالى كتابَه، ...، وصبَّغ الله صبغة، ولكن لا يظهر الفعلُ لأنَّه صار بدلاً منه بمنزلة سقِيَا. وكذلك توجَّه سائر الحروف من هذا الباب، كما فعلت ذلك في باب سقِيَا وحدَّا لك))². فقد أشار سيبويه هنا إلى المصدر الذي يؤكِّد مضمون

1 ينظر: النحو الوافي: 229/2.

2 الكتاب: 1 / 383-384. وينظر: المقتصب: 3/203، والخصائص: 2/74، المفصل: 57، والإنصاف: 1/186، وهم المقام: 2/124.

الجملة، ووسم نوعيه بالمؤكد العام والمؤكد لنفسه، ولعل النحاة انطلقا من تعبير سيبويه عنهما في النص المذكور؛ فسموهما المؤكد لنفسه والمؤكد لغيره، وقد ذكر الأعلم الشتمني (ت647هـ) في شرحه كلام سيبويه في هذا الباب أن سيبويه سمي ما يؤكّد ماقبله بالعام وما يؤكّد نفسه خاصاً، قال: ((سمى سيبويه، أيضاً، الباب الأول [أي المؤكد لغيره أو لما قبله] توكيدا عاماً؛ لأنّه سمي هذا)) يعني الباب الآخر الذي يشرحه، نحو: له على ألف عرفاً] توكيدا لنفسه، من حيث كان توكيداً الاعتراف الذي هو معنى الكلام الظاهر، وهو لفظ اختصاص، فجعل الآخر عاماً)).¹ ومثل ذلك ما نجده عند الرضي الاسترابادي (ت686هـ)، قال عن تسميتهم بالمؤكد لنفسه والمؤكد لغيره: ((وهذه عبارة المؤاخرين، وسيبوه يسمى المؤكد لنفسه: التأكيد الخاص، والمؤكد لغيره: التأكيد العام))². و قريب من ذلك ما نجده عند الشاطبي قال- شارحاً هذه التسمية، في ضوء شواهد سيبويه وأمثاله التي سبق ذكرها-: ((وقد يسمى أيضاً الأول التوكيد الخاص، والثاني التوكيد العام، ومعنى الخصوصية في الأول مقصور على قوله: له على كذا، وخاص به. وأما حقاً فليس بخاص بتلك الجملة بعينها، بل يكون توكيداً لها، فتقول هو أبني حقاً، ولغيرها نحو: أبوك منطلق حقاً، وزيد قائم، وأبوك سائر، وغير ذلك من الأخبار، فيحق أن يسمى التوكيد العام، والأول خاصاً)).³ وقد بين النحويون أن العامل في هذا النوع من المصادر- المؤكد لغيره أو المؤكد لنفسه- مقدر ومفهوم من سياق الجملة التي يؤكد مضمونها، قال ابن عييش عن المصدر الذي يؤكد غيره: ((والناسب لها فعل مقدر قبلها دل عليه معنى الجملة)).⁴ وقال في موضع آخر عن المصدر الذي يؤكد نفسه: ((وما أكد نفسه، نحو: له على ألف درهم عرفاً يتتصب

1 النكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلم الشتمني: 194.

2 شرح كافية ابن الحاجب، الرضي الاسترابادي: 1/293.

3 المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: 3/254.

4 شرح المفصل، ابن عييش: 1/285.

على إضمار فعل غير كلامك الأول، لأنه ليس بمحال، ولا مفعول له،، ولا يظهر الفعل كما لم يظهر في باب: سقيا لك وحدها، فاعرفه))¹، فقد بين ابن عيسى هنا أن العامل في المصدر المؤكد لنفسه لا يظهر وإن المصدر بدل منه. وقد ذهب الرضي إلى أن الجملة المتقدمة على المصدر هي العاملة فيه، قال: ((ولا يمتنع في كل ما هو تأكيد لنفسه من المصادر أن يقال: الجملة المتقدمة عاملة فيه، لنيابتها عن الأفعال الناصبة، وتأديتها معناها)).² . وعلل الرضي وجوب حذف العامل مع هذا النوع من المصادر بان الجملة تقوم مقامه وتدل عليه فتفني عنه، قال: ((وإنما وجوب حذف الفعل الناصب في المؤكد لنفسه ولغيره ، لكون الجملتين كالنائبتين عن الناصب من حيث الدلالة عليه، وقائمتين مقامه، أعني قبل المصدر، فلا يجوز تقدم المصادرين على الجملتين، لكونهما كالعامل الضعيف،...، وأنا لا أرى بأسا بارتکاب كون الجملتين بأنفسهما عاملتين في المصادرين، لإفادتهما معنى الفعل، كما ذكرنا، فلا يتقدم المصدران عليهما لضعف العامل))³ ، فهو يستدل – على أن العامل في المصدر المؤكد لنفسه هو: الجملة المتقدمة- بأن هذا المصدر لا يجوز ان يتقدم على الجملة لأنها عامل ضعيف؛ لكونها نائبة عن الناصب وليس هي الناصب الأصلي. وقد أفاد الرضي أن المصدر المؤكد لنفسه مختلف عن المؤكد لعامله من حيث طبيعة ما يؤكده كل منهما، فالأول يؤكд معنى تؤديه الجملة في حين يؤكد الثاني فعله أو عامله؛ فهما لا يختلفان من حيث دلالتهما على التوكيد ولكنهما يختلفان في تركيب الجملة التي يدخلان في تأليفها شكليا؛ قال: ((إن المصدر الظاهر يؤكد نفسه، فـ: اعترافا، في: له علي ألف درهم اعترافاً، يؤكد الاعتراف الذي تضمنته الجملة المذكورة، كما ان المصدر مؤكد لنفسه في نحو: ضربت ضربا، إلا ان المؤكد هنها مضمون المفرد أي الفعل من دون الفاعل، لأن الفعل يدل وحده على المصدر والزمان، وأما في

1 شرح المفصل: 1/289.

2 شرح كافية ابن الحاجب: 1/289.

3 نفسه: 1/293.

سألتنا، فالاعتراف مضمون الجملة الاسمية بكمها، لامضمون احد جزائها.... فال المصدر المؤكّد لنفسه هو الذي يؤكد جملة تدل على ذلك المصدر نصا¹). وقد حدد الرضي ضابطين لوجوب حذف الفعل في مثل هذه المصادر، قال: ((ففي مثل هذه المصادر ضابطان لوجوب حذف أفعالها: الإضافة المذكورة [أي إضافة المصدر إلى فاعله]، وكونها تأكيدا لأنفسها))². ويذهب الرضي إلى أن المصدر المؤكّد لغيره هو في الحقيقة مصدر مؤكّد لنفسه، قال: ((واعلم ان المؤكّد لغيره في الحقيقة مؤكّد لنفسه، وإنما فليس به مؤكّد، لأن معنى التأكيد تقوية الثابت بان تكرره، وإذا لم يكن الشيء ثابتا فكيف يقوى؟ وإذا كان ثابتا فمكرره إنما يؤكد نفسه))³. ويستدل على ان المؤكّد لغيره مؤكّد لنفسه في الحقيقة بان ((جميع الأمثلة الموردة للمؤكّد لغيره، إنما صريح القول ، أو ما هو في معنى القول، قال تعالى: (ذلك عيسى بن مريم قول الحق)، وقولهم: هذا القول لا قولك، أي هذا القول الحق لا أقول مثل قولك، انه باطل....وقولك: هذا زيد حقا، أي: قولا حقا))⁴. ثم يورد مجموعة من الشواهد والأمثلة ويعالجها على وفق هذه الرؤية ليتّهي إلى القول: ((فقد تبين - بما قدمنا - ان جميع المصادر المؤكّدة لغيرها، ينبغي ان تكون مدلوّلة الجملة المتقدمة بحيث لا تختتم من حيث اللفظ سواها؛ كما في المؤكّدة لنفسها))⁵. وقد عد الطاهر بن عاشور مصطلح النهاة: المصدر المؤكّد لنفسه تسمية غريبة، قال في تفسير قوله تعالى: (وَعَذَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَغَدَةً) الروم:6: ((وَهَذَا مِنَ الْمَقْعُولِ الْمُطْلَقِ الْمُؤَكَّدِ لِمَعْنَى جُمْلَةٍ قَبْلَهُ هِيَ بِمَعْنَاهُ وَيُسَمِّيهِ التَّخْوِيُونَ مَصْنَدِرًا مُؤَكَّدًا لِنَفْسِهِ تَسْمِيَةٌ غَرِيبَةٌ يُرِيدُونَ بِنَفْسِهِ مَعْنَاهُ دُونَ لَفْظِهِ))⁶.

1. نفسه: 287/1.

2. نفسه: 289/1.

3. نفسه: 289/1.

4. نفسه: 289/1.

5. نفسه: 292/1.

6. التحرير والتنوير: 21/48. وينظر فيه أيضا: 11/91.

في الدلالة الصرفية للتفعيب المصدري:

إن موضوع التفعيب المصدري وجهين ينبعان من طبيعة الموضوع ، ولذا يمكن القول إن التفعيب المصدري مقوله صرفية نحوية؛ لكونه ظاهرة أسلوبية لغوية، عمادها المصدر- الذي هو مقوله صرفية- ، وذلك في حال وقوعه مفعولاً مطلقاً مؤكداً لمضمون الجملة السابقة- وهذا الأمر مقوله نحوية -، ولاشك في أن استعمال المصدر أضفى مرونة تعبيرية على النص لأنه أدى إلى دلالات صرفية مختلفة اكتسبها إياها سياق النص الكريم، من جهة، مما أسهم في خلق معانٍ فنية وجمالية بخيوط بيانية كما في الاستعارة أو المجاز المرسل مثلاً، تنبثق من خصائص الكلمة الصرفية (المصدر) وعلاقتها بالكلمات الأخرى في الجملة. وأول ما ينبغي لنا الوقوف عليه في هذه الظاهرة الأسلوبية أنها تمثلت في النص الكريم بالاسم دون غيره من أشكال الكلمة في العربية، كال فعل أو الحرف، كما تجلت، من بين أشكال الاسم، في (المصدر) دون غيره من صور الصيغ الصرفية للاسم في لغة القرآن الكريم. ولابد لنا أن نشير هنا إلى أن اختيار المصدر من البدائل أو الأشباء والنظائر التعبيرية المتعددة الأخرى وفضيلته عليها في تلك المواقع، إنما جاء مبنياً على أساس لغوي ويبلاغي؛ مرجعه ما يتميز به الاسم أولاً والمصدر ثانياً من دلالة صرفية؛ ذلك ((أن أصل المعنى يمكن الدلالة عليه بأكثر من صيغة))¹، فيكون الأساس، الذي تجري عملية اختيار طريقة التعبير بناءً عليه، هو مراعاة الفروق بين المعاني الوظيفية للصيغ التي تشتراك في ما بينها في الدلالة على معنى ما². فقد جرى التفعيب- كما ذكرنا- عن طريق الاسم، والاسم يفيد الثبوت لا التجدد والحدوث؛ قال عبد القاهر الجرجاني: ((إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجده شيئاً بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً

1 الإعجاز الصرف في القرآن الكريم: 66.

2 ينظر: نفسه: 74.

بعد شيء))¹. وقد أشار الرازى إلى الفرق بين الاسم والفعل انطلاقاً من كينونة كل منها، قال: ((الاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها، فإن قلت: زيد منطلق لم يفدي إلا إسناد الانطلاق إلى زيد. وأما الفعل فله دلالة على الحقيقة وزمانها، فإذا قلت: انطلق زيد أفاد ثبوت الانطلاق في زمن معين لزيد. وكل ما كان زمانياً فهو متغير والتغيير مشعر بالتجدد))². وقال الكفووي عن دلالة المصدر الصرفية: ((وقيل: المصدر موضوع الحديث من حيث اعتبر تعلقه بالنسبة إليه على وجه المباهام، ولهذا يقتضي الفاعل والمفعول، ويحتاج إلى تعينهما في استعماله))³. ومن هنا فقد قرر الدكتور فاضل السامرائي أن الاسم أعم واشمل واثبت في الدلالة من الفعل؛ لأن الفعل مقيد بأحد الأزمنة الثلاثة مع إفادة التجدد في حين أن دلالة الاسم لا تقتضي التقييد بالزمن والتجدد⁴. وإلى مثل ذلك ذهب الدكتور محمود احمد عكاشه ، قال: ((الاسم أقوى في الدلالة من الفعل، فالاسم يفيد ثبوت الصفة لصاحبها.... بينما يدل الفعل على التجدد والحدث، وهو [مقيد بالزمن]))⁵. تجمع آراء العلماء هذه على أن الاسم أقوى دلالة من الفعل واشمل. والمصدر يتضمن الحدث فقط دون الزمن في حين أن الفعل يدل على الحدث والزمن معاً، وعليه فال مصدر هو ما يدل على الحدث متضمناً فاعله، قال الرضي: ((الحدث إن اعتبر صدوره عن الفاعل ووقوعه على المفعول سمي مصدرأ))⁶. ويرى ابن قيم الجوزية أن ((المصدر دال على الحدث وفاعله))⁷. ولكن هذا الاقتران بين الحدث وفاعله في المصدر لا يتحدد بزمن معين؛ وهو ما يناسب دلالة الثبوت التي

1 دلائل الإعجاز: 133-134.

2 نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: 79.

3 الكلمات: 816.

4 ينظر: معاني الأبنية في العربية: 9.

5 التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: 64-65.

6 شرح كافية ابن الحاجب: 1/288.

7 بداع الفوائد: 2/137.

يفيدها الاسم، في حين أن الفعل يشتمل على الحدث وفاعله مقتربنا بزمن ماضٍ أو مضارع أو مستقبل. ومن ثم يمكن، في ضوء مasicق، أن نفهم أساس اختبار النص الكريم للاسم (المصدر) وسيلة للتعقيب دون الفعل؛ ويمكن إيضاح ذلك بما ورد في قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَخْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مِنَ السَّحَابِ صَنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقْنَ كُلَّ شَيْءٍ)، فقد استعمل النص الشريف المصدر (صنع) وأضافه إلى فاعله، ولم يأت به بصيغة الفعل، كأن يقال: ترى الجبال تخسبها جامدة وهي تمّر من السحاب صنعها الله الذي أتقن كل شيء. وصنع هنا مصدر بمعنى اسم المفعول، قال الزركشي: ((قوله: (صنع الله) أي: مصنوعة))¹. ولكن النص الكريم فضل المصدر على اسم المفعول؛ لأن فيه الحدث والفاعل وهو الله تعالى، وهو يناسب معنى الآية الكريمة والغرض منها غابة المناسبة، ويناسب هذا أن نعرف أن معنى الصنْع في اللغة هو إجاده الفعل²، وهو معنى يوافق الدلالة العامة للأية الكريمة التي تزيد بتها في نفوس السامعين. إن مسألة التناوب بين المصدر والفعل أمر محتمل ووارد ولعل ما يؤكّد ذلك ويدل عليه وقوع الفعل موقع المصدر في بعض القراءات، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَذَّ اللَّهُ حَقًا إِنَّهُ يَنْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) [يونس: 4]، فقد قرئت وعذَّ الله عَلَى لَفْظِ الْفِعْلِ³. كما دل المصدر على معنى الوصفية، كالدلالة على اسم الفاعل أو اسم المفعول في قوله تعالى: (وَاتَّوَ النَّاسَ صَدَقَاتِهِنَّ خَلْلَة) [النساء: 4] بمعنى آتوا النساء صدقاتهن ناحلين. فنحلة مصدر، بمعنى عطيّة؛ قال الراغب الأصفهاني: ((والنَّحْلَةُ والنَّحْلَةُ: عَطِيَّةٌ عَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّعِ، وَهُوَ أَخْصُّ مِنَ الْهَبَةِ، إِذْ كُلُّ هَبَةٍ نَحْلَةٌ، وَلِيُسَ

1 البرهان في علوم القرآن: 2/ 287، وينظر: الإتقان: 3/ 128.

2 المفردات في غريب القرآن: 493.

3 ينظر: مفاتيح الغيب: 17 / 204.

كلٌّ نَحْلَةٌ هِيَةٌ¹). قال الزمخشري: ((كأنه قيل: وال محلوا النساء صدقاتهن نحله، أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم، أو على الحال من المخاطبين، أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طببي النفوس بالإعطاء، أو من الصدقات، أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس))². وقال الفخر الرازي: ((أنها تصب على الحال، ثم فيه وجهاً: أحدهما: على الحال من المخاطبين أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طببي النفوس بالإعطاء. والثاني: على الحال من الصدقات، أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس))³. ولعل هاتين الدلالتين مرادتان هنا، فيكون هذا التعبير قد جمع الدلالتين معاً؛ لأن يكون الأمر للرجال بaitاء النساء صدقاتهن وهم ناحلون أي طبسو النفس، أو يكون الأمر بaitاء النساء صدقاتهن وهن منحولات. وقد أفاد المصدر دلالة اسم المرة كما في قوله تعالى: (صيغة الله ومن أحسن من الله صيغة وتحن له عابدون)، قال ابن جني ((الفعلة: كنابة عن الحال التي تكون عليها، كالرُّكبة، والمجلس، والمشية، والإكلة: فجرت مجرى فولك: وفعلت فعلك الذي فعلت؛ وذلك لأن الفعل قد تعاقب الفعل، كقولهم: نشته نشدا، وكذلك (صيغة الله)))⁴. وقد أشار الزمخشري إلى أن الصيغة فعلة بمعنى المرة ، وبين أن في استعمالها جانباً بلاغياً يتمثل في أنها استعارة مبنها المشاكلا لفعل النصارى، قال: ((هي فعلة من صبغ، كالجلسة من جلس، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ، والمعنى: تطهير الله، لأن الإيمان يظهر النفوس. والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعودية، ويقولون: هو تطهير لهم.... وإنما جيء بلفظ الصيغة على طريقة المشاكلا، كما تقول لمن يغرس الأشجار: اغرس كما يغرس فلان، تريد رجلاً يصطنعم الكرم ومن أحسن من الله صيغة يعني أنه يصبح عباده بالإيمان، ويظهرهم

1 المفردات في غريب القرآن: 795.

2 الكشاف: 1/ 470.

3 مفاتيح الغيب: 9/ 492. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: 5/ 24، وأنوار التنزيل: 2/ 60، ومدارك التنزيل: 1/ 329، والبحر العجيب: 3/ 511، والدر المصنون: 3/ 572، والباب في علوم الكتاب: 6/ 171.

4 المحتسب: 2/ 127.

به من أوضار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغته)¹. وذكر ابن عطية أن الصبغة هنا استعارة غير انه لم يقل بأنها على طريقة المشاكلة، وإنما عدها استعارة لأن الدين يظهر على الإنسان كما أن الصبغ يظهر على صاحبه، قال: ((سمى الدين صبغة استعارة من حيث تظهر أعماله وسمنته على المتدين كما يظهر الصبغ في الشوب وغيره))². وجاء الفخر الرازي الآراء التي قيلت في تفسير الصبغة هنا، قال: ((والصبغة) فعلة من صبغة كأنجلسة من جلس، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ، ثم اختلفوا في المراد بصفحة الله على أقوال. الأولى: الله دين الله، وذكروا في الله لم سمى دين الله بصفحة الله وجوهها. أحدهما: أن بعض النصارى كانوا يعمسون أولادهم في ماء أصنفر يسمونه المعمودية ويقولون: هو نظير لهم... والسبب في إطلاق لفظ الصبغة على الدين طريقة المشاكلة ... وثانية: اليهود تصبغ أولادها يهودا والنصارى تصبغ أولادها نصارى يمعنون في صبغتهم بذلك لما يشربون في قلوبهم، ... يقال: فلان يصبغ فلانا في الشيء، أي يدخله فيه ويلزم إيه كاما يجعل الصبغ لازما للشواب وكالثانية: سمي الدين صبغة لأن هيئته تظهر بالمشاهدة من أمر الطهارة والصلوة، ورابعها: ... وصف هذا الإمامان منهم بأنه صبغة الله تعالى ليبين أن المبaitة بين هذا الدين الذي اختاره الله، وبين الدين الذي اختاره المبطل ظاهرة جلية، كما تظهر المبaitة بين الأولان والأصباغ لذى الحسن السليم...)).³ وهكذا يكون هذا الاستعمال قد أفاد معاني عدة قد يكون النص الكريم مریدا لها، منها ان صبغة الله هي دين الله، او أنها فطرة الله الناس على دينه. ومثل ذلك استعمال المصدر على نحو يؤدي إلى احتمال التركيب لأكثر من معنى من خلال احتمال أكثر من دلالة صرفية⁴، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة الصبغة

1 الكشاف: 1/196. وينظر: مفاتيح الغيب: 4/75، ومدارك التنزيل: 1/134، والدر المصنون: 2/143.

2 المحرر الوجيز: 1/216.

3 مفاتيح الغيب: 4/75. وينظر: البحر المحيط: 1/635.

4 ينظر: الجملة العربية والمعنى: 155.

الصرفية للكلمة كما في قوله تعالى: (لَكِنَ الَّذِينَ أَتَقْوَا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلنَّابِرَار) [آل عمران 198]، والثُّرُولُ: ما يُعَدُّ للتأزل من الرَّأْدِ والضِّيافة والقرى هذا أصلُه ثُمَّ أُسْعَ فيِهِ فَأُطْلَقَ عَلَى الرِّزْقِ وَالغَذَاءِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِضِيفٍ¹. وهي تتحمل أن تكون مصدراً، أو مصدراً بمعنى اسم المفعول، كما تتحمل أن تكون جمع تكسير، قال العكبري: ((نُزُلًا): مَصْدَرٌ، وَالْتِصَابَةُ بِالْمَعْنَى... وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعًا نَازِلٍ...، فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي خَالِدِينَ. وَيَجُوزُ إِذَا جَعَلْتَهُ مَصْدَرًا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ، فَيَكُونُ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ الْمَجْزُورِ فِي فِيهَا؛ أَيْ: مَنْزُولَةً)². وَنَزَلا هَنَا تَأْتِي فِي سِيَاقِ مُشَابِهِ لِمَصْدَرٍ آخَرَ مَعْقِبٍ بِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)، وَالتَّعْقِيبُ بِهِذَا الْمَصْدَرِ جَاءَ لِمَعْنَى لَطِيفٍ وَهُوَ تَأْكِيدُ مَعْنَى أَنَّ لِلْأَبْرَارِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارَ؛ وَذَلِكَ بِأَنَّ رِزْقَهُمْ يَأْتِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، مِنْ غَيْرِ عَنَاءٍ وَلَا كُدُّ؛ يَؤِيدُ ذَلِكَ قَوْلُ أَبْنِي حَيَاةً فِي تَفْسِيرِهِ، قَالَ: ((الثُّرُولُ التَّوَابُ، وَهِيَ كَقَوْلِهِ: ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ... وَيَقُولُ: أَقْمَتُ لِلْقَوْمِ نُزُلَهُمْ أَيْ مَا يَصْنَلُحُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَذَاءِ، وَجَمْعُهُ أَنْزَالٌ... وَمَعْنَى مِنْ عِنْدِ اللَّهِ: أَيْ لَا مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ، وَسَمَاءُ نُزُلًا لِأَنَّهُ ارْتَفَعَ عَنْهُمْ تَكَالِيفُ السَّعْيِ وَالْكَسْبِ، فَهُوَ شَيْءٌ مُهَيَّأٌ يُهَيَّأُ لَهُمْ لَا يَتَعَبُ عَلَيْهِمْ فِي تَحْصِيلِهِ هُنَاكَ، وَلَا مَسْقَةٌ. كَالطَّعَامِ الْمُهَيَّأِ لِلضِّيَافَةِ لَمْ يَتَعَبُ فِي تَحْصِيلِهِ، وَلَا فِي سَنْوِيَّهِ وَمَعَالِجَتِهِ)³. وَهَكُذا يَكُونُ فِي اسْتِعْدَالِهِ تَوْسِعُ دَلَالِي مَنْبِعِ الصِّيغَةِ الْمَصْرُوفَةِ، إِذْ تَدْلِي كَلْمَةُ (نُزُلٌ) عَلَى مَعْنَيَيْنِ، فَهِيَ تَحْتَلُّ أَنْ تَكُونُ

1 ينظر: المفردات في غريب القرآن: 800، والكتاف: 1 / 458، والمغرر الوجيز: 1 / 558، ومفاتيح الغيب: 9 / 472، والجامع لأحكام القرآن: 4 / 321، وأنوار التنزيل: 4 / 56، ومدارك التنزيل: 1 / 324، والبحر المحيط: 3 / 483، والدر المصنون: 3 / 546، واللباب في علوم الكتاب: 6 / 131، وإرشاد العقل السليم: 2 / 135.

2 التبيان في إعراب القرآن: 1 / 323-324. وينظر: الدر المصنون: 3 / 547، واللباب في علوم الكتاب: 6 / 132.

3 البحر المحيط: 3 / 483.

مصدراً، على معنى الثواب، يؤكد أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، كما تحتمل أن تكون جمع تكسير لاسم الفاعل (نازل) وهو المتقدون الحالدون الذين أكرمههم الله بإدخالهم الجنة؛ فيكون النص قد جمع المعنين في تعبير واحد. ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (وَامْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَقَبَتْ نَفْسَهَا لِلشَّيْءٍ إِنْ أَرَادَ الشَّيْءُ أَنْ يَسْتَكْحِهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) [الأحزاب 50]، فقد وردت كلمة خالصة مصدراً على الرغم من كونها على وزن فاعلة، فكانها بمعنى رخصة لك فهي لاتعود على المرأة وإنما تعود على الخصلة المذكورة؛ قال الفراء في تفسير معنى خالصة: ((يقول: هذه الخصلة خالصة لك ورخصة دون المؤمنين، فليس للمؤمنين أن يتزوجوا امرأة بغير مهر))¹، فقد جعل الأمر أو الخصلة خالصة وليس المرأة. وقد صرَّح الزمخشري بأنها مصدر، قال: ((خالصة مصدر مؤكد، كوعد الله، وصيغة الله، أي: خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة، بمعنى خلوصاً، والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين، كالخارج والقاعد، والعافية والكافرة))². إن هذا الوزن غالباً ما يقع اسم فاعل، ولكن الزمخشري يرى أن (خالصة) هنا جاءت مصدراً كما أن الخارج والعافية والكافرة تقع مصادر، وهو يقرر أن مثل هذا الاستعمال شيء غير عزيز في العربية. ومثله³ ما جاء في قوله تعالى: (وَمِنَ الْلَّئِلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ) [الإسراء 79]. ونظراً لما تمتاز به هذه الكلمة في سياقها فقد أجاز العكبري فيها وجهين: ((نافلة لك) : فيه وجهاً: أخذهما: هُوَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى تَهَجُّداً ؛ أَيْ تَنْقُلْ تَنْقُلًا، وَفَاعِلَةٌ هُنَا مَصْدَرٌ كَالْعَافِيَةِ. وَالثَّانِي: هُوَ حَالٌ؛ أَيْ صَلَةٌ نَافِلَةٌ)⁴. ويرى أبو حيان أن (خالصة) وقعت مصدراً يفيد التوكيد شأنه شأن وعد الله وصيغة الله، إلا أنه خالف الزمخشري فذهب إلى أن وزن فاعل في المصادر عزيز وليس

1 معاني القرآن للقراء: 2 / 345.

2 الكشاف: 3 / 551. وينظر: البيان في إعراب القرآن: 2 / 1059، ومدارك التنزيل: 3 / 39، والدر الم讼: 9 / 135، وإرشاد العقل السليم: 7 / 110، ومحاسن التأويل: 8 / 95، وحاشية الشهاب: 7 / 179.

3 ينظر: إعراب القرآن للباقولي النسوب خطأ للزجاج: 2 / 767.

4 البيان في إعراب القرآن: 2 / 830.

شائعاً، قال: ((هُوَ مَصْدَرٌ مُؤْكَدٌ، كَمَا وَعَدَ اللَّهُ، وَصِيَغَةُ اللَّهِ، أَيْ أَخْلَصَ لَكَ إِخْلَاصًا. أَخْلَذْنَا لَكَ، خَالِصَةً يَمْعَنِي خَلْوَصًا، وَيَجِيءُ الْمَصْدَرُ عَلَى فَاعِلٍ وَعَلَى فَاعِلَةٍ. وَقَالَ الرَّمَحْسَرِيُّ: وَالْفَاعِلُ وَالْفَاعِلَةُ فِي الْمَصَادِرِ غَيْرُ عَزِيزَيْنِ، كَالْخَارِجُ وَالْقَاعِدُ وَالْعَاقِيَّةُ وَالْكَادِيَّةُ. التَّهْنِيُّ، وَلَيْسَ كَمَا ذَكَرَ، بَلْ هُمَا عَزِيزَانِ،...، وَقَدْ تَنَاهَوْنَ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مَصَادِرَ))¹. وما جاء في الآية الكريمة خطابٌ خُصٌّ به الرَّسُولُ وَلَمْ يَشْرُكْهُ فِيهِ غَيْرُهُ لَا لَفْظًا وَلَا مَعْنَى لشرف نبوته وتقرير لاستحقاق الكرامة لأجله². فهي مزيةٌ خاصةٌ به صلى الله عليه وآله وسلم من دون المؤمنين أي أن تُتَخَذ زوجة بالهبة، أي دون مهرٍ ولَيْسَ لِيَقِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ³. إن ما نلمسه في هذه الكلمة من تعدد في التوجيه الصرفي أو احتمال الوزن الواحد لأكثر من صيغة صرفية يدل على بلاغة النص القرآني لأن هذا النوع من الاستعمال هو في الحقيقة من باب التوسيع الدلالي في الوزن الصرفي الذي يجمع الدلالات المختلفة المحتملة فيمكن عندئذ أن يكون المعنى على أن خالصة مصدر تكون هذه المزية خاصة بالرسول وخالصة له، كما يمكن أن تكون بمعنى اسم الفاعل فتكون المرأة، التي وهب نفسها للرسول، هي الخالصة له.

في الدلالة النحوية للتعليق المصدري:

سبق أن ذكرنا أن هذه المصادر المعقب بها جاءت على طريقة المفعول المطلق، الذي يؤدي وظيفة المصدر المؤكد لضمون الجملة، وهذا هو الغالب، ويظهر هذا الأمر واضحاً من الشواهد التي ذكرها القدماء التي وجهت على أنها مفعول مطلق، وإن لم يشيروا إلى أنها من التعليق بال المصدر؛ قال الفراء: ((قوله: فَطَرَتِ اللَّهُ يَرِيدُ دِينَ اللَّهِ مَنْصُوبٌ عَلَى الْفَعْلِ، كَقُولِهِ (صِيَغَةُ اللَّهِ)))⁴. وقال في موضع آخر: ((وَمَا كَانَ مِنْ سُّنَّةٍ

1 البحر الحيط: 8 / 493. وينظر: روح المعاني: 11 / 237.

2 ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 8 / 245، وأنوار التنزيل: 4 / 235.

3 ينظر: التحرير والتنوير: 22 / 68.

4 معاني القرآن للفراء: 2 / 324.

الله، وصيغة الله وشبيه فإنه منصوب لاتصاله بما قبله على مذهب حقاً وشبيهه)¹. وقال الأخفش: ((قال الله تعالى (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤْجَلًا)، فقوله سبحانه (كتاباً مُؤجلاً) توكيده، ونصبه على نكتب الله ذلك كتاباً مُؤجلاً. وكذلك كل شيء في القرآن من قوله (حقاً) إنما هو أحق ذلك حقاً. وكذلك (وعَدَ اللَّهُ) و (رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ) و (صُنْعَ اللَّهِ) و (كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) إنما هو من صنع الله ذلك صنعاً فهذا تفسير كل شيء في القرآن من نحو هذا، وهو كثير)).² وقال الزمخشري: ((سُئِّلَ اللَّهُ بِمِنْزَلَةِ وَعْدِ اللَّهِ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْمَصَادِرِ الْمُؤْكِدَةِ))³. وقال أيضاً: ((صُنْعَ اللَّهِ مِنَ الْمَصَادِرِ الْمُؤْكِدَةِ، كَفُولَهُ وَعْدُ اللَّهِ. وصيغة الله)).⁴ وقال ابن عطية: ((وقوله فطرت الله نصب على المصدر، كقوله صيغة الله [البقرة: 138]))⁵. وقال الفخر الرازى: ((أَمَّا قَوْنَهُ: (صُنْعَ اللَّهِ) فَهُوَ مِنَ الْمَصَادِرِ الْمُؤْكِدَةِ كَفُولَهُ: (وَعْدُ اللَّهِ) [النِّسَاءُ: 95] و(صيغة الله) [البَقْرَةُ: 138]))⁶. غير أنها نجد أن بعض تلك المصادر المعقب بها قد وجّهت بأوجه إعرابية أخرى؛ مما أدى إلى تعدد الدلالات التحوية التي نتجت من هذا التعدد، ((وما لاشك فيه أن المعنى أصل والإعراب فرع عليه مختلف باختلاف أصله، وإذا تعددت احتمالات الإعراب في الكلمة أو جملة فذلك دليل القوة التعبيرية في اختزال العديد من المعاني في نظم العبارة))⁷. وفي ما يأتي من البحث نقف على اثر احتمال المصادر المعقب بها لأوجه إعرابية أخرى محتملة تصب في إغناء النص بالدلائل والمعاني؛ مما يؤكد أن النص القرآني نص معجز بلغ الغاية في مراتب بلاغة. ومن ذلك

1 نفسه: 2 / 345-346.

2 معاني القرآن للأخفش: 1 / 235.

3 الكشاف: 4 / 183.

4 الكشاف: 3 / 387.

5 المحرر الوجيز: 4 / 336.

6 مفاتيح الغيب: 24 / 574.

7 انساع الدلالة في الخطاب القرآني: 98.

ما جاء في قوله تعالى: ((صِبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَخْسَنَ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً؟))؛ فقد وجهها الفراء على البذرية، قال: صبغة: ((نَصْبٌ، مَرْدُودٌ عَلَى الْمُلْأَةِ))¹. وكذلك هي عند الأخفش، قال: ((قَالَ (صِبْغَةُ اللَّهِ) بِالنَّصْبِ، ...، أَبْدَلَ الصِّبْغَةَ مِنْ الْمُلْأَةِ فَقَالَ (صِبْغَةُ اللَّهِ) بِالنَّصْبِ))². ونقل النحاس هذا التوجيه واستحسنه³. وذكر مكي بن أبي طالب القيسي ثلاثة أوجه، الأول أنها بدل من ملة إبراهيم، والثاني هو النصب على الإغراء أي اتبعوا صبغة الله، والثالث النصب على التمييز⁴. وجع أبو حيان الأوجه المختملة، ثم حاكها وانتهى إلى أنها منصوبة على أنها مصدر مؤكد، قال: ((وَجَهَ عَلَى أَوْجَهِهِ أَظْهَرُهَا اللَّهُ مَنْصُوبٌ اتِّصَابَ الْمَصْنَدِرِ الْمُؤْكَدِ ... وَقَيْلَ: هُوَ نَصْبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ، أَيِ الْزَّمُوا صِبْغَةَ اللَّهِ. وَقَيْلَ: بَدَلَ مِنْ قَوْلِهِ: مَلَةُ إِبْرَاهِيمَ، أَمَّا الْإِغْرَاءُ فَتَنَافِرُهُ آخِرُ الْأَيَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُ: وَتَحْنُنُ لَهُ عَابِدُونَ، ...، وَأَمَّا الْبَدَلُ، فَهُوَ بَعِيدٌ، وَقَدْ طَالَ بَيْنَ الْمُبَدَّلِ مِنْهُ وَالْبَدَلِ يَجْمَلُ، وَمِثْلُ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ. وَالْأَخْسَنُ أَنْ يَكُونَ مُتَنَصِّبًا اتِّصَابَ الْمَصْنَدِرِ الْمُؤْكَدِ عَنْ قَوْلِهِ: قُولُوا أَمْئَا، فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، كَانَ الْمَعْنَى: صَبَّغُنا اللَّهُ بِالإِيمَانِ صِبْغَةً، وَلَمْ يَصْبِغْ صِبْغَتَكُمْ. وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَالْمَعْنَى: صَبَّغُنا اللَّهُ بِالإِيمَانِ صِبْغَةً لَا مِثْلَ صِبْغَتَنَا، وَطَهَرْنَا بِهِ نَطْهِيرًا لَا مِثْلَ نَطْهِيرِنَا. وَيَنْظِرُ نَصْبُ هَذَا الْمَصْنَدِرِ نَصْبُ قَوْلِهِ: صَنْعُ اللَّهِ الَّذِي أَثْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ))⁵، وهكذا يتحمل النص دلالات نحوية مختلفة، يفيد بعضها التوكيد مثل النصب على المصدرية والإغراء، كما ان الدلالة تتسع فتحتمل صبغة في حال نصبها على المصدرية ان تكون من قول المسلمين فتكون خاصة بهم وان تكون أمراً موجهاً إلى اليهود والنصارى فتكون دالة على الفرق بين صبغة المسلمين وصبغة اليهود والنصارى. ومن ذلك (كتاباً موجلاً) في قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ

1 معاني القرآن للفراء: 1/82.

2 معاني القرآن للأخفش: 1/159.

3 ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1/82.

4 ينظر: مشكل إعراب القرآن: 1/112-113.

5 البحر الحبيط: 1/656.

ئمُوت إِلَى يَادِنَ اللَّهِ كِتَابًا مُؤْجَلًا وَمَنْ يُرِدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ظَوْفَهُ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ ظَوْفَهُ مِنْهَا وَسَبَّاجِزِي الشَّاكِرِينَ] (آل عمران 145)، فقد التفت الأخفش إلى معنى التوكيد في استعمال المصدر ومثل له بالمصدر حقا على أنه مصدر مؤكدا: ((فقوله سبحانه (كتاباً مُؤْجَلًا) توكيد، ونسبة على (كتب الله ذلك كتاباً مُؤْجَلًا)). وكذلك كل شيء في القرآن من قوله (حقاً))¹. واكتفى النحاس ومكي والبغوي بتوجيهه على أنه مصدر². وبين الزمخشري دلالة التوكيد فيه قال: ((كتاباً مصدر مؤكداً لأن المعنى: كتب الموت كتاباً مُؤْجَلًا موقتاً له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر))³. ومثل ذلك نجده عند ابن الجوزي، ومثل بشواهد أخرى على هذه الظاهرة، قال ((قوله تعالى: كتاباً مُؤْجَلًا توكيد، والمعنى: كتب الله ذلك كتاباً ذا أجل. والأجل: الوقت المعلوم، ومثله في التوكيد كتاب الله عَلَيْكُمْ، لأنه لما قال: حُرِّمت عَلَيْكُمْ أَمْهَائِكُمْ دَلَّ على أنه مرفوض، فـأَكَدَ بقوله: كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وكذلك قوله تعالى: صُنْعَ اللَّهِ لَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ: وَكَرَى الْجِيَالَ تَخْسِبُهَا جَامِدَةً دَلَّ على أنه خلق الله فأَكَدَ بقوله: صُنْعَ اللَّهِ))⁴. وذهب إلى أنه مصدر مؤكداً أيضاً الفخر الرازمي والعكري والقرطبي والبيضاوي والنسيفي وأبو السعود والقاسمي⁵. في حين أضاف أبو حيان النصب على الإغراء، قال: ((وَالنِّصَابُ كِتابًا عَلَى اللَّهِ مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ لِمَضْنُونِ الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ وَالتَّقْدِيرِ: كِتابَ اللَّهِ كِتابًا مُؤْجَلًا وَنَظِيرَهُ: كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ صُنْعَ اللَّهِ وَوَعْدَ اللَّهِ). وقيل: هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الإِغْرَاءِ، أَيِّ الزَّمَا وَأَمْثُوا بِالْقَدْرِ

1 معاني القرآن للأخفش: 1 / 234.

2 ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1 / 183، ومشكل إعراب القرآن: 1 / 175، ومعالم التنزيل: 1 / 518.

3 الكشاف: 1 / 424.

4 زاد المسير: 1 / 331.

5 ينظر: مفاتيح الغيب: 9 / 379، والتبيان في إعراب القرآن: 1 / 297، والمجمع لأحكام القرآن: 4 / 226، وأنوار التنزيل: 2 / 41، ومدارك التنزيل: 1 / 298، وإرشاد العقل السليم: 2 / 94، ومحاسن التأويل: 2 / 423، وتفسير المنار: 4 / 137.

وَهَذَا يَعْيِدُ) ^١. وأشار أبو حيان هنا إلى أن هذا التوجيه يشمل مصادر مشابهة وردت في القرآن الكريم وهي قوله تعالى : (صنع الله، ووعد الله). وبلغت الأوجه الإعرابية عند السمين الحلبي إلى ثلاثة أوجه، أظهرها عنده: أنه مصدر مؤكّد لمضمون الجملة التي قبله، فعامله مضمر تقديره: « كَتَبَ اللَّهُ ذَلِكَ كِتَابًا »، وجعله مثل قوله تعالى: (صنع الله) [النمل: 88] (وعد الله) [النساء: 122]، و (كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) [النساء: 24]. والثاني: أنه منصوب على التمييز، وعده غير مستقيم؛ لأنَّ التمييز منقول وغير منقول، وأقسامه محصورة وليس هذا شيئاً منها. كما أن الجملة تخلو من ذات مبهمة تحتاج إلى تفسير. والثالث: أنه منصوب على الإغراء، والتقدير: الزَّمَوا كِتَابًا مُؤْجَلًا وَأَمْنَوْا بِالْقَدْرِ، وضعفه لأن المعنى ليس على ذلك ^٢. وإذا نظرنا إلى معنى المصدر المؤكّد لمضمون ما قبله، فإن المعنى يكون أن الله كتب لكل نفس عمرها كتاباً مؤقتاً بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر. وفي هذا تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد. وذهب الطاهر بن عاشور إلى أنه حال لأنَّه اسم يعنى المكتوب، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً، قال: ((كِتَابًا مُؤْجَلًا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمًا بِمَعْنَى الشَّيْءِ الْمَكْتُوبِ، فَيَكُونُ حَالًا مِنَ الْإِذْنِ، أَوْ مِنَ الْمَوْتِ، كَقَوْلِهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ [الرُّغْدُ: 38] و « مُؤْجَلًا » حَالًا ثَانِيَةً، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كِتَابًا مَصْدَرَ كَائِبَ الْمُسْتَعْمَلِ فِي كُتُبِ الْمُبَالَغَةِ، وَقَوْلُهُ: مُؤْجَلًا صِفَةٌ لَهُ، وَهُوَ بَدَلٌ مِنْ فِعْلِهِ الْمُخْتَوَفِ، وَالتَّقْدِيرُ: كَتَبَ كِتَابًا مُؤْجَلًا أَيْ مُؤْقَتاً)) ^٣.

ومن ذلك (ثوابا) في قوله تعالى: (لَا كَفَرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخَلَّنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَعْجِزُ
مِنْ تَحْكِيمِهَا الْأَهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْثَّوَابِ) [آل عمران 195]، فقد

١ البحر المحيط: 3 / 366. وينظر: الدر المصنون: 3 / 419، والباب في علوم الكتاب: 5 / 576، وإرشاد العقل السليم: 2 / 94.

٢ ينظر: الدر المصنون: 3 / 419، والباب في علوم الكتاب: 5 / 576-577، وروح المعاني: 2 / 290.

٣ التحرير والتنوير: 4 / 115.

جعلها الفراء تفسيرا خارجا من معنى ما قبله، ولعله يزيد به التمييز، قال: ((وقوله: نُزِّلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ... (ثوابا) خارجان من المعنى: هم ذلك نزلا وثوابا، مفسرا كما يقول: هُوَ لَكَ هَبَةٌ وَبِعَا وَصَدَقَةٌ))¹. وأعربها الزجاج مصدرا، قال: ((وقوله عَزٌّ وَجَلٌ: (ثوابا) مصدر مؤكّد، لأن معنى (وَلَا دُخُلُّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) لأنّيهُمْ ومثله (كِتَابُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) لأن قوله عَزٌّ وَجَلٌ (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَائِكُمْ وَبَنَائِكُمْ . . .). معناه: كتب الله عليكم هذا فـ (كتاب الله) مؤكّد، وكذلك قوله: عَزٌّ وَجَلٌ: (وَئَرَى الْجِنَّاتَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صَنْعُ اللَّهِ الَّذِي أَثْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) قد علم أن ذلك صنع الله²). وبين ابن النحاس انه مصدر مؤكّد عند البصريين ومنصوب على القطع عند الكسائي وتفسير عند الفراء³. واكتفى الزمخشري بوجه المصدر المؤكّد، قال: ((ثوابا في موضع المصدر المؤكّد بمعنى إثابة أو توابيا من عند الله لأن قوله: (لَا كُفَّرَنَّ عَنْهُمْ . . .) (وَلَا دُخُلُّهُمْ) في معنى: لا ينفعهم))⁴. وذكر العكبري ستة أوجه، قال: ((ثوابا): مصدر، وفعله ذلٌّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ الْمُتَقَدِّمُ؛ لأنَّ كُفَّيرَ السَّيِّئَاتِ إِثَابَةٌ فَكَانَهُ قَالَ لَأَثْيَسْكُمْ ثوابا، وَقَيْلٌ: هُوَ حَالٌ وَقَيْلٌ: تَمِيزٌ وَكِلًا الْقَوْنَيْنِ كُوفِيٌّ. وَالْوَابُ بِمَعْنَى الْإِثَابَةِ، وَقَدْ يَقْعُدُ بِمَعْنَى الشَّيْءِ الْمُتَابِ بِهِ، كَقَوْلِكَ هَذَا الدُّرْزُ هُمْ ثوابكَ، فَعَلَى هَذَا يَجْرُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الْجَنَّاتِ؛ أي: مَثَابًا بِهَا، أَوْ حَالًا مِنْ ضَمِيرِ الْمَفْعُولِ فِي لَا دُخُلُّهُمْ؛ أي: مَكَابِيْنِ. وَيَجْرُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا بِهِ؛ لأنَّ مَعْنَى لَا دُخُلُّهُمْ أَغْطِيَتِهِمْ فَيَكُونُ عَلَى هَذَا

1 معاني القرآن للفراء: 1 / 251.

2 معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 1 / 500.

3 ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1 / 195، ومشكل إعراب القرآن: 1 / 185، ومعالم التنزيل: 1 / 558.

والجامع لأحكام القرآن 4 / 319. وقال أبو حيان في: البحر الحيط: 3 / 480، عن هذين الوجهين: ((وقيل: التصبَّ على التَّمِيزِ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: هُوَ مَصْبُوبٌ عَلَى الْقَطْعِ، وَلَا يَتَوَجَّهُ لِيَ مَعْنَى هَذَيْنِ الْقَوْنَيْنِ هُنَا)).

4 الكشاف: 1 / 457، وينظر: إعراب القرآن للباقولي النسوب خطأ للزجاج: 2 / 767، وزاد المسير: 1 / 363، ومدارك التنزيل: 1 / 323، ومحاسن التأويل: 2 / 485، وتفسير المنار: 4 / 253.

بَدَلًا مِنْ جَنَّاتٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَأْنِفًا؛ أَيْ: يُعْطِيهِمْ ثَوَابًا))¹. ومن ثم تتعدد الدلالات التي تحتملها الآية الكريمة إذ يحتمل أن يكون المعنى ان دخولهم الجنة ثوابا من الله تعالى، او ان أنهم يدخلون الجنة مثابين، او ان الجنة هي ثوابهم، ولا شك ان افتتاح النص على كل هذه الدلالات يكسبه غنى وثراء فترى المعاني المحتملة تشع من النص فتغمر القارئ بالاطمئنان إلى جزيل ثوابه سبحانه. ومنه(نصيبا) في قوله تعالى: (وَلِلَّهُ نَسَاءٌ
تَصِيبُ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ تَصِيبُ مَفْرُوضًا) [النساء 7]، جعله الفراء مصدرًا مؤكدا، قال: ((وإنما نصب النصيب المفروض وهو نعت للنكرة لأنَّه أخرَجَهُ خرج المصدر. ولو كان اسمًا صحيحًا لم ينصب. ولكنه بمنزلة قولك: لك على حقٍّ حقاً، ولا تقول: لك على حقٍ درهماً. ومثله عندي درهماً هبةً مقبوسةً. فالمفروض في هذا الموضع بمنزلة قولك: فريضة وفرضًا))². وهو منصوب عند الاخفش نصب المصدر كما في قوله تعالى: (كِتَابًا مُؤَجَّلًا)³. وذهب أبو عبيد إلى انه منصوب على الخروج من الوصف⁴. في حين وجه الزجاج نصبه على الحالية، قال عنه: ((هذا منصوب على الحال، المعنى لـهؤلاء الصبية على ما ذكرناها في حال الفرض، وهذا كلام مؤكّد لأن قوله جل ثناؤه: (لِلرِّجَالِ تَصِيبُ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّهُ نَسَاءٌ تَصِيبُ)) معناه: إنَّ ذلك مفروض لهنَّ))⁵. ونقل مكي وجهي النصب على المصدرية والحالية⁶. وهو عند الزمخشري والرازي والنوفي منصوب على الاختصاص

1 البيان في إعراب القرآن: 1 / 323. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 6 / 128 - 129.

2 معاني القرآن للفراء: 1 / 257. وينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1 / 202، والجامع لأحكام القرآن: 5 / 48.

3 ينظر: معاني القرآن للأخفش: 1 / 246. وينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1 / 202، والجامع لأحكام القرآن: 48 / 5.

4 ينظر: عجائب القرآن: 1 / 118. وجعله البغوي منصوبا على القطع، قال: ((تصيباً مفروضاً، تصيبَ عَلَى القطع)) معلم التنزيل: 1 / 572.

5 معاني القرآن وإعرابه: 2 / 15. وينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1 / 202، والجامع لأحكام القرآن: 5 / 48.

6 ينظر: مشكل إعراب القرآن: 1 / 190.

بفعل تقديره اعني، وأجازوا ان يكون منصوبا على المصدرية¹. وهو منصوب عند ابن عطية نصب المصدر المؤكّد، قال: ((وَصِيَباً مَفْرُوضاً، نصب على الحال، كذا قال مكي، وإنما هو اسم نصب كما ينصب المصدر في موضع الحال، تقديره: فرضا، ولذلك جاز نصبه، كما تقول: لك على كذا حقا واجبا، ولو لا معنى المصدر الذي فيه ما جاز في الاسم الذي ليس بمصدر هذا النصب، ولكن حقه الرفع))². ونقل أبو حيان الأوجة المذكورة وحاكمها قال: ((قَالَ الزَّجَاجُ وَمَكِيٌّ: نَصِيَباً مَنْصُوبَ عَلَى الْحَالِ، الْمَعْنَى: لِهُؤُلَاءِ أَنْصِبَاءُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا هُنَّا فِي حَالِ الْفَرْضِ. وَقَالَ الْفَرَاءُ: نَصِيبَ لِأَنَّهُ أَخْرَجَ مَخْرَجَ الْمَصْنَدِرِ، وَلِذَلِكَ وَحْدَهُ كَقُولُكَ لَهُ: عَلَيَّ كَذَا حَقًا لَازِمًا، وَتَحْوُهُ: فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَلَوْ كَانَ اسْمًا صَحِيحًا لَمْ يَنْصِبْ، لَا تَقُولُ: لَكَ عَلَيَّ حَقٌّ يَرْهَمَا التَّهَى،....، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ تَحْوِيَ مِنْ كَلَامِ الزَّجَاجِ قَالَ: إِنَّمَا هُوَ اسْمٌ يُصَبَّ كَمَا يَنْصِبُ الْمَصْنَدِرُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ تَقْدِيرَهُ: فَرِضا، وَلِذَلِكَ جَازَ نَصِيبَهُ كَمَا تَقُولُ لَهُ: عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا حَقًا وَاجِباً، وَلَوْنَا مَعْنَى الْمَصْنَدِرِ الَّذِي فِيهِ مَا جَازَ فِي الْاسْمِ الَّذِي لَيْسَ بِمَصْنَدِرٍ هَذَا النَّصِيبُ، وَلِكَانَ حَقُّهُ الرَّفْعِ التَّهَى كُلَّا مُهُمَّةٍ. وَهُوَ مُرْكَبٌ مِنْ كَلَامِ الزَّجَاجِ وَالْفَرَاءِ، وَهُمَا مُتَبَاينَ لِأَنَّ الْإِنْصَابَ عَلَى الْحَالِ مُتَبَاينٌ لِلْإِنْصَابِ عَلَى الْمَصْنَدِرِ الْمُؤَكِّدِ مُخَالِفٌ لَهُ، وَقَالَ الزَّخْشَرِيُّ: وَنَصِيبَا مَفْرُوضَا يُصَبَّ عَلَى الْإِنْخِصَاصِ بِمَعْنَى أَغْنِيٍّ: نَصِيَباً مَفْرُوضَا مَقْطُوعَا وَاجِباً التَّهَى، فَإِنَّ عَنِي بِالْإِنْخِصَاصِ مَا اصْنَطَلَحَ عَلَيْهِ النَّحْوَيُونَ فَهُوَ مَرْدُوذٌ بِكُونِهِ تَكْرَةً، وَالْمَنْصُوبُ عَلَى الْإِنْخِصَاصِ يُصْبُو عَلَى أَنَّهُ لَا يَكُونُ تَكْرَةً، وَقَيْلَ: النَّصِيبَ يُصَبَّ الْمَصْنَدِرُ الصَّرِيعُ، لِأَنَّهُ مَصْنَدِرٌ أَيْ نَصِيبٌ نَصِيبَا، وَقَيْلَ: حَالٌ مِنَ التَّكْرَةِ، لِأَنَّهَا قَدْ وُصِيفَتْ، وَقَيْلَ: يَفْعَلُ مَحْتَوِيَّ تَقْدِيرَهُ: جَعَلْتُهُ أَوْ، أَوْجَبْتُ لَهُمْ نَصِيبَا، وَقَيْلَ: حَالٌ مِنَ الْفَاعِلِ فِي قَلْ أَوْ كَثِيرٍ))³.

1 ينظر: الكشاف: 1 / 476، ومفاتيح الغيب: 9 / 503، ومدارك التنزيل: 1 / 333. ونقله البيضاوي: أنوار التنزيل: 2 / 61، وروح البيان: 2 / 168، وإرشاد العقل السليم: 2 / 147، وتفسير المنار: 4 / 324.

2 المحرر الوجيز: 2 / 12. وينظر: النبيان في إعراب القرآن: 1 / 332.

3 البحر الخيط: 3 / 525. ونقله: الدر المصنون: 3 / 589، والباب في علوم الكتاب: 6 / 195، وروح المعاني: 2 / 421.

وذهب الطاهر بن عاشور إلى أنه حال، قال: ((وقوله: نصيباً مفروضاً حالاً منْ (نصيب) في قوله: للرجال نصيب وللنساء نصيب وحيث أريد بتصيب الجيش جماعة الحال منه مفرداً ولم يراع تعدده، فلم يقل: تصيبين مفروضين، على اعتبار كون المذكور تصيبين، ولما قيل: أنصباء مفروضة، على اعتبار كون المذكور موزعاً للرجال وللنساء، بل روعي الجيش فجيء بالحال مفرداً ومفروضاً ونصف))¹. وإذا نظرنا إلى هذه الأعاريب وجدناها تؤدي إلى معان متعددة منها: أن تصيب المذكورين من الرجال والنساء نصيب مفروض قل أو كث، أو انه مصدر يفيد توكيده الفكرة السابقة التي تتضمنها الآية، أو انه يفيد معنى الاختصاص ومن ثم هو يفيد التوكيد أيضاً. ومنه (فريضة) في قوله تعالى: (آباؤكم وأبناءكم لائزرون أيهم أقرب لكم تفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيمًا)، فقد عدتها الفراء منصوبة على القطع، قال: ((فريضة من الله) نصب على القطع. والرفع في (فريضة) جائز لو قرئ به)². في حين اكتفى الأخفش ببيان أن تصيبها مثل نصب كتاب موجلاً، قال: ((فنصب (وصيَّة) و (فريضة من الله)، كما نصب (كتاباً مؤجلاً))³. وجعله الزجاج منصوباً على الحال المؤكدة، قال: ((منصوب على التوكيد والحال من . . ولأبويه . . أي، وهو لاء الوراثة ما ذكرنا مفروضاً، ففريضة مؤكدة لقوله (يوصيكم الله))⁴. وأعربها النحاس ومكي مصدرًا⁵. وجعلها الزمخشري مصدرًا مؤكداً، قال: ((فريضة نصب المصدر المؤكدة، أي فرض ذلك فرضاً))⁶. ومثل ذلك جاء عند ابن عطية والفارخر الرازي والعكبري والقرطبي والبيضاوي وأبي حيان، الذي صرَّح بأنه مصدر مؤكَّد لمضمون الجملة، والنسيفي وأبن عادل وأبي

1 التحرير والتنوير: 4 / 250.

2 معاني القرآن للفراء: 1 / 444.

3 معاني القرآن للأخفش: 1 / 250.

4 معاني القرآن وإعرابه: 2 / 25.

5 ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1 / 203، ومشكل إعراب القرآن: 1 / 192.

6 الكشاف: 1 / 484.

السعود¹. وجع السمين الحلبي ما قيل فيها من أوجه؛ قال: ((فيها ثلاثة أوجه، أظهرها: أنها مصدر مؤكّد لضمون الجملة السابقة من الوصية، لأنَّ معنى «يوصيكم» فرض الله عليكم، فصار المعنى: «يوصيكم الله وصيَّةٌ فرض» فهو مصدر على غير الصدر. والثاني: أنها مصدر منصوب بفعل مذوف من لفظها. قال أبو البقاء: و «فرضية» مصدر لفعل مذوف أي: فرض الله ذلك فريضة «والثالث: قاله مكي وغيره أنها حال لأنها ليست مصدراً»)². وهكذا تعبِر الآية الكريمة بـ(فرضية) عن معنيين؛ هما: دلالة المصدرية على التوكيد وهو المبادر من اللفظ، لما بين يوصيكم وفرضية من تقارب، أي يوصيكم وصيَّة أو يفرض عليكم فرضاً. والمعنى الثاني: الدلالة على الوصفية الذي تقيد الحال، أي للمذكورين حصتهم المقررة مفروضة. ومنه (وصيَّة) في قوله تعالى: (منْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ ذِيْنِ غَيْرِ مُضَارٍ وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ) [النساء 12]، قال الفراء في توجيهها: ((ونصب قوله وصيَّة من قوله: فِكُلْ واحِدٌ مِّنْهُمَا السُّدُسُ - وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ، مثل قوله: لك درهمان نفقة إلى أهلك، وهو مثل قوله تصييأ مفروضاً))³. ومثلها الأخفش بـ: كتاباً موجلاً: ((نصب (وصيَّة) و (فرضية مِنَ اللَّهِ)، كما نصب (كتاباً مُوجلاً))⁴. وأعربها والعكاري والنحاس مصدراً⁵. وقال الزمخشري: ((وصيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ مصدر مؤكّد، أي يوصيكم بذلك وصيَّة، كقوله: (فرضية مِنَ اللَّهِ) ويجوز أن تكون منصوبة بغير مضار))⁶. وجعلها مكي منصوبة على أنها مصدر في موضع الحال، ونقل

1 ينظر: المحرر الوجيز: 2 / 18، ومفاتيح الغيب: 9 / 520، والتبيان في إعراب القرآن: 1 / 335، والجامع لأحكام القرآن: 5 / 75، وأنوار التنزيل: 2 / 63، والبحر الحبيط: 3 / 544، ومدارك التنزيل: 1 / 337، والدر المصنون: 3 / 606، واللباب في علوم الكتاب: 6 / 221، وإرشاد العقل السليم: 2 / 150.

2 الدر المصنون: 3 / 606.

3 معاني القرآن للقراء: 1 / 258.

4 معاني القرآن للأخفش: 1 / 250.

5 ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1 / 204، والتبيان في إعراب القرآن: 1 / 337

6 الكشاف: 1 / 486. وينظر: مفاتيح الغيب: 9 / 525، وأنوار التنزيل: 2 / 64، ومدارك التنزيل: 1 / 338، ويُقابل بـ: البحر الحبيط: 3 / 550.

توجيه الفراء من أنها منصوبة على الخروج، أو ان غير مضار عمل فيها¹. وجمع صاحب الدر المصنون الأوجه النحوية، قال: ((في نصبها أربعة أوجه؛ أحدها: أنها مصدر مؤكّد، أي يوصيكم الله بذلك وصيّة الثاني: أنها مصدر في موضع الحال، والعامل فيها يُوصيكم. قاله ابن عطية، والثالث: أنها منصوبة على الخروج: إما من قوله: {فَلِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السدس} أو من قوله: {فَهُمْ شُرَكَاءٌ فِي الْثَلَاثَةِ}، وهذه عبارة تشبه عبارة الكوفيين. والرابع: أنها منصوبة باسم الفاعل وهو «مضار»، والمضارّة لا تقع بالوصيّة بل بالورثة، لكنه لما وصيّ الله تعالى بالورثة جعل المضارّة الواقعه بهم كأنها واقعة بنفس الوصيّة وبالغة في ذلك))². فقد أفاد استعمال المصدر معاني عدة منها دلالة التوكيد التي يفيده المصدر المؤكّد، دلالة الحالية التي يؤديها الحال الذي يدل على المبالغة؛ لأن المصادر إذا وقعت أحوالاً دلت على المبالغة. دلالة المفعولية على أنها مفعول به لاسم الفاعل مضار أي على ألا تؤدي إلى الإضرار بالوصيّة.

ومنه (كتاب الله) في قوله تعالى: ((وَالْمُخْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)) [النساء: 24]، قال الفراء في توجيهه: ((وقوله: كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ كقولك: كتاباً من الله عليكم. وقد قال بعض أهل النحو: معناه: عليكم كتاب الله. والأول أشبه بالصواب))³. وقال أبو عبيدة: ((كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)، أي: كتب الله ذلك عليكم، والعرب تفعل مثل هذا إذا كان في موضع « فعل » أو « يفعل »، نصبوه)⁴. ووجهها الزجاج على أنها مصدر مؤكّد وأجاز أن تكون منصوبة على الإغراء بفعل يفسره (عليكم): ((وقوله: كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ منصوب على التوكيد محمول على المعنى، لأن معنى قوله: (خُرُّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَائُكُمْ) كتب الله عليكم هذا كتاباً،...، وقد يجوز أن

1 ينظر: المحرر الوجيز: 2 / 20، والجامع لأحكام القرآن: 5 / 81.

2 الدر المصنون: 3 / 613. وينظر: الباب في علوم الكتاب: 6 / 231، وإرشاد العقل السليم: 2 / 153.

3 معاني القرآن للفراء: 1 / 260.

4 مجاز القرآن: 1 / 122.

يكون منصوباً على جهة الأمر، ويكون (عليكم) مفسراً له، فيكون المعنى الزموا كتاب الله. ولا يجوز أن يكون منصوباً بـ(عليكم)، لأن قوله: عَلَيْكَ زِيداً، ليس له ناصب متصرف فيجوز تقديم منصوبه)¹. وقال الزمخشري: ((كتاب الله عَلَيْكُمْ مصدر مؤكد، أي كتب الله ذلك عليكم كتاباً وفرضه فرضاً))². وجع السمين الحلبي الأوجه النحوية فيها، قال: ((في نصبه ثلاثة أوجه، أظهرها: أنه منصوب على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة قبله وهي قوله: «حُرِّمت»، ونصبه بفعل مقدر أي: كَتَبَ الله ذلك عليكم كتاباً... الثاني: أنه منصوب على الإغراء بـ«عليكم» والتقدير: عليكم كتاب الله أي: الزموه قوله: (عَلَيْكُمْ أَنْفَسَكُمْ)[المائدة: 105]، وهذا رأي الكسانني ومن تابعه، أجازوا تقديم المنصوب في باب الإغراء والبصريون يمنعون ذلك، قالوا: لأن العامل ضعيف.... والثالث: أنه منصوب بإضمار فعل أي: الزموا كتاب الله، وهذا قريب من الإغراء))³. وبين الطاهر بن عاشور أن قوله: كتاب الله عَلَيْكُمْ تذليل، غايته التحرير من على وجوب الوقوف عند كتاب الله، فـعَلَيْكُمْ نائب مثاب (الزموا)، وهو مصيّر بمعنى اسم الفعل، وذلك كثيراً في الظروف والمجرورات المتنزلة أسماء الأفعال بالقرينة، كقولهم: إلينك، ودونك، وعليلك. وكتاب الله مفعولة مقدمة عليه عند الكوفيين، أو يجعل منصوباً بـ(عليكم) مخدوفاً دل عليه المذكور بعده، على أنه تأكيد له، ويجوز أن يكون كتاباً مصدراً نائباً فعليه، أي كتب الله ذلك كتاباً، وعَلَيْكُم متعلقاً به⁴. وبهذا تعب الآية الكريمة عن معنيين رئيسين: هما: أوهما: توكييد معنى

1 معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 2 / 36. وينظر: الكتاب: 1 / 381، وإعراب القرآن للنحاس: 1 / 208، ومشكل إعراب القرآن: 1 / 194، والكشف: 1 / 497، والمرر الوجيز 2 / 35، وزاد المسير: 1 / 391، والجامع لأحكام القرآن: 5 / 123 - 124، وأنوار التنزيل: 2 / 68، ومدارك التنزيل: 1 / 348، والبحر المحيط: 3 / 584.

2 الكشف: 1 / 497. وينظر: المرر الوجيز: 2 / 35، وأنوار التنزيل: 2 / 68، والبحر المحيط: 3 / 584.

3 الدر المصور: 3 / 648 - 649. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 6 / 300.

4 ينظر: التحرير والتنوير: 5 / 7.

الجملة السابقة بوصفه مصدراً مؤكداً للمضمون الجملة، والمعنى الثاني: انه حث على الالتزام بكتاب الله، على معنى الإغراء. ومنه (توبه) في قوله تعالى: (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء: 92] جعلها الزجاج مفعولاً لأجله، قال: ((وَنَصَبَ (تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ) عَلَى جَهَةِ نَصْبٍ فَعَلَتْ ذَلِكَ حَذَارُ الشَّرِّ))¹. وهو منصوب عند النحاس ومكي والرازي والبيضاوي والطاهر بن عاشور على المصدرية وأجازوا ان يعرب مفعولاً لأجله². في حين وجه العكبري نصبه على انه مفعول لأجله وأجاز نصبه على المصدرية³. واكفى القرطي والنوفي بوجه النصب على المصدرية⁴. وقال أبو حيان: ((تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ اتَّصَبَ عَلَى الْمَصْنَدِرِ أَيْ: رُجُوعًا مِنْهُ إِلَى التَّسْهِيلِ وَالتَّخْفِيفِ...)).⁵ وأضاف صاحب اللباب مع الوجهين السابقين وجه النصب على الحالية⁶; قال: ((أحدُهَا: أَنَّهُ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ، تَقْدِيرُهُ: شَرَعَ ذَلِكَ تَوْبَةً تَابَ عَلَيْكُمْ تَوْبَةً مِنْهُ. الثَّالِثُ: أَنَّهَا مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْحَالِ، وَلَكِنْ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، تَقْدِيرُهُ: فَعَلَيْهِ كَذَا حَالَ كَوْنِهِ صَاحِبٌ تَوْبَةً))⁷. وبهذا تكون توبه احتملت ثلاثة معانٍ في هذا السياق، الأول ان صيام شهرين متتابعين يكون من اجل التوبة على أنها مفعول لأجله، والثاني: أنها مصدر مؤكّد يفيد توكيده معنى التوبة المفهوم من سياق قوله صيام

1 معاني القرآن وإعرابه: 2/ 91.

2 ينظر: إعراب القرآن للنحاس 1/ 232، ومشكل إعراب القرآن: 1/ 206، وفاتح الغيب: 10/ 182، وأنوار التنزيل: 2/ 90، والتحرير والتنوير: 5/ 162.

3 ينظر: البيان في إعراب القرآن: 1/ 381.

4 ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 5/ 328، ومدارك التنزيل: 1/ 385.

5 البحر المحيط: 4/ 27.

6 ينظر: اللباب في علوم الكتاب: 6/ 569.

7 نفسه: 6/ 569.

شهرين، والثالث: دلالة الحالية على تقدير حذف مضاف إليه، أي عليه صيام شهرين في حال كونه صاحب توبة. ومنه (غورو) في قوله تعالى: (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) [الانعام 112] قال الزجاج: ((و (غُرُورًا) مُنْصوب على المصدر، وهذا المصدر محمول على المعنى. لأن مبني إيماء الزخرف من القول معنى الغرور، وكأنه قال يغرون غُروراً)).¹ في حين ذهب ابن النحاس إلى إعرابه حالاً، قال: ((وغُرُورًا نصب على الحال لأن معنى يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يغرونهم بذلك غروراً ويجوز أن يكون [مصدراً] في موضع الحال)).² وهذا الوجه الأخير هو الذي اكتفى مكي بذكره، قال: ((قَوْلُهُ (غُرُورًا) نصب على أنه مصدر في موضع الحال)).³ في حين أجاز العكوري والبيضاوي أن يكون منصوباً على أنه مفعول لأجله أو الحالية.⁴ وجعله أبو حيان منصوباً على أنه مفعول لأجله وأجاز الأوجه الأخرى السابق ذكرها، قال: ((وَاتَّصَبَ غُرُورًا عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ وَجَوَزُوا أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا لِيُوحِي لِأَنَّهُ بِمَعْنَى يَغْرِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَوْ مَصْدَرًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْ غَارِيْنَ)).⁵ واكتفى صاحب التحرير والتنوير بإعرابه مفعولاً لأجله، قال: ((وَاتَّصَبَ غُرُورًا عَلَى الْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ لِفَعْلِ يُوحِي، أَيْ يرجون زُخْرُفَ الْقَوْلِ لِيَغْرُوْهُمْ)).⁶ ومن ثم فان (غرورا) في الآية الكريمة تعرب بثلاثة أعراب عن ثلاثة معانٍ يصح أن تكون مراده، الأول: ان تكون مفعولاً لأجله، على أنهم يوحى بعضهم إلى بعض لأجل الغرور، والثاني: أنها تكون منصوبة على المصدرية لأن معنى الإيماء بزخرف القول أنهم يغرونهم؛ فكانه معنى الآية: يغرس

1 معاني القرآن وإعرابه: 2 / 284.

2 إعراب القرآن للنحاس: 2 / 28. وينظر: مفاتيح الغيب: 13 / 121، والجامع لأحكام القرآن: 7 / 67.

3 مشكل إعراب القرآن: 1 / 266.

4 ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 1 / 532، وأنوار التنزيل: 2 / 178.

5 البحر الخبيط: 4 / 625. وينظر: الدر المصنون: 5 / 116.

6 التحرير والتنوير: 8 / 10.

بعضهم بزخرف القول غرورا، والثالث: انه منصوب على الحالية أي يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غارين.

ومنه (سنة) في قوله تعالى: (مِنْهَا وَإِذَا لَا يَأْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) (76) سُنَّةٌ مَّنْ قَدَ أَرْسَلَنَا قَبْلَكَ مِنْ رَسُولِنَا وَلَا تَجِدُ لِسْتَيْنَا تَحْوِيلًا) [الاسراء: 76-77]، التي فسر الفراء نصبيها على حذف حرف الجر الكاف، قال: ((نصب السنة على العذاب المضرر، أي يُعدّون كسنة من قد أرسلنا)).¹ وجعله الأخفش منصوبا على المصدرية، قال عنها: ((أي: سَنَّتَاهَا سَنَّة))². وتابعه الزجاج، قال: (((سَنَّة)) منصوب يعني أنا سَنَّتَاهَا هذه السنة فيمن أرسلنا قبلك من رَسُولِنَا)).³ ووجهها ابن النحاس على المصدرية ثم نقل توجيه الفراء.⁴ ووجه الزمخشري نصبيها على المصدرية، قال: ((ونصبت نصب المصدر المؤكد، أي: سن الله ذلك سنة)).⁵ وأجاز أبو حيان أن تكون مفعولا به وكأنه يرى أنها منصوبة على الإغراء، قال: ((وَقَالَ الْفَرَاءُ: اتَّصَبْ سَنَّةً عَلَى إِسْقاطِ الْخَافِضِ لِأَنَّ الْمَعْنَى كَسْنَةٌ فَنَصَبَ بَعْدَ حَذْفِ الْكَافِ،....، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا بِهِ أَيْ أَئْبَعَ سَنَّةً مَّنْ قَدَ أَرْسَلَنَا)).⁶ وقال الطاهر بن عاشور مناقشا الأوجه المحتملة وعلاقتها بالمعنى: ((وَاتَّصَبَ سَنَّةً مَّنْ قَدَ أَرْسَلَنَا عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ. فَإِنْ كَانَتْ سَنَّةً اسْمَ مَصْنَدِرٍ فَهُوَ بَدَلٌ مِّنْ

1 معاني القرآن للفراء: 2 / 129. وينظر: إعراب القرآن للنحاس: 2 / 281، مشكل إعراب القرآن: 1 / 434، ومعالم التنزيل: 3 / 148، والمغرر الوجيز: 3 / 477، وزاد المسير: 3 / 45، وأنوار التنزيل: 3 / 264.

2 معاني القرآن للأخفش: 2 / 425. وينظر: زاد المسير: 3 / 45.

3 معاني القرآن واعرابه للزجاج: 3 / 255. وينظر: مشكل إعراب القرآن: 1 / 434، وزاد المسير: 3 / 45.

4 ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 2 / 281

5، الكشاف: 2 / 686. وينظر: مفاتيح الغيب: 21 / 381، والتبيان في إعراب القرآن: 2 / 830، وأنوار التنزيل: 3 / 264، ومدارك التنزيل: 2 / 272، والبحر الحبيط: 7 / 92، والدر المصنون: 7 / 395، واللباب في علوم الكتاب: 12 / 353، وروح البيان: 5 / 190، وإرشاد العقل السليم: 5 / 188-189، وروح المعاني: 8 / 126، وعasan التأويل: 6 / 482.

6 البحر الحبيط: 7 / 93.

فعله. والتقدير: سئل ذلك لمن أرسلنا قبلك من رسلنا، أي لأجلهم. فلما عدل عن الفعل إلى المصدر أضيف المصدر إلى المتعلق بالفعل إضافة المصدر إلى مفعوله على التوسيع وإن كانت سنة اسماً جاماً فالتصابه على الحال تأويله يمعن في الشتاقفي¹). فقد احتملت الكلمة (سنة) في الآية أربعة معانٍ ناتجة من أربعة اعراب، الأول: أنها مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله لأنها يعني ما سبق من أنهم لا يلبثون إلا قليلاً، والثاني: أنها منصوبة على نزع الخاضض (الكاف) وكأنها في الأصل شبه جملة تعلل الحكم السابق أو تصفه، والثالث: أنها مفعول به لفعل تقديره: اتبع، وفيه معنى الإغراء، والرابع: أنها حال على تأويلها مشتق، أي: سانين.

ومن ذلك أيضاً: (جهد أيانهم) في قوله تعالى: (وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمْوَتْ) [الأنعام 109]، فهو منصوب عند مكي على المصدرية²، وعند الزمخشري على الحالية، قال: ((وأصل: أقسم جهد اليمين: أقسم بجهد اليمين جهداً، فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافاً إلى المفعول كقوله: فَضَرَبَ الرُّقَابِ وَحْكَمَ هَذَا الْمَصْوَبَ حَكْمَ الْحَالِ، كَأَنَّهُ قَالَ: جَاهِدِينَ أَيْمَانِهِمْ))³. ووجهه ابن عطية على أنه مصدر مؤكد، قال: ((جهد أيانهم نصب جهد على المصدر المؤكد))⁴. وذكر العكبري الوجهين، قال: ((فيه وجهان: أحدهما: الله حال، ...، والثاني: الله مصدر يعمل فيه أقسموا، وهو من معناه لآ من لفظيه))⁵. وакفى القرطي بوجه المصدرية، قال: ((جهد: منصوب على مذهب المصدر تقديره: إقساماً بليلها))⁶. وجعله النسفي مصدراً في تقدير الحال، قال: ((وجهد أيانهم مصدر في تقدير الحال أي مجتهدين في توكيده

1 التحرير والتورير: 15 / 180.

2 ينظر: مشكل إعراب القرآن: 1 / 230.

3 الكشاف: 3 / 250.

4 المحرر الوجيز: 2 / 207. وينظر: البحر المحيط: 4 / 613.

5 التبيان في إعراب القرآن: 1 / 445. وينظر: أنوار التنزيل: 2 / 131.

6 الجامع لأحكام القرآن: 12 / 296.

أيمانهم)¹. والوجه الأظاهر عند السمين الحلبي هو النصب على المصدرية، قال: ((في انتسابه وجهاً، أظهرُهما: أنه مصدر مؤكّدٌ ناصبٌ «أقسموا» فهو من معناه،...، والثاني ... أنه منصوبٌ على الحال كقولهم: «افعل ذلك جهذاً» أي: مجتهداً، ولا يُسالي بتعريفه لفظاً فإنه مؤولٌ بنكرة على ما ذكرته لك، وللنحوين في هذه المسألة أبحاث، والمعنى هنا: أقسموا بالله مجتهدين في أيمانهم)).² ووجهه الالوسي على الحالية وأجاز ان يكون منصوباً على نزع الخافض، قال: ((فجهد مصدر في موضع الحال. وجُوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض أي أقسموا بجهد أيمانهم)).³ وقال الطاهر بن عاشور: ((انتصب جهذاً على المفعولية المطلقة لـ الله بإضافته إلى «الأيمان» صارَ من نوع اليمين فكان مفعولاً مطلقاً مبييناً للنوع)).⁴ وبهذا يحمل ثلاثة معانٍ بحسب النظر إلى الاعرب التي ذكرها العلماء، الأول: انه مصدر يفيد التوكيد، والثاني: انه حال على تقدير مجهدون جاهدين، والثالث: انه مصوب على نزع الخافض أي بجهد أيمانهم. وبذلك يكون هذا التعبير قد جمع بين دلالات عدة في عبارة واحدة، قد تكون مراده.

ومنه (صنع) في قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَخْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تُمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَثْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) [النمل: 88]، فـ(صنع) منصوب عند الزجاج على المصدرية، قال: ((من نصب فعلى معنى المصدر، لأن قوله: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَخْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تُمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)، دليل على الصنعة، كأنه قيل صنع الله ذلك صنعاً...)).⁵ ونقل ابن النحاس نصبه على المصدرية عن الخليل وسيبوه، وأجاز ان

1 مدارك التزيل: 1 / 454.

2 الدر المصنون: 4 / 305. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 7 / 386، وروح البيان: 2 / 403، وإرشاد العقل: 3 / 50، وحاشية الشهاب: 3 / 253.

3 روح المعاني: 4 / 238.

4 التحرير والتنوير: 6 / 233-234.

5 معاني القرآن وإعرابه: 4 / 130.

يكون منصوباً على الإغراء بتقدير: انظروا صنع الله¹. وهكذا انقسم النحاة في توجيهه نصبيها على قسمين؛ قسم يكتفي بوجه المصدرية، ومنهم الرمخشري، قال ((صنع الله من المصادر المؤكدة، قوله وعد الله. وصيغة الله إلا أن مؤكدة محدوف))². والبعوي وابن الجوزي³، والفخر الرازي الذي قال في توجيهها: ((قوله: (صنع الله) فهو من المصادر المؤكدة قوله: (وعد الله) [النساء: 95] و(صيغة الله) [البقرة: 138] إلأ أن مؤكدة محدوفة وهو الناصب ليوم ينفح))⁴. ونلمس، في كلامه هذا، إحساساً بالتشابه الشكلي والمعنوي بين المصادر في الآيات المذكورة الممثل بها. ومنهم العكري والبيضاوي والنسيفي وأبو حيان⁵. وقسم آخر يذكر مع الوجه السابق: النصب على الإغراء. منهم ابن عطية والقرطبي⁶. وبناء على ما سبق فان (صنع) تتحمل معنيين، الأول: انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة يثبت الفكرة التي تتضمنها الآية السابقة، والثاني: انه منصوب على الإغراء على تقدير فعل (انظروا)، وفي الإغراء اهتمام وعنابة بالمغرى. وهذا شأن المعنيان مما يناسب سياق الآية الكريمة أيضاً.

ومنه (فطرة) في قوله تعالى: (أَقِمْ وَجْهَكَ لِلّدُنِ حَنِيفًا فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) [الروم 30]، فقد وجه الفراء نصبيها على المصدرية، قال: ((وقوله: فطرت الله، يريد: دين الله، منصوب على الفعل، قوله (صيغة الله)))⁷. وجعله الطبرى منصوباً

1 ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 3/ 153.

2 الكشاف: 3/ 387. وينظر: البحر المحيط: 8/ 273.

3 ينظر: معالم التنزيل: 3/ 520، وزاد المسير: 3/ 372.

4 مفاتيح الغيب: 24/ 574. وينظر: البحر المحيط: 8/ 273، والدر المصنون: 8/ 645، واللباب في علوم الكتاب: 15/ 207، وإرشاد العقل السليم: 6/ 305.

5 ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 2/ 1015، وأنوار التنزيل: 4/ 169، ومدارك التنزيل: 2/ 624، وروح البيان: 6/ 376، والتحرير والتنوير: 20/ 50.

6 المحرر الوجيز: 4/ 273. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: 13/ 244-243، وأنوار التنزيل: 4/ 169.

7 معاني القرآن للفراء: 2/ 324.

على المصدرية^١. وهو منصوب عند الزجاج على تقدير فعل (اتبع) وربما يكون فيه معنى الإغراء، قال: (((فِطْرَةُ اللَّهِ)) منصوب بمعنى أتبع فطرة الله، لأن معنى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ اتَّبِعِ الدِّينَ الْقَيْمَ))^٢. ونقل ابن النحاس ومكي وابن عطيه والعكبري والقرطبي والبيضاوي وأبو حيان والسمين الحلبي الوجهين المذكورين النصب على: الإغراء، والمصدرية^٣. وصرح البغوي بأنه منصوب على الإغراء، قال: ((فِطْرَةُ اللَّهِ، دِينُ اللَّهِ وَهُوَ نَصْبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ أَيِّ إِلَزَمٍ فِطْرَةُ اللَّهِ))^٤. وهو ما ذهب إليه الزمخشري: ((فِطْرَةُ اللَّهِ أَيِّ الزَّمْوَا فِطْرَةُ اللَّهِ). أو عليكم فطرة الله. وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله مُنْبِيِّنَ إِلَيْهِ))^٥. وإليه ذهب ابن الجوزي والرازي^٦. وذكر اللوسي ثلاثة أوجه، هي: الإغراء أو المصدرية أو البدالية من حنيفا، ورجح الأول (الإغراء) قال: ((فِطْرَةُ اللَّهِ نَصْبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ أَيِّ الزَّمْوَا فِطْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى،....، وَجُوازُ أَنْ يَكُونَ نَصْبًا بِإِضْمَارِ أَعْنَى، وَأَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا مَطْلَقًا لِفَعْلٍ مَعْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَ أَيِّ فَطْرَكُمْ فِطْرَةُ اللَّهِ،....، وَأَنْ يَكُونَ بَدْلًا مِنْ حَيْنِيفًا. وَالْمُتَبَادِرُ إِلَى الْذَّهَنِ النَّصْبُ عَلَى الْإِغْرَاءِ))^٧. في حين اختار الطاهر بن عاشور وجه النصب على البدالية وجعل فيه الدلالة على الحالية، قال: ((وَفِطْرَةُ اللَّهِ بَدْلٌ مِنْ حَيْنِيفًا بَدْلٌ اشْتِمَالٌ فَهُوَ فِي مَعْنَى الْحَالِ مِنَ الدِّينِ أَيْضًا وَهُوَ حَالٌ ثَانِيَةٌ فَإِنَّ الْحَالَ كَالْحَبْرِ تَعَدَّدُ بِدُونِ عَطْفٍ عَلَى التَّحْقِيقِ عِنْدَ التُّحَمَّةِ. وَهَذَا أَخْسَنُ لِأَنَّهُ أَصْرَحُ فِي إِفَادَةِ أَنَّ هَذَا الدِّينَ مُخْتَصٌ بِوَصْفَيْنِ هُمَا: التَّبَرُّ وَمِنَ الْأَشْرَارِ،

١. ينظر: جامع البيان: 20 / 97.

٢. معاني القرآن وإعرابه: 4 / 184.

٣. ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 3 / 185 ، ومشكل إعراب القرآن: 2 / 561، والمحرر الوجيز: 4 / 336، والتبيان في إعراب القرآن: 2 / 1040، والجامع لأحكام القرآن: 14 / 24، وأنوار التنزيل: 4 / 206، والبحر الخبط: 8 / 389، والدر المصنون: 9 / 44، واللباب في علوم الكتاب: 15 / 409.

٤. معالم التنزيل: 3 / 577.

٥. الكشاف: 3 / 479.

٦. ينظر: زاد المسير: 3 / 422، ومفاتيح الغيب: 25 / 98.

٧. روح المعاني: 11 / 40.

وموافقته الفطرة، فيفيد الله دين سمع سهل لآمنت فيه¹. وفي ضوء ما سبق فان (فطرة) تحتمل دلالتين، الأولى: انه مصدر مؤكد لضمون الجملة السابقة، والثانية: انه منصوب على الإغراء على تقدير فعل (الزموا)، وفي الإغراء عنابة واهتمام وترغيب بالمحرى. وهاتان الدلالتان ما يناسب سياق الآية الكريمة أيضا.

ومنه (قولا) في قوله تعالى: ((سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ)) [يس 58]، قال أبو عبيدة: ((قولا)) خرجت بخرج المصدر الذي يخرج من غير لفظ فعله². وهو منصوب عند الاخفش على انه مصدر او مفعول مطلق ناب عن فعله المذوف، قال: ((انتصب (قولا) على البدل من اللفظ بالفعل كأنه قال أقول قولًا))³. ويفهم من كلام الزجاج انه مصدر مؤكد لضمون الجملة السابقة، قال: ((و (قولا) منصوب على معنى لهم سلام يقوله الله - عز وجل - قولًا))⁴. وقد فسر ابن النحاس كلامه، قال: ((وقولًا مصدر أي قوله قولًا يوم القيمة، ويجوز أن يكون معناه قال الله جل وعز هذا قولًا))⁵. وذكر الزمخشري وجه التصب على المصدرية؛ ولكنه رأى ان الأوجه ان يكون منصوبا على الاختصاص، قال: ((وقولًا مصدر مؤكد لقوله تعالى ولهم ما يدعون سلام أي: عدة من رب رحيم. والأوجه: أن يتتصب على الاختصاص))⁶. وهو ما احتمله البيضاوي من غير تفضيل. ووجهه ابن عطية والعكري والقرطبي والسمين الحلبي واللوسي على المصدرية فقط⁷. وذكر الرازي مع ما سبق وجه التصب على أنه تميز¹. في حين استند

1 التحرير والتنوير: 21 / 89.

2 بجاز القرآن: 2 / 164.

3 معاني القرآن للأخفش: 2 / 489.

4 معاني القرآن وإعرابه: 4 / 292.

5 إعراب القرآن للنحاس: 3 / 271.

6 الكشاف: 4 / 22. وينظر: أنوار التنزيل: 4 / 271، وإرشاد العقل السليم: 7 / 174.

7 ينظر: المحرر الوجيز: 4 / 459، والبيان في إعراب القرآن: 2 / 1085، والجامع لأحكام القرآن: 15 / 46، والدر المصنون: 9 / 279، واللباب في علوم الكتاب: 16 / 249، وروح المعاني: 12 / 37.

الطاهر بن عاشر إلى الدلالة في حاكمته للأوجه النحوية، بينما أن المصدر هنا ينوب عن فعله وأن التنوين فيه للتعظيم، قال: ((وَحَذَفَ خَبْرُ سَلَامٍ لِّنِيَابَةِ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ وَهُوَ قَوْلُهُ قَوْلًا عَنِ الْخَبَرِ لِأَنَّ تَقْدِيرَهُ: سَلَامٌ يُقَالُ لَهُمْ قَوْلًا مِّنَ اللَّهِ، وَالَّذِي افْتَضَى حَذْفَ الْفَعْلِ وَنِيَابَةِ الْمَصْنَدِ عَنْهُ هُوَ اسْتِعْدَادُ الْمَصْنَدِ لِقَبْوِ الْتَّنْوِينِ الدَّائِلِ عَلَى التَّعْظِيمِ، وَالَّذِي افْتَضَى أَنْ يَكُونَ الْمَصْنَدُ مَتَصُوبًا دُونَ أَنْ يُؤْتَى بِهِ مَرْفُوعًا هُوَ مَا يُشَعِّرُ بِهِ الْتَّصْنِيبُ مِنْ كَوْنِ الْمَصْنَدِ جَاءَ بِدَلَّا عَنِ الْفَعْلِ، ...، وَتَنْوِينُ رَبِّ لِلتَّعْظِيمِ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ عَدِيلٌ عَنْ إِضَافَةِ رَبٍّ إِلَى ضَمِيرِهِمْ، وَأَخْتِيرٌ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الدَّاتِ الْعَلِيَّةِ بِوَصْفِ الرَّبِّ لِشِدَّةِ مُنَاسِبَتِهِ لِلْأَكْرَامِ وَالرُّضَى عَنْهُمْ بِذِكْرِ أَنَّهُمْ عَبْدُوهُ فِي الدِّينِ فَاعْتَرَفُوا بِرَبِّوْيَتِهِ))². وهكذا يحتمل (قولا) معنيين، الأول: انه منصوب على انه مصدر مؤكد على تقدير فعل مفهوم من السلام الذي هو قول ووعد أيضا، والثاني: انه منصوب على الاختصاص لأنه من الله سبحانه وتعالى، والثالث: انه تميز للسلام المذكور قبله؛ فهو بين نوع السلام وحقيقة. ومن يطلع على هذه المعانى الناتجة من الاعاريب المذكورة يجد ان النص الكريم يحتملها لأنها جاءت بتعبير دقيق ومحكم وموجز.

ومنه (رزقا) في قوله تعالى: (أَوْلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آتَيْنَا يُجْبِي إِلَيْهِ ئَمَرَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [القصص 57]، فهو منصوب عند العكري على المصدرية، قال: ((رِزْقًا): مَصْنَدٌ مِنْ مَعْنَى يُجْبِي))³. ووجه القرطي على انه مفعول لأجله، وأجاز المصدرية، قال: ((رِزْقًا نصب على المفعول من أجله. ويجوز نصبه على المصدر بالمعنى، لأن معنى "يُجْبِي" ترْزِق))⁴. في حين زاد البيضاوي وجه النصب على الحالية: ((وانتساب رِزْقًا على المصدر من معنى يُجْبِي، أو حال من أَلْ ئَمَرَاتِ

1 مفاتيح الغيب: 26 / 296.

2 التحرير والتنوير: 23 / 44.

3 التبيان في إعراب القرآن: 2 / 1023. وينظر: روح البيان: 6 / 417.

4 الجامع لأحكام القرآن: 13 / 300.

لتخصيصها بالإضافة)).¹ وذكر النسفي واللوسي الأوجه الثلاثة السابقة، قال النسفي: ((رَزَقَ مَنْ لَدُنَّا)) هو مصدر لأن معنى (يُجَبِّي إِلَيْهِ) يرزق أو مفعول له أو حال من الثمرات إن كان معنى مرزوق لتخصيصها بالإضافة كما تنصب عن النكرة التخصصة بالصفة)).² وأعربها الطاهر بن عاشور حالاً، قال: ((وَرِزْقًا حَالَ مِنْ ثَمَرَاتُ وَهُوَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ)).³ وبذلك يحتمل ثلاثة معانٍ هي، الأولى: أنه منصوب على أنه مصدر يؤكد مضمون الجملة السابقة؛ لأنَّه معنى يُجَبِّي إِلَيْهِ ثمرات كل شيء، والثاني: أنه مفعول لأجله على معنى أنه يُجَبِّي إِلَيْهِمْ ثمرات كل شيء لأجل أن يرزقهم، والثالث: أنه حال من (ثمرات) لأنَّها تخصصت بشبه الجملة معنى مرزوق. ولاشك في أن هذه المعاني سائفة ومقبولة في سياق الآية الكريمة التي عبرت عن هذه المعاني بعبارة وجيزة.

ومنه (نكايا) في قوله تعالى: (فَأَخْدُهُ اللَّهُ نَكَالُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى) ([النازعات: 25]), فقد جعله الفراء وصفاً لمصدر مذوف، قال في تفسير الآية: ((أي: أخذه الله أخذنا نكال الآخرة والأولى)).⁴ وهو منصوب عند الأخفش على المصدرية، قال: ((كَانَ نَكَلَ بِهِ فَأَخْرَجَ الْمَصْدَرَ عَلَى ذَلِكَ). وقوله (وَاللهُ لَأَصْرِمَنَّكَ تَرْكَا بَيْنَا))⁵ ووضَعَ الزجاج كلام الأخفش، قال: ((نَكَالٌ)) منصوب مصدر مؤكَّد لأنَّ معنى أخذه الله: نَكَلَ بِهِ).⁶ وذكر مكي والعكري وجهين هما أنه مصدر أو مفعول لأجله.⁷ وقال الزمخشري: ((

1 أنوار التنزيل: 4 / 181. وتابعه أبو السعود ينظر: إرشاد العقل السليم: 7 / 19.

2 مدارك التنزيل: 2 / 650. وينظر: روح المعاني: 10 / 305.

3 التحرير والتنوير: 20 / 149.

4 معاني القرآن للفراء: 3 / 233. وينظر: مفاتيح الغيب: 31 / 42.

5 معاني القرآن للأخفش: 2 / 566.

6 معاني القرآن وإعرابه: 5 / 280، وزاد المسير: 4 / 396.

7 ينظر: مشكل إعراب القرآن: 2 / 799، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: 2 / 1269، وروح المعاني: 15 / 15.

نکال هو مصدر مؤكّد، ك وعد الله، وصيغة الله، كأنه قيل: نكل الله به)¹. وذكر الفخر الرازي أن نصبه على وجهين هما المصدرية وعلى نعت مصدر مذوف². وذكر السمين الحليي ثلاثة أوجه هي أنه منصوب على أنه مصدر للفعل أخذ، أو أنه نعت لمصدر مذوف، أو مفعول له، أو مصدر مؤكّد لمضمون الجملة فعامله مقدّر من معنى الجملة السابقة، وضيق أن يكون حالاً لأنّه معرف بالإضافة³. وذكر أبو السعود وجهاً آخر، زيادة على وجه النصب على المصدرية والمفعول له، وهو النصب على نزع الخافض، أي أخذة بنکال الآخرة والأولى⁴. ووجهه الطاهر بن عاشور على المفعولية المطلقة، والمصدر هنا مبين للنوع، قال: ((وَاتَّصَبَ نِكَالٌ عَلَى الْمَفْعُولَيْةِ الْمُطْلَقَةِ لِفِعْلِ «أَخْذَهُ» مُبِينٌ لِنَوْعِ الْأَخْذِ بِنَوْعَيْنِ مِنْهُ لِأَنَّ الْأَخْذَ يَقْعُدُ بِأَخْوَالٍ كَثِيرَةٍ. وَإِضَافَةُ نِكَالٍ إِلَى الْآخِرَةِ وَالْأُولَى عَلَى مَعْنَى (فِي). فَالنِّكَالُ فِي الْأُولَى هُوَ الْغَرَقُ، وَالنِّكَالُ فِي الْآخِرَةِ هُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ))⁵. فقد تنوّعت المعاني المحتملة له على وفق هذه الاعاريب المذكورة؛ الأول: انه مصدر مؤكّد لأنّ معنى أخذه الله أي نكل به، والثاني: انه مفعول لأجله على معنى أخذه للتتكيّل به، والثالث: انه حال من المفعول به الضمير (اهاء) على معنى أخذه منكلاً به، والرابع انه منصوب على نزع الخافض أي على معنى: أخذه بنکال كلمته الأولى والآخرة. والله اعلم.

1 الكشاف: 4/ 696. وينظر: مدارك التنزيل: 3/ 598، والبحر الحبيط: 10/ 399، وروح المعاني: 15/ 231

2 مفاتيح الغيب: 31/ 42. وفيه: أَنَّ الْآخِرَةَ وَالْأُولَى صِفَةٌ لِكَلِمَتِيْ فَرَعَوْنٌ أَخْذَاهُمَا قَوْلَهُ: (مَا عِلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) [القصص: 38] والأخرى قوله: (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) [النازعات: 24] قالوا: وَكَانَ يَتَهَمُّمَا أَرْتُهُمْ سَنَةً.

3 ينظر: الدر المصور: 10/ 677، واللباب في علوم الكتاب: 20/ 140، وروح المعاني: 15/ 231

4 ينظر: إرشاد العقل السليم: 9/ 101، وروح المعاني: 15/ 231

5 التحرير والتنوير: 30/ 81.

دلالة التعقيب المصدرى بين النصب والرفع في ضوء القراءات القرآنية:

تذكّر كتب القراءات القرآنية والتفسير أن بعض المصادر - موضوع البحث - قرئت بالرفع ، ولعل من أقدم الإشارات إلى ذلك ما ورد عند سيبويه، قال: ((وقد يجوز الرفع فيما ذكرنا أجمع على أن يضمّ شيئاً هو المظہر، كأنك قلت: ذاك وعد الله، وصيغة الله، أو هو دعوة الحق. على هذا ونحوه رفعه. ومن ذلك قوله جلّ وعزّ: (كان لم يلبّوا إلّا ساعةٌ من نهارٍ بِلَاغٍ) [الاحقاف 35]، كأنه قال: ذاك بِلَاغ))¹. ويبدو أن النهاة يلمسون في المصدر المتصوب دلالة الأمر قال سيبويه عن قول العرب: صبر جميل: ((والنصب أكثر وأجود؛ لأنه يأمره. ومثل الرفع (فصبر جميل والله المستعان) [يوسف 18]، كأنه يقول: الأمر صبر جميل. والذى يرفع عليه حنان وصبر وما أشبه ذلك لا يستعمل إظهاره، وتترك إظهاره كترك إظهار ما ينصب فيه))². وقال ابن الأثير عن قوله تعالى: ((ومن حذف الفعل باب يسمى باب إقامة المصدر مقام الفعل. وإنما يفعل ذلك لضرب من المبالغة والتوكييد، كقوله تعالى: (فإذا لقيتمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرِبَ الرُّقَابُ)، قوله: (فَضَرِبَ الرُّقَابُ) ، أصله: فاضربوا الرقاب ضربا، فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه، وفي ذلك اختصار، مع إعطاء معنى التوكيد المصدرى))³. ونريد هنا أن نقف على ماذكره النهاة من دلالات نحوية في تعليل هذه القراءات، وهل اختلفت دلالتها عنها في حالة النصب. ولاشك في ان من أهم الإشارات التي تفسر الفرق في الدلالة بين الرفع والنصب ما ورد عند ابن عطية: ((قوله تعالى: فَاتَّبَاعَ رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره فالواجب والحكم اتباع، وهذا سبيل الواجبات قوله تعالى: (فَإِمْسَاكَ يَمْعَرُوفٍ) [القرة: 229] ، وأما المندوب إليه فيأتي منصوبا كقوله تعالى: (فَضَرِبَ الرُّقَابُ) [محمد: 4] ، وهذه الآية حض من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب وحسن القضاء

1 الكتاب: 1 / 382

2 الكتاب: 1 / 321

3 المثل السائر: 2 / 237

من المؤدي، وقرأ ابن أبي عبلة «فاتباعاً» بالنصب¹. وقال أبو حيان معلقاً على هذه الفكرة في تفسيره قوله تعالى: (قالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون) [الذاريات 25]: ((وَتَصْبِحُ سَلَامًا يَدْلُلُ عَلَى التَّجَدُّدِ، وَرَفِعُ سَلَامٍ يَدْلُلُ عَلَى الثَّبُوتِ وَالإِسْتِقْرَارِ)². في حين قال في تفسير قوله تعالى: (فَاتَّبَاعَ بِالْمَغْرُوفِ وَأَدَاءَ إِلَيْهِ بِالْخَسَانِ) [البقرة 178]: ((قَالَ أَبْنُ عَطِيَّةَ بَعْدَ تَقْدِيرِهِ: فَالْحَكْمُ أَوِ الْوَاجِبُ اتِّبَاعُ، وَهَذَا سَبِيلُ الْوَاجِبَاتِ، كَقَوْلِهِ فِي اسْمَاكٍ بِمَغْرُوفٍ وَأَمَّا الْمَنْدُوبُ إِلَيْهِ فَيَأْتِي مَنْصُوبًا كَقَوْلِهِ: فَضَرْبُ الرَّقَابِ اتَّهَى. وَلَا أَذْرِي هَذِهِ التَّفْرِقَةَ بَيْنَ الْوَاجِبِ وَالْمَنْدُوبِ إِلَّا مَا ذَكَرُوا مِنْ أَنَّ الْجُمْلَةَ الْإِبْنَادِيَّةَ أَبْتَأَتْ وَأَكَدَّ مِنَ الْجُمْلَةِ الْفِعْلَيَّةِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الَّذِي لَحِظَهُ أَبْنُ عَطِيَّةَ مِنْ هَذَا))³. وقد نقل السيوطي كلام ابن عطية وجع بين تعليقي أبي حيان في الموضعين؛ قال في القاعدة التي خصصها للدلالة المصدر: ((قَالَ أَبْنُ عَطِيَّةَ: سَبِيلُ الْوَاجِبَاتِ الْإِثْيَانُ بِالْمَصْنَدِ مَرْفُوعًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (فِي اسْمَاكٍ بِمَغْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيعٍ بِالْخَسَانِ) [البقرة 229] (فَاتَّبَاعَ بِالْمَغْرُوفِ وَأَدَاءَ إِلَيْهِ بِالْخَسَانِ) [البقرة 178]⁴، وَسَبِيلُ الْمَنْدُوبَاتِ الْإِثْيَانُ بِهِ مَنْصُوبًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَضَرْبُ الرَّقَابِ) [محمد 4] وَلَهَذَا اخْتَلَفُوا هَلْ كَانَتِ الْوَصِيَّةُ لِلزَّوْجَاتِ وَاجِبَةً لِاخْتِلَافِ الْقِرَاءَةِ فِي قَوْلِهِ: (وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ) [البقرة 240] بِالرَّفْعِ وَالْتَّصْبِ). قال أبو حيان: والأصلُ في هَذِهِ التَّفْرِقَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ) [الذاريات 25] فإنَّ الْأَوَّلَ مَنْدُوبٌ وَالثَّانِي وَاجِبٌ. وَالثُّكْنَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْجُمْلَةَ الْإِسْمَيَّةَ أَبْتَأَتْ وَأَكَدَّ مِنَ الْفِعْلَيَّةِ)).⁵ وقال الكفوبي عن

1 المحرر الوجيز: 1/ 246. وينظر: المقتصب: 4/ 11، والدر المصنون: 2/ 254، والباب: 3/ 225، والكلبات: 1014/ 1.

2 البحر المحيط: 6/ 179-180. وينظر: الدر المصنون: 2/ 254، والباب: 3/ 225، والتحرير والتنوير: 23/ 44.

3 البحر المحيط: 2/ 151. وينظر: الدر المصنون: 2/ 254، والباب في علوم الكتاب: 3/ 225.

4 الإتقان في علوم القرآن: 2/ 379. وينظر: معرك الإقزان: 3/ 497، والدر المصنون: 2/ 254، والباب: 225، والكلبات: 1014/ 3.

دلالة الرفع والنصب في المصادر، قال: ((والرَّفْعُ فِي بَابِ الْمَصَادِ الَّتِي أَصْنَلَهَا النِّيَّابَةُ عَنْ أَفْعَالِهَا يَدْلِلُ عَلَى الْثُّبُوتِ وَالاستقرارِ يَخْلُفُ النِّصْبَ فَإِنَّهُ يَدْلِلُ عَلَى التَّجَدُّدِ وَالْحَدُوثِ الْمُسْتَقَدُ مِنْ عَامِلِهِ الَّذِي هُوَ الْفِعْلُ فَلَأَنَّهُ مَوْضِعُ لِلدلالةِ عَلَيْهِ يَخْلُفُ الْجُمْلَةَ الْأَسْمَيَّةَ فَلَأَنَّهَا مَوْضِعُ دَلَالَةِ عَلَى مُجَرَّدِ الْثُّبُوتِ مُجَرَّداً عَنْ قِيدِ التَّجَدُّدِ وَالْحَدُوثِ فَنَاسَبَ أَنْ يَقْصُدَ بِهَا الدَّوَامُ وَالثَّبَاتُ بِقَرِينَةِ الْمَقَامِ وَمَعْوِنَتِهِ))¹. كما أشار الطاهر بن عاشور إلى الفرق بين الرفع والنصب ودلالة كل منهما؛ قال في تفسير قوله تعالى: (قالوا سلاماً قال سلام): ((وَرَفَعَ الْمَصْنَدَ أَبْلَغَ مِنْ نَصْبِهِ، لِأَنَّ الرَّفْعَ فِيهِ تَنَاسِيٌّ مَعْنَى الْفِعْلِ فَهُوَ أَدْلُّ عَلَى الدَّوَامِ وَالثَّبَاتِ وَلِذَلِكَ خَالِفٌ بَيْنَهُمَا لِلدلالةِ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - رَدَ السَّلَامَ بِعِبَارَةِ أَخْسَنَ مِنْ عِبَارَةِ الرَّسُولِ زِيَادَةً فِي الْإِكْرَامِ))². وقال في تفسيره قوله تعالى: (قال سلام قولًا من ربِّ رحيم): ((وَسَلَامٌ مَرْفُوعٌ فِي جَمِيعِ الْقِرَاءَاتِ الْمَشْهُورَةِ. وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَتَنَكِيرٌ لِلتَّعْظِيمِ وَرَفْعَهُ لِلدلالةِ عَلَى الدَّوَامِ وَالتحقِيقِ، فَلَأَنَّ أَصْنَلَهُ النِّصْبُ عَلَى الْمُفْعُولَيَّةِ الْمُطْلَقَةِ نِيَّابَةً عَنِ الْفِعْلِ،...، فَلَمَّا أَرِيدَتِ الدَّلَالَةُ عَلَى الدَّوَامِ جَيَءَ بِهِ مَرْفُوعًا))³.

1. أول هذه الآيات ما ورد في قوله تعالى: (صَبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَخْسَنَ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً) [البقرة: 138]، وقد وجه النحاة قراءة الرفع على أن صبغة خبر لم يبدأ تقديره: هي صبغة، قال الزجاج: ((يجوز أن ترفع الصبغة على إضمار هي، كأنهم قالوا: هي صبغة الله أي هي ملة إبراهيم صبغة الله))⁴. وذكر السمين الحلبي وجهاً آخر لرفعها وهو البديلية، قال: ((وَأَمَّا قِرَاءَةُ الرَّفْعِ فَتَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا خَبْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَيْ: ذَلِكَ الإِيمَانُ صَبْغَةُ اللهِ. وَالثَّانِي: أَنْ تَكُونَ بِدَلَّاً مِنْ

1 الكليات: 814.

2 التحرير والتنوير: 12 / 116. وينظر فيه أيضاً: 12 / 239.

3 التحرير والتنوير: 23 / 44.

4 معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 1 / 215. وينظر: معاني القرآن للفراء: 1 / 83، وجامع البيان: 3 / 117، والبحر الوجيز: 1 / 216، وزاد المسير: 1 / 117، والجامع لأحكام القرآن: 2 / 144، والبحر الخبط: 1 / 656، والدر المصنون: 2 / 142.

«مِلْهَة» لأنَّ مَنْ رَفَعَ «صِيغَة» رفع «مِلْهَة» كما تقدَّم ف تكون بدلاً منها كما قيل بذلك في قراءة النصب¹. وهذه المعاني المذكورة متقاربة ففي حال كانت خبراً لمبدأ مذوف تقديره: (هي) فإنَّ هذا الضمير سيعود إلى كلمة (مِلْهَة) وهو يؤدي إلى الوجه الثاني وهو انه بدل من مِلْهَة. غير ان القارئ يشعر بفرق بين دلالة النصب ودلالة الرفع؛ ففي الحالة يدل النصب على الحدوث فكان فيها حثاً على الالتزام بصيغة الله، في حين يدل الرفع على الشبوت وكأنها تقر حقيقة لا حاجة معها إلى تقدير فعل يدل على التجدد أو الفعل كالمث أو الإلزام المفهومة من دلالة النصب.

2. ومنه قوله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرُّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبه 60]، قال الزمخشري: ((فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ) في معنى المصدر المؤكد، لأنَّ قوله إنما الصدقات للقراء معناه فرض الله الصدقات لهم. وقرئ فريضة بالرفع على: تلك فريضة². قال القرطبي: ((قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ) بِالنَّصْبِ عَلَى الْمَصْنَدِ عِنْدَ سَبِيلِهِ). أي فرض الله الصدقات فريضة. ويجدر الرفع على القاطع في قول الكسائي، أي هُنَّ فَرِيضَة³). ومعنى النصب أنها يعني الفعل فهي فرض وطلب وأمر موجه إلى المسلمين بأداء الفريضة، في حين ان الرفع يدل على ان ما سبق من فرائض وحدود هي فريضة من الله.

3. ومنه في قوله تعالى: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَنَّا أَنذَّكُرُونَ (3) إِنَّمَا مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَنِ اللَّهِ حَقًا إِنَّهُ يَنْدَدُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ) [يونس 3-4]، قال القراء: ((ولو استئنف (وعد الله حق) كان

1 الدر المصنون: 2 / 143-144.

2 الكشاف: 2 / 283. وينظر: معاني القرآن للقراء: 1 / 444، معاني القرآن وإعرابه: 2 / 457، والجامع لأحكام القرآن: 8 / 192، وأنوار التنزيل: 3 / 86، والدر المصنون: 6 / 72.

3 الجامع لأحكام القرآن: 8 / 192.

صواباً)).¹ وبين أبو حيان وجه قراءة الرفع، قال: ((وَقَرَا ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ حَقٌّ
بِالرَّفْعِ، فَهَذَا ابْتِدَاءٌ وَخَبْرَةُ اللَّهِ الشَّهِيْ. وَكَوْنُ حَقٍّ خَبْرٌ مُبْتَدَأٌ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمُبْتَدَأُ هُوَ
الْوَجْهُ فِي الْإِغْرَابِ كَمَا تَقُولُ: صَحِيحٌ أَنَّكَ تَخْرُجُ، لِأَنَّ اسْمَ أَنَّ مَعْرِفَةً، وَالَّذِي
تَقْدِمُهَا فِي تَخْرُجِهِ هَذَا الْمِثَالُ نَكْرَةً)).² فهي في قراءة النصب تدل على التوكيد
لأنها مصدر مؤكّد لغيره من معنى مفهوم من الكلام. أما قراءة الرفع فتدل على
تقرير الوعد المضمن في الجملة السابقة والتقدير: مرجعكم إلى الله هو وعد حق
من الله.

4. ومثله (وعدا عليه حقا) في قوله تعالى: (وَأَشْمَوْا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ
يَمُوتُ بَلَى وَعَدَهُ عَلَيْهِ حَقًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [النحل 38]، إذ قال
القراء: ((ولو كَانَ رَفِعًا عَلَى قَوْلِهِ: بَلِي ذَلِكَ وَعَدَ عَلَيْهِ حَقٌّ كَانَ صَوَابًا)).³
ووجهه النحاس قال: ((وَعَدَهُ عَلَيْهِ حَقًا مَصْدَرًا. قَالَ الْكَسَائِيُّ وَالْفَرَاءُ: وَلَوْ قِيلَ:
وَعَدَ عَلَيْهِ حَقًّا لَكَانَ صَوَابًا أَيْ ذَلِكَ وَعَدَ عَلَيْهِ حَقًّا)).⁴ وقال أبو حيان: ((وَقَرَا
الضَّحَّاكُ: بَلِي وَعَدَ حَقًّا، وَالْتَّقْدِيرُ: بَعْثَمُ وَعَدَ عَلَيْهِ حَقًّا، وَحَقٌّ صِفَةٌ لِوَعْدِهِ)).⁵
قراءة النصب على أنه مصدر مؤكّد لفعل مقدر من معنى الجملة أي وعدهم الله
وعدا، وقراءة الرفع على أنه خبر لمبتدأ تقديره: بعثهم وعد حق على الله تعالى.
وهاتان الدلالتان تناسبان معنى التوكيد وتقرير الفكرة.

1 معاني القرآن للقراء: 1 / 457. وينظر: إعراب القرآن للنحاس: 2 / 140. وذكر مكي أنها لم يقرأ بها أحد
مشكل إعراب القرآن: 1 / 339، والكشف: 2 / 329، والجامع لأحكام القرآن: 8 / 308.

2 البحر المحيط: 6 / 13. وينظر: الدر المصنون: 6 / 149.

3 معاني القرآن للقراء: 2 / 100.

4 إعراب القرآن للنحاس: 2 / 250.

5 البحر المحيط: 6 / 529. وينظر: الدر المصنون: 7 / 219.

5. ومنه قوله تعالى: (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) [مریم 34]، قال الطبری: ((وقد اختلفت القراءة في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قراءة الحجاز والعراق (قول الحق) برفع القول ،...، وجعلوه في إعرابه تابعاً لعيسى، كالنعت له، وليس الأمر في إعرابه عندي على ما قاله الذين زعموا أنه رفع على النعت لعيسى ،...، وإلا فرفعه عندي بضمmer، وهو هذا قول الحق على الابتداء ،...، وقد قرأ ذلك عاصم بن أبي الججود وعبد الله بن عامر بالنصب، وكأنهما أراداً بذلك المصدر: ذلك عيسى ابن مريم قوله حقاً، ثم أدخلت فيه الألف واللام))¹. وقال الزجاج في توجيه القراءتين: ((بالرفع، ويجوز (قول الحق) بالنصب، فمن رفع فالمعنی هو قول الحق ومن نصب فالمعنی أقول قول الحق الذي فيه يمرون أي يشكون))². وقد بين أبو حیان أن قراءة النصب وقراءة الرفع تتفقان في الدلالة، فالنصب يدل على أن قول مصدر مؤكّد لمضمون الجملة التي قبله التي تتضمن الإخبار بأن عيسى ابن مريم ثابت النسب إليها وليس منسوباً لغيرها، وقد تفيّد هذه القراءة المدح، والرفع يدل على أن نسبته إلى أمّه فقط؛ ((فَتَسْتَفِنُ إِذْ ذَاكَ قِرَاءَةُ النَّصْبِ وَقِرَاءَةُ الرَّفْعِ فِي الْمَعْنَى))³. وقال الطاهر بن عاشور ((قول الحق قراءة الجمهور بالرفع، وقراءة ابن عامر، وعاصم، ويعقوب بالنصب فأما الرفع فهو خبرٌ ئان عن اسم الإشارة أو وصف لعيسى أو بدل منه، وأما النصب فهو حالٌ من اسم الإشارة أو من عيسى. ومعنى قوله الحق أن تلك الصفات التي سمعتم هي قوله الحق، أي مقوله هو الحق وما خالفها باطل، أو أن عيسى عليه السلام هو قوله الحق، أي مقوله الحق، أي المكوّن من قوله (كُن)، فيكون مصدراً بمعنى

1 جامع البيان: 18 / 194.

2 معاني القرآن وإعرابه: 3 / 329. وينظر: الكشاف : 3 / 16، والمغر الوجيز: 4 / 15، وأنوار التنزيل: 4 /

.63-62، والدر المصنون: 7 / 598، واللباب في علوم الكتاب: 13 / 62.

3 البحر المحيط: 7 / 260.

اسم المفعم كالخلق في قوله تعالى: (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ) [القمان: 11] ^١. فقراءة النصب فيها معنى المدح والتوكيد بعد ان ذكر الله تعالى قصة ميلاد عيسى عليه السلام قال سبحانه ان المخبر والمتحدث عنه هو عيسى عليه السلام ثم مدحه او وصف حاله بقوله: قول الحق، أي ان ذلك المتتحدث عنه هو عيسى بن مريم المدوح بكونه قول الحق الذي فيه يتركون. وفي قراءة الرفع يكون قول الحق خبرا ثانيا لاسم الإشارة فيكون المعنى ذلك المخبر عنه عيسى ابن مريم هو قول الحق ^٢. وهما قراءتان متآزنان في تحقيق الفكرة التي يريد النص الإخبار عنها.

٦. ومنه (خالصة) في قوله تعالى: (وَأَمْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلَّهِيْ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَكْحِهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ ذُونَ الْمُؤْمِنِينَ) فقد قال القراء: ((ولو رفعت (خالصة) لك على الاستئناف كان صوابا كما قال (لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٍ) أي: هَذَا بَلَاغٌ) ^٣. وفرق أبو حيان بين القراءتين: ((فقراءة النصب على الحال،...، أي أخلصناها خالصة لك، والرفع خبر مبتدأ: أي هي خالصة لك، أي هبة النساء نفسهن مختص بك، لا يجوز أن تهب المرأة نفسها لغيرك) ^٤. وقراءة النصب فيها دلالة الحدوث واضحة وهي تفيد التوكيد، والوصفية عن طريق الحال، في حين تفيد دلالة الرفع الثبوت من غير اقتران بفعل الاستئناف المذكور على تقدير مبتدأ: وهي خالصة لك. ويمكن القول -بعد- ان الرفع في حقيقته عدول من النصب الذي يمثل الأمر والطلب إلى الرفع الذي يمثل الإخبار، وكان الطلب سورع في تنفيذه فصار في عداد الخبر، فالمصدر المرفوع ، إذا، أقوى في

١ التحرير والتنوير: 16 / 102.

٢ ينظر: الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية العشر، رانيا محفوظ الورفلي: 410.

٣ معاني القرآن للقراء: 2 / 346-345. وينظر: الكشاف: 3 / 551.

٤ البحر الخيط : 8 / 493. وينظر: معاني القرآن وإعرابه: 4 / 232، والدر المصنون: 9 / 13، والباب في علوم الكتاب: 15 / 570، وإرشاد العقل السليم: 7 / 110.

التأكيد من المصدر المتصوب؛ لأن المتصوب طلب سيتم تنفيذه، أما المرفوع فهو خبر عن طلب تم تنفيذه وآخر عن هذا التنفيذ فصار حقيقة مفروغا منها.

السياقات الدلالية للمصادر المعقب بها:

أ. التعقيب المصدري بين المدح والذم: توزع بجيء المصادر المعقب بها في سياقين غالباً هما توكيد المدح، وقد كان ما جاء من تعقيب في هذا السياق أكثر شيوعاً مما ورد في سياق الذم وكثيراً ما كان مضافاً إلى لفظ الجلالة الله تعالى أو إلى الحق أو القوة ، مثل إضافة مصدر صنع إلى لفظ الجلالة (الله) في قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِيَالَ تُحْسِنُهَا جَامِدَةً وَهِيَ ئَمْرٌ مَرْ السَّحَابِ صَنْعُ اللَّهِ الَّذِي أَثْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) [النمل: 88]، ولاشك في أن اختيار هذا المصدر جاء في غاية الفصاحة؛ ذلك أن السياق سياق مدح وتعظيم الله تعالى فناسبه استعمال هذه الكلمة، ولا سيما إذا علمنا أن الصنْع هو: إجاده الفعل، وأن كلَّ صنْعٍ فعل، وليس كلَّ فعل صنْعاً، ولا ينبع إلى الحيوانات والجمادات كما ينبع إليها الفعل¹. وقد جاء هذا الاستعمال في سياق تمجيد النظام العجيب الذي خلقه الله تعالى إذ تحرَّكُ الأَجْسَامُ الْعَظِيمَةُ مَسَافَاتٍ شَاسِعَةً وَالْئَاسُ يَخْسِبُونَهَا قَارَّةً ثَائِتَةً وَهِيَ تَحْرَكُهُمْ وَلَا يَشْعُرُونَ. وَوَصَفَ اللَّهُ بِالَّذِي أَثْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ تَعْمِيمَ يَرَادُ بِهِ التَّذْيلُ، أيَّ مَا هَذَا الصُّنْعُ الْعَجِيبُ إِلَّا مُمَاثِلًا لِأَمْتَالِهِ مِنَ الصَّنَاعَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الدَّيْقِيقَةِ الصنْع. وقد أكد هذا التعقيب وثبيته بجملة إنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ التي تولَّفَ تذيلها أو اغترابها في آخر الكلام للتذكير والوعظ والتذليل، وإنما جاء بذلك عقب قوله الذي أثْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ لِأَنَّ إِثْقَانَ الصُّنْعِ أَنْ أَكَارِ سَعَةَ الْعِلْمِ فَالَّذِي يَعْلَمُهُ أَثْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ خَيْرٌ بِمَا يَفْعَلُ الْخَلْقُ فجاء به تحذيراً عن مخالفة أمره². وقد أشار الزمخشري إلى أنه تعالى وسم هذا المصدر هنا باسم التعظيم بإضافته إليه³. ومثل ذلك نجده في قوله

1. ينظر: المفردات في غريب القرآن: 493.

2. ينظر: التحرير والتنوير: 20 / 51.

3. ينظر: الكشاف: 3 / 388.

تعالى: (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ) (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) وَعَذَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [الروم 4-6]، فالآية الكريمة وعد من الله سبحانه بالنصر ووعده لله لَا خَلْفَ فِيهِ¹، لامتناع الكذب عليه تعالى. ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكيرهم². ((إِضَافَةً الْوَعْدِ إِلَى اللَّهِ تَلْوِيعٌ بِأَنَّهُ وَعَدَ مُحَقِّقَ الْإِيْفَاءَ لِأَنَّ وَعْدَ الصَّادِقِ الْقَادِرِ الْغَنِيِّ لَا مُوْجِبٌ لِإِخْلَافِهِ. وَجُمْلَةُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ يَبَانُ لِلْمَقْصُودِ مِنْ جُمْلَةِ وَعْدِ اللَّهِ فَإِنَّهَا دَلَلتُ عَلَى أَنَّهُ وَعَدَ مُحَقِّقَ بِطَرِيقِ التَّلْوِيعِ، فَبَيْنَ ذَلِكَ بِالصَّرِيحِ بِجُمْلَةِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ))³. وقد يأتي بعد المصدر المعقب به جار ومحور متعلق به يخصصه ويحدد فضاءه فيدل على المدح مثل: (رب رحيم) أو (من عند الله) أو (فريضة من الله) أو (من لدننا)، كما في قوله تعالى: (لَكِنَّ الَّذِينَ آتَقُوا رَبِّهِمْ لَهُمْ جَنَاحٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَنْبَارِ) [آل عمران 198]، والآية بيان عن أن ما عند الله لكثرته ودوامه خير للأبار ما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله⁴. وقد وصف هذا النزل بأنه من عند الله⁵. وقد وعدهم هذا الجزاء على التقوى، ثم أشار إلى أنَّ التَّعْيِمَ الرُّوحَانِيَّ يَكُونُ بِمَخْضِ الْفَضْلِ، وَالْإِحْسَانِ لِلْأَنْبَارِ، فَقَالَ: وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْكَرَامَةِ الزَّائِدَةِ عَلَى هَذَا النُّزُلِ الَّذِي هُوَ بَعْضُ مَا عِنْدَهُ⁶.

ومنه قوله تعالى: (أَذْخِلْنَاهُمْ جَنَاحَتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْتَّوَابِ)، فإذاً الشواب إلى الله تعالى للدلالة على أنه ثواب خاص

1 ينظر: مفاتيح النّيـب: 25 / 81، وأنوار التـنزيل: 4 / 202

2 ينظر: أنوار التـنزيل: 4 / 202.

3 التـحرير والتـنوير: 21 / 48.

4 ينظر: أنوار التـنزيل: 2 / 56.

5 ينظر: مدارك التـنزيل: 1 / 324.

6 ينظر: تفسير المنار: 4 / 257.

لأن مصدره الله تعالى الذي يختص بقدرته وفضله¹ ، قال ابن عادل: ((وقوله: {مَنْ عَنِ
الله} صفة له، وهذا يدل على كون ذلك **الثواب** في **غاية الشرف**))² . وقد أضاف
الثواب إليه تعالى ليدل على أنه عظيم، لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلاً كثيراً³ .
ومنه قوله تعالى: (أَوْلَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا أَمِنًا يُجْتَبِي إِلَيْهِ نَمَرَاتُ كُلٌّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [القصص 57] ، قال الطاهر بن عاشور: ((وَمَعْنَى مِنْ لَدُنَّا مِنْ
عِنْدِنَا، وَالْعِنْدِيَّةُ مَجَازٌ فِي التَّكْرِيمِ وَالْبَرَكَةِ، أَيْ رِزْقًا قَدَرْتَاهُ لَهُمْ إِكْرَامًا فَكَانَهُ رِزْقٌ خَاصٌ
مِنْ مَكَانٍ شَدِيدٍ الْإِخْتِصَاصِ بِاللَّهِ تَعَالَى))⁴ . وقد يأتي المصدر المعقب به منوناً غير
مضاف، غير أن المتلقى يشعر أن فيه رائحة الإضافة إليه سبحانه وتعالى، كما في قوله
تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (13)
أو لِئَلَّكَ أَصْنَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الاحقاف 13-14]
فالجزاء إنما يكون منه سبحانه. وقد وظَّف النص الكريم التنوين للدلالة على التعظيم
والتفخيم، كما في قوله تعالى: (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ ذِيْنِ غَيْرِ مُضَارٍ وَصِيَّةٍ مِنَ
اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ)، قال أبو السعود عن تنوين كلمة وصية: ((وَتَنْوِيْنُهُ لِلتَّفْخِيمِ وَمِنْ
مَتَّعِلَّةٍ بِضَمْرِ وَقْعِ صَفَّةٍ لَهُ مَؤْكِدَةٌ لِفَخَامَتِهِ))⁵ . وهذا ينطبق على تنوين فريضة من
الله في قوله تعالى: (آباؤكُمْ وَأَبْناؤكُمْ لَا يَذْرُونَ أَيْمَنَ أَقْرَبَ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيْضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (11) [النساء 10-11] أيضاً؛ لأن السياق واحد فيها وهو

1. ينظر: الكشاف: 1 / 457.

2. الباب في علوم الكتاب: 6 / 129 . وينظر: إرشاد العقل السليم: 2 / 134.

3. ينظر: تفسير المنار: 4 / 253.

4. التحرير والتنوير: 20 / 149.

5. إرشاد العقل السليم: 2 / 153.

التشريع ووضع الأحكام التي تنظم حياة الأسرة¹. فاستعمالها جاء مناسباً لسياق التقرير ووجوب الطاعة الذي يتطلبه النص الكريم².

في حين أفاد بعضها الآخر دلالة المبالغة في توكيده الذم وهو أقل من النوع الأول ومنه قوله تعالى: (فَقَالَ أَئَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) (24) فَأَخْلَدَهُ اللَّهُ تَكَالَ الْآخِرَةَ وَالْأُولَى) [[النازعاًت 24-25]]; وقد ناسب استعمال المصدر هنا توكيده دلالة التحذير الموجه إلى فرعون وإذلاله وإهانته، لأن معنى أخذه الله تكال به تكال الْآخِرَةَ وَالْأُولَى وذلك بان أغرقه في الدنيا وسيعذبه في الآخرة³. و(النkal) اسم لم جعل نكالاً لغيره، وهو الذي إذا رأه أو بلغه خاف أن يعمّل عملاً، وأصل الكلمة من الامتناع، وقيل للقبيد نكال لـ الله يمتنع، والنkal من العقوبة هو أعظمها حتى يمتنع من سمع به عن ارتکاب مثل ذلك الذنب الذي وقع التشكيل به⁴. ومنه قوله سبحانه: (وَالْجِنْ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)، فقد جاء التعقيب بالمصدر (غورو) هنا مناسباً غاية المناسبة لمعنى الذم الذي ترسمه الآية الكريمة لفعل الجن؛ إذ يوحى بعضهم إلى بعض الكذب من القول غوراً، أي خداعاً وأخذوا على غرة، لأنهم يغرون به المضللين ويوهمنهم أنهم على شيء والأمر بخلاف ذلك⁵. فالمحظوظ هو الذي يعتقد في الشيء أنه مطابق للمتفقة والمصلحة مع الله في نفسه ليس كذلك، فالغور هو أمّا أن يكون عبارة عن الجهل عينه أو عن حالة متولدة عنه، ومن ثم يظهر أن تأثير الأزواج بعضها في بعض لا يمكن أن يعبر عنه بعبارة أكمل ولأنه على تمام المقصود من قوله يوحى

1 ينظر: الكشاف: 1 / 486.

2 ينظر: الكشاف 1 / 484، ومفاتيح الغيب: 9 / 519.

3 ينظر: معاني القرآن وإعرابه: 5 / 280، والفردات في غريب القرآن: 824.

4 ينظر: مفاتيح الغيب: 31 / 42، والجامع لأحكام القرآن: 19 / 203. ويقابل بـ: حاشية الشهاب: عناية القاضي: 8 / 315، والتحرير والتنوير: 30 / 81.

5 ينظر: الكشاف: 2 / 59، والمغرر الوجيز: 2 / 336.

بعضهم إلى بعضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا¹. كما ورد المصدر المعقب به مستعملاً في سياق تقرير فكرة من غير الدخول في مجال المدح أو الذم، كما في قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤْجَلًا وَمَنْ يُرِدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَتَجْزِي الشَّاكِرِينَ)، فالسياق الذي ورد فيه المصدر لا يفيد مدحاً ولا ذماً، وإنما هو سياق تقرير فكرة مؤداها: إن كل نفس لا تموت إلا بإذن الله تعالى، فجيء بال المصدر تعقيباً على هذه الحقيقة ليؤكددها ويثبت أن الموت كتاب مؤجل، أي مؤقت له أجل معلوم لا يقدر أحدٌ على تقادمه أو تأخيره².

بـ. التعييب المصدري بين الوصف (القصص القرآني أو الحياة الدنيا أو الآخرة) والحكم الشرعي.

وتوزعت المصادر المعقب بها بين ما جاء في سياق الوصف، سواءً أكان يدور في القصص القرآني أو وصف الحياة الدنيا أو الآخرة، وما ورد منه في سياق توكيد التشريع الذي يتضمنه النص. ومن النوع الأول (الوصف) ما جاء في قوله تعالى: (وَئَرَى الْجِبَالَ ئَخْسَبَهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مِرَّ السَّحَابِ صَنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَثْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)، فسياق الآية الكريمة هو الوصف لا التشريع، وقد اختلف المفسرون في شأن ما تصفه الآية الكريمة فهو دنيوي؛ إذ استشهد النص على الناس بما يغشى أبصارهم فيحسبون الجبال واقفة لا تحرك ولكنه صنع الله الذي أثقلن كل شيء وهي في الحقيقة تمر مرور السحاب مسرعة، أم أنه في سياق الآخرة لوقوع الآية بين آيات الساعة التي تتكلم عن الآخرة³. ومنه قوله سبحانه: (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْتَا بِمَا كُنْتُمْ بِهِ مُشْرِكِينَ (84) فَلَمَّا يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُئَّلَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ

1 ينظر: مفاتيح الغيب: 13 / 121.

2 ينظر: معلم التنزيل: 1 / 518، والكتاف: 1 / 424، ومفاتيح الغيب: 9 / 379، والتحرير والتنوير: 4 / 115.

3 ينظر: التحرير والتنوير: 20 / 47.

في عياده وخسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) فالآلية الكريمة تصور لنا أن سنة الله هي الغالبة؛ إذ يتصر أنيابه على أعدائه وهي تمثل في إرسال الرُّسُلِ والِإِعْزَازِ بِهِمْ، وَتَغْزِيبٌ مَّنْ كَذَّبُهُمْ وَاسْتَهَانُهُمْ وَاسْتِئْصَالُهُمْ بِالْهَلَالِكِ، وَعَدَمُ الِائْتِفَاعِ بِالْإِيمَانِ حَالَةٌ تُلْبِسُ الْعَذَابِ بِهِمْ، وقيل إن سنته إشارة نصر المسلمين في وقعة بدر¹.

ومن النوع الثاني الذي جاءت المصادر لتأكيد التشريع الذي يتضمنه النص الكريمة، ما ورد في قوله سبحانه: (أَبَاوْكُمْ وَأَبْنَاوْكُمْ لَا يَدْرُونَ أَيْهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ ثُقُومًا فَرِيقَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)، فالآلية الكريمة تشرع للناس ما يخص المواريث وتبين أنه العليم والحكيم بما هو أصلح لهم. قال الفخر الرازي: ((فَرِيقَةً مِّنَ اللَّهِ إِشَارَةً إِلَى وُجُوبِ الِائْتِيَادِ لِهَذِهِ الْقِسْمَةِ الَّتِي فَدَرَهَا الشَّرْعُ وَقَضَى بِهَا))². ومنه قوله سبحانه: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)³، فالآلية تبين ضوابط توزيع الميراث، فللذكر من أولاد الرجل الميت حصة من ميراثه، وللإناث منهم حصة منه أيضاً، من قليل ما خلف بعده وكثيره، حصة مفروضة، واجبة معلومة مؤقتة³. فمعنى كونه مفروضاً أنه نصيب معين المقدار لكل صنفٍ من الرجال والنساء، وهذا أوضح دليل على أن المقصود بهذه الآية تشريع المواريث⁴. ومن هنا يكون جيء المصدر نصياً موظفاً ليؤكد ذلك ويقرره، قال الزجاج في معنى: (نصيباً مفروضاً) في الآية

1 ينظر: الكشاف: 4/ 341، والمحرر الوجيز: 5/ 135، ومفاتيح الغيب: 28/ 81، والجامع لأحكام القرآن: 16/ 280، والبحر المحيط: 9/ 278.

2 مفاتيح الغيب: 9/ 519. وينظر: الكشاف: 1/ 484، وزاد المسير: 1/ 379.

3 ينظر: جامع البيان 7/ 597، ومعاني القرآن وإعرابه: 2/ 15، وعلم التنزيل: 1/ 572، وال Kashaf: 1/ 476، ومفاتيح الغيب: 5/ 231، والجامع لأحكام القرآن: 5/ 47، وأنوار التنزيل: 2/ 61، ومدارك التنزيل: 1/ 333، والبحر المحيط: 3/ 525، وروح المعاني: 2/ 421، وإرشاد العقل السليم: 2/ 147، والتحرير والتنوير: 4/ 250.

4 ينظر: التحرير والتنوير: 4/ 250.

الكريمة: ((وهذا كلامٌ مؤكّدٌ))¹. وفيه دليلٌ على أنَّ الوارثَ لو أعرضَ عن نصيه لم يسقطْ حقُّه².

التعليقُ بمصدريِّن في جملةٍ واحدةٍ:

وفي إطار البحث في أثر التعليق المصدري في الدلالة، لابد من الوقوف، هنا، على المصدررين (وعد الله حقاً) و(وعداً عليه حقاً) اللذين تكررا في مواضع مختلفة، من أجل الكشف عن سبب استعمالهما معاً ودلالة هذا الاقتران؛ ومن ذلك قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُذَخِّلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا)) [النساء: 22] ويدو من الآية الكريمة أن ذلك يعود إلى أن هذين المصدررين يؤديان دلالتين متازرتين ومتضادتين، فهما يؤكدان ان وعد الله بإدخال الصالحين الجنة حق، وهو ليس كوعد الشيطان ، لذلك جاء بهما معاً تبييناً لهذه الفكرة والبالغة في توكيدها ترغيباً للعباد في تحصيل الصالحات وترك السيئات؛ إذ إن أحدهما يؤكد نفسه في حين أن الآخر يؤكد غيره؛ قال الزمخشري: ((وَعَدَ اللَّهُ حَقًا مُصْدِرَانِ: الْأُولُ مُؤَكِّدٌ لِنَفْسِهِ، وَالثَّانِي مُؤَكِّدٌ لِغَيْرِهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا تُوكِيدُ ثَالِثٌ بِلِغَةِ فَإِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ هَذِهِ التُّوكِيدَاتِ؟ قُلْتَ: مَعَارِضَةُ مَوَاعِيدِ الشَّيْطَانِ الْكَاذِبَةِ وَأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ لِقَرْنَاهِ بِوَعْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ لِأُولَى إِيَّاهُ، تُرْغِيبًا لِلْعَبَادِ فِي إِيَّاهُ مَا يَسْتَحْقُونَ بِهِ تَنجِيزُ وَعْدِ اللَّهِ، عَلَى مَا يَتَجَرَّعُونَ فِي عَاقِبَتِهِ غَصَصٌ إِخْلَافٌ مَوَاعِيدِ الشَّيْطَانِ))³. فاستعمال المصدر الأول ليبيان ان وعده تعالى لازم لا يتخلّف⁴، أما المصدر الثاني (حقا)، فهو في الأصل مصدراً، ولكنه استغنى هنا استعمال الأسماء للشيء

1 معاني القرآن واعرابه: 2 / 15. وينظر: إرشاد العقل السليم: 2 / 147.

2 إرشاد العقل السليم: 2 / 147.

3 الكشاف: 1 / 567. وينظر: مفاتيح الغيب: 11 / 225، وأنوار التنزيل: 2 / 99، والتحرير والتنوير: 5 / 207

4 ينظر: التحرير والتنوير: 14 / 155.

الثابتُ الذي لَا شَكَ فِيهِ وَيُطْلَقُ كَثِيرًا، عَلَى الْكَامِلِ فِي تَوزِيعِهِ¹. وقال أبو السعود موضحاً معنى التوكيد المستفاد من المصدر الذي يؤكد معنى الجملة السابقة، قال: (((وَعَذَ الله حَقًا) مصدران مؤكدان الأول لنفسه والثاني لغيره لأنَّ قوله تعالى لهم جناتُ النَّعِيمِ في معنى وعدهم الله جناتُ النَّعِيمِ فأكده معنى الوعيد بالوعد وأما حقاً فدال على معنى الثبات أكده به معنى الوعيد ومؤكدهما جبعاً لهم جناتُ النَّعِيمِ (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الذي لا يغلبه شيءٌ ليمنعه من إنجاز وعده أو تحقيق وعيده))². ووضح الطاهر بن عاشور هذا الأمر، قال: ((وَالْتَّصِيبُ وَعَذَ اللَّهُ عَلَى الْمَفْعُولَيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ئَوْكِيدًا لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ الْمُسَاوِيَّةِ لَهُ، وَيُسَمِّي مُوكَدًا لِتَفْسِيهِ فِي اصْنَاطِلَاحِ النُّحَاةِ لِأَنَّ مَضْمُونَ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمُ الْوَعْدُ يَارْجَاعُهُمْ إِلَيْهِ وَهُوَ مَفَادُ وَعْدِ اللَّهِ، وَيُقَدِّرُ لَهُ عَامِلٌ مَخْتُوفٌ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الْمُؤَكَّدةَ لَا تَصْلُحُ لِلْعَمَلِ فِيهِ. وَالْتَّقْدِيرُ: وَعَدْكُمُ اللَّهُ وَعَدًا حَقًا. وَالْتَّصِيبُ حَقًا عَلَى الْمَفْعُولَيَّةِ الْمُطْلَقَةِ الْمُؤَكَّدةِ لِمَضْمُونِ جُمْلَةِ وَعَذَ اللَّهُ يَا غَيْرَكَ الْفِعْلُ الْمَخْتُوفُ. وَيُسَمِّي فِي اصْنَاطِلَاحِ النُّحَاةِ مُوكَدًا لِغَيْرِهِ، أَيْ مُوكَدًا لِأَحَدٍ مَعْتَنِينَ ئَخْتَلِفُهُمَا الْجُمْلَةُ الْمُؤَكَّدةُ))³.

الخاتمة والنتائج:

وفي الخاتمة فقد كشف البحث عن مجموعة من النتائج؛ أهمها التعريف بظاهرة التعقيب المصدري أو التعقيب بالمصدر في القرآن الكريم، وهي ظاهرة لغوية أسلوبية امتاز بها النص القرآني الكريم لم يسبق للباحثين دراستها والكشف عن ملامحها، والتعقيب هو الإتيان بالمصدر بعد الكلام لغرض توكيده وثبيته، وهذه الظاهرة تعتمد على المصدر المؤكّد لمضمون الجملة السابقة؛ لأنَّ هذا المصدر يناسب الغرض من توكيده الكلام من غير إعادة لفظياً، فالتعليق المصدري هو المجيء بمصدر يردف معنى الجملة السابقة ويقويه أو يحمله؛ فلا يدخل الشك إلى ذهن المتلقى وإنما يقبلُ على الكلام

1. ينظر: نفسه: 9 / 261.

2. إرشاد العقل السليم: 7 / 70.

3. التحرير والتنوير: 11 / 90-91.

بالقبول والموافقة؛ فهو شاهد على صدق الكلام السابق، والتعليق المصدري بالمعنى المذكور مصطلح قال به المفسرون ولم يقل به النحويون. وقد اتضح من البحث أنَّ اعتماد النص الكريم المصدر طريقاً للتعليق جاء بناء على ما يمتاز به المصدر من الصيغة الصرفية الأخرى، ومن ثم فقد أضفى استعمال المصدر مرونة تعبيرية على النص لأنَّه أدى إلى دلالات صرفية مختلفة اكتسبتها من خلال السياق، وهذا أسهم في خلق معانٍ فنية وجمالية، انبثقت من خصائص الكلمة الصرفية للمصدر وعلاقتها بالكلمات الأخرى في الجملة. كما أنَّ التعليب بال المصدر أغنى النص الكريم بالدلالات النحوية فقد جاء عدد من هذه المصادر محتملاً لأوجه نحوية مختلفة تصب في إغناء النص بالدلالات والمعاني؛ مما يؤكد أنَّ القرآن الكريم نص معجز بلغ الغاية في البلاغة. ولما كان بعض المصادر العقب بها قد قرئ بالرفع كما قرئ بالنصب فقد كشف البحث عن القيمة الدلالية للحالة الإعرابية لتلك المصادر بين الرفع والنصب؛ في ضوء ما قدمه العلماء من دلالة الأول على الثبوت ودلالة الثاني على الحدوث والتجدد. وقد توزعت المصادر العقب بها بين سياقات المدح تارة عن طريق الإضافة إلى لفظ الحاللة أو تعليقه به بمعرف جر، مثل: (صنع الله) (قولاً من رب رحيم) أو (نواباً من عند الله) أو (فريضة من الله) أو (رزقاً من لدننا)، والذم تارة أخرى ، وهو أقل وروداً من سابقه مثل: (نكال الآخرة والأولى). وقد ورد التعليب في بعض المواقع بمصدرين أحياناً، هما: (وعدا وحقاً)، واستنتاج البحث، من قراءة الآيات التي احتوت التعليب بمصدرين، أنَّ ذلك يعود إلى أن هذين المصدررين يؤديان دلالتين متآزرتين ومتضادتين في تلك النصوص الكريمة.

^١ ملحق مواطن التعقيب في القرآن الكريم

السلسل	اسم السورة	رقم الآية	موطن التعقيب
1	البقرة	138	(فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدُوا وَإِنْ تُؤْلَوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِيَاقَاقٍ فَسَيَكْتَبُهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137) صِيَغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَخْسَنَ مِنَ اللَّهِ صِيَغَةً وَتَحْنَ لَهُ عَابِدُونَ) [البقرة: 137 - 138]
2	البقرة	180	(كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِنْ تَرَكَ خَبِيرًا الْوَصِيَّةُ لِلَّوَالِدِينِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقُّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) [البقرة: 180]
3	البقرة	236	(لَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ نَفَرَضُوا لَهُنَّ فَرِيشَةٌ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوْسِعِ قَدْرَةٌ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَةٌ مَتَّاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقُّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) [البقرة: 236]
4	البقرة	241	(وَلِلْمُطَّلَّقَاتِ مَنَاعَ بِالْمَعْرُوفِ حَقُّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) [البقرة: 241]
5	آل عمران	145	(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤْجَلًا وَمَنْ يُرِدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجِزِي الشَّاكِرِينَ) [آل عمران: 145]

1 اعتمدنا في هذا الملحق على الكتاب الفذ: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الحافظ عصبة، في كتابه على المفعول المطلق.

[145]

(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَئِي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَيِّلٍ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفَرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخُلَّهُمْ جَنَّاتٍ ئَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ <u>تَوَابًا</u> مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْثَّوَابِ) [آل عمران: 195]	195	آل عمران	6
(لَكِنِ الَّذِينَ آتَوْا رَبِّهِمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا <u>تَوَابًا</u> مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَنْتَارِ) [آل عمران: 198]	198	آل عمران	7
(وَآتَوْا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ <u>نِحْلَةً</u> فَإِنْ طِبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) [النساء: 4]	4	النساء	8
(لِلرُّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ <u>نَصِيبًا مَفْرُوضًا</u>) [النساء: 7]	7	النساء	9
(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أُولَادِكُمْ لِلذِّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنْ نِسَاءً فَوْقَ الشَّتَّيْنِ فَلَهُنَّ مُلْكًا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النُّصْفُ وَلِأَبْوَاهِهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَرَثَهُ أَبُواهُ فَلِأَمَّهُ الْثُلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْرُوَةً فَلِأَمَّهُ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينِ أَبَاوْكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيْهُمْ أَفَرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنْ	11	النساء	10

<p>اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء: 11]</p>			
<p>(وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكُنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دِيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكُنَمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ السُّمْنُ مِمَّا تَرَكُنَمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ ثُوَصُونَ بِهَا أَوْ دِيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أخْتٌ فَلِكُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءٌ فِي الْثُلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دِيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ)</p> <p>[النساء: 12]</p>	12	النساء	11
<p>(وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَحْلَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ يَتَفَقَّهُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَأَتُوْهُنَّ أَجْوَرَهُنَّ فَرِيضَةٌ وَلَا جَنَاحٌ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء: 24]</p>	24	النساء	13
<p>(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتَلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا وَمَنْ قُتِلَ مُؤْمِنًا خَطَا فَتَخْرِيرُ رَقْبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدِّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوًّا لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَخْرِيرُ رَقْبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ يَنْتَكِمُ وَيَنْتَهُمْ مِنْهُمْ فَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَخْرِيرُ رَقْبَةٍ</p>	92	النساء	14

<p>مُؤْمِنٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَيَّامَ شَهْرَيْنِ مُسْتَأْعِينٍ بِوَيْةٍ مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْمًا حَكِيمًا) [النساء: 92]</p>			
<p>(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَئِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُوَالَهُمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ يَأْمُوَالَهُمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةٌ وَكُلُّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَخْرَى عَظِيمًا) [النساء: 95]</p>	94	النساء	15
<p>(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُذْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) [النساء: 122]</p>	122	النساء	16
<p>(أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) [النساء: 151]</p>	151	النساء	17
<p>(قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَعْثَةٌ قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَخْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) [الأنعام: 31]</p>	31	الأنعام	
<p>(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَنَّمَ أَيْمَانَهُمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشَعِّرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) [الأنعام: 109]</p>	109	الأنعام	18
<p>(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ</p>	112	الأنعام	19



<p>وَالْجِنُّ يُوحِي بَعْضُهُمُ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ <u>غُرُورًا</u> وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَلَذِرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ</p> <p>[الأنعام: 112]</p>			
<p>(أولئك هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرَزْقٌ كَرِيمٌ (4) كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ)</p> <p>[الأنفال: 4، 5]</p>	4	الأنفال	20
<p>(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرُّقَابِ وَالْعَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)</p> <p>[التوبة: 60]</p>	60	التوبة	21
<p>(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَهُمُ اللَّهُ أَنَّمَا عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّوزَّعِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشُوا وَبَيْسِعُكُمُ الْذِي بِأَيْمَنِ يَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: 111]</p>	111	التوبة	22
<p>(إِنَّمَا مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًا إِنَّهُ يَنْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) [يونس: 4]</p>	4	يونس	23
<p>(إِنَّمَا تُنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًا عَلَيْنَا نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) [يونس: 103]</p>	103	يونس	24

(قالَ نَرْزَعُونَ سِنَنَ دَأْبًا فَمَا حَصَدَثُمْ فَتَرُوْهُ فِي مُتَبَلِّهٍ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ) [يوسف: 47]	47	يوسف	25
(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَنْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [النحل: 38]	38	النحل	26
(وَإِنْ كَادُوا لِيَسْتَفِرُوكُمْ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكُمْ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِسُونَ خِلَافَكُمْ إِلَّا قَلِيلًا (76) مُسْتَأْنَدٌ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكُمْ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسْتَيْنَا ئَخْوِيلًا) [الإسراء: 77، 76]	77	الإسراء	27
(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِعَلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ ئَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَنْلُغَا أَشْدَهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ ظَاهِلٌ مَا لَمْ تُسْطِعْ عَلَيْهِ صَبَرًا) [الكهف: 82]	82	الكهف	28
(ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) [مريم: 34]	34	مريم	29
(كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ وَبَلُوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [الأنياء: 35]	35	الأنياء	30
(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطْيَ السُّجْلِ لِلنَّكْشِبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوْلَ خَلْقِنَا عِيَدَهُ وَعَدْهُ عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنياء: 104]	104	الأنياء	31

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَنَّمَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمْرَتُهُمْ لِيَخْرُجُنَّ فَلَنْ لَا ثُفِّيَّسُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) [النور: 53]	53	النور	32
(لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ يَنْتَكُمْ كَدُعَاءَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَادِاً فَلَيَخْدُرَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [النور: 63]	63	النور	33
(وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (208) ذُكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) [الشعراء: 208، 209]	209	الشعراء	34
(وَئَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صَنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَفْنَى كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) [النمل: 88]	88	النمل	35
(وَقَالُوا إِنَّ نَبْيَعَ الْهُدَىٰ مَعَكُمْ تُخْطُفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَماً أَمِنًا يُجْبِي إِلَيْهِ تَمَرَاتُ كُلُّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [القصص: 57]	57	القصص	36
(إِنَّ (1) غَلَبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَذْنِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي يَضْعُفِ سَبِيلِ اللَّهِ الْأَمْرِ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) يَنْصَرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) وَعَذَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا	6	الروم	37

يَعْلَمُونَ) [الروم: 1-6]			
(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفُا فَطَرَتِ اللَّهُ التَّيْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يُنَبِّئُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [الروم: 30]	30	الروم	38
(إِنَّ الَّذِينَ آتَيْنَا وَعْدَنَا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَاحٌ النَّعِيمِ (8) خَالِدِينَ فِيهَا وَعَذَّ اللَّهُ حَقًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [لقمان: 8، 9]	9	لقمان	39
(وَوَصَّيْنَا إِلَيْسَانَ بِوَالَّدِيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّا عَلَىٰ وَهُنِّ وَفَصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالَّدِيهِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرِ) [لقمان: 14]	14	لقمان	40
(مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنْنَةً الَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا) [الأحزاب: 38]	38	الأحزاب	41
(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الْلَّاتِي أَنْيَتَ أَجْوَرَهُنَّ وَمَا مَلَكْتَ يَمْيِنُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالِاتِكَ الْلَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنَّ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَشْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ فَذَعِلْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكْتَ أَيْمَانُهُمْ لِكِنَّا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [الأحزاب: [50]	50	الأحزاب	42

(لَئِنْ لَمْ يَتَّهِي الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لِتُغَيِّبَكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُوكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) (60) مَلْعُونِينَ أَيْمَانًا تُقْفَوْا أَخْدُوا وَقُتُلُوا تَعْقِيْلًا) (61) سَنَةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ بَدِيلًا) [الأحزاب: 60] [62 -	62	الاحزاب	43
(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَنَّمَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأَمْمٍ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادُهُمْ إِلَّا نُفُورًا) [فاطر: 42]	42	فاطر	44
(يٰس (1) وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمَنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4) نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الرَّحِيمَ (يٰس : 1 - 5)	5	يس	45
(سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ) [يس: 58]	58	يس	46
(إِنَّا زَيَّنَاهُ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِيَّةِ الْكَوَافِرِ (6) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ) [الصفات: 6، 7]	7	الصفات	47
(وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعْهُمْ رَحْمَةً مِنَا وَذَكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ) [ص: 43]	43	ص	48
(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْحَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَيَاءَ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرَبُوا إِلَى اللَّهِ رُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) [الزمر: 3]	3	الزمر	49

(لَكِنَ الَّذِينَ آتَوْا رِبَّهُمْ لَهُمْ غُرْفَةٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفَةٌ مُّبَيِّنَةٌ تَجْرِي مِنْ ئِجْنِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمَيعَادُ) [الزمر: 20]	20	الزمر	50
(فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَانِ سُنُتِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادَهُ وَخَسِيرٌ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) [غافر: 85]	85	غافر	51
(وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَرَ فِيهَا أَقْوَاهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ) [فصلت: 10]	10	فصلت	52
(فَقَضَاهُنَّ سَيْعَ سَمَاءَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَيَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحَفَظَنَا ذَلِكَ ثَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) [فصلت: 12]	12	فصلت	53
(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنَ وَالْغُوا فِيهِ لَعْلَكُمْ تُغْلِبُونَ (26) فَلَئِنْذِيقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (27) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخَلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) [فصلت: 26 - 28]	28	فصلت	54
(حِمْ (1) وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4) أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) [الدخان: 1 - 5]	5	الدخان	55

(حِمٌ (1) وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ (4) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (5) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الدخان: 1 - 6]		الدخان	56
(أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَخْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَشْجَاؤُرُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَغَدَ الصَّدْقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) [الأحقاف: 16]	16	الاحقاف	57
(وَلَوْ قَاتَلُكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَوْا الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (22) سَنَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَيِّئَاتِ اللَّهِ بَنْدِيلًا) [الفتح: 22، 23]	23	الفتح	58
(مَا كَتَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَتَمَّارُوْنَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُشْتَهَى) [النجم: 11 - 14]	13	النجم	59
(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32) وَكَوَاعِبَ أَثْرَابًا (33) وَكَأسًا دِهَاقًا (34) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا (35) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا) [النبا: 31 - 36]	36	النبا	60
(فَأَنْخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى) [النازعات: 25]	25	النازعات	61

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم.

- اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، د. محمد نور الدين المنجد، دار الفكر- دمشق، الطبعة الأولى، 2010 م.
- الإنقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة: 1974 م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ط، د.ت.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تج: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: دراسة نظرية تطبيقية، د. عبد الحميد احمد هنداوي، عالم الكتب الحديث ودار جدارا- الأردن، ط1، 2008 م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر التحاسن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت 338هـ)، عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ.
- إعراب القرآن المنسوب خطأ للزجاج، أبو الحسن نور الدين علي بن الحسين بن علي، جامع العلوم الأصفهاني الباقولي (ت 543هـ)، تج: إبراهيم الإباري، دار الكتاب المصري - القاهرة ودار الكتب اللبنانية - بيروت، الطبعة الرابعة - 1420 هـ.
- الإكسير في علم التفسير، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي (ت 710هـ)، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 2009 م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات، كمال الدين الانباري (ت 577هـ)، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى 1424هـ- 2003 م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ.

- البحر الخبيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسى (ت 745هـ)، تحقيق: صدقى محمد جليل، دار الفكر - بيروت، الطبعة 1420هـ.
- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، د.ط، د.ت.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشى (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1376هـ - 1957م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الرئيسي (ت 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار المداية.
- البيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكברי (ت 616هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوى، مكتبة عيسى البابى الحلبي وشركاه - مصر.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلمونى الحسيني (ت 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري المروي، (ت 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
- التوفيق على مهمات التعريف، زين الدين محمد المدعو بعد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوى القاهري (ت 1031هـ)، عالم الكتب ، عبد الخالق ثروت - القاهرة، الطبعة الأولى، 1990م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملاني، الطبرى (ت 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000م.
- جامع الدراسات العربية، الشیخ: مصطفی بن محمد سليم الغلایینی (ت 1364هـ)، المکتبة العصریة، صیدا - بیروت، الطبعة الثامنة والعشرون، 1414هـ - 1993م.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصارى المخرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م.

- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت 1376هـ)، دار الرشيد - دمشق ومؤسسة الإيان - بيروت، الطبعة الرابعة، 1418 هـ .
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسمّاة: عناية القاضي وكفاية الرأضي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت 1069هـ)، دار صادر - بيروت .
- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت 1206هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1997 .
- خزانة الأدب ولب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1418 هـ - 1997 م .
- المخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة .
- الدر المصنون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم - دمشق .
- دستور العلماء : جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق 12هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2000 م .
- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، البرجاني الدار (ت 471هـ)، تصحيف: محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدنى بالقاهرة - دار المدنى بجدة، الطبعة الثالثة 1413 هـ - 1992 م .
- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلotti، المولى أبو الفداء (ت 1127هـ)، دار الفكر - بيروت .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني = تفسير الالوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي (ت 1270هـ)، تصحيف: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ .
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تصحيف: عبد الرزاق المهدى، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ .

- سنن الترمذى، محمد بن عيسى بن مسورة بن موسى بن الضحاك، الترمذى، أبو عيسى (ت 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) و محمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي - مصر، الطبعة الثانية، 1395 هـ - 1975 م.
- السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أَحْمَدُ بْنُ شَعِيبٍ بْنُ عَلِيٍّ الْخَرَاسَانِيُّ، النسائي (ت 303هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، 1986 - 1406.
- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمданى المصرى (ت 769هـ)، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، الطبعة العشرون 1400 هـ - 1980 م.
- شرح ابن الناظم على الفية ابن مالك، بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك(ت 686هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 2000.
- شرح الأشموني على الفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعى (ت 900هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 1419هـ- 1998 م.
- شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذى(ت 686هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط 2، 2007.
- شرح المفصل للزغشري، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي(ت 643هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 2001.
- الصاحبى فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها، أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ بْنُ زَكْرِيَّاءَ الْقَزوِينِيِّ الرَّازِيِّ، أبو الحسين (ت 395هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1418هـ- 1997 م.
- الفائق فى غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمد بن عمر بن أَحْمَدَ، الزغشري جار الله (ت 538هـ)، تحرير: علي محمد البجاوى و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - لبنان، الطبعة الثانية، د.ت.
- الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية العشر، رانيا عحفوظ الورفلி، منشورات جامعة قاريونس- ليبية، الطبعة الأولى، 2008 م.

فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ)، تحرير: عبد الرزاق المهدى، إحياء التراث العربى، الطبعة الأولى 1422هـ - 2002م.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية، تحقيق لجنة التراث، مكتبة الهملا - بيروت، د.ط. د.ت.

القاموس الفقهي لغة وأصطلاحاً، الدكتور سعدى أبو حبيب، دار الفكر - دمشق - سوريا، الطبعة الثانية 1408هـ - 1988م.

القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ)، تحرير: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، 1426هـ - 2005م.

كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريفي البرجاني (ت 816هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1403هـ - 1983م.

الكتاب، عمرو بن عثمان بن قبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيويه (ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الحاخامي - القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1988م.

كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن نعيم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهملا.

الكشف عن حقائق غواضن التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 535هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - 1407هـ.

الكلبات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبوبن موسى الحسيني القربي الكفوبي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، تحقيق: عدنان دروش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.

اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت 711هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - 1414هـ.

مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المشتى التيمي البصري (ت 209هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سرگیان، مكتبة الحاخامي - القاهرة، طبعة سنة: 1381هـ.

- محاسن التأويل=تفسير القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الخلاق القاسمي (ت 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبعة 1420هـ - 1999 م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسى الحاربى (ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ.
- مختصر في قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم - دار ابن عفان، الطبعة الأولى 2005م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمد حافظ الدين النسفي (ت 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدبوى، راجعه وقدم له: عبى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب- بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- المسند الصحيح المختصر ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري اليسابوري (ت 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسى القيروانى ثم الأندلسى القرطبي المالكى (ت 437هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، 1405 هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، عبى السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعى (ت 510هـ)، تج: عبد الرزاق المهدى، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ، 1420 هـ.
- معاني الأبنية، د. فاضل السامرائي، بغداد، ط 1.
- معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت 215هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الحاخامي - القاهرة، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1990 م.

- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاشي و محمد علي النجار و عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة الأولى.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت 311هـ)، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.
- معاني النحو، د. فاضل السامرائي، مطبعة الجامعة، ط. ١.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن ذكرياء الفرزوفي الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر - دمشق، 1399هـ - 1979 م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - 1420 هـ.
- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم عمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الملال - بيروت، الطبعة الأولى، 1993.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى - 1412 هـ.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ، الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، (ت 790هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين وزملائه، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 2007.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكابر الشمالي الأزدي المعروف بالمرد (ت 285هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب - بيروت.
- الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت 1417هـ)، دار الفكر - بيروت - لبنان، الطبعة : 1424هـ - 2003 م.
- النحو الوافي، عباس حسن (ت 1398هـ)، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.

- النكت في تفسير كتاب سيبويه، يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشتمري (ت 476هـ)، تحقيق: مجدى مراد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 2005.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979 م
- مع الموامع في شرح جمع الجواamus، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوى، المكتبة التوفيقية - مصر.

الابتكار اللغوي في الخطاب القرآني

عند الطاهر بن عاشور

دراسة في المفهوم والمرجعيات

الحمد لله رب العالمين على عظيم نعمه، والصلوة والسلام على أحسن خلقه
سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الميمين..

يعالج هذا البحث موضوعة لغوية نقدية تجلت في فكر الشيخ الطاهر بن عاشور الذي يعد من أهم مفسري القرآن الكريم في القرن العشرين، وهي نظرية الابتكار في لغة القرآن الكريم، ولأجل الكشف عن ملامح هذه النظرية ومعالمها الرئيسية، انقسم البحث على ثلاثة محاور، عرّفت في المحور الأول بالشيخ الطاهر بن عاشور تعريفاً موجزاً، ودرست في المحور الثاني مفهوم الابتكار عند الشيخ الطاهر، وتناولت في المحور الثالث مظاهر الابتكار اللغوي في القرآن الكريم كما تجلّت في تفسير التحرير والتنوير، والتي تمثلت ب نوعين؛ ضم النوع الأول صوراً الابتكار اللغوي العامة في القرآن الكريم، في حين ضم النوع الثاني صوراً الابتكار اللغوي الخاصة، ثم ختمت البحث بخاتمة اشتملت على أهم ما توصل إليه البحث.

وُلد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في الزيتونة بتونس سنة (1879م)، في أسرة علمية عرقية تنتد أصولها إلى بلاد الأندلس¹. وحفظ الطاهر القرآن الكريم، وتعلم اللغة الفرنسية، والتحق بجامع الزيتونة سنة (1892م) وهو في الرابعة عشرة من عمره، فدرس العلوم التي تدرس في الزيتونة ونبغ فيها، وأظهر همة عالية في التحصيل، وساعدته على ذلك ذكاؤه النادر والبيئة العلمية الدينية التي نشأ فيها. تخرج الطاهر في

1 ينظر: المعجم الجامع في تراجم المعاصرين : 129.

الزيتونة عام (1896م) ، والتحق بسلك التدريس في هذا الجامع العريق، ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى عين مدرساً من الطبقة الأولى بعد اجتياز اختبارها سنة (1903م)¹. وقد اختير ابن عاشور في لجنة إصلاح التعليم الأولى بالزيتونة في (1910م) ، وكذلك في لجنة الإصلاح الثانية (1924م) ، ثم اختير شيخاً لجامعة الزيتونة في (1932م) ، كما كان رئيس المفتين المالكيين. وهو من أعضاء الجمعين العربين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة²؛ من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) وتفسير (التحرير والتنوير)، و(الوقف وأثاره في الإسلام) و(أصول الإنشاء والخطابة) و(موجز البلاغة)، وما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) في أربعة أجزاء. كما كان له إسهامات علمية وثقافية في المجالات³.

أحدثت آراؤه نهضة في علوم الشرعية والتفسير والتربية والتعليم والإصلاح، وكان لها أثراً بالغاً؛ فقد كان الطاهر بن عاشور عالماً مصلحاً مجدداً، لا يستطيع الباحث في شخصيته وعلمه أن يقف على جانب واحد فقط، إلا أن القضية الجامعية في حياته وعلمه ومؤلفاته هي التجديد والإصلاح من خلال الإسلام وليس بعيداً عنه، ومن ثم جاءت آراؤه وكتاباته ثورة على التقليد والجمود وثورة على التسيب والضياع الفكري والحضاري⁴.

بعد الطاهر بن عاشور من كبار مفسري القرآن الكريم في العصر الحديث، ولقد احتوى تفسيره للتحرير والتنوير على خلاصة آرائه الاجتهادية والتجددية؛ إذ استمر في هذا التفسير ما يقرب من خمسين عاماً، وأشار في بدايته إلى أن تفسيره احتوى أحسن ما في التفاسير، وأحسن مما فيها ، قال: ((فَيَوْمَ أَخْسَنَ مَا فِي التَّفَاسِيرِ، وَفَيَوْمَ أَخْسَنَ مِمَّا فِي

1. ينظر: نفسه : 129.

2. ينظر: الأعلام : 6 / 174 ، والوفيات والأحداث: 209.

3. ينظر: الأعلام : 6 / 174 ، والوفيات والأحداث: 209.

4. ينظر: المعجم الجامع في تراجم المعاصرين : 130.

التقاسير))¹. وتفسير التحرير والتنوير في حقيقته تفسير بلاغي، اهتم فيه بدقائق البلاغة في كل آية من آياته، وأورد فيه بعض الحقائق العلمية ولكن باعتدال ودون توسيع أو إغراق في تفريعاتها ومسائلها².

وقد توفي الطاهر بن عاشور سنة (1973م) بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والإصلاح الفكري والتربوي والتجديد³.

مفهوم الابتكار عند الشيخ الطاهر:

خصص الطاهر بن عاشور في الجهة الثالثة من الجهات التي يرجع إعجاز القرآن إليها جزءاً من حديثه لما اصطلاح عليه بـ(مبتكرات القرآن)، وقد ذكر فيه مجموعةً من تلك المبتكرات اللغوية القرآنية، وفيه تحدث عن بعض الأساليب المبتكرة الرئيسة مما تنطوي تحته صور جزئية وأمثلة فرعية يمكن لمن أراد أن يتعمق نظائرها في القرآن الكريم الرجوع إليها، وقد كشف الشيخ الطاهر عن عدد من تلك الأساليب-أو كما عبر عنها هو بالطرايق المبتكرة في التعبير- في تفسيره ، وسيقف البحث هنا على مفهوم الابتكار والمبتكر عند الطاهر بن عاشور؛ من أجل تحديد الرؤية التي سار بها في معالجته للموضوع، لغرض معرفة المعيار الذي في ضوئه جعل من ذلك اللفظ أو التركيب مبتكراً، ثم سيعرض البحث لأهم الأساليب والألفاظ التي وصفها الطاهر بن عاشور بالابتكار اللغوي. وقبل البدء بما قررناه لابد من الإشارة إلى أن الدافع الذي وجه الشيخ الطاهر إلى هذه الفكرة هو هاجسٌ إضافيٌ شيءٌ جديدٌ في ميدان البحث في الإعجاز القرآني عامه ولغوياً منه خاصة، وهذا ما يمكن أن نلمسه في قوله عن المقدمة التي كتبها عن الإعجاز: ((ولعلكَ تجذبُ في هذه المقدمة أصولاً وتكلماً أغفلتها مَنْ تقدّموا مِمْنَ

1 ينظر: التحرير والتنوير: 1 / 8.

2 ينظر: المعجم الجامع في تراث المعاصر: 130.

3 المعجم الجامع في تراث المعاصر: 130.

تكلّموا في إعجاز القرآن مثل الباقلاني، والرماني، وعبد القاهر، والخطابي، وعياض، والسكاكيني، فكتّبوا منها بالمرصاد، وأفلوا عنها كما يُفلّى عن النّار الرّماد¹). فهو ينطلق في عمله في تلك المقدمة من البحث عما أغفله المتقدمون من تكلّموا في الإعجاز القرآني، كما قال في موضع آخر: ((غَيْرَ أَنِي ذَاكِرُ هَذَا أَصْنُو لِتَوَاحِي إِعْجَازِهِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَبِخَاصَّيْهِ مَا لَمْ يَذْكُرْهُ الْأَئِمَّةُ أَوْ أَجْمَلُوا فِي ذِكْرِهِ))². واهتمامه هذا بالإعجاز يعود إلى إيمانه بأنَّ القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنَّها معجزة باقية خالدة³. فلا بد لها من أن تتميز من غيرها، ومرجع هذا التمييز وسر هذا الإعجاز هو نظم القرآن على نحو يفوق كل النصوص السابقة ويعجز كل من أراد أن يدانه من أصحاب النصوص اللاحقة. وقد كشفَ عن أهمية خصوصية النص القرآني في كونه معجزاً بقوله: ((وَاعْلَمَ اللَّهُ لَا شَكَ فِي أَنَّ خَصُوصِيَّاتِ الْكَلَامِ الْبَلِيفِ وَدَفَائِقَهُ مُرَادَةً لِلَّهِ تَعَالَى فِي كَوْنِ الْقُرْآنِ مُغْيِزاً وَمَلْحُوظَةً لِلْمُتَحَدِّثِينَ بِهِ عَلَى مَقْدَارِ مَا يَنْلُغُ إِلَيْهِ بَيَانُ الْمُبِينِ))⁴. إنَّ تفكير الشيخ الطاهر في خصوصيات النص القرآني المؤدية إلى اتصافه بصفة الإعجاز قاده إلى البحث في ما وسمه بـ(الجهة الثانية من جهات الإعجاز) الممثلة بما أبدعه القرآن الكريم من أساليب تعبيرية جديدة ليس للعرب، في شعرهم أو نثرهم، تصرُّفت بها؛ قال: ((وَأَمَّا الْجِهَةُ الثَّانِيَةُ: وَهِيَ مَا أَبْدَعَهُ الْقُرْآنُ مِنْ أَفَانِينَ التَّصْرِيفِ فِي أَسَالِيبِ الْكَلَامِ الْبَلِيفِ وَهَذِهِ جِهَةٌ مَفْوَلَةٌ مِنْ عِلْمِ الْبَنَاغَةِ، فَاعْلَمَ أَنَّ أَدْبَرَ الْعَرَبِ تَوْعَانُ شِعْرَ وَثَرَ، وَالثَّرُّ خَطَابَةٌ وَأَسْجَاعُ كُهَانِ، وَأَصْنَابُ هَذِهِ الْأَلْوَاعِ وَإِنَّ تَنَافَسُوا فِي ابْتِكَارِ الْمَعْانِي وَتَفَاؤلُوا فِي تَرَاكِيبِ أَدَائِهَا فِي الشِّعْرِ فَهُمْ بِالشَّيْءِ إِلَى الْأَسْلُوبِ قَدِ التَّرَمُوا فِي أَسْلُوبِيِّ الشِّعْرِ وَالْخَطَابَةِ طَرِيقَةً وَاحِدَةً تَشَابَهَتْ فَتَوَهَّا

1 التحرير والنور: 1 / 101-102.

2 نفسه: 1 / 106.

3 ينظر: نفسه: 1 / 102.

4 نفسه: 1 / 108.

فَكَادُوا لَا يَعْدُونَ مَا الْفُؤُدُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّىٰ إِنَّكَ لَتَحِدُّ الشَّاعِرَ يَخْتُو حَذْوَ الشَّاعِرِ فِي
فَوَاتِحِ الْقَصَائِدِ وَفِي كَثِيرٍ مِنْ تَرَاكِيهَا،...، وَكَذِلِكَ الْقَوْلُ فِي خُطْبَهُمْ ثُكَادُ تَكُونُ لَهُجَةً
وَاحِدَةً وَأَسْلُوبًا وَاحِدًا¹). وَفِي خَضْمٍ بِحَمْنَهُ عَنِ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّماِيزِ بَيْنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
وَكَلَامِ الْعَرَبِ: شِعْرِهِ وَنُثرِهِ اِنْبَثَقَتْ عِنْدَهُ - فِي أَغْلِبِ الظُّنُونِ - فِكْرَةُ الْابْتِكَارِ الْقَرَآنِيِّ، وَمِنْ
ثُمَّ فَهُوَ يَقْرِرُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ جَاءَ عَلَى أَسْلُوبٍ لُغُويٍّ لَا يَعْدُ مِنَ الشِّعْرِ، وَهُوَ قَرِيبٌ
مِنَ النُّثرِ وَلَكِنَّهُ مُتَّمِيزٌ مِنْهُمْ بِمَا اِبْتَكَرَهُ مِنْ أَسَالِيبٍ، قَالَ: ((فَلَمَّا جَاءَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَكُنْ شِعْرًا
وَلَا سَجْعًا كُهَانَ، وَكَانَ مِنْ أَسْلُوبِ التَّثْرِ أَقْرَبَ إِلَى الْحَطَابَةِ، اِبْتَكَرَ لِلْقَوْلِ أَسَالِيبٍ كَثِيرَةً
بَعْضُهَا تَسْتَوِعُ بِتَنْوِعِ الْمَقَاصِدِ، وَمَقَاصِدُهَا يَتَنَوِعُ أَسْلُوبُ الْإِشَاءِ، فِيهَا أَفَانِينٌ كَثِيرَةٌ فَيَجِدُ
فِيهِ الْمُطْلِعُ عَلَى لِسَانِ الْعَرَبِ بُعْثَيْتَهُ وَرَعْبَتَهُ))². وَهَكُذا أَخْذَتْ فِكْرَةُ الْابْتِكَارِ الْلُّغُويِّ
تَرْسُخُ فِي فَكِّ الشَّيْخِ الطَّاهِرِ بْنِ عَاشُورٍ؛ فَأَخْذَ يَرْسُمُ مَلَامِعَهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ شِيَّئًا
فَشِيَّئًا، مُبِينًا مَرَّةً أُخْرَى أَنَّهُ كَلَامٌ مُتَشَوِّرٌ فَاقَ مَا جَاءَ مِنَ النُّثرِ عَلَى الْأَسْنَةِ الْفَصَاحَاءِ وَالْبَلْغَاءِ
وَأَنَّ طَبِيعَتِهِ مُتَشَوِّرًا غَايَةً إِعْجَازِيَّةً مُتَمَثَّلَةً فِي أَنَّهُ جَاءَ بِشَكْلِ تَعْبِيرِيٍّ مَالَوْفٌ لِمَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ،
قَالَ: ((فَجَاءَ الْقُرْآنُ كَلَامًا مُتَشَوِّرًا وَلَكِنَّهُ فَاقَ فِي فَصَاحَتِهِ وَسَلَاسِتِهِ عَلَى الْأَسْنَةِ وَتَوَافُقِ
كَلِمَاتِهِ وَتَرَاكِيهِ فِي السَّلَامَةِ مِنْ أَقْلَلِ ثَنَافِرٍ وَتَعَثُّرٍ عَلَى الْأَلْسِنَةِ). فَكَانَ كَوْنُهُ مِنَ التَّثْرِ دَاخِلًا
فِي إِعْجَازِهِ)³. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ جَاءَ مُتَشَوِّرًا - كَمَا هُوَ شَأنُ كَلَامِهِمْ
- إِلَّا أَنَّهُ يَقْبَلُ مُعْجزًا لَهُمْ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ؛ لَأَنَّهُ اِبْتَكَرَ أَسَالِيبٍ لَمْ يَسْبِقْ لَهُمْ أَنْ عَرَفُوهَا، وَلَمْ
يَكْتُفِ الطَّاهِرُ بِهَذَا، بَلْ رَاحَ يُعْلِلُ سَبَبَ هَذَا التَّنْوِيعِ فِي اِسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَسَالِيبٍ
عَرَفَتْهَا الْأَسْنَةُ فَصَاحَانِهِمْ مَرَّةً، وَاسْتِعْمَالُ أَسَالِيبٍ أُخْرَى لَمْ يَعْرُفُوهَا مَرَّةً أُخْرَى، قَالَ: ((وَقَدْ
اِشْتَمَلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَنْوَاعِ أَسَالِيبِ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ)، وَابْتَكَرَ أَسَالِيبٍ لَمْ يَكُنُوا يَعْرُفُونَهَا.
وَإِنَّ لِذَلِكَ التَّنْوِيعَ حِكْمَتَيْنِ دَاخِلَتِينِ فِي الإِعْجَازِ: أَوْلًا هَمَا ظَهُورُ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِذْ قَدْ

1 التحرير والتنوير: 1 / 113-114.

2 نفسه: 1 / 114.

3 نفسه: 1 / 115.

تَعَارَفَ الْأَدَبَاءُ فِي كُلِّ عَصْرٍ أَن يَظْهَرَ بُوغُنْ تَوَابِعِهِمْ عَلَى أَسَالِيبٍ مُخْتَلِفَةٍ كُلُّ يُجِيدُ أَسْلُوبًا أَوْ أَسْلُوبَيْنِ. الْثَّانِيَةُ أَن يَكُونُ فِي ذِلِكَ زِيَادَةُ التَّحْدِيِّ التَّحْدِيِّيِّ بِمِنْهِ بِحِيثُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَن يَقُولَ إِن هَذَا الْأَسْلُوبُ لَمْ يُسْبِقْ لِي مُعَالَجَتَهُ وَلَوْ جَاءَنَا بِأَسْلُوبٍ آخَرَ (عَارَضَتْهُ).¹ وَمَا سَبَقَ نَرِيَ أَن فِكْرَةُ الْابْتِكَارِ الْلُّغُوِيِّ فِي الْخَطَابِ الْقُرْآنِيِّ ارْتَبَطَتْ بِالْبَحْثِ فِي الْإِعْجَازِ إِلَيْهِ تَعُودُ وَمِنْهُ انبَثَقَتْ وَتَبَلُّورَتْ، فَهِيَ وَجْهَةُ مِنْ وَجْهِهِ وَمَلْمَحٌ مِنْ مَلَامِعِهِ تَؤَكِّدُ حَقِيقَةً أَنَّ الْقُرْآنَ مُعِجزٌ وَأَنَّ هَذَا الْإِعْجَازَ مُسْتَمِرٌ عَلَى تَعْاقِبِ السَّنَنِ، وَمِنْ ثُمَّ، فَهُوَ لَيْسُ مِنْ نَتْاجِ الْبَشَرِ؛ لَأَنَّهُ جَاءَ بِاسَالِيبٍ جَدِيدَةٍ وَمُبْتَكَرَةٍ، لَيْسَ مِنْ وَسْطِ إِنْسَانٍ مَهْمَماً بَلَغَتْ فَصَاحَّتَهُ وَعَلَا كَعْبَةُ فِي الْبَلَاغَةِ. فَهُوَ يَرَى أَنَّ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ مُنْفَرَدٌ بِجِدْلِهِ أَسْلُوبِهِ وَتَعْدُدِ دَلَالَاتِهِ وَوَفْرَتِهِ وَأَنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ تَأْلِفْهُ الْعَرَبُ فِي كَلَامِهِا، وَلَعِلَّ مِنْ أَوْضَعِ الإِشَارَاتِ إِلَى ذَلِكَ مَا نَجَدَهُ فِي قَوْلِهِ: ((إِنَّ نَظَمَ الْقُرْآنَ مِبْنَيٌ عَلَى وَفْرَةِ الْإِفَادَةِ وَتَعْدُدِ الدَّلَالَةِ، فَجُمِلَ الْقُرْآنُ لَهَا دَلَالَتَهَا الْوَضْعِيَّةُ الْتُّرْكِيَّيَّةُ الَّتِي يُشارِكُهَا فِيهَا الْكَلَامُ الْعَرَبِيُّ كُلُّهُ، وَلَهَا دَلَالَتَهَا الْبَلَاغِيَّةُ الَّتِي يُشارِكُهَا فِي مُجْمَلِهَا كَلَامُ الْبَلَاغَاءِ وَلَا يَصِلُّ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِمْ إِلَى مَبْلَغِ بَلَاغَتِهَا. وَلَهَا دَلَالَتَهَا الْمَطْرُوَّةُ وَهِيَ دَلَالَةُ مَا يُذَكَّرُ عَلَى مَا يُقَدِّرُ اعْتِمَادًا عَلَى الْفَرِينَةِ، وَهَذِهِ الدَّلَالَةُ قَلِيلَةٌ فِي كَلَامِ الْبَلَاغَاءِ وَكَثِيرَتْ فِي الْقُرْآنِ مِثْلُ تَقْدِيرِ الْقَوْلِ وَتَقْدِيرِ الْمَوْصُوفِ وَتَقْدِيرِ الصَّفَةِ،...، وَهَذِهِ الدَّلَالَةُ لَا تَائِي فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لِقَصْرِ أَغْرَاضِهِ فِي قَصَائِدِهِمْ وَخُطُوبِهِمْ بِخَلَافِ الْقُرْآنِ، فَلَئِنْ لَمَّا كَانَ مِنْ قَبْلِ الشَّذِيرِ وَالثَّلَاؤَةِ سَمِحَتْ أَغْرَاضُهُ بِالْإِطَالَةِ، وَبِتِلْكَ الْإِطَالَةِ تَائِي تَعْدُدُ مَوَاقِعِ الْجُمَلِ وَالْأَغْرَاضِ).² فَكَلَامُهُ فِي هَذَا النَّصَّ يَكْشِفُ عَنْ تَوْجِهِهِ إِلَى الْمَوازِنَةِ بَيْنَ النَّصَّ الْقُرْآنِيِّ وَكَلَامِ الْعَرَبِ لِلْوَقْوفِ عَلَى خَصَائِصِ تَفَرِّدِهِ وَإِعْجَازِهِ، فَهُوَ يَرَى أَنَّ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ اشْتِراكِهِ فِي أَشْيَاءِ مَعْ كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ مُخْتَلِفٌ فِي وَفْرَةِ دَلَالَاتِهِ وَقُوَّةِ بَلَاغَتِهِ الَّتِي لَا يَصْلُحُ إِلَيْهَا كَلَامُ الْعَرَبِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ فَصَاحَّتِهِ، وَكَثِيرَةٌ

1. نفسه: 115.

2. نفسه: 110.

حدوشه مما يكسبه عمقاً في الدلالة وسعة فيها، وإن هذا إنما جاء لما أراده الله سبحانه وتعالى لكتابه من أن يكون كتاباً للتنذير والتلاوة. إن فكرة استمرار إعجاز القرآن الكريم، على الرغم من تقادم العصور التي أنزل فيها، فكرةٌ تبناها بعضُ العلماء من السابقين، كما في نقل الزركشي عن حازم القرطاجي: ((وقال حازم في منهاج البلغاء: وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه في جميع أخانها في جميعه استمرا لا يوجد له فترة، ولا يقدر عليه أحد من البشر. وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أخانها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود، ثم تعرض الفترات الإنسانية، فينقطع طيب الكلام ورونقه، فلا تستمر بذلك الفصاحة في جميعه، بل توجد في تفاصيق وأجزاء منه))¹.

يستند مفهوم الابتكار في اللغة القرآنية عند الشيخ الطاهر بن عاشور، إلى المعنى اللغوي للفظ (الابتكار)؛ فهو مأخوذ من الفعل الثلاثي المجرد (بكر)، ويدو من العودة إلى المعجمات العربية أن دلالته ترتبط بالأول من كل شيء، وقد يكون هذا المعنى أطلق أول الأمر على ما هو مادي كإطلاق اسم البكر على الطفل الأول، وعلى المرأة العذراء التي لم يمسنها رجل، كما يطلقونه على أول النهار، إذ يسمونه (بكرة)، ويسمون الخروج فيه بالإبكار، قال الخليل: ((البكرُ من الإبل: ما لم ينزل بعد، والأئشى بكرة،....، والبكرُ: التي لم تمس من النساء بعد. والبكرُ: أول ولد الرجل غلاماً كان أو جارية،....، والبكرُ من كل شيء: أوله ،....، والتباكيُ والبكورُ والابتكارُ: المضي في ذلك الوقت. والإبكارُ: السيرورة فيه))². وأضاف ابن دريد أن البكر هو ((الفقي من الإبل وجمعه: بكار، وبكاراة. وقال أبو الهيثم: العرب تسمى التي ولدت بطننا واحداً يكرأ بولدها الذي

1 البرهان في علوم القرآن: 2 / 101، وينظر: الاتقان في علوم القرآن: 4 / 10، ومعنک الأقران : 1 / 24، وأسرار ترتيب القرآن: 22، وملحق منهاج البلغاء: 389-390.

2 العين: 5 / 364 – 365. وينظر: جهرة اللغة: 1 / 326، والصحاح: 2 / 596-597، ولسان العرب: 4 / 76، والمصاحف المني: 1 / 58، والقاموس المحيط: 353-354.

يُبَتَّكِرُ بِهِ. وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا بَكْرٌ مَا لَمْ تَلِدْ... وَالْبَكْرَةُ مِنَ الْغَدَاءِ يُجْمِعُ بُكْرًا وَابْكَارًا...، وَالْبَكُورُ، وَالْبَكِيرُ: الْخُرُوجُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَالْبَكَارُ: الدُّخُولُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَيُقَالُ: بَاكَرْتُ الشَّيْءَ إِذَا بَكَرْتَ لَهُ... وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: (مَنْ بَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَابْتَكَرَ فَلَهُ كَذَا)¹ فَمَعْنَى بَكَرَ: خُرُوجٌ إِلَى الْمَسْجِدِ بَاكِرًا، وَمَعْنَى ابْتَكَرَ: أَدْرِكَ أُولَى الْخُطُوبَةِ. وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ فِي قَوْلِهِ: مَنْ بَكَرَ وَابْتَكَرَ إِلَى الْجُمُعَةِ، تَفْسِيرُهُ عِنْدَنَا: مَنْ بَكَرَ إِلَى الْجُمُعَةِ قَبْلَ الْأَذَانِ، وَإِنْ لَمْ يَأْتِهَا بَاكِرًا فَقَدْ بَكَرَ، وَإِنَّمَا ابْتَكَارَهَا فَإِنْ تَدْرِكَ أُولَى وَقْتَهَا²). وَبَيْنَ أَبْنَى فَارِسَ أَنَّ (بَكَر) أَصْلُ وَاحِدٍ يَتَفَرَّغُ إِلَى مَعْنَى، وَهَذَا الأَصْلُ يَدْلُلُ عَلَى أُولَى الشَّيْءِ وَبِدُوءِهِ، وَمِنْ مَعَانِيهِ: ((الْبَكْرَةُ وَهِيَ الْغَدَاءُ، وَالْجَمْعُ الْبَكْرُ). وَالْبَكِيرُ وَالْبَكُورُ وَالْبَكِيرَةُ: الْمُضِيُّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ)³. وَقَالَ أَبْنَى مَنْظُورٍ: ((وَقَدْ ابْتَكَرْتُ الشَّيْءَ إِذَا اسْتَوَيْتُ عَلَى بَاكُورَتِهِ. وَابْتَكَرَ الرَّجُلُ: أَكْلَ بَاكُورَةَ الْفَاكِهَةِ، ...، وَكُلُّ مَنْ أَسْرَعَ إِلَى شَيْءٍ، فَقَدْ بَكَرَ إِلَيْهِ. وَابْتَكَرَ: أَدْرِكَ الْخُطُوبَةَ مِنْ أُولَاهَا، وَهُوَ مِنَ الْبَاكُورَةِ. وَأَوْلُ كُلُّ شَيْءٍ: بَاكُورُهُ...، وَفِي الْحَدِيثِ: (كَانَتْ ضَرَبَاتُ عَلَيِّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَبْكَارًا إِذَا اعْتَلَى قَدْ إِذَا اعْتَرَضَ قَطًّا)؛ وَفِي رِوَايَةِ: (كَانَتْ ضَرَبَاتُ عَلَيِّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُبْتَكَرَاتٍ لَا عُونًا)⁴ أَيْ أَنَّ ضَرَبَتِهِ كَانَتْ بَكَرًا يَقْشِلُ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا لَا يَحْتَاجُ إِنْ يُعِيدَ الضَّرَبَةَ ثَانِيًّا)).⁵ وَقَالَ الفِيروزَابَادِيُّ: ((وَبَكَرَ عَلَيْهِ، وَإِلَيْهِ، وَفِيهِ بَكُورًا، وَبَكَرَ وَابْتَكَرَ وَابْكَرَ، وَبَاكَرَةً: أَتَاهُ بَكْرَةً،

1 في: مستند أحد: 26 / 83، بلفظ آخر، فيه: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فَعَسَلَ أَحَدُكُمْ رَأْسَهُ، وَاغْشَلَ، ثُمَّ غَدَا أَوْ ابْتَكَرَ، ثُمَّ دَنَا فَاسْتَمَعَ، وَالْمُصَنَّعُ، كَانَ لَهُ بَكْلُ خَطْوَاتِهِ، كَصِيَامُ سَنَةٍ، وَقِيَامُ (2) سَنَةٍ. وفي: المعجم الكبير للطبراني 1 / 216 : عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَنْ عَسَلَ وَاغْشَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ غَدَ، أَوْ رَاحَ، أَوْ ابْتَكَرَ، ثُمَّ دَنَا وَالْمُصَنَّعُ وَاسْتَمَعَ، كَانَ لَهُ بَقْدَرٌ كُلُّ خَطْوَةٍ يَخْطُرُهَا كَأَخْرِي قِيَامُ سَنَةٍ، وَصِيَامُ سَنَةٍ)

2 تهذيب اللغة: 10 / 127-128.

3 مقاييس اللغة: 1 / 287.

4 الحديث بهذا اللفظ في: غريب الحديث للخطابي: 3 / 321، وغريب الحديث لابن الجوزي: 1 / 84، وال نهاية في غريب الحديث والأثر: 1 / 149.

5 لسان العرب: 4 / 77 - 81.

وكلُّ من باذَرَ إِلَى شَيْءٍ: فقد ابْكَرَ إِلَيْهِ فِي أَيِّ وَقْتٍ كَانَ. وَيَكْرُرُ وَيَكْرِرُ: قَوِيٌّ عَلَى الْبَكُورِ)¹. وفي تاج العروس: ((و) من المجاز: (ابتكر) الرجل، إذا (أدركَ أوَّلَ المخطبة). وعبارة الأساس: وابتكر الخطبة: سَمِعَ أَوْلَاهَا؛ وَهُوَ مِن الباكورة. (و) من المجاز: ابتكر، إذا (أكلَ باكورة الفاكهة)، وأصلُ الابتكار الاستيلاء على باكورة الشيءِ. وأولُ كلِّ شيءٍ: بـبـاكـورـةـهـ)². وبيدو من كلام الشيخ الطاهر بن عاشور أنه يشترط في المبتكر القرآني أن يكون أول استعماله في القرآن الكريم، أي أن لا يكون وارداً في شعر العرب أو نثرهم قبل الإسلام ولذلك نجد يؤكد أنه لم يوجد نظائر لهذا المبتكر في كلام العرب، قال: ((وَلَمْ أَظْفَرْ، فِيمَا حَفِظْتُ مِنْ غَيْرِ الْقُرْآنِ، بِأَهْمَّهَا كَانَتْ مُسْتَعْمَلَةً عِنْدَ الْعَرَبِ، فَلَعْلَهَا مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ))³. وقال: ((وَلَمْ يَذْكُرُوا مِنْهُ شَيْئاً وَقَعَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَهُوَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ))⁴. وستقف في البحث على عبارات أخرى مشابهة تؤكد هذا الفهم. ومن المهم أن نذكر أنَّ ما وسمَهُ الشيخ الطاهر بالابتكار متنوعٌ من حيث البنية، كما أنَّ الأسباب التي تؤدي إلى هذا الوصف مختلفةٌ هي الأخرى؛ فقد يكون لفظاً مفرداً تقلُّلَ القرآنُ الْكَرِيمُ دلالَتَهُ إِلَى دلالَةٍ جَدِيدَةٍ غير مسبوقةٍ في كلام العرب، وقد يكون عبارةً غيرَ مستعملة سابقاً وها دلالَةٍ جديدةً أيضاً، أو أنها مستعملة على نحوٍ فنيٍّ وبلاجيٍّ لم يسبق للعرب أن عرفته، كما في بعض الأمثلة التي سنقف عليها وكما في بعض الأمثال القرآنية التي رأى الشيخ الطاهر أنها مما لم يعهدَهُ العرب، وقد يكون جملةً موجزةً ذات دلالَة حَكَميَّةً جامعةً تجربِيَّاً مجرِّيَ المثل. ولا بدَّ من الإشارة هنا إلى أنَّ الابتكارَ من المصطلحات التي تُستعمل في ميدان النقد الأدبي، ويحمل غالباً على ما لا يمكن تقليله، بل إنَّ الابتكارَ والتقليلَ عند بعض المختصين بالنقد الأدبي طرقاً

1 القاموس المحيط: 353-354، وتاج العروس: 10 / 236.

2 تاج العروس: 10 / 241-246. وينظر: أساس البلاغة: 1 / 72، والمغرب في ترتيب العرب: 340.

3 التحرير والتنوير: 4 / 83.

4 نفسه: 17 / 62.

نقيس¹. ويمتاز النصُّ الذي يتصف بالابتكار أو الاختراع بالأصلية التي تنتج من توافر عنصرين هما عمق الإحساس – وهذا يكون في ميدان الشعر طبعاً- والعنصر الثاني استقلال التعبير وتميزه². وفي ضوء المنهج الذي اتخذه الشيخ الطاهر لعرض موضوع المبتكرات اللغوية في القرآن الكريم وطريقته في تناولها يمكننا ان نقسم مظاهر الابتكار في اللغة القرآنية – كما فهمها الشيخ الطاهر – على قسمين، وسنقوم بعرضهما على النحو الآتي:

القسم الأول؛ وفيه عالج مجموعة من الأساليب اللغوية التي يمكن أن نصفها بالعامة، لأنها مبتكرات تعمُّ أسلوب القرآن جمِيعه ولا تخصّ لفظاً منه بعينه أو آيةً محددة أو نصّاً خصوصاً، وهذا الأمر نابع – كما سبقت الإشارة – من توجُّهه، إلى جَمْعِ كُلِّ ما يؤيُّد قضية الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، ومن هنا فقد عرَضَ الطاهر مجموعَةً من الأشكال التعبيرية الرئيسة التي ميَّزَتْ نَظَمَ القرآنِ مِنْ بقِيَةِ كلامِ العربِ، والأساطير الأسلوبية الجديدة التي وسَّمت النص القرآني بِسِمْهَا، فكان مُخْلِفاً، ومن ثُمَّ، كان نصًا مبتكراً متميِّزاً. وسنقف في هذا الجزء من البحث على تلك المبتكرات التي تشمل ظواهرَ أساسية وكبيرة ، قام عليها بناء النص القرآني الكريم، فأضافت عليه طابع الابتكار والتفرد والإعجاز. نصُّ الشيخ الطاهر على أنَّ للقرآن مبتكراتٌ تُميِّزُ بها، قال: ((هَذَا وَلِلْقُرْآنِ مُبْتَكِرَاتٌ تُميِّزُ بَهَا نَظَمَةٌ عَنْ بَقِيَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ))³. وفي ما يأتي يقف البحث على تلك الأساليب الرئيسة التي تتصف بصفة الابتكار، والسبب الذي دعا الشيخ الطاهر إلى وصفها بهذا الوصف، موازنين بعد ذلك بين كلامه عليها من جهة وما قاله العلماء السابقون فيها من جهة أخرى، للكشف عن مدى الجدة في أقواله ومرجعياته في ما ذهب إليه.

1 ينظر: الابتكار في الأدب والفنون: 29، 31.

2 ينظر: ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر: 81-82.

3 التحرير والتنوير: 1 / 120.

1. يرى الطاهر بن عاشور أنَّ من القرآن الكريم ابتكر أسلوبه الخاص به في مبناه العام؛ إذ جاء القرآن على أسلوب مختلف عن أسلوب الشعر والثر آنذاك، قال: ((إِنَّهُ جَاءَ عَلَىٰ أَسْلُوبٍ يُخَالِفُ الشِّعْرَ لَا مَحَالَةً، وَقَدْ تَبَّأَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ الْمُتَقْدِمُونَ، وَأَنَا أَضْمُ إِلَىٰ ذَلِكَ أَنَّ أَسْلُوبَهُ يُخَالِفُ أَسْلُوبَ الْخَطَابَةِ بِغَضْنِ الْمُخَالَفَةِ))¹. وقد أرجع سبب هذا الاختلاف إلى أنَّ القرآن كتاب حفظ وتلاوة وأنَّ هذا من وجوه إعجازه؛ لأنَّ الطريقة التي بني عليها طريقة مبتكرة، قال: ((جَاءَ بِطَرِيقَةِ كِتَابٍ يُقصَدُ حِفْظَهُ وَتَلَاوَتُهُ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ إِعْجَازِهِ إِذَا كَانَ نَظَمُهُ عَلَىٰ طَرِيقَةِ مُبْتَكَرَةٍ لَيْسَ فِيهَا اتِّباعٌ لِطَرَائِقِهَا الْقَدِيمَةِ فِي الْكَلَامِ))². وما ذهب إليه الطاهر هنا بخلاف له مصادر سابقة عند بعض علماء الإعجاز السابقين؛ فقد أشار بعض القدماء إلى أنَّ القرآن جنس مختلف عن الشعر والخطابة، ومن ذلك قول الباقلاني: ((وَنَظَمَ الْقُرْآنَ جِنْسًا مُتَمِيزًا، وَأَسْلُوبًا مُتَخَصِّصًا، وَقَبِيلٌ عَنِ النَّظَيرِ مُتَخَلِّصٌ))³. ومنه ما ورد في قول القاضي عياض: ((الْوَجْهُ الثَّانِي مِنْ إِعْجَازِهِ صُورَةُ نَظَمِهِ الْعَجِيبِ وَأَسْلُوبِ الْغَرِيبِ الْمُخَالِفِ لِأَسَالِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَمَنَاهِجِ نَظَمِهَا وَثَرَّهَا الَّذِي جَاءَ عَلَيْهِ وَوَقَتَ مَقَاطِعُ آيِهِ وَاتَّهَتْ فَوَاصِلُ كَلِمَاتِ إِلَيْهِ وَلَمْ يُوجَدْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ نَظِيرٌ لَهُ وَلَا اسْتِطَاعَ أَحَدٌ مُمَائِلَةً شَيْءًا مِنْهُ بَلْ حَارَتْ فِيهِ عَقُولُهُمْ وَنَدَلَّهُنَّ دُونَهُ أَخْلَامُهُمْ وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى مَثَلِهِ فِي جِنْسِ كَلَامِهِمْ مِنْ ثُرِّ أَوْ نَظِيمٍ أَوْ سَجْعٍ أَوْ رَجْزٍ أَوْ شِعْرٍ))⁴. وقال الراغب عن الأسلوب القرآني: ((بالنظم المخصوص صار القرآن قرآناً))⁵. قال القرطبي: ((وَجُوهُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ عَشْرَةً: مِنْهَا النَّظَمُ الْبَدِيعُ الْمُخَالِفُ لِكُلِّ نَظَمٍ مَغْهُودٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَفِي غَيْرِهَا،...، وَمِنْهَا

1. نفسه: 1/120.

2. نفسه: 1/120.

3. إعجاز القرآن للباقلاني: 243.

4. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: 1/264.

5. تفسير الراغب الأصفهاني: 1/44.

الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب¹). ومن ذلك ما نقله الزركشي عن بعضهم من أن الإعجاز في القرآن يعود إلى ((ما فيه من النظم والتالييف والتزسيف وإلى الله خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومما ينافي لأساليب خطاباتهم)).² وقال السيوطي في هذا الباب أيضًا: ((وأسلوبه الغريب مخالفًا لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه، ووقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصل كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له)).³ وبين السيوطي في موضع آخر أن من وجوه إعجاز القرآن تفرده عن الشعر والشعر وأطلق على ذلك اسم: نقض العادة، قال: ((ونقض العادة هو أن العادة كانت جارية بضرورب من الواقع الكلام معروفة منها الشعر ومنها السجع ومنها الخطب ومنها الرسائل ومنها المنشور الذي يدور بين الناس في الحديث فائني القرآن بطريقته مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة وتفوق المؤذون الذي هو أحسن الكلام)).⁴

2. عَدَ الشِّيخُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاصِرٍ مِنْ صُورِ الابتكار فِي الْلُّغَةِ الْقُرْآنِيَّةِ: الجمل التي تدل على معانٍ مفيدةٍ محيرة لا يدخلها الاستدراك أو النقض بوجود الاستثناء، وكأنها جملٌ علمية أو قواعدٌ تشريعية، قال: ((وأعد من ذلك الله جاء بالجمل الدالة على معانٍ مفيدةٍ محيرة، شأن الجمل العلمية والقواعد التشريعية))⁵، ومرجع القول بالابتكار عنده، هنا، أن هذه الجمل في اللغة القرآنية صاغها واضعها باتفاقان؛ فما كان غايتها التخصيص جاء مخصوصاً وما أريد به التقييد ورد مقيداً غير عام،

1 الجامع لأحكام القرآن: 1 / 73.

2 البرهان في علوم القرآن: 2 / 98.

3 معرك الأقران: 1 / 23.

4 الإتقان في علوم القرآن: 4 / 18.

5 التحرير والتنوير: 1 / 120.

واستعمال اللغة على هذا النحو يعد استعمالاً مبتكرًا نسبة إلى ما كان يفعله العرب من قلة اهتمام بالأحوال القليلة والأفراد النادرة، قال: ((فَلَمْ يَأْتِ بِعِوْمَاتٍ شَائِلَهَا التَّخْصِيصُ غَيْرَ مَخْصُوصَةٍ، وَلَا بِمُطْلَقَاتٍ تُسْتَحِقُ التَّقْيِيدُ غَيْرَ مُقَيَّدةٍ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ الْعَرَبُ لِقَلْئَةِ اكْتِرَاهُمْ بِالْأَحْوَالِ الْقَلِيلَةِ وَالْأَفْرَادِ النَّادِرَةِ))¹، وذكر من أمثلة ذلك قوله تعالى: (لَا يَسْتُوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَئِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ) [الشَّافِعِي: 195]، وبين موضع الدقة فيه، قال: ((وَإِذْ قَدْ كَانَ وَجْهُ التَّفَاضُلِ مَعْلُومًا فِي أَكْثَرِ مَوَاقِعِ أَمْثَالِ هَذَا التَّرْكِيبِ، صَارَ فِي الْغَالِبِ أَمْثَالُ هَذَا التَّرْكِيبِ مُسْتَعْمَلَةً فِي مَعْنَى الْكِتَابِ، وَهُوَ التَّعْرِيفُ بِالْمَفْضُولِ فِي ظَرِيفِهِ وَزُهْدِهِ فِيمَا هُوَ خَيْرٌ مَعَ الْمُكَبَّةِ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ هُوَ هَذَا لِظَّهُورِ أَنَّ الْقَاعِدَ عَنِ الْجِهَادِ لَا يُسَاوِي الْمُجَاهِدَ فِي فَضْلِيَّةِ ظُنْرَةِ الدِّينِ، وَلَا فِي ثَوَابِهِ عَلَى ذَلِكَ، فَتَعَيَّنَ التَّعْرِيفُ بِالْقَاعِدِينَ وَتَشَبَّهُ حَالِهِمْ. وَبِهَذَا يَظْهُرُ مَوْقِعُ الْإِسْتِئْنَاءِ بِقَوْلِهِ: غَيْرُ أُولَئِي الضَّرَرِ كَيْلًا يَخْسَبُ أَصْحَابَ الضَّرَرِ أَنَّهُمْ مَفْضُولُونَ بِالتَّعْرِيفِ فَيَخْرُجُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَكْلُفُوهُمْ مَوْنَةً تَقْلِيمُهُمْ وَحَفْظُهُمْ بِلَا جَدْوَى، أَوْ يَظْهُرُوا أَنَّهُمْ مَفْضُولُونَ بِالتَّعْرِيفِ فَتَنْكِسُرُ لِدَلِيلِكَ نُفُوسُهُمْ، زِيادةً عَلَى الْكِسَارِهَا بِعَجْزِهِمْ، وَلَأَنَّ فِي إِسْتِئْنَاهِمِ إِنْصَافًا لَهُمْ وَعُذْرًا بِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا قَادِرِينَ لَمَا قَعُدُوا، فَذَلِكَ الظُّنْنُ بِالْمُؤْمِنِ، وَلَوْ كَانَ الْمَفْضُولُ صَرِيعُ الْمَعْنَى لَمَا كَانَ لِلْإِسْتِئْنَاءِ مَوْقِعٌ. فَاحْفَظُوهُمْ هَذَا فَالِإِسْتِئْنَاءُ مَفْضُولٌ، وَلَهُ مَوْقِعٌ مِنَ الْبَلَاغَةِ لَا يَضُعُ، وَلَوْ لَمْ يَذْكُرُ الْإِسْتِئْنَاءُ لَكَانَ تَجَاوِزُ التَّعْرِيفُ أَصْحَابَ الضَّرَرِ مَعْلَومَاتٍ فِي سِيَاقِ الْكَلَامِ فَالِإِسْتِئْنَاءُ عُذْلُونَ عَنِ الْإِغْتِمَادِ عَلَى الْفَرِيَةِ إِلَى التَّصْرِيفِ بِالْفَظِّ))². وقد ألمح الزمخشي إلى طرفٍ من هذا، قال: ((فَإِنْ قُلْتَ: مَعْلُومٌ أَنَّ الْقَاعِدَ بِغَيْرِ عَذْرٍ وَالْمُجَاهِدَ لَا يَسْتُوِي، فَمَا فَائِدَةُ نَفْيِ الْإِسْتِئْنَاءِ؟ قُلْتَ: مَعْنَاهُ الإِذْكَارُ بِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّفَاوتِ الْعَظِيمِ وَالْبَوْنِ الْبَعِيدِ، لِيَأْنِفُ الْقَاعِدَ وَيَرْتَقِي بِنَفْسِهِ عَنِ الْخَطَاطِ مِنْزِلَتِهِ، فَيَهْزَزُ لِلْجَهَادِ

1. نفس: 120 / 1

2. نفس: 5 / 170

ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته)¹. كما مثلَ بقوله تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ هَوَاءُ
يَعْبُرُ هُدًى مِنَ اللَّهِ) [القصص: 50]، وكشف الشيخ الطاهر عن وجه التحرير في الآية،
قال: ((فَبَيْنَ أَنَّ الْهَوَى قَدْ يَكُونُ مَحْمُودًا إِذَا كَانَ هُوَ الْمَرْءُ عَنْ هُدًى))²، ومنه
قوله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا) [النَّصْر: 2]³، التي قال في تفسير
وجوه التحرير فيها: ((وَتَعْرِيفُ الْإِنْسَانَ تَغْرِيفُ الْجِنِّينَ مُرَادُهُ الْاسْتِغْرَافُ وَهُوَ
اسْتِغْرَافٌ عُرْفٌ الْإِنْسَانِيُّ الْمَوْجُودِينَ فِي زَمْنٍ تُزَوَّلُ الْأَيَّةُ وَهُوَ زَمْنٌ ظُهُورُ الْإِسْلَامِ
،...، وَمَخْصُوصٌ بِالنَّاسِ الَّذِينَ بَلَغُتُهُمُ الدَّعْوَةُ فِي بَلَادِ الْعَالَمِ عَلَى تَقْاوِيْتِهَا. وَلَمَّا
اسْتَبَّنَ مِنْهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بَقَيَ حُكْمُهُ مُتَحَقِّقًا فِي غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ
،...، وَقَدْ دَلَّ اسْتِبَانَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ أَنْ يَكُونُوا فِي خُسْرٍ عَلَى
أَنْ سَبَبَ كَوْنَ بَقِيَّةِ الْإِنْسَانِ فِي خُسْرٍ هُوَ عَدَمُ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ بِدَلَالَةِ مَفْهُومِ
الصَّفَةِ. وَعُلِمَ مِنَ الْمَوْضُولِ أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ هُمَا سَبَبُ اِنْتِفَاءِ إِحْاطَةِ
الْخُسْرِ بِالْإِنْسَانِ))⁴.

3. ومن مظاهر الابتكار الكلية في القرآن الكريم - عند الشيخ الطاهر - أَنَّهُ يُبَيِّنُ على
تقسيم جديد لا عهد للعرب به وهو تقسيمه على السور كما جاء مبوئاً في داخل
كل سورة على نحو جديد ومبتكر أيضاً، فجاء مبنياً على الآيات، قال: ((وَمِنْهَا أَنَّ
جَاءَ عَلَى أَسْلُوبِ التَّقْسِيمِ وَالشَّسْوِيرِ وَهِيَ سَنَةُ جَدِيلَةٍ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ أَذْخَلَ بِهَا
عَلَيْهِ طَرِيقَةَ التَّبَوِيبِ وَالثَّصِيفِ وَقَدْ أَوْمَأَ إِلَيْهَا فِي «الْكَشَافِ» إِيمَاءً))⁴. وإيماءة
الزخشي هذه التي يشير إليها الشيخ الطاهر جاءت في تفسير قوله تعالى: (وَإِنْ كُثِّرَ
فِي رَبِّيْبٍ مِمَّا نَرَأَنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَثْوَرَاهُ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شَهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

1 الكشاف: 1 / 553 - 554.

2 التحرير والتنوير: 1 / 120.

3 نفسه: 30 / 531 - 532.

4 نفسه: 1 / 120.

إِنْ كُتِشْ صَادِقِينَ) (23) [البقرة: 23]، قَالَ الزَّخْشَرِيُّ: ((وَالسُّورَةُ: الطَّافِهَةُ مِنَ الْقُرْآنِ
الْمُتَرْجِهَةُ الَّتِي أَفْلَهَهَا ثَلَاثٌ آيَاتٌ،....، فَانْ قَلْتَ: مَا فَائِدَهُ تَفْصِيلُ الْقُرْآنِ وَتَقْطِيعُهُ
سُورَةً؟ قَلْتَ: لِيَسْتَ الْفَائِدَهُ فِي ذَلِكَ وَاحِدَهُ. وَلِأَمْرٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ التُّورَاهُ وَالْإِنجِيلُ
وَالزَّبُورُ وَسَائِرُ مَا أُوحِيَ إِلَى أَنْبِيَاءٍ عَلَى هَذَا الْمَهَاجُ مَسْوِرَهُ مُتَرْجِهَةُ السُّورَهُ. وَبِوَبَّ
الْمَصْنُوفُونَ فِي كُلِّ فَنِّ كَتَبِهِمْ أَبُوبَابًا مُوشَحَهُ الصَّدُورُ بِالْتَّرَاجِمِ. وَمِنْ فَوَائِدِهِ: أَنَّ الْجِنْسَ
إِذَا انْطَوَتْ تَحْتَهُ أَنْوَاعٌ، وَاشْتَمَلَ عَلَى أَصْنَافٍ، كَانَ أَحْسَنَ وَأَبْنَى وَأَفْخَمَ مِنْ أَنْ
يَكُونَ بِيَانًا وَاحِدًا. وَمِنْهَا أَنَّ الْقَارِئَ إِذَا خَتَمَ سُورَةً أَوْ بَابًا مِنَ الْكِتَابِ ثُمَّ أَخْذَ فِي
آخِرِ كَانَ أَنْشَطَ لَهُ وَأَهْزَ لِعَطْفِهِ، وَأَبْعَثَ عَلَى الدِّرْسِ وَالتَّحْصِيلِ مِنْهُ لَوْ اسْتَمَرَ عَلَى
الْكِتَابِ بِطُولِهِ) ¹. وَقَدْ يَفْهَمُ مِنْ كَلَامِ الزَّخْشَرِيِّ أَنَّ هَذَا الْاسْتَعْمَالُ كَانَ مُوجُودًا
قَبْلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا يَنْقُضُ كُونَهُ مُبْتَكِرًا، وَلَكِنَّا نَرَى أَنَّ الزَّخْشَرِيَّ لَمْ يُرِدِ القَوْلَ إِلَيْهِ
كَانَ مُسْتَعْمَلًا بِلِفَظِ السُّورَةِ بِنَصْهُ وَبِالْبَنَاءِ الَّذِي نَعْهَدُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَكِنَّهُ عَبَرَ
عَنِ ذَلِكَ بِمَا هُوَ مُوْجُودُ فِي الْإِسْلَامِ وَالْمُتَمَثِّلُ بِمَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَالْعَرَبُ قَدِيمًا
اَخْتَذَتْ أَسْمَاءً لِلْبَيْتِ وَلِلْبَيْتَيْنِ فَصَاعِدًا وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوا اسْمَ السُّورَةِ؛ نَقْلُ الْبَاقِلَانِيِّ عَنِ
الْعَرَبِ أَنَّهَا كَانَتْ: ((تَسْمِيَ الْبَيْتَ الْوَاحِدَ يَتِيمًا، وَكَذَلِكَ يَقَالُ : "الدَّرَةُ الْيَتِيمَةُ"
لَا نَفَرَادُهَا، إِذَا بَلَغَ الْبَيْتَيْنِ وَالْمُتَلَقِّيَّةِ فَهِيَ "نَفَةٌ" ، وَإِلَى الْعَشْرَةِ تَسْمِي "قَطْعَةٌ" ، وَإِذَا بَلَغَ
الْعَشْرِيْنِ اسْتَحْقَقَ أَنْ يَسْمَى "قَصِيدَةً" ، وَذَلِكَ مَا يَحْوِذُ مِنَ الْمُخَقْصِيدِ، وَهُوَ الْمَرَاكِمُ
بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَهُوَ ضَدُّ الْزَّارِ، وَمُثْلِهِ الرَّيْد)) ². وَبَحْثُ الزَّرْكَشِيِّ فِي الْحِكْمَةِ
مِنْ تَقْسِيمِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ إِلَى سُورَهِ، وَرِبَطَ ذَلِكَ بِالْإِعْجَازِ؛ قَالَ: ((فَإِنْ قِيلَ: فَمَا
الْحِكْمَهُ فِي تَقْطِيعِ الْقُرْآنِ سُورَةً؟ قَلْتَ: هِيَ الْحِكْمَهُ فِي تَقْطِيعِ السُّورَهِ آيَاتٍ
مَعْدُودَاتٍ لِكُلِّ آيَهٍ حَدًّ وَمَطْلَعً حَتَّى تَكُونَ كُلُّ سُورَهُ بَلْ كُلُّ آيَهٍ فَتَأْمُلْ مُسْتَقْلًا وَفَرَّاكًا
مُعْتَبِرًا وَفِي تَسْوِيرِ السُّورَهِ تَحْقِيقِ لِكَوْنِ السُّورَهِ بِمُجْرِدِهَا مُغْرِزَهُ وَآيَهٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

1 الكشاف: 1 / 97-98. ونقل الشيخ الطاهر بعضه في: التحرير والتنوير: 1 / 86.

2 إعجاز القرآن: 257. وينظر: البرهان في علوم القرآن: 1 / 264.

تعالى وسُورَتِ السُّورُ طَوَالاً وَقَصَاراً وَأَوْسَاطاً تَبَيَّنَهَا عَلَى أَنَّ الطُّولَ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِعْجَازِ فَهَذِهِ سُورَةُ الْكَوْثَرِ ثَلَاثَ آيَاتٍ وَهِيَ مُغْبِزَةٌ إِعْجَازَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثُمَّ ظَهَرَتْ لِذَلِكَ حِكْمَةٌ فِي التَّعْلِيمِ وَتَذْرِيجِ الْأَطْفَالِ مِنَ السُّورِ الْقِصَارِ إِلَى مَا فَوْقَهَا يَسِيرًا يَسِيرًا تَبَيَّنَهَا عَلَى عِبَادِهِ لِحِفْظِ كِتَابِهِ) ¹.

4. وذكر الشيخ الطاهر من أشكال الابتكار الرئيسة في الخطاب القرآني، مما جاء متكرراً لا يمكن حصره؛ لأنَّه يولف غالباً أساساً في بنية الخطاب القرآني، مما جاء فيه من أسلوب قصصي في ((حكاية أحوال النعيم والعقاب في الآخرة، وفي تمثيل الأحوال))². وهو يرى أنَّ هذا الأسلوب تأثيراً في النفس العربية، وأنَّ هذا الأسلوب جديداً في الأدب العربي أو مفقود منه إلا ما ندر، ومن ثمَّ، كان مبتكرًا بُهْرَ العَرَبِ بِهِ، قال: ((وَقَدْ كَانَ لِذَلِكَ تَأثِيرٌ عَظِيمٌ عَلَى نُفُوسِ الْعَرَبِ إِذْ كَانَ فِنَ القَصَصِ مَفْقُودًا مِنْ أَذْبَاعِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا نَادِرًا، كَانَ فِي بَعْضِ الشِّعْرِ كَائِنَاتِ التَّابِعَةِ فِي الْحِيَةِ الَّتِي قَتَلَتِ الرَّجُلَ وَعَاهَدَتْ أَخَاهُ وَعَدَرَ بِهَا، فَلَمَّا جَاءَ الْقُرْآنَ بِالْأُوصَافِ بُهْتَ بِهِ الْعَرَبُ كَمَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ [44] مِنْ وَصْفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ وَأَهْلِ الْأَعْرَافِ: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ) إِلَيْخُ وَفِي سُورَةِ الْحَدِيدِ [13]: (فَضَرِبَ بَيْتَهُمْ بِسُورٍ) الآيات³). وقد سبق القاضي عياض إلى عدّ ما جاء في القرآن من قصص مظهراً من مظاهر إعجازه، قال مشيراً إلى ذلك: ((ثُمَّ هُوَ فِي سَرِدِ الْقِصَصِ الطَّوَالِ وَأَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّوَالِفِ الَّتِي يَضُعُفُ فِي عَادَةِ الْفُصَحَاءِ عِنْدَهَا الْكَلَامُ وَيَذَهَبُ مَاءُ الْبَيَانِ أَيْمَانُ الْمُتَأْمِلِهِ مِنْ رَبْطِ الْكَلَامِ بِعَضِيهِ بِعَضٍ وَالْبَشَامِ سَرِدِهِ وَتَئَاصِفُ وَجْوهُهُ كَفَصَهُ يُوسُفُ عَلَى طُولِهَا ثُمَّ إِذَا تَرَدَّدَتْ قَصَصُهُ اخْتَلَفَتْ الْعِيَارَاتُ عَنْهَا عَلَى كُلُّ رَدِّهَا حَتَّى تَكَادُ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَنَسَّى فِي الْبَيَانِ صَاحِبَتِهَا

1 البرهان في علوم القرآن: 1 / 264 - 265.

2 التحرير والتنوير: 1 / 120.

3 نفسه: 1 / 120.

وَنَاصِيفُ فِي الْحَسَنِ وَجْهٌ مُقَابِلُهَا وَلَا ظُورٌ لِلنُّفُوسِ مِنْ تَرْدِيدِهَا وَلَا مَعَاذَاةً لِمَعَاذِهَا))¹. ووقف الفيروزابادي على القصص القرآني ومنهج القرآن الكريم في تقديم القصة الواحدة بطرائق مختلفة وما يتبع ذلك من اعتماد أساليب لغوية جديدة ؛ قال: ((وأمّا تصريف القصص والأحوال فهو أنَّ الله تعالى ذكر بمحكمه البالغة أحوال القرون الماضية، وواقع الأنبياء، وقصصهم، بألفاظ مختلفة، وعبارات متنوّعة، بحيث لو تأمل غواصو بحار المعاني، وحواضو لجج الحجاج، وتفكروا في حقائقها، وتدبّروا في دقائقها، لعلموا وتيقّنوا (وتحقّقوا) وتبينوا أنَّ ما فيها من الألفاظ المكررة المعادات، إنما هي لأسرار، ولطائف لا يرفع بُرْفع حجابها من الخاصة إلاً أو حدُّهم وأخصُّهم، ولا يكشف ستر سائرها من التحاريِّر إلاً واسطتهم وقصهم))². ولا بد أن نذكر أنَّ بعض الباحثين المحدثين أشار إلى أنَّ العرب لم يعرفوا القصائد القصصية في شعرهم، من ذلك ما نجده في قول الرافعي: ((ان الشعر القصصي - بالمعنى المصطلح عليه - لم يكن في طبيعة العرب ولا هو من مقتضيات اجتماعهم، فهم لم ينظموه في جاهليتهم قطعاً، ولم ينظمه من بعدهم لوقوفهم عند حد التقليد))³. في حين أشار بعض الباحثين إلى أنَّ في بعض القصائد الجاهلية أسلوبًا قصصياً كما في معلقة امرئ القيس وفي شعر صعاليك ما قبل الإسلام مثل الشنفرى الأزدي وتأبط شرًا⁴.

5. وقد أدى هذا الأسلوبُ القصصيُّ الجديد الذي جاء به النصُّ القرآنيُّ الكريم إلى ابتكار مسلكٍ لغويٍّ جديدٍ آخرٍ في التعامل مع الأقوال المحكية في الأسلوب الحواري

1 الشفا بتعريف حقوق المصطفى: 1 / 264.

2 بصائر ذوي التمييز: 1 / .71.

3 تاريخ آداب العرب: 3 / .96.

4 ينظر: الشعاء الصعاليك في العصر الجاهلي: 279 - 281، وتاريخ آداب العرب: 3 / 97، والفن ومذاهبه في التر العري: 16، ودراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتنزق: 100، وفي تاريخ الأدب الجاهلي:

.451

للقصص التي يرويها، فكان ينقلها كما وردت على السنة أصحابها من حيث المعنى، ولكنه لم يكن ينقلها بلفظها نفسه أو بلغة سخوصها الأصلية، وإنما كان ينقلها باللغة العربية وبصياغة جديدة تناسب ما يتصرف به النص القرآني¹ من بلاهة وفصاحة وإعجاز للعرب، قال: ((وَمِمَّا يَتَبَعُ هَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ يَتَصَرَّفُ فِي حِكَايَةِ أَفْوَالِ الْمَحْكَيِّ عَنْهُمْ فَيَصُوِّغُهُمْ عَلَى مَا يَفْتَضِيهِ أَسْلُوبُ إِعْجَازِهِ لَا عَلَى الصِّيَغَةِ الَّتِي صَدَرَتْ فِيهَا، فَهُوَ إِذَا حَكَى أَفْوَالًا غَيْرَ عَرَبَيَّةً صَاعَ مَدْلُولَهَا فِي صِيَغَةٍ تَبْلُغُ حَدَّ الْإِعْجَازِ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَإِذَا حَكَى أَفْوَالًا عَرَبَيَّةً تَصَرَّفَ فِيهَا تَصَرُّفًا يَنْسَبُ أَسْلُوبَ الْمُعَبَّرِ مِثْلَ مَا يَحْكِيُهُ عَنِ الْعَرَبِ فَإِلَيْهِ لَا يَلْتَزِمُ حِكَايَةَ الْفَاظِهِمْ بِلَنْ يَحْكِي حَاصِلَ كَلَامِهِمْ))². غير أنه عقب بذلك بأن مثل هذا التغيير اللفظي في الأقوال المحكية هو من سنن العرب؛ لأن مدار الأمر عندهم الإحاطة بالمعنى، قال: ((وَلِلْعَرَبِ فِي حِكَايَةِ الْأَفْوَالِ اِتْسَاعٌ مَدَارَةٌ عَلَى الْإِحْاطَةِ بِالْمَعْنَى دُونَ التَّزَامِ الْأَلْفَاظِ، فَإِلَيْهِ الْإِعْجَازُ الْأَبْلَى لِلْأَفْوَالِ الْمَحْكَيَّةِ فِي الْقُرْآنِ هُوَ إِعْجَازُ الْقُرْآنِ لَا لِلْأَفْوَالِ الْمَحْكَيَّةِ)). وفي كلامه السابق ما يوحى بأن القرآن الكريم في مسلكه هذا لم يكن مبتكرًا لأنَّه كان مسبوقًا به مثل هذا النهج اللغوي. وربما يمكن القول إنه أراد بالعرب هنا ما بعد الإسلام وبعد القرآن الكريم فلا ينتقض هذا النمط. وفي الحقيقة أننا عندماقرأنا هذا الكلام تبادر إلى ذهننا أنَّ من غير المعقول أن يكون شعر العرب خالياً من مثل هذه الظاهرة، إذ لا يعقل أنَّ الشعرا حين يحكون أقوال غيرهم في شعرهم لم يغيروه بسبب الوزن والقافية، وربما يكون الجواب على مثل هذا الاعتراض متمثلاً في ما ذكره الشيخ من أنَّ العرب لم تكن تعرف الفن القصصي سابقاً إلا نادراً. وقد جعل الشيخ الطاهر ما يصيِّبُ الأسماء الواردة في القصص القرآني من تغيير خايته الفصاحة والإعجاز داخلاً في هذا الباب أيضاً، قال: ((وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ حِكَايَةُ الْأَسْمَاءِ الْوَاقِعَةِ فِي

1 التحرير والتنوير: 1 / 120-121.

2 نفسه: 1 / 121.

القصاصِ فَلَمَّا قرآنٌ يُغَيِّرُهَا إِلَى مَا يُنَاسِبُ حُسْنَ مَوَاقِعِهَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الْفَصَاحَةِ
مِثْلَ تَغْيِيرِ شَاوِلَ إِلَى طَالُوتَ، وَتَغْيِيرِ اسْمِ ثَارِحَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ إِلَى آزْرٍ) ¹.

إنَّ هذَا التَّغْيِيرَ فِي الْأَسْمَاءِ أَمْرٌ أَشَارَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ الْقَدِيمَاءِ، وَمِنْهُمْ مِثْلُ
الْبَغْوَى الَّذِي قَالَ: ((وَكَانَ طَالُوتُ اسْمُهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ شَاوِلُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ أُولَادِ بَنِيَامِينَ بْنِ
يَعْقُوبَ، سُمِّيَ طَالُوتُ لِطُولِهِ)) ². فِي حِينَ ذَهَبَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ إِلَى أَنَّ اسْمَهُ آزْرٌ وَلَيْسَ
تَارِحًا، قَالَ: ((وَالْدَّلِيلُ الْقَوِيُّ عَلَى صِحَّةِ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى مَا يَدْلُلُ عَلَيْهِ ظَاهِرٌ هَذِهِ الْآيَةُ، أَنَّ
الْيَهُودَ وَالْأَصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ كَانُوا فِي غَایَةِ الْجِرْحِصِ عَلَى تَكْذِيبِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ وَإِظْهَارُ بُغْضِيهِ، فَلَوْ كَانَ هَذَا التَّسْبِيحُ كَذِبًا لَمَّا تَمَّتَّعَ فِي الْعَاوَدَةِ سُكُونُهُمْ عَنْ تَكْذِيبِهِ
وَحَيْثُ لَمْ يَكُنْ يَكُنْ عَلِمُنَا أَنَّ هَذَا التَّسْبِيحُ صَحِيحٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ)) ³. وَعَالِجَ السِّيُوطِيُّ
مُوْضِوْعًا قَرِيبًا مِنْ هَذَا وَهُوَ مَا سَمِّاهُ: (إِدْرَاجُ كَلَامِ الْغَيْرِ فِي الْكَلَامِ)، وَجَعَلَ غَايَةَ
الْتَّوْكِيدِ، نَاقِلاً أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ مِنْهُ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِي مَوْضِعَيْنِ، قَالَ: ((إِدْرَاجُ كَلَامِ الْغَيْرِ فِي الْكَلَامِ
الْكَلَامُ لِقَصْدِ تَأْكِيدِ الْمَعْنَى، أَوْ تَرْتِيبِ النَّظَمِ وَهَذَا هُوَ الشُّرُوعُ الْبَدِيعِيُّ) قَالَ أَبْنُ أَبِي
الْإِصْبَعِ: وَلَمْ أَظْفَرْ فِي الْقُرْآنِ بِشَيْءٍ مِنْهُ إِلَّا فِي مَوْضِعَيْنِ تَضَمَّنَا فَصْلَيْنِ مِنَ التَّوْرَاةِ
وَالْإِنْجِيلِ قَوْلِهِ: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ الْفَقْسَ بِالنَّفْسِ) الْآيَةُ وَقَوْلِهِ: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)
⁴.

7. وَمِنْ صُورِ الابتكارِ الْلُّغُويِّ فِي الْمُخَطَّابِ الْقُرْآنِيِّ الْأَمْثَالُ الَّتِي جَاءَتْ فِي جَمِيلِ بَلِيفَةِ
تَدَاوِلُهَا الْأَلْسُنُ، قَالَ ((وَكَذِلِكَ التَّمثيلُ فَقَدْ كَانَ فِي أَدْبِ الْعَرَبِ الْأَمْثَالُ وَهِيَ حِكَاهَةٌ
أَخْوَالٌ مَرْمُوزَ لَهَا بِتِلْكَ الْجُمَلِ الْبَلِيفَةِ الَّتِي قِيلَتْ فِيهَا أَوْ قِيلَتْ لَهَا الْمُسَمَّاةُ بِالْأَمْثَالِ،
فَكَانَتْ تِلْكَ الْجُمَلُ مُشِيرَةً إِلَى تِلْكَ الْأَخْوَالِ، إِلَّا أَنَّهَا لَمَّا تَدَاوَلَتْهَا الْأَلْسُنُ فِي

1. نفسه: 1/121.

2. معالم التزيل: 1/333.

3. مفاتيح الغيب: 13/32.

4. الإتقان في علوم القرآن: 3/309.

الاستعمال وطالَ علَيْها الأمدُ تسيَّطَ الأحوالُ التي ورَدَتْ فيها ولم ينِقَ لِلتأهَانِ عندَ النُّطُقِ بها إلَّا الشُّعُورُ بِمُعازِيزِها التي تقالُ لِأجلِها. أمَّا القرآن فقد أوضَحَ الأمثالَ وأبَدَعَ تُركِيبَها كَوْلِهِ تَعَالَى: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمًا إِشَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ [النَّارُ: 18] وَقَوْلِهِ: (وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَائِنًا خَرًّا مِنَ السَّمَاءِ فَشَخْطَةُ الطَّيْرِ) أوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيقٍ) [النَّجْعَ: 31] وَقَوْلِهِ: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَخْسِبُهُ الظَّمَانُ) إِلَى قَوْلِهِ: (فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) [الثُّورُ: 39] وَقَوْلِهِ: (وَالَّذِينَ يَذْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَحْيِيُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفِيهُ إِلَى الْمَاءِ لَيَنْلَغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِالْغَيْرِ) [الرَّاعِدُ: 14]). وما وصفه الشيخ الطاهر بالابتكار هنا سبق أن أشار إليه بعض المفسرين، ومنهم الزمخشري الذي يَبَيِّنُ أَنَّ الغرض من استعمال الأمثال هو الكشف عن المعنى الخفي على غُورٍ جليٍّ، قال: ((أَنَّ التَّمثِيلَ إِنَّما يَصَارُ إِلَيْهِ لِمَا فِيهِ مِنْ كَشْفِ الْمَعْنَى وَرَفْعِ الْحِجَابِ عَنِ الْفَرْضِ الْمُطَلُّبِ، وَإِدْنَاءِ الْمَتَوَهِمِ مِنَ الْمَشَاهِدِ. فَإِنْ كَانَ التَّمثِيلُ لِهِ عَظِيمًا كَانَ التَّمثِيلُ بِهِ مُثْلًا، وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا كَانَ التَّمثِيلُ بِهِ كَذِلِكَ. فَلَيْسُ الْعِظَمُ وَالْحَقَارَةُ فِي الْمُضْرُوبِ بِهِ الْمُثَلُ إِذَا إِلَّا أَمْرًا تَسْتَدِعِيهِ حَالُ التَّمثِيلِ لِهِ وَتَسْتَجِرُهُ إِلَى نَفْسِهَا، فَيَعْمَلُ الضَّارِبُ لِلْمُثَلِ عَلَى حَسْبِ تِلْكَ الْقَضِيَّةِ. أَلَا تَرَى إِلَى الْحَقِّ لِمَا كَانَ وَاضْحَى جَلِيلًا أَبْلَجَ، كَيْفَ تَمَثِّلُ لَهُ بِالضَّيَاءِ وَالنُّورِ؟ وَإِلَى الْبَاطِلِ لِمَا كَانَ بِضَدِّ صَفَتِهِ، كَيْفَ تَمَثِّلُ لَهُ بِالظَّلْمَةِ؟ وَلِمَا كَانَتْ حَالُ الْأَلْهَمِ الَّتِي جَعَلَهَا الْكُفَّارُ أَنْدَادًا لِلَّهِ تَعَالَى لَا حَالَ أَحْقَرُ مِنْهَا وَأَقْلَى، وَلِذَلِكَ جَعَلَ بَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ مِثْلَهَا فِي الْضُّعْفِ وَالْوَهْنِ، وَجَعَلَتْ أَقْلَى مِنَ الذَّبَابِ وَأَخْسَى قَدْرًا، وَضَرَبَتْ لَهَا الْبَعْوَضَةَ فَالَّذِي دُونَهَا مِثْلًا لَمْ يَسْتَنِكِرْ وَلَمْ يَسْتَدِعِ))¹. وقد نَبَهَ الزمخشري على أَنَّ التَّمثِيلَ إِنَّما يَكُونُ بِأَمْرِ ظَاهِرٍ مُقْبُولٍ لَا خَلَفَ فِيهِ لَكِي يَبَيِّنِي عَلَيْهِ مَا يُرِيدُ تَقْرِيرُهُ مِنْ حَقِيقَةٍ؛ قال: ((وَمِنْهُ التَّمثِيلُ وَإِنَّمَا يَكُونُ بِأَمْرِ ظَاهِرٍ يُسَلِّمُهُ السَّامِعُ وَيَقُولُهُ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ فَصَصِ الْأَشْنِقَاءِ تَحْذِيرًا لِمَا نَزَّلَ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَأَخْبَارِ السُّعْدَاءِ تَرْغِيَّةً لِمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الشَّوَابِ

وفي الحديث أرأيت لو مضضت أرأيت لو كان على أيك ذين كيف ظهر إمكان نقل الحكم من شبه إلى شبه¹). وقال في موضع آخر: ((وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود مala يخفي إذا الغرض من المثل تشبيه الحفي بالجلي والشاهد بالغائب فالمرغب في الإيمان مثلًا إذا مثل له بالثور تأكيد في قلبه المقصود والمزهد في الكفر إذا مثل له بالظلمة تأكيد قبحه في نفسه وفيه أيضًا تبكيت الشخص، ولما كان المثل السائر فيه غرابة استعير لفظ المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة²). ونقل الفيروزابادي ما يشير إلى مكانة الأمثال في النص القرآني، وهو قوله: ((الأمثال سرج القرآن))³.

8. ومن معالم الابتكار اللغوي في النص القرآني - عند الطاهر بن عاشور - أن هذا النص الكريم لم يبن على منهج واحد، وإنما كان لكل سورة فيه أسلوبها الخاص بها ولهجتها الخاصة التي تناسب موضوع السورة ومضمونها نفسياً وفكرياً، قال ((لم يلتزم القرآن أسلوبنا وأحداً، واحتللت سورة وتفتنت، فتكلّد تكون لكل سورة لهجة خاصة، فإن بعضها يبني على فوّاصل وبعضها ليس كذلك. وكذلك فواتحها منها ما افتتح بالاختلاف كالحمد، وتأ (أيها الذين آمنوا) [البقرة: 104]، وإن ذلك الكتاب) [البقرة: 1، 2] ، وهي قريب مما تعبّر عنه في صناعة الإشارة بالمقدّمات. ومنها ما افتتح بالهجوم على الغرض من أول الأمر نحو: (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) [محمد: 1] (وبراءة من الله ورسوله) [التوبية: 1]). وهذا التفنن في الأسلوب مما أشار إليه الزركشي؛ فقد أرجع سبب اختلاف أساليب السور إلى اختلاف الغاية والمضمون لكل منها، وإلى: ((أن كل سورة تمطّ منتقلٌ فسورة

1 البرهان في علوم القرآن: 1 / 317

2 نفسه / 488، وينظر عن التشبيه والتّمثيل في القرآن الكريم في: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: 205 / 2

3 بصائر ذوي التميّز: 1 / 69.

يُوسُفَ تُرْجِمَ عَنْ قِصَّتِهِ وَمَسْوِرَةِ بَرَاءَةِ تُرْجِمَ عَنْ أَخْوَالِ الْمُنَافِقِينَ وَكَامِنِ أَسْرَارِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَا كَانَتِ الْكُتُبُ السَّالِفَةُ كَذِلِكَ؟ قُلْتُ لِوَجْهِيْنِ: أَحَدُهُمَا أَهْمَأُ لَمْ تَكُنْ مُغْرِيْزَاتٍ مِنْ نَاحِيَّةِ النُّظُمِ وَالثَّرْتِيبِ وَالآخَرُ أَهْمَأُ لَمْ يُسْرِرْ لِلْحِفْظِ)¹. ولعلَ الْبَيْضَاوِيُّ كَانَ يَلْمُعُ إِلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ((وَمِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ التَّفَنُّ فِي الْكَلَامِ وَالْعَدُولِ مِنْ أَسْلَوبٍ إِلَى آخَرَ تَطْرِيْبٍ لَهُ وَتَنْشِيطًا لِلسامِعِ))². ومثله مَا نَجَدَهُ عِنْدَ أَبِي حِيَانَ الْأَنْدَلُسِيِّ؛ إِذْ قَالَ: ((وَفِيهِ عَادَةُ التَّقْفِنُ فِي الْكَلَامِ وَهُوَ مِمَّا يَحْسَنُ إِذَا لَمْ يَنْقَى عَلَى نِسَاطَمٍ وَاحِدِيْمٍ))³. وَقَالَ النَّسْفِيُّ عَنْ هَذَا الْمَنْحِيِّ: ((وَالْعَرَبُ يَسْتَكثِرُونَ مِنْهُ وَيَرَوْنَ الْكَلَامَ إِذَا اتَّقَلَ مِنْ أَسْلَوبٍ إِلَى أَسْلَوبٍ أَدْخُلُ فِي الْقَبُولِ عِنْدَ السَّامِعِ وَأَحْسَنُ تَطْرِيْبَةَ لِنَسَاطَةِ وَأَمْلَأُ لِاسْتِلْذَادِ إِصْغَائِهِ وَقَدْ تَخَصُّ مَوْاقِعَهُ بِفَوَانِيدِ وَلَطَائِفِ قَلْمَانِ تَضَعُّحٌ إِلَّا لِلْحَدَّاقِ الْمَهْرَةِ وَالْعُلَمَاءِ النَّحَارِيرِ))⁴. وَتَوَقَّفَ أَبْنُ كَمَالٍ بَاشَا عَلَى هَذِهِ الظَّاهِرَةِ وَكَشَفَ عَنْ وَظِيفَتِهِ فِي الْكَلَامِ؛ قَالَ: ((وَالْعَرَبُ يَسْتَكثِرُونَ مِنْهُ، وَيَرَوْنَ الْكَلَامَ إِذَا اتَّقَلَ مِنْ أَسْلَوبٍ إِلَى أَسْلَوبٍ أَدْخُلُ فِي الْقَبُولِ عِنْدَ السَّامِعِ، وَأَحْسَنُ تَطْرِيْبَةَ لِنَسَاطَةِ وَأَمْلَأُ بِاسْتِدَارَارِ إِصْغَائِهِ))⁵. وَقَدْ تَفَتَّتَ الْمَحْدُثُونَ إِلَى هَذِهِ الْخَصِيْصَةِ، قَالَ مُحَمَّدُ دَرَازُ عَنْ أَسْلَوبِ الْقُرْآنِ: ((وَالْأَعْجَبُ أَنَّهُ مَعَ كُونِهِ أَكْثَرَ الْكَلَامِ افْتَنَائِاً وَتَنْوِيْعَاً فِي الْمَوْضِعَاتِ، هُوَ أَكْثَرُهُ افْتَنَائِاً وَتَلْوِيْنَا فِي الْأَسْلَوبِ فِي الْمَوْضِعِ الْوَاحِدِ. فَهُوَ لَا يَسْتَمِرُ طَوِيلًا عَلَى نُطْ وَاحِدٍ مِنَ التَّعْبِيرِ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَسْتَمِرُ طَوِيلًا عَلَى هَدْفٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمَعْنَى، أَلَا تَرَاهُ كَمَا يَتَنَقَّلُ فِي السُّورَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى يَتَنَقَّلُ فِي الْمَعْنَى

1 البرهان في علوم القرآن: 1 / 265

2 أنوار التنزيل: 1 / 29

3 البحر المحيط: 7 / 312-311. وينظر: البرهان في علوم القرآن: 1 / 50.

4 مدارك التنزيل: 1 / 31

5 تلوين الخطاب: 347

الواحد بين إنشاء وإخبار، وإظهار وإضمار، وأسمية وفعلية، ومضي وحضور واستقبال وتكلم وغيبة وخطاب؛ إلى غير ذلك من طرق الأداء)¹.

ومن المفيد هنا أن نذكر أن الزركشي وقف وقفة تخليلية حاول فيها أن يعلّل سبب تنوع سور القرآن بين التي تعتمد الفواصل والتي لا تعتمدتها، قال: ((وإنما لم يجئ على أسلوب واحد لاته لا يحسن في الكلام جميماً أن يكون مستمراً على نمط واحد لما فيه من التكليف ولما في الطبع من الملل عليه ولأن الافتئان في ضرب الفصاح أعلى من الاستمرار على ضرب واحد فلهذا ورأت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثل))²

9. ويرى الشيخ الطاهر أن من أهم أشكال الابتكار اللغوي القرآني ما فيه من أسلوب الإيجاز، قال: ((ومن أبدع الأساليب في كلام العرب الإيجاز وهو متناسفهم وغاية تبأر إلى فصحاؤهم، وقد جاء القرآن بأبدهعه إذ كان - مع ما فيه من الإيجاز المبين في علم المعاني - فيه إيجاز عظيم آخر وهو صلوحية معظم آياته لأن ثونحة منها معان متعددة كلها تصلح لها العبارة بالاختمارات لا ينافيها اللفظ، فبعض تلك الاختمارات مما يمكن اجتناعه، وبعضها إن كان فرض واحد منه يمنع من فرض آخر فتحرى الأذهان إليه وإخطاره بها يكفي في حصول المقصود من التذكير به للامتثال أو الاتباع،...، ولولا إيجاز القرآن لكان ما يتضمنه من المعاني في أضعاف مقدار القرآن، وأسرار الشنزيل وزمرة في كل باب باللغة من اللطف والخفاء جداً يدق عن نقط العالم ويزيد عن بصره، ولا ينفك مثل خير [فاطر: 14]. إنك تجد في كثير من تراكيب القرآن حذفاً ولكتك لا تغير على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق، زيادة على جمعه المعاني الكثيرة في الكلام القليل))³.

1 النبا العظيم: 178: (هامش: 1)

2 نفسه: 1 / 60. وينظر فيه: 1 / 58.

3 التحرير والتنوير: 1 / 121-122.

وموضع الإيجاز في النص القرآني مما التفت إليه علماء العربية والمفسرون وتوقفوا عنده وتدارسوه فكشفوا عن قيمته البلاغية وأثاره في دلالة النص؛ ومن ذلك إشارة الزمخشري إلى أنَّ الإيجاز من أهمَّ سمات القرآن الكريم، قال: ((إلا أنَّ الكلام جيءَ به على الحذف والاختصار، كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه))¹. وبين الفيروزابادي في حديثه عن منزلة الإيجاز في العبارة القرآنية أنَّ النصَّ القرآنيَّ وصل إلى أبلغ أنواع الإيجاز؛ قال: ((أَمَا إِيجاز اللفظ مع تمام المعنى فهو أَبلغ أَقسام الإيجاز. ولهذا قيل: الإعجاز في الإيجاز نهاية إعجاز. وهذا المعنى موجود في القرآن إِمَّا على سبيل الحذف، وإِمَّا على سبيل الاختصار))². وجعل الرazi الإيجاز مزيلاً للفظ القرآني؛ قال: ((أَنَّ الْفَاظَ الْقُرْآنَ جَارِيَةً فِي الْأَكْثَرِ عَلَى الْأَخْتِصَارِ))³. وقد تحدث السيوطي عن صور الإيجاز في القرآن الكريم وقسمها أقساماً، فتناول الإيجاز بالحذف وفوائده الدلالية للنص الكريم؛ قال: ((القِسْمُ الثَّانِي مِنْ قُسْمَيِ الإِيجَازِ: الْحَذْفُ وَفِيهِ فَوَائِدُ. ذَكَرُ أَسْبَابِهِ: مِنْهَا مُجَرَّدُ الْأَخْتِصَارِ وَالْأَخْتِرَازُ عَنِ الْعَبْثِ لِظَهُورِهِ وَمِنْهَا التَّثْبِيَّةُ عَلَى أَنَّ الزَّمَانَ يَتَقَاسِرُ عَنِ الْإِيَّانِ بِالْمَحْذُوفِ، وَأَنَّ الْإِشْتِغَالَ بِذِكْرِهِ يُفْضِي إِلَى تَفْوِيتِ الْمُهُمِّ وَهَذِهِ هِيَ فَائِدَةُ بَابِ التَّحْذِيرِ وَالْإِغْرَاءِ وَقَدْ اجْتَمَعَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا) فَنَاقَةُ اللَّهِ تَحْذِيرٌ بِتَقْدِيرِ ذَرُوا وَسُقْيَاهَا إِغْرَاءٌ بِتَقْدِيرِهِ الْزَّمُوا. وَمِنْهَا التَّفْخِيمُ وَالْأَعْظَامُ لِمَا فِيهِ مِنْ الْإِبْهَامِ قَالَ حَازِمٌ فِي مِنْهَاجِ الْبَلْغَاءِ إِنَّمَا يَخْسِنُ الْحَذْفُ لِقُوَّةِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ أَوْ يُفْصَدُ بِهِ تَعْدِيدُ أَشْيَاءٍ فَيَكُونُ فِي تَعْدِيدِهَا طُولُ وَسَامَةٌ فَيَحْذَفُ وَيَكْتَفِي بِدَلَالَةِ الْحَالِ وَتَشْرُكِ التَّفْسُّرِ تَجْنُولُ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُكْنَفَى بِالْحَالِ عَنْ ذِكْرِهَا قَالَ: وَلِهَذَا الْقَصْدُ يُؤْتَرُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُرَادُ بِهَا التَّعْجُبُ وَالْتَّهْوِيلُ عَلَى النُّفُوسِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي وَصْفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفَتَحَتْ

1 الكشاف: 4 / 655. وينظر: ومعنوك القرآن: 2 / 461.

2 بصائر ذوي التمييز: 1 / 68.

3 مفاتيح الغيب: 7 / 90.

أبواهُمَا)، فَهُدُفَ الْجَوَابُ إِذْ كَانَ وَصَفُّ مَا يَحِدُونَهُ وَيَلْقَوْنَهُ عِنْدَ ذَلِكَ لَا يَتَشَاءَى فَجَعَلَ الْحَدْفَ دَلِيلًا عَلَى ضَيْقِ الْكَلَامِ عَنْ وَصَفِّ مَا يَشَاهِدُونَهُ وَتَرَكَ النُّفُوسُ تُقَدِّرُ مَا شَاءَتْهُ وَلَا تَبْلُغُ مَعَ ذَلِكَ كُنْهَ مَا هُنَالِكَ) ¹. ومن هذا يظهر جلياً مدى عنابة القدماء بالإيجاز في النص القرآني، ولكنهم في الوقت نفسه لم يطلقوا عليه صفة الابتكار، ولعل الذي أغناهم عنها -زيادة على عدم استعمالهم هذا المصطلح- أنهم عدوا هذه الظاهرة من مظاهر الإعجاز وأسبابه، ومن ثم، فما كان معجزاً فلاشك في أنه مبتكر أيضاً.

10. ويرى الشيخ الطاهر أن طريقة القرآن الكريم في الإخبار متنوعةٌ ولها غاياتٌ بعيدةٌ لا تمثل بالظاهر منها؛ ولذا عدها من مظاهر الابتكار اللغوي الرئيسة، قال: ((وَيَنْ ذَلِكَ الْإِخْبَارُ عَنْ أَمْرٍ خَاصٍ يُخْبِرُ بِعُمُّهُ وَغَيْرَهُ لِتَحْصُلَ فَوَائِدٌ ²: فَإِنَّهُ حَكْمُ الْعَامِ، وَفَإِنَّهُ حَكْمُ الْخَاصِّ، وَفَإِنَّهُ أَنَّ هَذَا الْمَحْكُومَ عَلَيْهِ بِالْحَكْمِ الْخَاصِّ هُوَ مِنْ جِنْسِ ذَلِكَ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ بِالْحَكْمِ الْعَامِ. وَقَدْ تَبَيَّنَتْ أَسَالِيبُ مِنْ أَسَالِيبِ نَظَمِ الْكَلَامِ فِي الْقُرْآنِ فَوَجَدْتُهَا مِمَّا لَأَعْهَدَ بِمِثْلِهَا فِي كَلَامِ الْعَربِ، مِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَذَلِكَ زِلْزَلُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتَلَوَّ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ) [الطلاق: 10] فَإِنَّهُ (رَسُولًا) مِنْ (ذِكْرًا) يُفِيدُ أَنَّ هَذَا الذِكْرُ ذِكْرُ هَذَا الرَّسُولِ، وَأَنَّ مَجِيءَ الرَّسُولِ هُوَ ذِكْرٌ لَهُمْ، وَأَنَّ وَصْفَهُ بِقُولِهِ يَتَلَوَّ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُفِيدُ أَنَّ الْآيَاتِ ذِكْرٌ. وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُ: (حَتَّىٰ ئَتَيْهُمُ الْبَيِّنَاتُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتَلَوَّ صَحْفًا مُطَهَّرَةً) [آلِيَّةٍ: 1، 2] الْآيَةُ وَلَيْسَ الْمَقَامُ بِسَامِعٍ لِإِيْرَادِ عَدِيدِ الْأَمْتِيلَةِ مِنْ هَذَا، وَلَعَلَّهُ يَأْتِي فِي أَثْنَاءِ التَّفْسِيرِ)) ³. ولا شك في أن ذلك مما أضفى على النص القرآني سمة التميز والتفرد والحيوية الأسلوبية إن جاز التعبير.

1. الإنegan في علوم القرآن: 3 / 190.

2. ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2 / 217، والإتقان في علوم القرآن: 3 / 48، وفيه أيضاً: 3 / 109، ومعترك الأقران: 1 / 174.

3. التحرير والتنوير: 1 / 122-123.

11. وقد عدَّ الشيخ الطاهر الإيجاز عن طريق الحذف والتضمين مما ابتكره القرآن واحتفى به، قال: ((وَمِنْ بَدِيعِ الْإِيْجَازِ فِي الْقُرْآنِ وَأَكْثَرُهُ مَا يُسَمَّى بِالتَّضْمِينِ، وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى إِيْجَازِ الْحَذْفِ، وَالتَّضْمِينُ أَنْ يَضْمَنَ الْفِعْلَ أَوِ الْوَصْفَ مَعْنَى فَعْلٍ أَوْ وَصْفٍ آخَرَ وَيُشَارُ إِلَى الْمَعْنَى الْمُضْمَنِ بِذِكْرِ مَا هُوَ مِنْ مَتَّعْلِقَاتِهِ مِنْ حَرْفٍ أَوْ مَفْعُولٍ فَيَخْصُلُ فِي الْجُمْلَةِ مَعْنَيَانِ))¹. وقد بين الزخشري دلالة التضمين وسبب استعمال القرآن له، قال: ((أَيْ غَرْضٌ فِي هَذَا التَّضْمِينِ؟ ...، قَلْتُ لِغَرْضِهِ إِذْ إِعْطَاءِ جَمْعَ مَعْنَيَيْنِ، وَذَلِكَ أَقْوَى مِنْ إِعْطَاءِ مَعْنَى فَذِّ))². وهو ما أكدته النسفي؛ إذ قال: ((وَفَائِدَةُ التَّضْمِينِ إِعْطَاءُ جَمْعَ مَعْنَيَيْنِ وَذَلِكَ أَقْوَى مِنْ إِعْطَاءِ مَعْنَى فَذِّ))³. وذكر السيوطي أنَّ التضمين من أنواع الإيجاز، وأنَّه على نوعين؛ قال: ((اَنَّ مِنَ الْإِيْجَازِ تَوْعِيَّاً يُسَمَّى التَّضْمِينُ وَهُوَ حُصُولُ مَعْنَى فِي لَفْظٍ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ لَهُ بِاسْمٍ هِيَ عِبَارَةٌ عَنْهُ قَالَ وَهُوَ تَوْعِيَّاً: أَحَدُهُمَا مَا يَفْهَمُ مِنَ الْبَنْيَةِ كَوْلَهُ مَعْلُومٌ فَإِنَّهُ يُوحَبُ أَنَّهُ لَا يَبْدُ مِنْ عَالَمٍ وَالثَّانِي مِنْ مَعْنَى الْعِبَارَةِ كَبِيسِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَإِنَّهُ يُضَمَّنُ تَعْلِيمَ الْإِسْتِفْنَاحِ فِي الْأَمْوَارِ بِاسْمِهِ عَلَى جِهَةِ التَّعْظِيمِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْتَّبَرُكِ بِاسْمِهِ))⁴.

12. وما عدَّ الشيخ الطاهر من صور الابتكار اللغوي في الخطاب القرآني ما جاء فيه من جمل جارية مجرى المثل في السيرورة وقوة الدلالة والسهولة، قال: ((وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْجُمْلَ الْجَارِيَةَ مَجْرِيَ الْأَمْكَالِ، وَهَذَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْبَلَاغَةِ نَادِرٌ فِي كَلَامِ بُلْغَاءِ الْعَرَبِ، وَهُوَ الَّذِي لِأَجْلِهِ عُدِّتْ قَصِيَّةً زَهْنِيرٍ فِي «الْمَعْلَقَاتِ» فَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ مَا يَفْوُقُ ذَلِكَ كَوْلَهُ تَعَالَى: قُلْ كُلُّ يَعْمَلٌ عَلَى شَاكِلَتِهِ [الْإِسْرَاءَ: 84] وَقَوْلُهُ: (طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ) [الثُّورَ: 53] وَقَوْلُهُ: (ادْفَعْ بِالَّتِي

1. نفسه: 1 / 123.

2. الكشاف: 2 / 717.

3. مدارك التنزيل: 2 / 298.

4. الإنقان في علوم القرآن: 3 / 189. وينظر: معرك الأقران: 1 / 230.

هي أحسن) [المؤمنون: 96]).¹ وقد أشار المفسرون² إلى كثيرٍ من هذه الجمل الجارية مجرى المثل كما في كلامهم على قوله تعالى: (فَالْتِ إِخْدَاهُمَا يَا أَبَتِ استأجرة إِنْ خَيْرٌ مَنِ اسْتَأْجَرَنَتِ الْقَوِيُّ³ [القصص: 26]). وقد خصص الشاعري فصلاً ذكر فيه طائفة من الجمل التي تجري مجرى المثل في القرآن الكريم تجمع في دلالتها ((الإعجاب، والإعجاز، والإيجاز)).⁴ ومنها قوله تعالى: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَيْ أَهْلِهِ) [فاطر: 43] وقوله تعالى: (قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) [الإسراء: 84]. ويرى السيوطي أن هذه الجمل الجارية مجرى المثل والحكمة من مظاهر إعجاز القرآن، قال: ((وَمِنْهَا الْحِكْمَ الْبَالِغَةُ الَّتِي لَمْ تَجْرِيِ الْعَادَةُ بِأَنْ تَصْنُدُ فِي كُلِّ رَبَّهَا وَشَرَفَهَا مِنْ آدَمِيٍّ)).⁵ كما ذكر السيوطي في النوع السادس والستين الموسوم بأمثال القرآن فائدة جمع فيها عدداً من الجمل الواردة في القرآن بما جرى مجرى المثل وتقليل عن بعض العلماء أنَّ هذا الاستعمال هو نوع بديعي يُسمى: إرسال المثل.⁶

13. أشار الشيخ الطاهر إلى أنَّ القرآن الكريم سَلَكَ مَسْلِكَ فَرِيداً في استعمال الإطناب، قال: ((وَسَلَكَ الْقُرْآنُ مَسْلَكَ الْإِطْنَابِ لِأَغْرَاضٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَمِنْ أَهْمَّ مَقَامَاتِ الْإِطْنَابِ مَقَامُ نَوْصِيفِ الْأَخْوَالِ الَّتِي يُرَاذُ بِتَفْصِيلِ وَصْفِهَا إِذْخَالُ الرَّوْعِ فِي قَلْبِ السَّمِيعِ وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ عَرَبِيَّةٌ فِي مِثْلِ هَذَا...، فَمِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ فِي مِثْلِهِ قَوْلُهُ عَالَى: (كُلَا إِذَا بَلَغْتِ التَّرَاقِيَّ وَقِيلَ مَنْ رَاقِ وَظَنَّ أَنَّهُ الفِرَاقُ وَالنَّفَقَ السَّاقِ بِالسَّاقِ) [الْقَيْمَانَ: 26 - 29] وَقَوْلُهُ: (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغْتِ الْحُلْقُومَ وَأَشْمَ حِيتَنَ تَنْظُرُونَ) [الْوَاقِعَةَ: 84] وَقَوْلُهُ: (مَهْطِعِينَ مُقْبِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرَئُهُمْ طَرْفُهُمْ) [إِبْرَاهِيمَ: 83]

1 التحرير والتنوير: 1 / 123.

2 ينظر: مدارك التنزيل: 2 / 638، والبحر المحيط: 8 / 299، وحاشية الشهاب: 7 / 70.

3 الإعجاز والإيجاز: 19.

4 الجامع لأحكام القرآن: 1 / 75.

5 ينظر: الإنقاذ في علوم القرآن: 4 / 50، ومعترك الأقران: 1 / 356.

43)).¹ ومن إشارات القدماء إلى ذلك ما جاء في قول السيوطي عن الإيجاز والإطناب: ((اعلم أنهم من أعظم أنواع البلاغة حتى نقل صاحب سير الفصاحة عن بعضهم أنه قال: البلاغة هي الإيجاز والإطناب. قال صاحب الكشاف: كما أنه يحب على البليغ في مظان المجمال أن يحمل ويوجز فكذلك الواحِب عليه في موارد التفصيل أن يفصل ويُشيّع)).² وقال أيضاً: ((من وجوه إعجازه (إيجازه في آية وإطنابه في أخرى) وهو من أعظم أنواع البلاغة ،...، وفسروا الإيجاز بأداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف. والإطناب أداوه بأكثر منها لكون المقام حقيقة بالبسط)).³ و جاء في تفسير المنار في هذا السياق: ((وهو مُعْجِزٌ في إِطْنَابِهِ كَإِيجَازِهِ، لَا لَغْوَ فِيهِ وَلَا حَشْوٌ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ فِيهِ مَقَالٌ يَنْطَقُ عَلَى الْحِكْمَةِ، وَيَعِينُ عَلَى التَّدْبِيرِ وَالثَّدْكِ)).⁴

14. ويرى الشيخ الطاهر أن القرآن الكريم ابتكر أسلوبًا جديداً في استعمال اللفظ، انفرد به من غيره من الكلام؛ فقد يرد اللفظ الواحد-في القرآن الكريم- في سياق واحد ليفيد دلالات عدة محتملة لا يرفضها السياق أو القراءن مما يدل على إعجاز النص الذي اشتمل على مثل هذا الاستعمال من غير تعارض، وقد أشار إليه بقوله: ((وَمِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ الْمُتَنَقَّرِ بِهَا الَّتِي أَغْفَلَ الْمُفَسِّرُونَ اعْتِيَارَهَا أَنَّهُ يَرُدُّ فِيهِ اسْتِعْمَالَ الْلَّفْظِ الْمُشَتَّرِكِ فِي مَعْنَيَيْنِ أَوْ مَعْنَانِ إِذَا صَلَحَ الْمَقَامُ بِحَسْبِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِإِرَادَتِهِمَا، وَيَدِلُّكَ ثَكْرُ مَعَانِي الْكَلَامِ مَعَ الإِيجَازِ وَهَذَا مِنْ آثارِ كُونِهِ مُعْجِزًا خَارِقَةً لِعَادَةِ كَلَامِ الْبَشَرِ وَدَلَلَةً عَلَى أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ لَدُنِ الْعَلِيمِ بِكُلِّ شَيْءٍ وَالْقَدِيرِ عَلَيْهِ.

1 التحرير والتنوير: 1 / 123.

2 الإنegan في علوم القرآن: 3 / 179.

3 معترك القرآن: 1 / 222.

4 تفسير المنار: 2 / 357.

وقد تبئنا على ذلك وحققناه في المقدمة التاسعة¹. وقد عالج هذا الموضوع الراغب الأصفهاني في الفصل الموسوم بـ: (جواز إرادة المعنين المختلفين بعبارة واحدة)، اشترط فيه إلا ينافي المعنيان المحتملان للعبارة، قال: ((العبارة الموضوعة لمعنىين على سبيل الاشتراك حقيقة فيما أو مجازاً في أحدهما؟ متى تنافي معناهما في المراد لم يصح أن يرادا معاً بعبارة واحدة))². وقد درس العلماء الألفاظ التي تدل على معنىين أو أكثر تحت أسماء مختلفة مثل المشابه والظاهر والمؤول والمشكل والتعريف والأشباء والنظائر، قال الزركشي: ((وأما المشابهة فاصنلها أن يتشبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني ،...، ويقال للغامض: مشابهة لأن جهة الشبه فيه كما تقول بحروف التهجي والمتشابه مثل المشكّل لأنّه مشكّل أي دخل في شكل غيره وشكّله واختلفوا فيه فقيل: هو المتشبّه الذي يشبه بعضاً بعضاً ،...، وقيل: ما يتحتمل وجوهاً))³. وقال في موضع آخر: ((وقد يكون اللفظ محتملاً لمعنيين وهو في أحدهما أظهر فيسمى الراجح ظاهراً والمرجوح مؤولاً))⁴. وخصص فصلاً للعلاقة بين اللفظ والدلالة من حيث الإفراد والتعدد؛ قال: ((فصل في اشتراك اللفظ بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز قد يكون اللفظ مشتركاً بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز ويصبح حمله عليهما جميماً ،...، فعلى هذا يجوز أن يقال أراد الله بهذا اللفظ كلَّ المعنيين على القولين أما إذا قلنا بجواز استعمال المشترك في معنئيه ظاهر وأما إذا قلنا بالمعنى فإن يكون اللفظ قد خوطب به مرئين مرأة أريد هذا ومرأة هذا وقد جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه: لا يفقه الرجل كُلَّ الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرةً رواه أحمد أي اللفظ الواحد يتحتمل معانٍ متعددة ولا يقتصر به على ذلك

1 التحرير والتنوير: 1 / 123.

2 تفسير الراغب الأصفهاني: 1 / 40.

3 البرهان في علوم القرآن: 2 / 69-70.

4 نفسه: 2 / 205.

المعنى بل يعلم أنه يصلح لهذا وقال ابن القشيري في مقدمة تفسيره: مالا يحتمل إلا معنى واحدا حمِلَ عَلَيْهِ وَمَا احتمل معنيين فصاعدا بـأن وضع الأشياء متماثلة كالسُّواد حمِلَ عَلَى الْجِنِّسِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ وَإِنْ وُضِعَ لِمَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ فَإِنْ ظَهَرَ أَحَدُ الْمَعْنَيَيْنِ حمِلَ عَلَى الظَّاهِرِ إِلَّا أَنْ يَقُولَ الدِّلِيلُ وَإِنْ اسْتَوْيَا سَوَاءً كَانَ الْاسْتِعْمَالُ فِيهِما حَقِيقَةً أَوْ مَجَازًا أَوْ فِي أَحَدِهِمَا حَقِيقَةً وَفِي الْآخَرِ مَجَازًا كَلْفُظُ الْعَيْنِ وَالْقُرْبَةِ وَاللَّمْسِ فَإِنْ شَافَ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا فَهُوَ مُجْمَلٌ فَيَطْلُبُ الْبَيَانُ مِنْ غَيْرِهِ وَإِنْ لَمْ يَشَافْ فَقَدْ مَالَ قَوْمٌ إِلَى الْحَمْلِ عَلَى الْمَعْنَيَيْنِ وَالْوَاجْهَةِ التَّوْقُفُ فِيهِ لِأَهْلِهِ مَا وُضِعَ لِلْجَمِيعِ بِلِنْ وُضِعَ لِأَحَادِ مُسَمَّيَاتٍ عَلَى الْبَذَلِ وَادْعَاءِ إِشْعَارِهِ بِالْجَمِيعِ بِعِيدَ نَعْمٍ يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ جَمِيعَ الْمَحَامِلِ وَلَا يَسْتَحِيلُ ذَلِكَ عَقْلًا وَفِي مِثْلِ هَذَا يُقَالُ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونُ الْمَرَادُ كَذَا وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونُ كَذَا) ¹. وقد التفت بعض القدماء إلى ذلك منهم الزخشري؛ إذ قال: ((لأنَّ اللَّفْظَ الْوَاحِدَ لَا يَصْحَّ اسْتِعْمَالُهُ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ)) ². وقال القرطبي: ((وَإِذَا احْتَمَلَ الْلَّفْظُ الْحَقِيقَةَ وَالْمَجَازَ فَالْأَصْنَلُ الْحَقِيقَةَ حَتَّى يَرِدَ ذَلِيلٌ يُزِيلُهَا)) ³. وَمِنْهُمُ الْمَاوَرِدِيُّ الَّذِي قَالَ: ((فَإِنَّهُ يَنْقَسِمُ أَحَدَهُمَا: أَنْ يَكُونَ مُشْتَمِلًا عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لَا يَتَعَدَّهُ، وَمَقْصُورًا عَلَيْهِ وَلَا يَحْتَمِلُ مَا سَوَاءً، ،...، وَالْقَسْمُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْلَّفْظُ مُحْتَمِلًا لِمَعْنَيَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، وَهَذَا عَلَى ضَرِيبَيْنِ: أَحَدَهُمَا: أَنْ يَكُونَ أَحَدَ الْمَعْنَيَيْنِ ظَاهِرًا جَلِيلًا، وَالْآخَرُ بَاطِنًا خَفِيًّا، فَيَكُونُ حَمُولًا عَلَى الظَّاهِرِ الْجَلِيلِ دُونَ الْبَاطِنِ الْخَفِيِّ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ الدِّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْجَلِيلَ غَيْرَ مُرَادٍ، فَيَحْمِلُ عَلَى الْخَفِيِّ. وَالضَّرِيبُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَيَيْنِ جَلِيلَيْنِ، وَالْلَّفْظُ مُسْتَعْمِلًا فِيهِمَا حَقِيقَةً)) ⁴.

1 نفسه: 208 / 2

2 الكشاف: 149 / 3

3 الجامع لأحكام القرآن: 2 / 330.

4 النكت والعبون: 1 / 38.39

15. ومن الابتكار اللغوي في أساليب القرآن طريقة استعمال بعض الألفاظ التي يمكن أن تلفظ على أنحاء مختلفة فتؤدي إلى دلالات مختلفة ومحتملة لا يرفضها السياق، وقد بين الشيخ الطاهر ان هذا غالباً ما يكون في القراءات القرآنية؛ إذ قرئت الكلمة القرآنية قراءات عده باختلاف حرف أو حركة وفي كل منها دلالة جديدة يكتسب النص منها معنى جديداً كاشفاً، وهذا ما بيته بقوله: ((وَمِنْ أَسَالِيهِ الْإِثْيَانُ بِالْأَلْفَاظِ الَّتِي تُخْتَلِفُ مَعَانِيهَا بِالْخِتَافِ حُرُوفُهَا أَوْ اخْتِلَافِ حَرَكَاتِ حُرُوفِهَا وَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ اخْتِلَافِ كَثِيرٍ مِنَ الْقِرَاءَاتِ مِثْلًا: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَّا) [الزخرف: 19] قرئ (عِنْدَ) بالثُّونِ دون الف وقرئ (عِيَادُه) بالموحدة وألف بعدها، ومثل: (إِذَا قَوْمَكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) [الزخرف: 57] بضم الصاد وكسرها. وقد أشرنا إلى ذلك في المقدمة السادسة)¹. وقد أشار المفسرون وعلماء القراءات إلى ما تضفيه تلك القراءات من معانٍ ودلائل، ومن ذلك ما نجده عند القرطبي في تفسير قوله تعالى: (مالك يوم الدين) [الفاتحة: 4]: ((اختلفَ الْعُلَمَاءُ أَيْمًا أَبْلَغُ: مَلِكٌ أَوْ مَالِكٌ؟ وَالْقِرَاءَاتُانِ مَرْوِيَتَانِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعَمِّ رَدِّ ذَكْرَهُمَا التَّرْمِذِيُّ، فَقَيْلَ: مَلِكٌ أَعَمُّ وَأَبْلَغُ مِنْ مَالِكٍ إِذْ كُلُّ مَلِكٍ مَالِكٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مَالِكٍ مَلِكًا، وَلَأَنَّ امْرَ الْمَلِكِ نَافِذٌ عَلَى الْمَالِكِ فِي مَلْكِهِ، حَتَّى لَا يَتَصَرَّفَ إِلَّا عَنْ ثَدِيرِ الْمَلِكِ، قَالَ أَبُو عَيْنَةَ وَالْمُبَرْدُ. وَقَيْلَ: مَالِكٌ أَبْلَغُ، لِأَنَّهُ يَكُونُ مَالِكًا لِلنَّاسِ وَغَيْرِهِمْ، فَالْمَالِكُ أَبْلَغُ نَصْرًا وَأَغْظَمُ، إِذَا إِلَيْهِ إِجْرَاءُ قَوَانِينِ الشَّرْعِ، ثُمَّ عِنْدَهُ زِيادةُ الْشَّمْلُكِ))². وقد أشار أبو زهرة إلى شيءٍ من ذلك، قال: ((وهناك أمر... في تنويع القراءات، وهو أن يكون جموع القراءتين - وكلتاهما قرآن - دالاً على معنيين في لفظ واحد، متلاقيين غير متضادين، ...، فالقراءتان والكلمة واحدة تدلان بالنص

1 التحرير والتنوير: 1 / 123-124.

2 الجامع لأحكام القرآن: 1 / 140. وينظر: المحرر الوجيز: 1 / 69، ومدارك التنزيل: 1 / 30، والدر المصنون: 1 / 48، ومحاسن التأويل: 1 / 227.

على معنيين غير متضادين، وكلاهما صحيح صادق)¹. وقد توقف القدماء على اثر اختلاف القراءات القرآنية في المعنى².

16. ومن الابتكار اللغوي للنص القرآني ما يمتاز به أسلوبه من جزالة في موضعها، واستعمال الرقة في موضعها، قال: ((وَاعْلَمُ أَنَّ مِمَّا يَنْدَرِجُ تَحْتَ جِهَةَ الْأَسْلُوبِ مَا سَمِّيَّهُ أَئِمَّةُ نَقْدِ الْأَدَبِ بِالْجَزَّالَةِ، وَمَا سَمَّوْهُ بِالرِّفْقَةِ وَبَيَّنُوا لِكُلِّ مِنْهُمَا مَقَامَاتِهِ وَهُمَا رَاجِعَتَانِ إِلَى مَعَانِي الْكَلَامِ، وَلَا يَخْلُو سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ تَكْرَرِ هَذِينِ الْأَسْلُوبَيْنِ، وَكُلُّ مِنْهُمَا بِالْغَيْرِ غَائِيَةٌ فِي مَوْقِعِهِ، فَبَيْنَمَا تَسْمَعُهُ يَقُولُ: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الدُّثُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [الزمر: 53] وَيَقُولُ: (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخْفِفَ عَنْكُمْ وَخَلِقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا) [النَّسَاءَ: 28] إِذْ تَسْمَعُهُ يَقُولُ: (فَإِنْ أَغْرَضُوكُمْ فَقُلْ أَنْذِرُوكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادِ وَئِمْوَادٍ) [فصلت: 13] فَإِنَّ عِيَاضَ فِي «الشَّقَاءِ»: إِنَّ عَبْتَةَ بْنَ رَبِيعَةَ لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْأَيَّةَ أَمْسَكَ بِيَدِهِ عَلَى فَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَهُ: نَاشِدُكَ اللَّهُ وَالرَّحْمَنَ إِلَّا مَا كَفَفتَ)³. وقد أشار الباقلانى إلى ذلك، قال: ((وَالْتَّحْقِيقُ أَنَّ أَجْنَاسَ الْكَلَامِ مُخْتَلِفَةٌ وَمَرَاتِبُهَا فِي ذَرَجَةِ الْبَيَانِ مُتَفَوِّةٌ وَدَرَجَاتُهَا فِي الْبَلَاغَةِ مُتَبَايِنَةٌ غَيْرُ مُتَسَاوِيةٌ فَمِنْهَا الْبَلِيجُ الرَّصِينُ الْجَزَلُ وَمِنْهَا الْفَصِيحُ الْقَرِيبُ السَّهْلُ وَمِنْهَا الْجَائزُ الظَّلْقُ الرَّسْلُ وَهَذِهِ أَقْسَامُ الْكَلَامِ الْفَاضِلُ الْمُحْمُودُ دُونَ النَّوْعِ الْمُجِينِ الْمَذْمُومِ الَّذِي لَا يُوجَدُ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ مِنْهُ الْبَيْنَةُ فَالْقُسْطُ الْأَوَّلُ أَعْلَاهُ وَالثَّانِي أَوْسَطُهُ وَالثَّالِثُ أَدْنَاهُ وَأَقْرَبُهُ فَحَازَتْ بِلَاغَاتُ الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ قِسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ حِصَّةً وَأَخْدَتْ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ شُعْبَةً فَأَنْتَظَمَ لَهَا بِامْتِزاجِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ نَمْطًا مِنَ الْكَلَامِ يَجْمَعُ صِيفَتِي الْفَخَامَةِ وَالْعُدُوَيَّةِ وَهُمَا عَلَى الْإِنْفِرَادِ فِي نَعْوَتِهِمَا كَالْمُتَضَادَيْنِ لِأَنَّ الْعَذُوبَةَ نَتْاجُ السَّهْوَةِ

1. المعجزة الكبرى القرآن: 42.

2. ينظر: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية: 137-255. والكتاب غرضه بيان ذلك.

3. التحرير والتنوير: 1 / 124.

والجزالة والمتانة في الكلام يُعَالِجُانِ نوعاً منَ الْوُعُورَةِ فَكَانَ اجْتِمَاعُ الْأَمْرَيْنِ فِي نَظَمِهِ مَعَ ثُبُورِ كُلِّ مِنْهُمَا عَنِ الْآخِرِ فِضْلَةٌ خَصَّ بِهَا الْقُرْآنُ يُسْرِهَا اللَّهُ بِلَطِيفِ قَدْرِهِ لِيَكُونَ آيَةً بَيْنَهُ لَنْبِيهِ وَدَلَالَةً عَلَى صَحَّةِ مَا دَعَا إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ) ¹. وَقَدْ نَبَهَ الزُّرْكَشِيُّ عَلَى هَذِهِ الْخَصْوَصِيَّةِ لِلْأَسْلُوبِ الْقُرْآنِيِّ، قَالَ: ((وَمِنْهَا جَمِيعَةُ بَيْنَ صِفَتِي الْجَزَالَةِ وَالْعُدُوَّةِ وَهُمَا كَالْمُتَضَادَيْنِ لَا يَجْتَمِعُانِ غَالِبًا فِي كَلَامِ الْبَشَرِ لِأَنَّ الْجَزَالَةَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي لَا تُوجَدُ إِلَّا بِمَا يَشُوُّبُهَا مِنَ الْقُوَّةِ وَيَغْضُبُ الْوُعُورَةِ وَالْعُدُوَّةِ مِنْهَا مَا يُضَادُهَا مِنَ السَّلَاسَةِ وَالسُّهُولَةِ فَمَنْ تَحَوَّلَ الصُّورَةُ إِلَيْهِ فَإِلَيْهَا يَقْصِدُ الْفَخَامَةُ وَالرَّوْعَةُ فِي الْأَسْمَاعِ مِثْلُ الْفَصَحَاءِ مِنَ الْأَعْرَابِ وَفَحُولِ الشُّعُرَاءِ مِنْهُمْ وَمَنْ تَحَوَّلَ تَحْوِيلَ الْأَسْمَاعِ فَصَدَّ كَوْنَ الْكَلَامِ فِي السَّمَاعِ أَعْذَبَ وَأَشَفَّهُ وَاللَّهُ مِثْلُ أَشْعَارِ الْمُخْضَرِيْنَ وَمَنْ ذَانَاهُمْ مِنَ الْمُوَلَّدِيْنَ الْمُتَأْخِرِيْنَ وَتَرَى الْفَاظَ الْقُرْآنِ فَذَذَ جَمِيعَتِ فِي نَظَمِهِ كُلُّهُ الصَّفَيْنِ وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ وُجُوهِ الْبَلَاغَةِ وَالْإِعْجَازِ) ². وَقَدْ عَدَ الْقَرْطِيُّ الْجَزَالَةَ أَحَدَ وَجْهَيِ الْإِعْجَازِ، قَالَ: ((وَمِنْهَا الْجَزَالَةُ الَّتِي لَا تُصْبِحُ مِنْ مَخْلُوقِ بَحَالٍ، وَتَأْمَلُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ (ق) وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) إِلَى آخِرِهَا، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: (وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) إِلَى آخرِ السُّورَةِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: (وَلَا تَخْسِبَنَ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونُ) إِلَى آخرِ السُّورَةِ. قَالَ ابْنُ الْحَصَارِ: فَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْحَقُّ، عَلِمَ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْجَزَالَةِ لَا تُصْبِحُ فِي خَطَابِ غَيْرِهِ، لَا يَصْبِحُ مِنْ أَعْظَمِ مَلُوكِ الدُّنْيَا أَنْ يَقُولَ: (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمُ) وَلَا أَنْ يَقُولَ: (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصَبِّبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ)) ³. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ((إِنَّ الْقُرْآنَ لَمَّا كَانَ فِي غَايَةِ الْجَزَالَةِ وَالْبَلَاغَةِ، فَكَانَوا إِذَا رَأَوْا عِجْزَهُمْ عَنْ مُعَارَضَتِهِ، اقْسَعُرُتِ الْجُلُودُ مِنْهُ إِعْظَاماً لَهُ، وَتَعَجَّبُوا مِنْ حُسْنِ

1 إعجاز القرآن للباقياني: 14-15. ونقله الزركشي في: البرهان في علوم القرآن: 2 / 102، والسيوطى في: الإنقان في علوم القرآن: 4 / 14.

2 البرهان في علوم القرآن: 2 / 107، ونقله السيوطى في: الإنقان في علوم القرآن: 4 / 17.

3 الجامع لأحكام القرآن: 1 / 73.

ئُرْضِيعُهُ وَتَهَبِّهَا لِمَا فِيهِ)¹. إنَّ فِي هَذِهِ الإِشَارَاتِ الَّتِي نُجَدِّهَا عَنْدَ عُلَمَاءِ الْقُرْآنِ مِنَ الْقَدْمَاءِ - فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَالْمَوَاضِعِ السَّابِقَةِ - مَا يَدُلُّ عَلَى تَفَاتِهِمْ إِلَى هَذِهِ الْأَسَالِبِ التَّعْبِيرِيَّةِ الَّتِي عَدَهَا الطَّاهِرُ ابْتِكَارًا لِغُويًّا ، وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى تَبَيِّنِهِمْ عَلَى قِيمَتِهَا الْفَنِيَّةِ وَالْلُّغُوَيَّةِ وَالدَّلَالَيَّةِ وَمَكَانَتِهَا فِي اتِّصَافِ النَّصِّ الْقَرَآنِيِّ بِصَفَّةِ الْإِعْجَازِ . لَا شَكَ فِي أَنَّ الشِّيخَ الطَّاهِرَ اطَّلَعَ عَلَى هَذِهِ الْآرَاءِ الْخَاصَّةِ بِالْإِعْجَازِ الْقَرَآنِيِّ فَتَبَناَهَا ، وَلَكِنَّهُ عَبَرَ عَنْهَا بِصَفَّةِ الْابْتِكَارِ ، لِيُؤَكِّدَ بِذَلِكَ قَضِيَّةَ الْإِعْجَازِ الْلُّغُويِّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَلِيَكُونَ الْابْتِكَارُ الْلُّغُويُّ أَحَدُ مَظَاهِرِ الْإِعْجَازِ وَمَصَادِرُهُ .

17. وَيَرِي الشِّيخُ الطَّاهِرُ أَنَّ الْبَنَاءَ الْمُوسِيقِيَّ لِلنَّصِّ الْقَرَآنِيِّ مِنْ مَعَالِمِ الْابْتِكَارِ الْلُّغُويِّ فِيهِ ، إِذَا يَجِدُ أَنَّ بَنَاءَ بَنَاءً لُغُويًّا مُبْتَكِرًا قَائِمًا عَلَى أَسْلُوبِ الْفَوَاصِلِ الْمُتَمَاثِلَةِ فِي الْإِسْمَاعِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ تَمَاثِلِهَا فِي الْحُرُوفِ ، وَالْغَايَةُ مِنْ ذَلِكَ الْبَنَاءِ - عَنْهُ - أَنَّهُ يَؤُدِّي إِلَى تَنَاسِقٍ مُوسِيقِيٍّ يُسَاعِدُ الذَّاكِرَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ عَلَى حَفْظِهِ ، كَمَا يُسَهِّمُ ذَلِكُ فِي إِمْكَانِيَّةِ الْبَقاءِ فِي تَلْكَ الْبَيْنَةِ الشَّفْهِيَّةِ ، قَالَ : ((وَكَانَ لِفَصَاحَةِ الْفَاظِهِ وَتَنَاسُبِهَا فِي ثَرَاكِبِهِ وَتَرَبِّيَّهِ عَلَى ابْتِكَارِ أَسْلُوبِ الْفَوَاصِلِ الْعَجِيْبِيَّةِ الْمُتَمَاثِلَةِ فِي الْأَسْمَاعِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُتَمَاثِلَةُ الْحُرُوفِ فِي الْأَسْنَاجِ ، كَانَ لِذَلِكَ سَرِيعَ الْعَلُوقِ بِالْحَوَافِظِ خَفِيفَ الْإِلْتِقَالِ وَالسَّيْرِ فِي الْقَبَائِلِ ، مَعَ كَوْنِ مَادَّتِهِ وَلُحْمَتِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ دُونَ الْمُبَالَغَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالْمُفَاقِحَاتِ الْمَزْعُومَةِ ، فَكَانَ بِذَلِكَ أَنَّهُ صَوْلَةُ الْحَقِّ وَرَوْءَةُ لِسَامِعِيهِ ، وَذَلِكَ ثَائِرُ رُوحَانِيٌّ وَلَيْسَ بِلَفْظِيٌّ وَلَا مَعْنَوِيٌّ))².

القسم الثاني: جاء هذا القسم مبثوثاً في صفحات تفسيره: (التحرير والتنوير)، وليس مجموعاً كما هو شأن القسم الأول، ومادة القسم الثاني تختلف عن مادة القسم الأول؛ فمادة القسم الثاني هي مجموعة من الآيات التي ذكر الشِّيخُ الطَّاهِرُ في تفسيرها:

1. نفسه: 15 / 250.

2. التحرير والتنوير: 1 / 119.

أن فيها مبتكرًا لغويًا، وقد جمعنا هذه الموضع في هذا القسم، لأنها أمثلة جزئية وليست قواعد نظرية جامعة أو ضوابط كافية ناظمة، كما هي الحال مع مادة القسم الأول. وفي ما يأتي الألفاظ والتراكيب التي وصفها الطاهر بالابتكار، مما وقفت عليه في تفسير التحرير والتنوير، وقد صرّح الشيخ الطاهر بأنّ فيها ابتكارًا لغويًا :

الآية: عرفها الطاهر بن عاشور بأنها: ((مقدار من القرآن مركبٌ ولو تقديرًا أو إلحادًا، فقولي ولو تقديرًا لإدخال قوله تعالى: (مذہامتان) [الرحمن: 64] إذ التقديرُ هما مذہامتان، وسخو: (والفجحر) [الفجحر: 1] إذ التقديرُ أقسم بالفجحر.... أو إلحادًا: لإدخال بعض فواتح السور من الحروف المقطعة فقد عد أكثرها في المصاحف آيات ما عدًا: الر، والمر، وطس، وذلك أمرٌ توقيفيٌ وسنةٌ متبعه ولَا يظهر فرق بينها وبين غيرها)).¹ ثم نصَّ بعد ذلك بأنَّ مصطلح الآية ما ابتكره القرآن الكريم، قال: ((وَسَمِيَّهُ هَذِهِ الْأَجْزَاءُ آيَاتٌ هُوَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ))²، ولفظ(الآية) ورد في النص الكريم كما في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ) [آل عمران: 7] وقال: (كِتَابٌ أَحْكَمْتَ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتَ) [هود: 1] ، وعلل الطاهر سبب تسميتها بأنها إنما سميت (آية) ((لأنها دليل على أنها موحى بها من عند الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنها تشتمل على ما هو من الحد الأعلى في بلاغة نظم الكلام، ولأنها لوقوعها مع غيرها من الآيات جعلت دليلا على أن القرآن منزل من عند الله ولiness من تأليف البشر إذ قد تحدى النبي به أهل الفصاحة والبلاغة من أهل اللسان الغربي فعجزوا عن تأليف مثل سورة من سوره)).³ وبناء على كون التسمية من ابتكار

1 نفسه: 1 / 74.

2 نفسه: 1 / 74.

3 نفسه: 1 / 74. وهو ما ذكره القدماء، ينظر: جامع البيان: 6 / 384، ومشكل إعراب القرآن: 1 / 379، وتفسير الراغب الأصفهاني: 2 / 548، والمفردات في غريب القرآن: 103، والكشف: 1 / 525، والمرر الوجيز: 1 / 57، والتبيان في إعراب القرآن: 1 / 56، والجامع لأحكام القرآن: 1 / 66، وبصائر ذوي التمييز: 1 / 86، والدر المصنون: 1 / 308.

القرآن فهو يقرر أنه ((لَا يَحْقُّ لِجُمْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ أَنْ تُسَمِّيَ آيَاتٍ إِذَا لَيْسَتْ فِيهَا هَذِهِ الْخُصُوصِيَّةُ فِي الْلُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ وَالْأَرَامِيَّةِ))¹.

صيغة الله: بين الشيخ الطاهر في تفسير قوله تعالى: (صيغة الله ومن أحسن من الله صيغة وتحن له عابدون) [البقرة: 138]² أن أصل الصيغة هو الاغتسال بماء نهر في الأردن وهو سنة بدأها يحيى عليه السلام واتبعها النصارى رمزا للظهور الروحاني³، وكانوا يسمونها بـ(المعودية)، وقد كان عيسى يعمد الحواريين الذين آمنوا به، فتقرر في سنته النصارى تعميد من يدخل في دين النصرانية كبيراً، أما من يولده النصارى فيعمدوه في اليوم السابع من ولادته، وقد عرب العرب هذا اللفظ فقالوا: (المعودية)⁴. ثم ذهب إلى احتمالين في تأصيل استعمال الصيغة، في القرآن، يعني الأولى أنها من ابتكار القرآن الكريم، والاحتمال الثاني أن يكون هذا الاستعمال مما ابتدعه نصارى العرب في الجاهلية، قال: ((إطلاق اسم الصيغة على المعمودية يحتمل أن يكون من مبتكرات القرآن ويحتمل أن يكون نصارى العرب سموا ذلك الغسل صيغة، ولم أقف على ما يثبت ذلك من كلامهم في الجاهلية، وظاهر كلام الراغب أنه إطلاق قديم عن النصارى إذ قال: «وكانت النصارى إذا ولد لهم ولد غمسوه بعد السابع في ماء معمودية يزعمون أن ذلك صيغة لهم»))⁵. ويرى أن وجهاً ثالثاً ينفي المعمودية (صيغة) خفي السبب لأن ماء المعمودية لا لون له فيطلق على

1 التحرير والتنوير: 1 / 74.

2 ورد هذا التفسير في: جامع البيان / 3 / 117، ومعاني القرآن وإعرابه: 1 / 215، وتفسير الراغب الأصفهاني: 1 / 325، والكشف: 1 / 196، والمرر الوجيز: 1 / 216، ومفاتيح الغيب: 4 / 75، ومحاسن التأويل: 1 / 409.

3 ينظر: التحرير والتنوير: 1 / 743. وينظر فيها: أسباب التزول: 41، ومعالم التزيل: 1 / 173، وزاد المسير: 1 / 116، وأنوار التزيل: 1 / 109، ومدارك التنزيل: 1 / 134، والجامع لأحكام القرآن: 2 / 144، والبحر الخبط: 1 / 655، والباب في علوم الكتاب: 2 / 527، ومعتك الأقران: 1 / 312.

4 التحرير والتنوير: 1 / 743.

التَّلَطُّخُ بِهِ. وَمِنْ ثُمَّ رَاحَ يَقُولُ ((إِطْلَاقُ الصِّبْغَةِ عَلَى مَا مَعْمُودَيْةٍ أَوْ عَلَى الْأَغْتِسَالِ بِهِ اسْبِعَارَةً مُبَيِّنَةً عَلَى تَشْبِيهِ وَجْهِهِ تَخْيِيلِيٌّ إِذْ تَخَيَّلُوا أَنَّ التَّعْمِيدَ يُكَسِّبُ الْمُعْمَدَ بِهِ صِفَةَ الْأَصْرَانِيَّةِ وَيُلَوِّنَهُ بِلَوْنِهَا كَمَا يُلَوِّنُ الصِّبْغَةَ تَوْتِيَّا مَصْنُوبُغًا))¹. وَيَبْدُو أَنَّ سَبَبَ قَوْلِهِ بِالْابْتِكَارِ الْلُّغُوِيِّ فِي اسْتِعْمَالِ (صِبْغَةِ اللَّهِ) هُوَ جَذَّةُ اسْتِعْمَالِهِ بِالدَّلَالَةِ الْمُذَكُورَةِ؛ فَظَاهِرُ كَلَامِ الشَّيْخِ أَنَّ أَوَّلَ اسْتِعْمَالٍ لَهُ بِهَذِهِ الدَّلَالَةِ هُوَ الْوَارِدُ فِي الْقُرْآنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَاللَّهُ وَاسِعٌ: تَكَلَّمُ الشَّيْخُ الطَّاهِرُ عَلَى كَلْمَةِ (وَاسِعٌ) فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: (وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَى لِمَنْ نَعِيَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيَ شَمِّيزٌ أَوْ يُحَاجِجُوكُمْ عِنْدَ رِبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ يَبْدِلُ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (73) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74) ([آل عمران: 73-74]²) فِي بَيْنِ مَعْنَاهَا الْأَصْلِيِّ ثُمَّ مَعْنَاهَا الَّذِي نَتْجُوعُ مِنْ اتساعِ دَلَالِتِهَا بِسَبَبِ كُثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ، قَالَ: ((يُطْلُقُ الْاِتْسَاعُ وَمَا يُشْتَقُّ مِنْهُ عَلَى وَقَاءِ شَيْءٍ بِالْعَمَلِ الَّذِي يَعْمَلُهُ تَوْزُعُهُ دُونَ مَشَقَّةٍ يُقَالُ: فَلَانَ وَاسِعُ الْبَالِ، وَوَاسِعُ الصَّدْرِ، وَوَاسِعُ الْعَطَاءِ، وَوَاسِعُ الْخُلُقِ، فَتَنْدُلُ عَلَى: شَدِيدٌ أَوْ كَثُرَةٌ مَا يُسْتَدِّ إِلَيْهِ أَوْ يُوْصَفُ بِهِ أَوْ يُعْلَقُ بِهِ مِنْ أَشْيَاءِ وَمَعَانِ، وَشَاغَ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ مَعْنَى ثَانِيَّاً))³. وَقَالَ الزَّجاجُ: ((أَصْلُ السُّعَةِ فِي الْكَلَامِ كَثُرَةُ أَجْزَاءِ الشَّيْءِ يُقَالُ إِنَاءُ وَاسِعٌ وَبَيْتُ وَاسِعٌ ثُمَّ قَدْ يَسْتَعْمِلُ فِي الْغَنِيِّ يُقَالُ فَلَانٌ يُعْطِي مِنْ سَعَةِ يَرَاهُ مِنْ غَنِيٍّ وَجَذَّةَ وَفْلَانٌ وَاسِعُ الرَّحْلِ وَهُوَ الْغَنِيِّ))⁴. قَالَ أَبُو بَكْرُ الْأَنْبَارِيُّ فِي تَفْسِيرِ مَعْنَى الْوَاسِعِ: ((الْوَاسِعُ مَعْنَاهُ فِي كَلَامِهِمْ: الْكَثِيرُ الْعَطَابِيُّ، الَّذِي يَسْعُ لِمَا يُسْأَلُ، عَزٌّ وَجَلٌ... وَيُقَالُ الْوَاسِعُ: الْمُحيَطُ بِعِلْمِ كُلِّ شَيْءٍ))⁵. قَالَ الرَّاغِبُ: ((السَّعَةُ تَقَالُ فِي الْأَمْكَنَةِ، وَفِي الْحَالِ،

1. نفسه: 1/743.

2. نفسه: 3/285.

3. تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج: 51.

4. الزاهر في معاني كلمات الناس: 1/94. وينظر: لسان العرب: 8/392، و Taj al-Uroos: 22/325.

وفي الفعل كالقدرة والجود ونحو ذلك))¹. بين الشيخ الطاهر أن (واسع) ورد في القرآن الكريم، بالمعنى المجازي، اسمًا من أسماء الله الحسني، قال: ((وواسع من صفات الله وأسمائه الحسنى وهو بالمعنى المجازي لامحالة لاستحالة المعنى الحقيقي في شأنه تعالى،...، وإستاد وصف واسع إلى اسمه تعالى إستاد مجازي أيضًا لأن الواسع صفاتة فوصفة في هذه الآية يأله واسع هو سعة الفضل لاه وقع تذيلًا لقوله: (ذلك فضل الله يؤتى به من يشاء)))²، وقد ذكر الزمخشري الاستعمال المجازي هذا ، قال: ((واسع المكان وغيره سعة واتسع واستوسع. ،...، ولí في هذا المكان متسع،...، وفرس واسع وواسع: واسع الخطو، وقد وسع واسعة. وواسع الرجل المكان، ووسعه المكان. ومن المجاز: إنه ليسعني ما يسعك، ولا يسعني شيء ويفيد عنك، ولا يسعك أن تفعل كذا. وواسع الله عليه العيش وأوسعه. وأوسع الرجل واستوسع: اتسعت حاله. وهو في عيش واسع والله واسع ، ووسيط رحته كل شيء))³. ثم قرر الطاهر بعد ذلك أن استعماله في وصف الله تعالى بما ابتكره القرآن الكريم، قال: ((وأحسب أن وصف الله بصفة واسع في العربية من مبتكرات القرآن))⁴. أي أن سبب وصفها بالابتكار هنا هو أنها لم يسبق أن استعملت كلمة الواسع في وصف الله تعالى قبل استعمالها في القرآن الكريم.

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ : توقف الشيخ الطاهر في تفسيره للأية الكريمة: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فِإِلَهُمْ ظَالِمُونَ (128) [آل عمران]¹²⁸ على سبب نزولها، وهو أله لما شجَّ وجه الرسول (ص) يوم أحد قال له أصحابه: لو دعوتَ عليهم، فقال: إبني لم أنبعث لعائنا، ولكنني بعثت داعيَا ورَحْمَةً، اللهم اهدِ

1 المفردات في غريب القرآن: 870.

2 التحرير والتنوير / 3. 285. وفيه من كلام الغزالى في: المقصد الأسى: 119.

3 أساس البلاغة: 2 / 333. وينظر أيضًا: المصباح المنير: 2 / 660.

4 التحرير والتنوير: 3 / 285.

قومي فإنهم لا يعلمون¹. ثم ذكر أقوال العلماء في دعاء الرسول على أعدائه وما إذا كانت هذه الآية حرمته عليه أو نسخت جوازه. ثم تحدث عن التركيب الذي تتألف منه الجملة، قال: ((واللَّامُ الْجَارَةُ لَامُ الْمِلْكِ، وَكَافُ الْخَطَابُ لِمُعَيْنٍ، وَهُوَ الرَّسُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - . وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تُبَرَّجِي مَجْرِيَ الْمَثَلِ إِذْ رَكِبْتَ تَرْكِيَّا وَجِيزًا مَحْذُوفًا مِنْهُ بَعْضُ الْكَلِمَاتِ، وَلَمْ أَظْفَرْ، فِيمَا حَفِظْتُ مِنْ غَيْرِ الْقُرْآنِ، بِأَنَّهَا كَانَتْ مُسْتَعْمَلَةً عِنْدَ الْعَرَبِ، فَلَعِلَّهَا مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ))²، ولم يكتفي بذلك وإنما التفت إلى تركيب نحوية مشابهة وردت في آيات قرآنية أخرى، جاء بعضها محكيًا، فنبه على أنها إن كان القرآن حكمها معنى فقط دون اللفظ فهي من مبتكراته، وإن كانت محكية لفظًا ومعنى فهي في هذه الحال من المبتكرات الدلالية في القرآن الكريم؛ قال: ((وَقَرِيبٌ مِنْهَا قَوْلُهُ: (وَمَا أَمْلَكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) [المتحن: 4] وَسَيَحْجِيُّ قَرِيبٌ مِنْهَا فِي قَوْلِهِ الْأَتَى: (يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ) [آل عمران: 154] (وَيَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا) [آل عمران: 154] فَإِنْ كَانَتْ حِكَايَةُ قَوْلِهِمْ بِلِفْظِهِ، فَقَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مُسْتَعْمَلَةً عِنْدَ الْعَرَبِ، وَإِنْ كَانَ حِكَايَةً بِالْمَعْنَى فَلَا))³.

الجاهلية: وفي تفسيره للأية الكريمة: (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْقُسْمِ أُمَّةً نَعَسَتْ يَعْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةً قَدْ أَهْمَمْتُمُ الْفَسُّهُمْ يَظْهُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَلَّ الْجَاهِلِيَّةُ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي الْفَسُّهُمْ مَا لَا يَنْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُشِّمْ فِي يُوْتِكُمْ لَبَرَّ الَّذِينَ

1 ينظر: نفسه 4 / 82. وتنظر أقوال المفسرين فيها، في: جامع البيان: 7 / 194، ومعاني القرآن وإعرابه: 1 / 467، وأسباب التزول: 121، وعالِم التنزيل: 1 / 503، والكشف: 1 / 413، والمحرر الوجيز: 1 / 505، وزاد المسير: 1 / 323، ومفاتيح الغيب: 8 / 355، وأنوار التنزيل: 2 / 37، ومدارك التنزيل: 1 / 290، والجامع لأحكام القرآن: 4 / 199-200، والبحر الجبطة: 3 / 338، واللباب في علوم الكتاب: 5 / 530، وإرشاد العقل السليم: 2 / 83، وحاشية الشهاب: 5 / 239، وروح المعاني: 2 / 264.

2 التحرير والتغیر: 4 / 82.

3 نفسه: 4 / 83.

كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلَيَتَتَّلِيَ اللَّهُ مَا فِي صَدْرِكُمْ وَلَيَمْحَصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [آل عمران: 154]¹] تكلم الشيخ الطاهر على كلمة: (الجاهلية)، فبين أنها ((صِفَةٌ جَرَتْ عَلَى مَوْصُوفٍ مَخْتُوقٍ يُقْدَرُ بِالْفِتْنَةِ أَوِ الْجَمَاعَةِ، وَرَبِّمَا أُرِيدَ بِهِ حَالَةُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي قَوْلِهِمْ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَوْلُهُمْ تَعَالَى: (تَبَرُّجُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [الأحزاب: 33]²، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ نِسْبَةٌ إِلَى الْجَاهِلِ أَيِّ الْذِي لَا يَعْلَمُ الدِّينَ وَالْتَّوْحِيدَ) ³. ثم قرر بعد ذلك أنَّ هذا الاستعمال من جاء به القرآن الكريم، قال: ((وَأَخْسَبَ أَنَّ لَفْظَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ، وَصَفَّ بِهِ أَهْلُ الشَّرِكَةِ ثَنَفِيرًا مِنَ الْجَهَلِ، وَتَرْغِيَّةً فِي الْعِلْمِ، وَلِتَلِكَ يَذَكُّرُهُ الْقُرْآنُ فِي مَقَامَاتِ الدَّمَّ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ: (أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) [المائدة: 50] (وَلَا تَبَرُّجُنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [الأحزاب: 33] (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْحَمِيمَةَ حَمِيمَةَ الْجَاهِلِيَّةِ) [الفتح: 26]⁴). ثم ذكر قوله: شِغْرُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَيَّامُ الْجَاهِلِيَّةِ، وقول ابن عباس: سَمِعْتُ أَبِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُ: اسْقِنَا كَائِنًا دِهَافًا. وعقب عليه: ((وَلَمْ يُسْمَعْ ذَلِكَ كَلَمَّا إِلَّا بَعْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ وَفِي كَلَامِ الْمُسْلِمِينَ))³. قوله بالابتكار في هذه الكلمة ناتج من أنها لم تستعمل بهذه الدلالة المذكورة إلَّا في القرآن الكريم، وقد تناول الباحث عودة خليل عودة التطور في دلالة كلمة (الجاهلية) في القرآن الكريم، بعد أن عَرَضَ معانيها في المعجم العربي والشعر العربي قبل الإسلام، وهي: الجهل ضد العلم، والجهل يعني الضياع والتَّيه، وبمعنى السُّفَهَ والطَّيشِ والغضَبِ، وبمعنى الإعراض عن دين الله تعالى، ثم انتهى إلى أنَّ ((مصطلح الجاهلية الذي صنعته القرآن الكريم مستمد من الجهل بمعنى السُّفَهَ والطَّيشِ والإعراض وليس من الجهل الذي هو ضد العلم)).⁴

1 نفسه: 136 / 4.

2 نفسه: 136 / 4.

3 نفسه: 136 / 4.

4 التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: 150.

كَمَلَ الْكَلْبٌ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تُشْرِكُهُ يَلْهَثُ: ذكر الشيخ الطاهر في تفسير قوله تعالى: (وَأَثْلَلُ عَلَيْهِمْ تَبَأْ الدُّلْيَ آتَيْنَاهُ آتَيْنَا فَالسَّلَخَ مِنْهَا فَأَلْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَأَبْيَعَ هُوَاهُ فَمَتَّلَهُ كَمَلَ الْكَلْبٌ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تُشْرِكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَتَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصَصُ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ([الاعراف: 175-176]) ، أن ((استعمال القرآن لفظ المثل بعد كاف التشبيه مأثور به تشبية الحالة بالحالة، ،...، فليذكر تعين أن التشبية هنا لا يخرج عن المتعارف في التشبيه المركب، فهو الصالح تحمل كلفة اتباع الدين الصالح وصار يطلب في حين كان غير مكفل بذلك في زمان الفترة فلقي من ذلك نصباً وعنة، فلما حان حين اتباع الحق بيعة محمد صلى الله عليه وسلم تحمل مشقة العناid والاعراض عنده في وقت كان جديراً فيه بأن يستريح من عنائه لحصول طلبته فكانت حالتها شبيهة بحالة الكلب الموصوف باللهث، فهو يلهث في حالة وجود أسباب اللهث من الطرد والإزهاب والمشقة وهي حالة الحمل عليه، وفي حالة الخلو عن ذلك السبب وهي حالة تركه في دعوة ومسالمة، والذي ينبع على هذا المعنى هو قوله أو تشركه))¹. وبين الطاهر علة اختيار حيوان الكلب للتشبيه به دون غيره من الحيوانات بأنه ((ليس لشيء من الحيوان حالة تصلح للتشبيه بها في الحالتين غير حالة الكلب اللاهث، لاهه يلهث إذا أثعب وإذا كان في دعوة، فاللهث في أصل خلقته))².

1 التحرير والتنوير: 9 / 177. وينظر تفسير التمثيل في: جامع البيان: 13 / 271، والحيوان: 1 / 166 و 2 / 238، والأمثال من الكتاب والسنة: 28، ومعاني القرآن للتحفاص: 3 / 106، والانتصار للقرآن للباقلانى: 2 / 750، والتفسير الوسيط: 2 / 428، والمفردات في غريب القرآن: 760، ومعالم التنزيل: 2 / 252، والكشف: 2 / 178، والمحرر الوجيز: 2 / 478، وزاد المسير: 2 / 171، ومفاتيح الغيب: 15 / 405-406، وأنوار التنزيل: 3 / 42، ومدارك التنزيل: 1 / 618، والبحر المحيط: 5 / 224-225، والباب في علوم الكتاب: 9 / 390-391، وبصائر ذوي التمييز: 4 / 483، وروح المعانى: 2 / 366، ومحاسن التأويل: 5 / 223، وتفسير الشعراوى: 7 / 4462.

2 التحرير والتنوير: 9 / 177.

وبعد أن كشفَ عمّا في هذا التمثيل المركب من دقة في الاختيار والتعبير الذي يرسم صورة متكاملة للحالة المراد التعبير عنها على نحو يغري المتلقي بالتدقيق في ملامح هذه الصورة وفهم دلالاتها وإيماءاتها، ثم يقرر أن هذا التمثيل من ابتكار القرآن الكريم، قال: ((وَهَذَا التَّمثِيلُ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ ، ، ، فَهَذَا تَشْبِيهٌ تَمْثِيلٌ مُرْكَبٌ مُتَزَّعَّهٌ فِي الْحَالَةِ الْمُشَبَّهَةِ وَالْحَالَةِ الْمُشَبَّهَةِ بِهَا مِنْ مَعْدُودٍ ، وَلَمَّا ذَكَرَ تَخْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرْكُهُ يَلْهَثُ فِي شَقِّ الْحَالَةِ الْمُشَبَّهَةِ بِهَا ، تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونُ لَهَا مُقَابِلٌ فِي الْحَالَةِ الْمُشَبَّهَةِ ، وَتَقَابِلُ أَجْزَاءُ هَذَا التَّمثِيلِ بِأَنْ يَشْبِهَ الضَّالُّ بِالْكَلْبِ ، وَيَشْبِهَ شَقَاؤَهُ وَاضْطِرَابَ أَفْرَاهُ فِي مُدَّةِ الْبَحْثِ عَنِ الدِّينِ يَلْهَثُ الْكَلْبُ فِي حَالَةِ تَرْكِهِ فِي دَعَةٍ ، تَشْبِيهُ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ ، وَيَشْبِهُ شَقَاؤَهُ فِي إِغْرَاصِهِ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ عِنْدَ مَجِيئِهِ يَلْهَثُ الْكَلْبُ فِي حَالَةِ طَرْدِهِ وَضَرْبِهِ تَشْبِيهُ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ . وَقَدْ أَغْفَلَ هَذَا الَّذِينَ فَسَرُوا هَذِهِ الْآيَةَ فَقَرَرُوا التَّمثِيلَ بِتَشْبِيهِ حَالَةَ بَسِيطةٍ بِحَالَةٍ بَسِيطةٍ فِي مُجَرَّدِ التَّشْوِيهِ أَوِ الْخَسْهِ . فَيَؤُولُ إِلَى أَنَّ الْغَرَضَ مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْكَلْبِ إِظْهَارُ خَسَّةِ الْمُشَبَّهِ ، كَمَا دَرَجَ عَلَيْهِ فِي «الْكَشَافِ» ، وَلَوْ كَانَ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ لَمَّا كَانَ لِذِكْرِ إِنْ تَخْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرْكُهُ يَلْهَثُ كَبِيرٌ جَذُوِيٌّ ، بَلْ يَقْتَصِرُ عَلَى اللَّهِ لِتَشْنُونِيَ الْحَالَةِ الْمُشَبَّهَةِ بِهَا ، لِتَكْتَسِبَ الْحَالَةِ الْمُشَبَّهَةَ تَشْنُونِيَها ، وَذَلِكَ تَقْصِيرٌ فِي حَقِّ التَّمثِيلِ))¹. وقد سبق أن أشار بعض القدماء إلى ما في هذا التمثيل من بلاغة متناهية في الحسن؛ قال الزجاج: ((ضرب الله عز وجل: بالبارك لأياته والعادل عنها. أحسن مثل في أحسن أحواله، فقال عز وجل: (فَمَكِّلَهُ كَمَكِّلَ الْكَلْبِ) إذا كان الكلب هثان، وذلك أن الكلب إذا كان يلهم فهو لا يقدر لنفسه على ضر ولأن نفع، لأن التمثيل به على أنه يلهم على كل حال حملت عليه أو تركته، فالمعنى فمثله كمثل الكلب لاهثا))². وقد عده أبو هلال العسكري من أجود صور التشبيه وأبلغه، لأن فيه إخراج

1 نفسه: 9 / 177-178.

2 معاني القرآن وإعرابه: 2 / 391.

ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه من هث الكلب^١. وقال البيضاوي: ((والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع وضع المترفة للمبالغة والبيان))^٢. ونقل القرطبي في تفسيره: ((هَذَا شَرُّ تَمْثِيلٍ، لِأَنَّهُ مِثْلُهُ فِي أَنَّهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ هَوَاهُ حَتَّى صَارَ لَهُ يَمْلِكُ لِتَنْفِيْهِ ضَرًّا وَلَا تَنْفِيْهُ بِكَلْبٍ لَاهِثٍ أَبَدًا، حُمِّلَ عَلَيْهِ أَوْ لَمْ يُخْمَلْ عَلَيْهِ، فَهُوَ لَهُ يَمْلِكُ لِتَنْفِيْهِ تَرْكَ الْلَّهَكَانِ))^٣. وبعلق السيد قطب على الصورة التي يحتويها هذا التمثيل، واصفا إياه بالجديد وغير المسقوف في لغة العرب، قال: ((إنه مشهد من المشاهد العجيبة، الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتوصيرات؛ إنسان يؤتى الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدا والاتصال والارتفاع، ولكنها هو ذا ينسليخ من هذا كله انسلاخاً...، ثم إذا هو مسخ في هيئة الكلب، يلهث إن طوره ويلهث إن لم يطارد. كل هذه المشاهد المتحركة تتتابع وتتوالى والخيال شاخص يتبعها في انفعال وانبهار وتأثير،...، وهل يبلغ قول قائل في وصف هذه الحالة وتصویرها على هذا النحو العجيب الفريد إلا هذا القرآن العجيب الفريد))^٤.

خُلُدُ الْعَفْوَ: وفي تفسير قوله تعالى: (خُلُدُ الْعَفْوَ وَأَمْرُ بِالْعُرْفِ وَأَغْرِضُ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [الاعراف 199] بين الشيخ الطاهر المعنى اللغوي لـ(الأخذ) واستعماله المجازي على طريق الاستعارة في الآية الكريمة ، فقول: ((والأخذ حقيقته تناول شيء للارتفاع به أو لإضراره، كما يقال: أخذت العدو من ثاببيه، ولذلك يقال في الأسير أخذت، ويقال للقوم إذا أسروا: أخذوا واستعمل هنـا مجازاً فاستعير للتلـيس بالوـصفـ والـفـعلـ من بـينـ أـفـعـالـ لـوـ شـاءـ لـتـلـيسـ بـهـاـ، فـيـشـيـهـ ذـلـكـ التـلـيسـ وـاخـتـيـارـ عـلـىـ تـلـيسـ آخرـ

١ ينظر: الصناعتين: الكتابة والشعر: 240.

٢ أنوار التزيل: 3 / 42.

٣ الجامع لأحكام القرآن: 7 / 323.

٤ في ظلال القرآن: 3 / 1396-1397.

بأخذ شيءٍ من بين عدّة أشياء، فمعنى (خذ العفو) : عامل به واجعله وصفاً ولَا تلبسه بضله¹). ثم يذهب بعد ذلك إلى أن استعمال هذه الاستعارة من الابتكار اللغوي والبلاغي للقرآن الكريم، قال: ((وأحسب استعارة الأخذ للعرف من مبتكرات القرآن ولذلك أرجح أنَّ النبيَّ المشهور وهو:

خلي العفو مثني تستديمي سودتي ولَا تنطقي في سوزتي حين أغضب

هُوَ لِأبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤْلِيِّ، وَأَنَّهُ أَبْعَثَ اسْتِعْمَالَ الْقُرْآنِ، وَأَنَّ نِسْبَتَهُ إِلَى أَسْمَاءَ بْنَ خَارِجَةَ الْفَزَارِيِّ أَوْ إِلَى حَاتِمَ الطَّائِنِيِّ غَيْرُ صَحِيحَةٍ))². ويبدو من هذا النص أنَّ قول الطاهر بأنَّ استعمال (خذ العفو) من ابتكار القرآن، قد قاده إلى توجيه ما وجده من تعير مماثل، في البيت المذكور المنسوب إلى شاعرين³ من شعراء ما قبل الإسلام، بأنَّ هذه النسبة غير صحيحة وأنَّه لأبي الأسود الدولي الذي تأثر بالاستعمال القرآني.

ذاتَ يَئِنْكُمْ: وقف الشيخ الطاهر على معنى عبارة: (وأصلحوا ذاتَ يَئِنْكُمْ)، في قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فَاقْتُلُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ يَئِنْكُمْ وَأَطْبِعُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ) [الأنفال: 1]، فقال: ((وَالإِصْلَاحُ: جَعْلُ الشَّيْءِ صَالِحًا، وَهُوَ مُؤْذَنٌ بِأَنَّهُ كَانَ غَيْرَ صَالِحٍ، فَالْأَمْرُ بِالإِصْلَاحِ دَلَّ عَلَى فَسَادِ ذَاتِ

1 التعريب والتقوير: 9 / 226.

2 نفسه: 9 / 226.

3 ينسب البيت إلى أسماء بن خارجة في: الموسى = الظرف والظرفاء: 149، والتذكرة الحمدونية: 3 / 339، وجمهرة خطب العرب: 2 / 507، وتاريخ دمشق لابن عساكر: 9 / 57، وفوات الوفيات: 1 / 169، والوافي بالوفيات: 9 / 38. وينسب إلى حاتم الطائي في: المحرر الوجيز: 2 / 491، والبحر المحيط: 5 / 256. ونسب إلى أبي الأسود في: عيون الأخبار: 3 / 16، و4 / 76، والجامع لأحكام القرآن: 2 / 254، وحماسة الخالدين = الأشباء والنظائر: 101، والمجمع اللفيف: 206، ومعجم الأدباء: 4 / 1468، والوافي بالوفيات: 16 / 307 أيضاً. ونسب لمالك بن أسماء وغثيل به أبو الأسود في: عاضرات الأدباء: 2 / 83، ونسب لعامر بن عمرو البكاء في: الحماسة البصرية: 2 / 71.

بَيْنَهُمْ، وَهُوَ فَسَادُ التَّنَازُعِ وَالْتَّظَالُمِ. وَذَاتٌ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُؤْتَثٌ (ذُو) الْذِي هُوَ بِمَعْنَى صَاحِبٍ تَكُونُ أَفْهَامُهَا مُبَدَّلةً مِنَ الْوَاوِ، ...، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (ذَاتٌ) أَصْلِيَّةُ الْأَلْفِ، كَمَا يُقَالُ: أَنَا أَغْرَفُ ذَاتَ فُلَانَ، فَالْمَعْنَى حَقِيقَةُ الشَّيْءِ وَمَاهِيَّتُهُ، ...، فَصَارَ الْمَعْنَى: أَصْلِحُوا حَقِيقَةَ بَيْنَكُمْ أَيِّ اجْعَلُوا الْأَمْرَ الَّذِي يَجْمِعُكُمْ صَالِحًا غَيْرَ فَاسِدٍ).¹ ثُمَّ قَرَرَ أَنَّ هَذَا التَّعبيرُ مَا ابْتَكَرَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، قَالَ: ((وَاعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقِفْ عَلَى إِسْتِعْمَالٍ (ذَاتٍ بَيْنِ) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَأَخْسِبُ أَنَّهَا مِنْ مُبَشِّكَاتِ الْقُرْآنِ)).²

التخلص بـ(إذ): قال الشيخ الطاهر بعد تفسيره قوله تعالى: (إِذْ يَعِذُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَهْلَهَا لَكُمْ وَئُودُونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُنْطَلِقَ الْبَاطِلُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8) إِذْ سَتَغْيِيْنُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمْدُّكُمْ بِالْفِيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِيْنَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلَتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) إِذْ يُعْشِيْكُمُ الْتَّعَاصِمَ أَمْمَةً مِنْهُ وَيَنْزَلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذَهِّبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلَيُرِيْطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيَبْتَأِبَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11)) [سُورَةُ الْأَنْفَالِ]: ((لَقَدْ أَبْدَعَ نَظَمُ الْأَيَّاتِ فِي التَّنَقُّلِ مِنْ قِصَّةٍ إِلَى أُخْرَى مِنْ دَلَائِلِ عِنَابِيَّةِ اللَّهِ إِذْ يُعْشِيْكُمُ الْتَّعَاصِمَ أَمْمَةً مِنْهُ وَيَنْزَلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذَهِّبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلَيُرِيْطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيَبْتَأِبَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) ظَعَالَى بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

1 التحرير والتنوير: 9 / 253. وينظر: معاني القرآن للأخفش: 1 / 345، وجامع البيان: 13 / 367، ومعاني القرآن وإعرابه: 2 / 400، ومعاني القرآن للنحاس: 3 / 129، والكشف: 2 / 195، والمرر الوجيز: 2 / 500، ومفائق الغيب: 15 / 449-450، وأنوار التنزيل: 3 / 49، ومدارك التنزيل: 1 / 629، والجامع لأحكام القرآن: 7 / 360، و7 / 364، والبحر المحيط: 5 / 274، واللباب في علوم الكتاب: 9 / 447، والبرهان في علوم القرآن: 4 / 279، وإرشاد العقل السليم: 4 / 3، وروح البيان: 3 / 311، وعasan التأويل: 5 / 254، وتفسير المثار: 9 / 489.

2 التحرير والتنوير: 9 / 254.

وبالمؤمنين، فقررتها، في قرن زمامها، وجعلت ينتقل من إخذاها إلى الأخرى بواسطة إذ الرَّمَانِيَّةِ، وَهَذَا مِنْ أَبْدَعِ التَّحْلُصِ، وَهُوَ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ فِيمَا أَخْسَبَ))¹.

وراوَدَتْهُ الْتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ: تحدث الشيخ الطاهر في تفسير قوله تعالى: (وَرَاوَدَتْهُ الْتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَادَ اللَّهِ إِلَهٌ رَبِّي أَخْسَنَ مَثَوَّيًّا إِلَهٌ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23)) [يوسف 12]² عن معنى المراودة، فتناول اشتقاها من الفعل راد، ومعناها كما بيته المعاجم وما تدل عليه صيغة مفاعلة من تكرار الفعل، أو جود طرفين يسترkan فيه أو يتجادلأنه، قال: ((فَالْمُرَاوَدَةُ الْمُقْضَيَّةُ تُكْرِيرُ الْمُحَاوَلَةِ بِصِيَغَةِ الْمُفَاعَلَةِ، وَالْمُفَاعَلَةُ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي التَّكْرِيرِ. وَقِيلَ: الْمُفَاعَلَةُ تَقْدِيرِيَّةٌ بِأَنَّ اعْتَبَرَ الْعَمَلَ مِنْ جَانِبِ الْمُمَانَعَةِ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْعَمَلِ بِمَتَرْزِلَةِ مُقَابَلَةِ الْعَمَلِ بِمَثَلِهِ. وَالْمُرَاوَدَةُ: مُشَتَّقَةٌ مِنْ رَادَ يَرُودُ، إِذَا جَاءَ وَذَهَبَ. شَبَّهَ حَالَ الْمُحَاوَلِ أَحَدًا عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ مُكَرَّرًا ذَلِكَ. بِحَالِ مَنْ يَذَهَبُ وَيَحْيِيُ فِي الْمُعَاوَدَةِ إِلَى الشَّيْءِ الْمَتَهُوبِ عَنْهُ، فَأَطْلَقَ رَاوَدَ بِمَعْنَى حَارَلَ))³. وقد فسرها الراغب، قال: ((وَالْمُرَاوَدَةُ: أَنْ تَنَازَعَ غَيْرُكَ فِي الإِرَادَةِ، فَتَرِيدُ غَيْرَ مَا يَرِيدُ، أَوْ تَرُودُ غَيْرَ مَا يَرُودُ، وَرَاوَدَتْ فَلَاتَا عَنْ كَذَا. قَالَ: (هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي) [يوسف 26] ، وَقَالَ: (ثَرَادَتْ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ) [يوسف 30] ، أَيْ: تَصْرِفَهُ عَنْ رَأْيِهِ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: (وَلَقَدْ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ)))³. ثم ينتقل الشيخ للكلام على دلالة تعدية الفعل راود بعن، مبينا ان هذا الاستعمال كناية غرض المواقعة، قال: ((وَعَنْ لِلْمُجَاوَرَةِ، أَيْ رَاوَدَتْهُ مُبَاعَدَةً لَهُ عَنْ نَفْسِهِ، أَيْ بِأَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ لَهَا. وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا التَّرْكِيبُ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ، فَالْفَسْرُ هُنَّا كِنَائِيَّةٌ عَنْ غَرَضِ الْمُوَاقَعَةِ، قَالَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ، أَيْ فَالْفَسْرُ أَرِيدُ بِهَا عَفَافَهُ وَتَمْكِينَهُ مِنْهُ لِمَا ثَرِيدُ، فَكَانَهَا ثَرَادَةً عَنْ أَنْ يُسْلَمَ إِلَيْهَا إِرَادَتُهُ وَحُكْمَهُ فِي نَفْسِهِ. وَأَمَّا تَعْدِيَتُهُ بِـ

1 نفسه: 9 / 277-278

2 نفسه: 12 / 250

3 المفردات في غريب القرآن: 371

(علی) فَذَلِكَ إِلَى الشَّيْءِ الْمَطْلُوبِ حُصُولُهُ. وَوَقَعَ فِي قَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَاوِدُ عَمَّةً أبا طَالِبِي عَلَى الْإِسْلَامِ: وَفِي حَدِيثِ الْإِسْلَامِ «فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَدْ وَأَلَّهُ رَأَوْدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَذْنِي مِنْ ذَلِكَ فَتَرَكُوهُ»)¹.

الضمائر في (ردوا، وأيديهم، وأفواههم):

وفي تفسيره قوله تعالى: (الَّمَّا يَأْتِكُمْ بِنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُوا أَيْدِيهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ) [ابراهيم 9] توقف الشيخ على استعمال النص الكريم للضمائر في (ردوا، وأيديهم، وأفواههم) التي تعود إلى المتكلم عنهم سابقاً وهم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، فذهب إلى أن هذا التركيب على هذا النحو لم يسبق للعرب أن استعملته ، أي ان القرآن الكريم قد ابتكره بسبقه إليه، قال: ((وَمَعْنَى جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ جَاءَ كُلُّ أُمَّةٍ رَسُولًا . وَضَمَائِرُ فَرَدُوا وَأَيْدِيهِمْ وَأَفْوَاهِهِمْ عَائِدٌ جَمِيعُهَا إِلَى قَوْمٍ نُوحٍ وَالْمَعْطُوفَاتِ عَلَيْهِ . وَهَذَا التَّرْكِيبُ لَا أَعْهَدُ سَبَقَ مِثْلِهِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَلَعْلَهُ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ))².

المسجد الأقصى: وبعد أن فسر الشيخ قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ لِتُرِيَةٍ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الاسراء 1] انتهى إلى الكلام على استعمال النص لـ(المسجد الأقصى) الذي يراد به اسجد بيت المقدس الذي وصف بالأقصى لبعده عن مكة المكرمة ويرى ان هذا الاستعمال من ابتكار القرآن؛ لأن العرب لم يكونوا يصفونه بهذا الوصف، قال: ((والمسجد الأقصى هو المسجد المعروف ببيت المقدس الكائن بإلياء، وهو المسجد الذي بناه سليمان - عليه الصلاة والسلام -. والأقصى، أي الأبعد . والمراد بعده عن

1 التحرير والتغبير: 12 / 250.

2 نفسه: 13 / 197.

مكّة، بقربنة جعله نهاية المسجد الحرام، وهو وصف كاشف اقتضاء هنا زيادة التشيه على مغيرة هذا المسراء وكوته خارقاً للعادة لكونه قطع مسافة طويلة في بعض ليلة. وبهذا الوصف الوارد له في القرآن صار مجموع الوصف والموصوف علماً بالغلبة على مسجد نيت المقدس كما كان المسجد الحرام علماً بالغلبة على مسجد مكّة. وأحسب أنَّ هذا العلم له من مبتكرات القرآن فلم يكن العرب يصفونه بهذا الوصف ولكنهم لما سمعوا هذه الآية فهموا المراد منه أنه مسجد إيلياء. ولم يكن مسجد الدين إلهي غيرهما يومئذ. وفي هذا الوصف بصيغة التفضيل باعتبار أصل وضعها مغيرة خفية من مغائرات القرآن إيماء إلى أنه سيكون بين المسلمين مسجد عظيم هو مسجد طيبة الذي هو قصي عن المسجد الحرام، فيكون مسجد نيت المقدس أفضى منه حيتان¹).

كُلُّ في فَلَكِ: وقد تحدث الشيخ الطاهر عن فن بلاغي جديد من ابتكار القرآن الكريم، وذلك في تفسير قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْتَبِحُونَ) (33)، إذ نبه الشيخ على أنَّ فيه محسناً بلاغياً لم يسبق أن استعملته العرب قبل هذا، وذلك في قوله: (كُلُّ فِي فَلَكٍ)، وقد عده من مظاهر الإعجاز القرآني، قال: ((وَمِنْ بَدَائِعِ الْإِعْجَازِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ قَوْلَةَ تَعَالَى: (كُلُّ فِي فَلَكٍ)، فِيهِ مُحَسَّنٌ بَدِيعٌ فَإِنَّ حُرُوفَةَ ثَقِرًا مِنْ آخِرِهَا عَلَى التَّرْتِيبِ كَمَا ثَقِرًا مِنْ أُولَاهَا مَعَ خَفَةِ التَّرْكِيبِ وَوَفْرَةِ الْفَائِدَةِ وَجَرِيَانِهِ مُجْرِيِ الْمَكَلِ مِنْ غَيْرِ تَسَافِرِ وَلَا غَرَابَةِ، وَمِثْلُهُ قَوْلَةُ تَعَالَى: (رَبِّكَ فَكَبَرَ) [المدثر:³] بِطَرْحٍ وَأَوْعَزْفٍ، وَكُلُّ أَلْآيَتَيْنِ يُنْسَى عَلَى سَبْعَةِ أَخْرَفِ...، وَهُوَ تَوْعِيَّ صَعْبُ الْمَسْلَكِ قَلِيلُ الْإِسْتِعْمَالِ. قُلْتُ: وَلَمْ يَذَكُرُوا مِنْهُ شَيْئًا وَقَعَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَهُوَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ. ذَكَرَ أَهْلُ الْأَدَبِ أَنَّ الْقَاضِيَ الْفَاضِلَ الْبَيْسَانِيَ زَارَ الْعِمَادَ الْكَاتِبَ فَلَمَّا رَكِبَ لِيُنْصَرِفَ مِنْ عِشْدِهِ قَالَ لَهُ الْعِمَادُ: «سِرْ فَلَّا كَبَا بِكَ

الفُرْسُ» فَفَطَنَ الْقَاضِي أَنَّ فِيهِ مُحَسِّنَ الْقَلْبِ فَأَجَابَهُ عَلَى البَدِيهَةِ: «دَامَ عَلَى الْعِمَادِ» وَفِيهِ
مُحَسِّنَ الْقَلْبِ))¹.

إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَاتِلُهَا: ومن الابتكار التركبي والدلالي للقرآن الكريم ما جاء في تفسير قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتَ قَالَ رَبُّ ارْجِيعُونَ (99) لَعَلَّيْ أَغْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَاتِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يَنْعَثُونَ (100)) [المؤمنون 99-100]^[2]، وذلك في قوله: كلا إنها كلمة هو قاتلها، فقال: ((وَقَوْلُهُ: إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ
قاتِلُهَا تُرَكِيبٌ يَجْرِي مَجْرِيَ الْمَثَلِ وَهُوَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ. وَحَاصِلُ مَعْنَاهُ: أَنَّ قَوْلَهُ
الْمُشْرِكِ رَبُّ ارْجِيعُونَ إِلَخْ لَا يَتَجَاوِزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا صَدَرَ مِنْ لِسَانِهِ لَا جَدْوَى لَهُ فِيهِ،
أَيْ لَا يُسْتَجَابُ طَلْبَهُ بِهِ. فَجُمِلَةٌ هُوَ قَاتِلُهَا وَصَفَّ لِهِ: كَلِمَةٌ، أَيْ هِيَ كَلِمَةٌ هَذِهَا وَصَفَّهَا.
وَإِذْ كَانَ مِنَ الْمُحْقِقِ أَنَّهُ قَاتِلُهَا لَمْ يَكُنْ فِي وَصَفَّ كَلِمَةٌ بِهِ فَإِنَّدَةً جَدِيدَةً فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ
الْخَبَرُ مُسْتَعْمِلًا فِي مَعْنَى أَنَّهُ لَا وَصَفَ لِكَلِمَتِهِ غَيْرُ كَوْنِهَا صَدَرَتْ مِنْ فِي صَاحِبِهَا.
وَيَدِلُّكَ يُعْلَمُ أَنَّ التَّأْكِيدَ بِحَرْفِ (إِنَّ) لِتَحْقِيقِ الْمَعْنَى الَّذِي اسْتَغْفِلَ لَهُ الْوَصَفُ))².

فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا: يفهم من كلام الشيخ الطاهر على هذا التعبير الوارد في قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا فِي سَيَّةٍ أَيَّامٌ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا (59)) [الفرقان 59]^[3]، أَنَّهُ يجد فيه ابتكارًا تركيبيًا ودلاليًا جديداً متفردًا غير مسبوق، إذ تحدث عن تركيبه وربطه بما يؤودي إليه من دلالة يرى أنها لم يجتمعوا في كلام العرب قبل القرآن، قال: ((وَتَكْبِيرُ خَيْرًا لِلَّذِكَارَةِ عَلَى الْعُمُومِ، فَلَا يُظْنُ خَيْرًا مُعَيَّنًا، لِأَنَّ النَّكَرَةَ إِذَا تَعْلَقَ بِهَا فَعَلَ الْأَمْرُ افْتَضَتْ عُمُومًا بِذَلِيلٍ أَيْ خَيْرٌ سَائِلَةٌ أَعْلَمُكَ. وَهَذَا يَجْرِي مَجْرِيَ الْمَثَلِ وَلَعْلَهُ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ نَظِيرٌ قَوْلِ الْعَرَبِ: «عَلَى

نفسه: 17 / 62

نفسه: 18 / 123-124

الْخَيْرِ سَقَطَتْ» يَقُولُهَا الْعَارِفُ بِالشَّيْءِ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ¹). ولم يكتفِ الشيخ الطاهر بذلك بل أخذ يوازن بين التعبير القرآني والمثل المذكور، مبيناً ما يمتاز به المثل القرآني من خصائص تركيبية تجعله جمع للدلالة والبلاغة، قال: ((وَالْمَكْلَانُ وَإِنْ تَسَاوَيْا فِي عَدْدِ الْحُرُوفِ الْمُتَنَطِّقِ بِهَا فَالْمَكْلَلُ الْقَرْأَنِيُّ أَفْصَحُ لِسَلَامَتِهِ مِنْ ثَقْلِ ثَلَاقِيِّ الْفَافِ وَالْطَّاءِ وَالثَّاءِ فِي (سَقَطَتْ). وَهُوَ أَيْضًا أَشْرَفُ لِسَلَامَتِهِ مِنْ مَعْنَى السُّقُوطِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مَعْنَى لِمَا فِيهِ مِنْ عُمُومٍ كُلُّ خَيْرٍ، بِخَلَافِ قَوْلِهِمْ: عَلَى الْخَيْرِ سَقَطَتْ²، لِأَنَّهَا إِنَّمَا يَقُولُهَا الْوَاحِدُ الْمُعَيْنُ،...، وَالْبَاءُ فِي بِهِ يَمْعَنِي (عَنْ) أَيِّ فَاسِلَانِ عَنْهُ،.....، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ مُتَعَلِّقَةً بِ(خَيْرًا) وَتَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ لِلرَّاغِي عَلَى الْفَاصِلَةِ وَلِلِّاهِتِمَامِ، فَلَهُ سَبِيلًا)³.

كَمَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا: ومن ابتكارات القرآن البلاغية عند الشيخ الطاهر التمثيل القرآني الوارد في قوله تعالى: (مَكْلُولُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَيَاءَ كَمَلَ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنْ أَوْهَنَ الْيَسُوتِ لَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت]⁴ فهو يرى أن هذا التشبيه جديد وغير مسبوق وأن القرآن الكريم ابتكره، قال: ((وَجُمِلَةُ اتَّخَذَتْ بَيْتًا حَالَ مِنَ الْعَنْكَبُوتِ وَهِيَ قَيْدٌ فِي الشَّتَّابِيَّةِ. وَهَذِهِ الْهَيْثَةُ الْمُشَبَّهَةُ بِهَا مَعَ الْهَيْثَةِ الْمُشَبَّهَةِ قَابِلَةٌ لِتَغْرِيقِ الشَّتَّابِيَّةِ عَلَى أَجْزَائِهَا فَالْمُشْرِكُونَ أَشْبَهُوا الْعَنْكَبُوتَ فِي الْغَرُورِ بِمَا أَعْدُوهُ، وَأَوْلَيَاوْهُمْ أَشْبَهُوا بَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ فِي عَدَمِ الْغَنَاءِ عَمَّا اتَّخَذُوهَا وَقَتَ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا وَتَزُولُ بِأَقْلَلِ تَحْرِيكٍ، وَأَقْصَى مَا يَتَفَعَّلُونَ بِهِ مِنْهَا نَفْعٌ ضَعِيفٌ وَهُوَ السُّكْنَى فِيهَا وَتَوَهُمُ أَنْ تَدْفَعَ عَنْهُمْ كَمَا يَتَفَعَّلُ الْمُشْرِكُونَ يَا وَهَامِهِمْ فِي أَصْنَامِهِمْ. وَهُوَ ظَمِيلٌ بَدِيعٌ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ كَمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا عِنْدَ قَوْلِهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ

1 نفسه: 19 / 61.

2 ينظر تعریجه في: الأمثال لابن سلام: 206، وجهرة الأمثال: 2 / 46، والأمثال للهاشمي: 1 / 169، والعقد الفريد: 3 / 6، وجمع الأمثال: 2 / 24.

3 التحرير والتوير: 19 / 61.

نضرها للناس في هذه السورة¹ [43].....، وجملة: وإن أوهن البيوت لينت
العنكبوت، معتبرة مبنية وجة الشبه. وهذه الجملة تجربى مجرى المثل فى ضرب لقلة
جدوى شيء².

كذلك يوحى إليك: ومن الابتكار التركيبى والدلالي القرآن ما جاء في قوله تعالى: (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) [الشورى³]، إذ يرى الشيخ الطاهر أن قوله: (كذلك يوحى) تعبير غير مستعمل قبل القرآن الكريم لأنه لم يقف عليه في ما قرأ، قال: ((وجملة كذلك يوحى إليك إلى آخرها ابتدائية، وتقدير المجرور من قوله كذلك على يوحى: إليك للاهتمام بالمشار إليه والتسويق بشيء الأذهان إليه، فإذا لم يتقدم في الكلام ما يحتمل أن يكون مشاراً إليه بـ كذلك غلام أن المشار إليه مقدر معلوم من الفعل الذي بعده اسم الإشارة وهو المصدر المأمور من الفعل، أي كذلك الإيماء يوحى إليك الله. وهذا استعمال متبع في نظائر هذا التركيب كما تقدم في قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمم وسطا) في سورة البقرة [143]. وأحسب أنه من مبتكرات القرآن إذ لم أقف على مثيله في كلام العرب قبل القرآن)).³ وعندما يجد الشيخ أن الشهاب الخفاجي قد استشهد بشاهد من شعر زهير فيه التركيب نفسه، فإنه حاكم هذا البيت وانتهى إلى أنه لا يماثل التركيب القرآني، لأن بيت زهير

1 قال الشيخ الطاهر في موضع آخر: ((والمعنى منزع جليل بديع من منازع البلاء لا يليغ إلى مخاسنه غير خاصته وقد اختص لفظ المثل (بفتحتين) باطلاقه على الحال الغريبة الشأن لأنها بحيث تمثل للناس وتوسيخ وتشبه،.....، فالظاهر أن إطلاق المثل على القول البديع السائر بين الناس الصادر من قائله في حالة عجيبة هو إطلاق مرئ على إطلاق اسم المثل على الحال العجيبة، وأنهم لا يكادون يضربون مثلاً ولا يرونه أهلاً للتشبيه وجديراً بالتداول إلا قولنا فيه بلاغة وخصوصية في فضاحة لفظ وإيجازه ووفرة معنى، فالمثل قول عزيز غريب ليس من متعارف الأقوال العامة بل هو من أقوال فحول البلاغة فيذلك وصف بالغرابة). التحرير والتنوير: 1 / 302-303.

2 التحرير والتنوير: 20 / 253.

3 نفسه: 25 / 141

مبوق بمسار إليه، قال: ((وَمَا ذَكَرَهُ الْخَفَاجِيُّ¹ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ ظنِّيْرِهِ يَقُولُ
رَهْيَرٌ²:

كَذَلِكَ خَيْرُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ
إِذَا مَسْتَهُمُ الظَّرَاءُ خَيْرٌ

لَا يَصْبِحُ لِأَنَّ بَيْتَ رَهْيَرٍ مَسْبُوقٌ بِمَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مُشَارًا إِلَيْهِ، وَقَدْ فَائَنِي
الثَّئِيْنَ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا تَقْدَمَ مِنَ الْآيَاتِ فَعَلَيْكَ بِضَمِّ مَا هُنَا إِلَى مَا هَنَالِكَ. وَالْجَارُ
وَالْمَجْرُورُ صِفَةٌ لِمَفْعُولٍ مُطْلَقٍ مَحْذُوفٍ ذَلِكَ عَلَيْهِ يُوحِي أَيِّ إِيجَاءً كَذَلِكَ الْإِيجَاءُ
الْعَجِيبِ)).³

حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أُوزَارَهَا: وقد عَدَ الشِّيْخُ الطَّاهِرُ هَذَا التَّعْبِيرُ الْقَرَائِيُّ الَّذِي جَاءَ
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَإِذَا لَقِيْشُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرِبَ الرُّقَابُ حَتَّى إِذَا احْتَشَمُوهُمْ فَشَدُوا
الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنْ يَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أُوزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَا تَنْصَرَ
مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيَنْلُوَا بَعْضَكُمْ بَعْضًا وَالَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُفْسِدُ أَعْمَالَهُمْ (4))
(مُحَمَّد: 4)، مَا ابْتَكَرَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، لَأَنَّهُ تَمْثِيلٌ جَدِيدٌ لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ، قَالَ: ((وَالْغَايَةُ
الْمُسْتَفَادَةُ مِنْ حَتَّى فِي قَوْلِهِ: حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أُوزَارَهَا لِلتَّغْلِيلِ لَا لِلتَّقْيِيدِ، أَيْ لِأَجْلِ
أَنْ تَضَعَ الْحَرْبُ أُوزَارَهَا، أَيْ لِيَكُفَّ الْمُشْرِكُونَ عَنْهَا فَتَأْمُثُوا مِنَ الْحَرْبِ عَلَيْكُمْ وَلَيَسْتَ
غَايَةً لِحُكْمِ الْقِتَالِ، ...، وَالْأُوزَارُ: الْأَقْتَالُ، وَوَضْعُ الْأُوزَارِ تَمْثِيلٌ لِإِتْهَاءِ الْعَمَلِ فَشَبَهَتْ
حَالَةُ إِتْهَاءِ الْقِتَالِ بِحَالَةِ وَضْعِ الْحَمَالِ أَوِ الْمُسَافِرِ الْأَقْتَالَ، وَهَذَا مِنْ مُبْتَكَرَاتِ
الْقُرْآن)).⁴

1 ذكره الشهاب في: حاشيته: 2 / 250، ثم قال: ((فعليك بالغض على هذا بالرواخذ فإنه من بدائع هذا الكتاب وروائعه)).

2 ديوان زهير بن أبي سلمى: 162.

3 التحرير والتنوير: 25 / 28.

4 نفسه: 26 / 82.

حسوم: ومن الابتكار القرآني الناتج من الدلالة الجديدة للفظ - عند الشيخ الطاهر - استعمال كلمة (حسوم) في قوله تعالى: (فَأَنَا نَمُوذٌ فَأَهْلِكُوا بِالْطَّاغِيَةِ) (5) وأنما عادَ فَأَهْلِكُوا بِرِبِيعِ صَرَصَرٍ عَاتِيَةً) (6) سَحْرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَانِيَةً أَيَامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمُ فِيهَا صَرْغَى كَائِنُوهُمْ أَعْجَازٌ تَخْلِي خَاوِيَةً) (7) [الخطوة 5-7]، وذلك في إحدى الدلالات التي يحملها هذا اللفظ، وهو أن يكون مشتقا من حسم الداء بتتابع الكي أياما ثم نقل بالاستعارة من هذا المعنى إلى المعنى القرآني الوارد في الآية الكريمة، قال: ((و(حسوم) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ حَاسِمٍ مِثْلُ قَعْدَوْ جَمْعُ قَاعِدٍ، وَشَهُودٍ جَمْعُ شَاهِدٍ، غَلْبَ فِيهِ الْأَيَامُ عَلَى الْلَّيَالِي لِأَنَّهَا أَكْثَرُ عَدَدًا إِذْ هِيَ تَمَانِيَةً أَيَامٍ وَهَذَا لَهُ مَعْنَى: أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: يَتَابِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، أَيْ لَا فَصْلٌ بَيْنَهَا كَمَا يُقَالُ: صِيَامُ شَهْرِيْنِ مُتَشَابِيْنِ، ،...، قَيلَ: وَالْحُسُومُ مُشَتَّقٌ مِنْ حَسْنِ الدَّاءِ بِالْمِكْوَاةِ إِذْ يَكُونُ وَيَتَابِعُ الْكَيِّ أَيَامًا، فَيَكُونُ إِطْلَاقَةً اسْتِعَارَةً، وَلَعْلَهَا مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ، وَبَيْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكَلَابِيِّ مِنَ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ فَهُوَ مَتَابِعٌ لِإِسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِ. الْمَعْنَى الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مِنَ الْحَسْنِ وَهُوَ الْقَطْعُ، أَيْ حَاسِمَةً مُسْتَأْصِلَةً. وَمِنْهُ سُمِّيَ السَّيْفُ حُسَاماً لِأَنَّهُ يَقْطَعُ، أَيْ حَسَمَتْهُمْ فَلَمْ تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَعَلَى هَذِينِ الْمَعْنَيَيْنِ فَهُوَ صِفَةٌ لِسَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَانِيَةً أَيَامٍ أَوْ حَالَ مِنْهَا. الْمَعْنَى الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ حُسُومٌ مَصْنَدِرًا كَالشُّكُورِ وَالسُّدُخُولِ فَيَتَصَبَّ عَلَى الْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ وَعَامِلُهُ سَحْرَهَا، أَيْ سَحْرَهَا عَلَيْهِمْ لِأَسْتِئْصَالِهِمْ وَقَطْعِ دَابِرِهِمْ. وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي صَالِحٌ لِأَنْ يُذَكَّرَ مَعَ هَذِهِ الْأَيَامِ، فَإِيَّاكُرْ هَذَا الْلَّفْظُ مِنْ ثَمَامِ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ وَإِعْجَازِهِ) ¹. وهذا التعدد في معنى اللفظ واحتمال النص الكريم لها من غير تكلف من مظاهر إعجاز القرآن الكريم

الوتين: ويرى الشيخ الطاهر أن استعمال كلمة (الوتين) في قوله تعالى: (وَلَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ) (44) لأخذتنا منه باليمين (45) ثم لقطعنا منه الوتين (46) فـما

منكم من أحد عنة حاجزين (47) [الحادية 44-47]؛ من المبتكر اللغوي اللفظي الذي جاء به القرآن الكريم؛ لأنَّه تشبيه جديد غير مسبوق، فقد شبه حال خاتمة من يقول على الله تعالى بجزور نحر وتينها، قال: ((والوَتِينَ: عِرقٌ مُعلَّقٌ بِهِ الْقَلْبُ وَيُسَمِّي التِّبَاطُ، وَهُوَ الَّذِي يَسْقِي الْجَسَدَ بِالدَّمِ وَلِذَلِكَ يُقالُ لَهُ: نَهْرُ الْجَسَدِ، وَهُوَ إِذَا قُطِعَ مَاتَ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُقطِعُ عِنْدَ نَحْرِ الْجَزُورِ فَقُطِعَ الْوَتِينُ مِنْ أَخْوَالِ الْجَزُورِ وَنَحْرِهَا، فَشَبَّهَ عِقَابَ مَنْ يُفَرَّضُ نَقْوَلَهُ عَلَى اللَّهِ بِجَزْرٍ ثَثَرٍ فَيُقطِعُ وَتِينَهَا، وَلَمْ أَفِنْ عَلَى أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَكُونُونَ عَنِ الْإِهْلَاكِ يَقْطَعُ الْوَتِينَ، فَهَذَا مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ. وَمِنْهُ صِفَةُ الْلَّوَتِينِ، أَوْ مُتَعَلِّقُ بِ(قَطْعَنَا)، أَيْ أَرْتَاهُ مِنْهُ. وَيَبْيَنُ مِنْهُ الْأُولَى وَمِنْهُ الثَّانِيَةُ مُحَسِّنُ الْجِنَاسِ))¹.

يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شَبِيًّا:

يرى الشيخ الطاهر أنَّ في هذا التعبير القرآني الذي جاء في قوله تعالى: (فَكَيْفَ تَعْقُلُونَ إِنَّ كَفَرَتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شَبِيًّا (17) السَّمَاءُ مُنْفَطَرٌ بِهِ كَانَ وَغَدَةٌ مَفْعُولًا (18)) [الزلزال 17-18]²، مبالغة عجيبة، ويرى أنَّ هذا الاستعمال ورد أول مرة في هذا الموضع ولم يرد في شعر العرب قبل ذلك، قال: ((وَوَصَفَ الْيَوْمَ يَأْتِهِ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شَبِيًّا وَصَفَ لَهُ بِاعْتِيَارٍ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْأَخْزَانِ، لِأَنَّهُ شَاعَ أَنَّ الْهَمَّ مِمَّا يُسْرِعُ بِهِ الشَّيْبُ فَلَمَّا أَرِيدَ وَصَفَ هَمَّ ذَلِكَ الْيَوْمُ بِالشُّدُّهُ الْبَالِغَةِ أَفْوَاهَا أَسْنَدَ إِلَيْهِ يَشِيبُ الْوِلْدَانُ الَّذِينَ شَغَرُهُمْ فِي أَوَّلِ سَوَادِهِ. وَهَذِهِ مَبَالِغَةٌ عَجِيبَةٌ وَهِيَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ فِيمَا أَخْسَبَ، لِأَنَّهُ لَمْ أَرَهُ هَذَا الْمَعْنَى فِي كَلَامِ الْعَرَبِ))³. ولما كان الشيخ يرى أسبقية الاستعمال القرآني فقد دفع بنسبة الشاهد النحوى الذى يحتوى على تعبير قريب منه وَهُوَ³:

1 نفسه: 29 / 146.

2 نفسه: 29 / 275.

3 لحسان بن ثابت، في ملحق ديوانه: 371، ينظر المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: 1 / 500.

إذن والله نرميهم بحرب

تشيب الطفل من قبل المشيب

قال: ((وَأَمَا الْبَيْتُ الَّذِي يُذَكَّرُ فِي شَوَاهِدِ النَّحْوِ...، فَلَا ثُبُوتَ لِنِسْبَتِهِ إِلَى مَنْ كَانُوا قَبْلَ نَزْولِ الْقُرْآنِ وَلَا يُعْرَفُ قَائِلُهُ، وَتَسْبِهَ بَعْضُ الْمُؤْلِفِينَ إِلَى حَسَانَ بْنَ ثَابِتٍ ،...، وَإِسْنَادُ يَجْعَلُ الْوَلْدَانَ شَبِيًّا إِلَى الْيَوْمِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ بِمَرْتَبَتِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ زَمْنُ الْأَهْوَالِ الَّتِي تَشَبَّهُ بِمِثْلِهَا الْأَطْفَالُ، وَالْأَهْوَالُ سَبَبٌ لِلشَّبَّهِ عُرْفًا، وَالشَّبَّهُ كَتَابَةٌ عَنْ هَذَا الْهَوْلِ فَاجْتَمَعَ فِي الْأَيَّةِ مَجَازًا نَّعَقْلَيَانِ وَكَتَابَةً وَمُبَالَغَةً فِي قَوْلِهِ: (يَجْعَلُ الْوَلْدَانَ شَبِيًّا))¹. وقد وردت في تفسير حامن التأويل إشارة تقترب من هذا التوصيف البلاغي الذي ذكره الشيخ الطاهر، إذ جاء فيه: ((يقال في اليوم الشديد: إنه ليشيب نواصي الأطفال، كلام جار مجرى المثل. وليس ذلك على حقيقته، لأن الأمة مجتمعة على أن الأطفال لا تتغير حالهم في الآخرة إلى الشيب. والأصل في هذا أن المهموم والأحزان إذا توالت على الإنسان شاب سريعا))².

سلسييل: ولفظ (سلسييل)³ من الابتكار اللغوي للقرآن الكريم، وقد ورد في قوله تعالى: (وَيَسْقَوْنَ فِيهَا كَأسًا كَانَ مِزاجُهَا زَبْجِيلًا (17) عَيْنًا فِيهَا ئَسْمَى سَلَسِيلًا (الإنسان 17-18)، قال: ((وَسَلَسِيلٌ)): وَصَنْفٌ قِيلَ مُشَقْقَعٌ مِنَ السُّلَاسَةِ وَهِيَ السُّهُولَةُ وَاللَّبَنُ فَيَقُولُ: مَاءُ سَلَسَلٌ، أَيْ عَذْبٌ بَارِدٌ. قِيلَ: زِيدَتْ فِيهِ الْبَاءُ وَالْيَاءُ (أَيْ زِيدَتَا فِي أَصْلِ الْوَضِيعِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ) ،...، وَعِنِّي أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ رُكْبٌ مِنْ مَادَّتِي السُّلَاسَةِ وَالسَّبَالَةِ، يَقُولُ: سَبَلَتِ السَّمَاءُ، إِذَا أَنْطَرَتْ، فَسَيِيلٌ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، رُكْبٌ مِنْ كَلِمَاتِي السُّلَاسَةِ وَالسَّبَلَةِ لِيَرَادَة سُهُولَةٍ شُرْبَهُ وَوَفْرَةٍ جَرْبَهُ. وَهَذَا مِنَ الْاشْتِيقَاقِ الْأَكْبَرِ

1 التحرير والتنوير: 29 / 275.

2 حامن التأويل: 9 / 343.

3 ينظر البحث في هذه الكلمة: العين: 2 / 331، والزاهر في معاني كلمات الناس: 2 / 196، والنهاية في غريب الحديث والأثر: 2 / 389، ولسان العرب: 11 / 344، وtag العروس: 29 / 221.

وليس باشتيقاً تصريفياً. فهذا وصف من لغة العرب عند محققى أهل اللغة. وقال ابن الأغراوى¹: لم أسمع هذه اللفظة إلا في القرآن، فهو عنده من مبتكرات القرآن الجارية على أساليب الكلام العربي، ...، ومعنى شمئ على هذا الوجه، أنها ثو صاف بهذا الوصف حتى صار كالمعلم لها، ...، فليس المراد الله عالم. ومن المفسرين من جعل التسمية على ظاهرها وجعل سلبياً علمًا على هذه العين، وهو أسباب بقوله تعالى: شمئ²).³

جـنـاتـ الـفـافـا: ويرى الشيخ أن استعمال(جنات الفافا) في قوله تعالى:(وَأَنْزَلـناـ منـ الـمـعـصـرـاتـ مـاءـ تـجـاجـاـ (14) لـتـخـرـجـ بـهـ حـبـاـ وـبـيـاـ (15) وـجـنـاتـ الـفـافـاـ (16)) [البـاـيـانـ 14-16]، مما ابتكره القرآن الكريم؛ إذ بين أن (الفافا) اسم جمع لا واحد له من لفظه، وأن وصف (جنات) بها مجاز عقلي لأن الجنات لا تلتفي حقيقة وإنما الذي يلتفي شجرها ، وهو يرى أن هذا الاستعمال لم تعهده العرب قبل القرآن الكريم، قال:((وألفاف: اسم جمِيع لَّا وَاحِدَ لَّهُ مِنْ لَفْظِهِ وَهُوَ مِثْلُ أَوْزَاعٍ وَأَخْيَافٍ، أيْ كُلُّ جَنَّةٍ مُلْفَّةٌ، أيْ مُلْفَّةُ الشَّجَرِ بِعَضِيهِ يَعْضُـ . فـوـصـفـ الـجـنـاتـ بـالـفـافـ بـمـبـنيـ عـلـىـ الـمـجـازـ الـعـقـليـ لـأـنـ إـلـاـ إـلـيـاـ جـمـعـتـهـاـ جـنـةـ أـسـنـدـ الـفـافـ إـلـىـ جـنـاتـ بـطـرـيقـ الـوـصـفـ. وـلـعـلـهـ مـنـ مـبـكـرـاتـ الـقـرـآنـ إـذـ لـمـ أـرـ شـاهـدـاـ عـلـيـهـ مـنـ كـلـامـ الـعـربـ قـبـلـ الـقـرـآنـ. وـقـيـلـ: الـفـافـ جـمـعـ لـفـ بـكـسـرـ الـلـامـ بـوـزـنـ جـتـعـ، أيـ كـلـ جـنـةـ مـنـهـاـ لـفـ بـكـسـرـ الـلـامـ وـلـمـ يـأـثـواـ يـشـاهـدـ عـلـيـهـ)).³

1 ينظر قوله في: تهذيب اللغة: 13 / 108، ولسان العرب: 11 / 344، ونتاج العروس: 29 / 221.

2 التحرير والتنوير: 29 / 396.

3 نفسه: 30 / 27.

ويبدو أنَّ علماء العربية مختلفون في مفرد هذه الكلمة، إذ تذكر المعاجم أنَّ بعض العلماء يرى أنَّ مفردها: لفة ، وانه غير مسموع، ما دعاهم إلى القول ان مفرده لفاء التي جمعت على لف ثم جمعت لف على الفاف¹. وينقل صاحب المخصص عن الفارسي قد يكون جمع لفيف² . وذكر الاخفش أن واحدها اللف³ . وقال الطبرى فى تفسيرها: ((وجئناتِ الْفَافَا، قال: هي الملتقة، بعضها فوق بعض. واختلف أهل العربية في واحد الألفاف، فكان بعض نحوبي البصرة يقول: واحدها: لفٌ. وقال بعض نحوبي الكوفة: واحدتها: لف ولفيف، قال: وإن شئت كان الألفاف جمعاً واحداً جمع أيضاً، فتقول: جنة لفاء، وجئنات لف، ثم يجمع اللفُ الْفَافَا. وقال آخر منهم: لم نسمع شجرة لفة، ولكن واحدها لفاء، وجعلها لف، وجمع لفَ الْفَافَا، فهو جمع الجمجمة. والصواب من القول في ذلك أن الألفاف جمع لف أو لفيف، وذلك أن أهل التأويل مجتمعون على أن معناه: ملتقة))⁴.

فَأَيْنَ تَذَهَّبُونَ: والابتكار في هذه العبارة التي جاءت في قوله تعالى: (ولَقَدْ رَآهُ بالْأَفْقِ الْمُبِينِ (23) وَمَا هُوَ عَلَى النَّعْبِ بِضَيْنِ (24) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (25) فَأَيْنَ تَذَهَّبُونَ (26) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (27) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا شَاءَوْنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (29)) [سورة التكوير 23-29]، مما يمكن أن نصفه بالابتكار التركيبى الدلالي، لأنَّ تركيبها أدى إلى دلالة جديدة غير مستعملة في كلام العرب سابقاً، ذلك أنَّ استعمالها جاء على شكل مثل، يشبه حالمهم في سلوك طرق الباطل بحال من ضل الطريق ، قال الشيخ الطاهر: ((وَ (أَيْنَ) اسْتَفِهَامٌ عَنِ

1 ينظر: تهذيب اللغة: 15 / 240.

2 ينظر: المخصص: 3 / 122، ولسان العرب: 9 / 318.

3 معاني القرآن للأخفش: 2 / 564.

4 جامع البيان: 24 / 156-157. وينظر: إعراب القرآن للنحاس: 5 / 81، والمفردات في غريب القرآن: 743، ومعالم التنزيل: 5 / 200، والكشف: 4 / 687، ومفاتيح الغيب: 31 / 12، والتبيان في إعراب القرآن: 2 / 1266، ومدارك التنزيل: 3 / 590، والبحر الخيط: 10 / 382، وبصائر ذوي التمييز: 4 / 436.

المكان. وهو استفهام إنكارٍ عن مكان ذهابهم، أي طريق ضلاليهم، تمثيلاً لحالهم في سلوكي طرق الباطل بحال من ضل الطريق الجادة فيسأل السائل مُنكرًا عليه سلوكه، أي اغدِل عن هذا الطريق فإنه مضلة. ويَجُوز أن يكون الاستفهام مستعملاً في التغبيز عن طلب طريق يسلكونه إلى مقصدهم من الطعن في القرآن. والمدعى: الله قد سدت عليكم طرق بعثانكم إذ أضض بالحجارة الدامغة بطناث ادعائكم أن القرآن كلام معجذون أو كلام كاهين، فماذا تدعون بعد ذلك. وأعلم أن جملة «أين تذهبون» قد أرسلت مكتاً، ولعله من مبتكرات القرآن وكنت رأيت في كلام بغضهم: أين يذهب بك، لمن كان في خطأ وعمية)¹. وقال الزجاج في بيان معنى هذا التعبير: ((معناه فاي طريق تسلكون أين من هذه الطريقة التي بينت لكم))². ولفت الزمخشري الانظار إلى التمثيل الذي يتضمنه التعبير؛ قال: ((أين تذهب، مثلت حالم بحاله في تركهم الحق وعدوهم عنه إلى الباطل))³.

النجم الثاقب: ووجه البتكار في عبارة (النجم الثاقب) في قوله تعالى: (والسماء والطارق (1) وما أذراك ما الطارق (2) النجم الثاقب (3) إن كُلُّ نفسٍ لَمَّا عَلَيْها حَفِظَ (4) وَمَا يُذْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبَ) في سورة الشورى [17]، ناتج من جدة الدلالة الناتجة من استعمالها، ذلك أن استعمال الثقب هنا استعارة للدلالة على البروز والظهور، وهذا الاستعمال لم يعهد له العرب قبل القرآن الكريم، قال: ((والثقب: خرق شيء ملتحم، وهو هنا مستعار لظهور النور في خلال ظلمة الليل. شبة النجم

1 التحرير والتنوير: 30/164-165. وينظر: جامع البيان: 24/262.

2 معاني القرآن وإعرابه: 5/293، ومعالم التنزيل: 5/218، ومدارك التنزيل: 3/608، والمجامع لأحكام القرآن: 19/243.

3 الكشاف: 4/713. وينظر: مفاتيح الغيب: 31/71، وأنوار التنزيل: 5/291، والبحر المحيط: 10/419، والدر المصنون: 10/707، واللباب في علوم الكتاب: 20/191، ومعنوك الأقران: 1/331، وإرشاد العقل السليم: 9/119، وروح البيان: 10/354، وروح المعاني: 15/265، وفي ظلال القرآن: 6/3843.

بِمِسْمَارٍ أَوْ نَخْوَةٍ، وَظَهُورٍ ضَوْئَهُ بِظَهُورِ مَا يَنْدُو مِنَ الْمِسْمَارِ مِنْ خَلَالِ الْجِيْسِمِ الَّذِي يَثْقِبُهُ مِثْلَ لَوْحٍ أَوْ تَوْبٍ. وَأَخْسَبَ أَنَّ اسْتِعَارَةَ الْتَّقْبِ لِيُرُوِّزَ شَعَاعَ النَّجْمِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيلِ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ وَلَمْ يَرِدْ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْقُرْآنِ. وَقَدْ سَبَقَ قَوْلَهُ عَالَى: (فَأَبْعَثَ شَهَابَةً ثَاقِبَةً) فِي سُورَةِ الصَّافَاتِ [10])¹، ثُمَّ نُقلَّ عَنِ الْقَرْطَبِيِّ أَنَّ الْعَرَبَ تَسْتَعْمِلُ اتْقَبَ نَارَكَ بِمِنْعِنِي أَضْنَاهَا، قَالَ: ((وَوَقَعَ فِي «تَفْسِيرِ الْقَرْطَبِيِّ»: وَالْعَرَبُ تَقُولُ الْتَّقْبَ نَارَكَ، أَيْ أَضْنَاهَا، وَسَاقَ بَيْنًا شَاهِدًا عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَعْزِزْهُ إِلَى قَائِلٍ))². وَهَذَا التَّفْسِيرُ سَبَقَ أَنْ ذَكَرَهُ بَعْضُ الْقَدْمَاءِ قَبْلَ الْقَرْطَبِيِّ، فَقَدْ قَالَ الْفَرَاءُ: ((وَالثَّاقِبُ: الْمُضِيءُ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: الْتَّقْبُ نَارَكَ - لِلْمُوقَدِ، وَيَقَالُ: إِنَّ الثَّاقِبَ: هُوَ النَّجْمُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: زَحْلٌ))³. وَقَالَ أَبُو عَيْدَةَ: ((«النَّجْمُ الْتَّاقِبُ» الْمُضِيءُ، اتْقَبَ نَارَكَ أَضْنَاهَا))⁴. وَهُمْ يَذَكُرُونَ أَنَّهَا بِمِنْعِنِي أَضْنَاهَا أَوْ أَشْعَلَهَا أَوْ ذَكَهَا، وَيَذَكُرُونَ أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ زَحْلٌ أَوْ الثَّرِيَا⁵. وَقَالَ أَنَّ عَطِيَّةَ: ((وَاحْتَلَفَ الْمَتَأْوِلُونَ فِي التَّجْمُ الْتَّاقِبِ، فَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ مَا مَعْنَاهُ: إِنَّهُ اسْمُ لِلْجِنْسِ، لِأَنَّهَا كُلُّهَا ثَاقِبَةٌ، أَيْ ظَاهِرَةُ الضَّوءِ، يُقَالُ ثَاقِبُ النَّجْمِ إِذَا أَضَاءَ، وَثَقَبَتِ النَّارُ، كَذَلِكَ، وَثَقَبَتِ الرَّائِحةُ إِذَا سَطَعَتْ، وَيَقَالُ لِلْمُوقَدِ اتْقَبُ نَارَكَ، أَيْ أَضْنَاهَا، وَقَالَ أَبْنَ زَيْدٍ: أَرَادَ نَجْمًا مُخْصُوصًا: وَهُوَ زَحْلٌ، وَوَصَفَهُ بِالثَّقُوبِ، لِأَنَّهُ مِبْرَزٌ عَلَى الْكَوَاكِبِ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ أَبْنَ عَبَّاسٍ: أَرَادَ الْجَدِيدَ، وَقَالَ بَعْضُ هُؤُلَاءِ يَقَالُ: ثَاقِبُ النَّجْمِ، إِذَا ارْتَفَعَ

1 التحرير والتوكير: 30 / 260.

2 نفسه: 30 / 260.

3 معاني القرآن للفراء: 3 / 254.

4 مجاز القرآن: 2 / 294.

5 ينظر: معاني القرآن للفراء: 3 / 254، ومجاز القرآن: 2 / 294، وجامع البيان: 24 / 352، ومعاني القرآن وإعرابه: 5 / 311، وإعراب القرآن للنحاس: 5 / 123، والتفسير الوسيط: 4 / 464، والنكت في القرآن الكريم: 548، والمفردات في غريب القرآن: 173، ومعالم التنزيل: 5 / 239، والكشف: 4 / 734، والمحرر الوجيز: 5 / 464، وزاد المسير: 4 / 428، وأنوار التنزيل: 5 / 303، ومدارك التنزيل: 3 / 627، والجامع لأحكام القرآن: 20 / 1-2، والبحر الحبيط: 10 / 450، واللباب في علوم الكتاب: 20 / 260، وروح المعاني: 12 / 103.

فإنما وصف زحلا بالثقوب لأنه أرفع الكواكب مكاناً. وقال ابن زيد وغيره: **الشجاع** **الثاقب**: الشريا، وهو الذي يطلق عليه اسم النجم معرفا) ¹. وقال الرازبي: ((قال ابن عباس في تفسير قوله: (النجم الثاقب) [الطارق: 3] قال إله زجل سمي بذلك ل لأنه يتقدب بنوره ستمائة سبع سموات والله أعلم)) ². أما البيت الذي استشهد به القرطبي، فهو:

أذاع به في الناس حَتَّى كَانَ
يَعْلَمَهُ نَارٌ أَوْ قَدْتَ يَثْقُوبُ

وقد نسبه بعض القدماء إلى أبي الأسود الدؤلي ³. وبذلك يكون أبو الأسود تأثر بالاستعمال القرآني واحتذى به.

تاكلون التراث: وجه الابتكار في هذه العبارة في قوله تعالى: (كُلُّا بَلْ لَا
تَكْرِمُونَ الْبَيْتِيْمَ (17) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمَّا
(19) وَتُحْبِبُونَ الْمَالَ حَبًّا جَمِّعًا (20)) [النجر ¹⁷⁻²⁰]⁴، على الرغم من أنها تألف من فعل
وفاعل ومفعول هو الدلالة التي تخرج إليها؛ لأنها استعارة جديدة عبر بها عن الانتفاع
بالشيء على نحو لا يُنْبئي منه شيئاً، وهو استعمال غير معروف عند العرب، قال: ((
والتراث: المَالُ الْمَوْرُوثُ، أي الَّذِي يُخْلِفُهُ الرَّجُلُ بَعْدَ مَوْتِهِ لِوَارِثِهِ وَأَصْنَلُهُ: وَرَاثَ بِوَارِثٍ
في أُولَئِكَ بِوَزْنِ فَعَالٍ مِّنْ مَادَّةٍ وَرَثَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ،...، وَالْأَكْلُ: مُسْتَعَارٌ لِلِّإِنْتِفَاعِ بِالشَّيْءِ
الْإِنْتِفَاعُ لَهُ يُنْبئي مِنْهُ شَيْئًا. وَأَخْسِبَ أَنَّ هَذِهِ الْإِسْتِعَارَةَ مِنْ مُتَكَرَّرَاتِ الْقُرْآنِ إِذَا لَمْ أَقِفْ
عَلَى مِثْلِهَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ)).

1 المحرر الوجيز: 5 / 464-465.

2 مفاتيح الغيب: 26 / 321.

3 في: عجاز القرآن: 1 / 133، والحيوان: 5 / 318، وجامع البيان: 8 / 568، والمحرر الوجيز: 2 / 84، والبحر المحيط: 3 / 723، والدر المصنون: 4 / 51، والباب في علوم الكتاب: 6 / 521.

4 التحرير والتنوير: 30 / 334.

فَأَلْهَمُهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا: ومرجع الابتكار في هذا التعبير الوارد في قوله تعالى: (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا) (1) وَالْقَمَرُ إِذَا ظَاهَاهَا (2) وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَاهَا (3) وَاللَّيلُ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا (6) وَتَفْسِيرٌ وَمَا سَوَاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)) [الشِّعْرُ¹]، هو استعمال (اللهم) للدلالة على المعاني النفسية، وهو أمر لم تعرفه العرب؛ فقد بين الشيخ الطاهر أنَّ الإلهام هو حصول المعنى في النفس من غير تعليم أو تجربة سابقة¹، ومن ثمَّ فإنَّ استعماله يعني إيقاع الشيء في روع الإنسان من الله سبحانه من ابتكار القرآن؛ لأنَّ هذا الأمر لم تعرفه العرب لقلة عنايتها بالمعاني النفسية بخلاف عنایتها بالمعاني الحسية التي تفرضها طبيعة حياتهم، قال: ((وَيُطْلَقُ الْإِلَهَامُ إِطْلَاقًا خَاصًا عَلَى حُدُوثِ عِلْمٍ فِي النَّفْسِ بِدُونِ تَعْلِيمٍ وَلَا تَجْرِيَةٍ وَلَا تَفْكِيرٍ فَهُوَ عِلْمٌ يَخْصُّ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ سَوَاءً مَا كَانَ مِنْهُ وَجَدَانِيَا كَالِائِسِيَاكَ إِلَى الْمَعْلُومَاتِ الْبَرَوْرِيَّةِ وَالْوِجْدَانِيَّةِ، وَمَا كَانَ مِنْهُ عَنْ دَلِيلٍ كَالْتَجْرِيَّاتِ وَالْأُمُورِ الْفَكْرِيَّةِ وَالنَّظَرِيَّةِ. وإِيَّاشَ هَذَا الْفِعْلِ هَنَا لِيَشْمَلَ جَمِيعَ عِلْمَوْنَ الْإِنْسَانِ، قَالَ الرَّاغِبُ: الْإِلَهَامُ: إِيقَاعُ الشَّيْءِ فِي الرُّوْءِ وَيَخْتَصُّ ذَلِكَ بِمَا كَانَ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَجِهَةِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى أَهْ. وَلَذِكَّرَ فَهَذَا الْلَّفْظُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ يَكُنْ مِمَّا أَخْيَاهُ الْقُرْآنُ لِأَنَّهُ أَسْمَ دَقِيقٌ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعَانِي الْتَّفْسِيَّةِ وَقَلِيلٌ رَوَاجٌ أَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْلُّغَةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ لِقَلَّةِ خُطُورٍ مِثْلِ تِلْكَ الْمَعَانِي فِي مُخَاطَبَاتِ عَامَّةِ الْغَرَبِ، وَهُوَ مُشَتَّقٌ مِنَ الْلَّهُمْ وَهُوَ الْبَلْعُ دَفْعَةً، يُقَالُ: لَهُمْ كَفَرُوا، وَأَمَّا إِطْلَاقُ الْإِلَهَامِ عَلَى عِلْمٍ يَخْصُّ لِلنَّفْسِ بِدُونِ مُسْتَنِدٍ فَهُوَ إِطْلَاقٌ

1 ورد هذا المعنى في: العين: 4/ 57، وتهذيب اللغة: 6/ 169، والصحاح: 5/ 2037، والمفردات في غريب القرآن: 748، وزاد المسير: 4/ 451، ومقاييس الغيب: 21/ 404، والجامع لأحكام القرآن: 20/ 75، والبحر العجيب: 10/ 489، والباب في علوم الكتاب: 20/ 361، وإرشاد العقل السليم: 9/ 164، ومحاسن التأويل: 9/ 481.

اصطلاحِي للصُّوفيةِ. والمعنىُ هنا: أنَّ مِنْ آثارِ ئسْوَيَةِ النَّفْسِ إِذْرَاكَ الْعِلُومِ الأوَّلَيَّةِ وَإِلَادْرَاكَ الضَّرُورِيِّ الْمُدَرَّجِ ابْتَداًءاً مِنَ الْإِنْسِيَّاقِ الْحِيلِيِّ تَحْوِيَ الْأَمْوَارِ النَّافِعَةِ) ^١.

الخاتمة والناتج:

كان المُدِّفِعُ الأساسيُّ من هذه الدراسة هو تكوين صورة متكاملة عن مفهوم الابتكار اللغوي في الخطاب القرآني كما تبدى في فكر الشيخ الطاهر بن عاشور، وأراد البحث أيضًا أن يبيّنَ أهم صور الابتكار اللغوي ومظاهره في القرآن الكريم كما تجلت في تفسيره (التحرير والتزوير)، وبغية الوصول إلى هذا المُدِّفِع انقسم البحث إلى محورين، يسعى المحور الأول إلى تحديد مفهوم الابتكار اللغوي عند الشيخ الطاهر، وقد توصل البحث إلى أنَّ مفهوم الابتكار اللغوي يرتبط عند الطاهر بن عاشور بما لم يسبق استعماله قبل النص القرآني، وهذا الفهم مستمد من المعنى اللغوي لمادة (بكر) الذي يحيط على أول الشيء، ويبدو أنَّ هذه الفكرة انبثقت في ذهن الشيخ الطاهر نتيجةً مجتهه عن الاختلاف والتمايز بين القرآن الكريم وكلام العرب: شعره ونثره، ومن ثمَّ، كانت هذه الفكرة تمظهاً وتجلهاً لبحثه عن إضافة جديدة في ميدان الإعجاز القرآني. ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الابتكار من مصطلحات النقد الأدبي، وهو يحيط - في الفكر النقدي - على ما لا يمكن تقليده غالباً، فهو نقىض التقليد، ومن ثمَّ فإنَّ النص الذي يتصرف بالابتكار أو الاختراع يتمتع بالأصلالة التي تنتجه من توافر عنصرين هما: عمق الإحساس، واستقلال التعبير وتميزه. أما المحور الثاني من البحث فقد تتبع ما وصفه الشيخ الطاهر بالابتكار سعياً إلى الوصول إلى الهدف الثاني من البحث وهو الكشف عن مرجعيات فكرة الابتكار عنده عن طريق الموازنة بين أقواله وأقوال العلماء السابقين. وقد توصل البحث هنا إلى أنَّ المبتكرات اللغوية القرآنية تنقسم عنده على قسمين: أحدهما عام يمثل أساليب شاملة يتصرف بها النص القرآني ببنائه الكلية؛ فتسيمه بسمة التميز والاختلاف؛

١ التحرير والتزوير: 396-370

ومن ثم، الإعجاز. والقسم الثاني تبدي صوره في مجموعة من المبتكرات اللغوية المتفرقة المبثوثة في تفسيره؛ فهي ليست عامة، وإنما هي مواضع مختلفة عابجهها الشيخ في أثناء تفسيره، فصرح - في أثناء تفسيره للأية التي يتناولها بالتفسير - بأن فيها مبتكرة لغويًا قرآنيًا. وقد استقصاها البحث، وقد توصل البحث إلى أن ما طرحوه الشيخ الطاهر في فكرة الابتكار في اللغة القرآنية هو معيار لغوي تقويمي جديد من حيث المصطلح والمفهوم والمعالجة وأآلية التوصيف، على الرغم من أنها وجدنا عند القدماء إشارات تقترب مما قدمه الطاهر من حيث المضمون؛ وإن لم تسمّه بالمصطلح عينه، وهي في رأينا المتواضع تمثل المرجعيات المعرفية التي كانت تؤثر في المنظومة الفكرية للشيخ الطاهر سواءً أكان ذلك على مستوى الوعي أم اللاوعي. ولعل هذه الإشارات كانت دافعاً للشيخ الطاهر لكي يتبنى هذه الفكرة وهذا المصطلح لييلور نظرية جديدة يفسر من خلالها الإعجاز اللغوي القرآني، مفيداً ما قدمه العلماء السابقون، ومقدماً إياه في ثوب جديد وطرح جديد يسمى الأشياء بأسمائها، لأننا نتفق والشيخ الطاهر في أنَّ ما هو معجزٌ لا بدَّ له من أن يكون مبتakra. وقد كان بحث الشيخ الطاهر عن الابتكار - الذي يستند إلى السُّبْقُ والأُولِيَّة - يؤدي به في كثير من الأحيان إلى البحث في تاريخية استعمال بعض الألفاظ أو التراكيب ليتمكن من وسمها بالابتكار، فيعالج، نتيجةً لذلك، توثيق بعض الأبيات الشعرية التي تتعارض - أحياناً - ورؤيته، مما يؤدي به أحياناً إلى أن يبحث في حقيقتها وحقيقة نسبتها إلى عصر ما قبل الإسلام، ليتهيَّأ بأنها من شعر العصر الإسلامي أو أنها مصنوعة وليس جاهليَّة القائلِ حقيقةً. وقد اتضح من البحث أن المبتكرات اللغوية القرآنية مختلفةٌ من حيث النوع ومن حيث السبب الذي يجعل منها مبتكرة، بعضها لفظ مبتكر وبعضها الآخر تركيب مبتكر، وفي الحالين فمسوغ الوصف بالابتكار هو الأولية، وهذه الأولية أما أن تكون أولية استعمال اللفظ بدلالة جديدة غير واردة في شعر العرب أو نثرهم، وأما أن تكون أولية استعمال التركيب من حيث هو بنية جديدة في تركيبها، أو من حيث هو بنية تركيبية جديدة في دلالتها، أو بلاغتها.

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم.

- الابتكار في الأدب والفنون، ترجمة: عادل العامل، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية، ط 1986، 1 م.
- ابن سناه الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، د. عبد العزيز الاهواني، دار الشؤون الثقافية - بغداد، ط 2، 1986 م.
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحرير: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة: 1974 م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمد بن عمرو بن أحد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تحرير: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- أسباب التزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحد بن محمد بن علي الواحدي، (ت 468هـ)، تحقيق: عاصم بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، الطبعة الثانية، 1992 م.
- أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، دار الفضيلة، د.ط، د. ت.
- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني، تحقيق: السيد أحد صقر، دار المعارف - القاهرة، د.ط، د. ت.
- الإعجاز والإيماز، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الشعالي (ت 429هـ)، مكتبة القرآن - القاهرة، د.ط، د.ت.
- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس أحد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوبي (ت 338هـ)، عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ.

- إعراب القرآن المنسوب خطأ للزجاج، أبو الحسن نور الدين علي بن الحسين بن علي، جامع العلوم الأصفهاني الباقولي (ت 543هـ)، تحرير: إبراهيم الإيباري، دار الكتاب المصري - القاهرة ودار الكتب اللبنانية - بيروت، الطبعة الرابعة - 1420هـ.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت 1396هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة ، 2002م.
- الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهموي البغدادي (ت 224هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، 1400هـ - 1980.
- الأمثال من الكتاب والستة، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذى (ت نحو 320هـ)، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار ابن زيدون و دار أسامة - بيروت - دمشق، د. ط، د. ت.
- الأمثال، زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الماشمي (ت بعد 400هـ)، دار سعد الدين - دمشق، الطبعة الأولى، 1423هـ.
- الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلانى المالكى (ت 403هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح - عمان، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوى، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوى (ت 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلى، دار إحياء التراث العربى - بيروت، الطبعة الأولى - 1418هـ.
- البحر الخيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسى (ت 745هـ)، تحقيق: صدقى محمد جليل، دار الفكر - بيروت، الطبعة 1420هـ.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1376هـ - 1957م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار المداية.

- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت 1356هـ)، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت.
- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 571هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامه العمروي، دار الفكر، 1415هـ - 1995م.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت 616هـ)، تحقيق: علي محمد البحاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984م -
- التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت 562هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ .
- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، عودة خليل عودة،
- تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، تحقيق: أحد يوسف الدقاد، دار الثقافة العربية. د.ط، د.ت.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير النار)، محمد رشيد بن علي بن رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلمونى الحسنى (ت 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت ، د.ط، د.ت.
- تلوين الخطاب، أحد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين (ت 940هـ)، عبد الخالق بن مساعد الزهراني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، طبعة السنة 33 - العدد (113) 1421هـ.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحد بن الأزهري الهمروي، (ت 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعوب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د. أحد سعد محمد، مكتبة الأدب - القاهرة، الطبعة الرابعة، 143-2009م.

- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملاني، الطبرى (ت 310هـ)، تحقيق: أحد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000م.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: أحد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م.
- جهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو 395هـ)، دار الفكر - بيروت، د.ط، د.ت.
- جهرة خطب العرب، أحد زكي صفوتو، المكتبة العلمية بيروت - لبنان، د.ط، د.ت.
- جهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ) تحقيق: رمزي منير علبي، دار العلم للملائين - بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسمّاة: عناية القاضي وكفاية الرأسي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت 1069هـ)، دار صادر - بيروت.
- حامة الحالدين المعروفة بالأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلين والمختزمين، الحالديان أبو بكر محمد بن هاشم الحالدي، (ت نحو 380هـ)، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الحالدي (ت 371هـ)، تحقيق: الدكتور محمد علي دقة، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، 1995م.
- الحماسة البصرية، علي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين، أبو الحسن البصري (ت 659هـ)، تحقيق: خثار الدين أحد، عالم الكتب - بيروت، د.ط، د.ت.
- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن محوب، الجاحظ (ت 255هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1424هـ.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الحاخامي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1418هـ - 1997م.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت 1429هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1992م.
- دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق، السيد احمد عمارة، مكتبة المتنبي، د.ط، د.ت.

- الدر المصنون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلي (ت 756 هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار الفلم - دمشق.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، تتح: د. حنا نصر الحقى، دار الكتاب العربي - بيروت، 2004 م.
- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفى الخلوتى، المولى أبو الفداء (ت 1127 هـ)، دار الفكر - بيروت.
- روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى = تفسير الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسیني الألوسي (ت 1270 هـ)، تتح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597 هـ)، تتح: عبد الرزاق المهدى، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ.
- الزاهر في معانى كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت 328 هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1992.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى البصبي (ت 544 هـ)، والhashia: لأحمد بن محمد بن محمد الشمنى (ت 873 هـ)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، 1409 هـ - 1988 م.
- الشعراء الصعالىك في العصر الجاهلى، يوسف خليف، دار المعارف، الطبعة الرابعة، د. ط، د. ت.
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393 هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملائين - بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
- الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو 395 هـ)، تحقيق: علي محمد البجاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، 1419 هـ.
- العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حذير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسى (ت 328 هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1404 هـ.

- عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، 1418هـ.
- غريب الحديث، الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت 388هـ)، تحقيق: عبد الكري姆 إبراهيم الغرياوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، طبعة سنة 1402هـ - 1982م.
- غريب الحديث، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1405هـ - 1985.
- الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحد، الزخيري جار الله (ت 538هـ)، تج: علي محمد الجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - لبنان، الطبعة الثانية، د.ت.
- الفن ومذاهبه في التراث العربي ، شوقي ضيف، (ت 1426هـ)، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية عشرة، د.ط، د.ت.
- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت 764هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى الجزء: 1 سنة: 1973م، والأجزاء: 2، 3، 4 سنة: 1974م.
- في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، مكتبة دار التراث، طبعة دار التراث الأول، 1412هـ - 1991م.
- القاموس المحيط، مجذ الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ)، تج: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، 1426هـ - 2005م.
- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزيبي الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن عقيم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، تحقيق: د. مهدى المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الملال.

- الكشاف عن حقائق غواصات التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزغشري جار الله (ت 538هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - 1407 هـ.
- الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، أبوبن موسى الحسيني القرمي الكفووي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، تحقيق: عدنان دروش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الخبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحد عبد الموجود والشيخ علي محمد معرض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت 711هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - 1414 هـ.
- عجائب القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري (ت 209هـ)، تحقيق: محمد فواد مزگين، مكتبة الخانجي - القاهرة، طبعة سنة: 1381 هـ.
- جمع الأمثال، أبو الفضل أحد بن محمد بن إبراهيم البیدانی النیسابوری (ت 518هـ)، تحقيق: محمد عین الدین عبد الحمید، دار المعرفة - بيروت، د.ط، د.ت.
- المجموع اللفيف، أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله العلوى الحسينى أبو جعفر الأفطسي الطراولسى (ت بعد 515هـ)، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، 1425 هـ.
- محاسن التأويل=تفسير القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ.
- محاضرات الأدباء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، شركة دار الأرقام بن أبي الأرقام - بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندرسي الحموي (ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996م.

- مدارك التزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمد بن حافظ الدين النسفي (ت 710 هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محبي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب - بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241 هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وأخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد الحسن التركى، مؤسسة الرسالة، طبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسى القبروانى ثم الأندلسى القرطى المالكى (ت 437 هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الصامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، 1405 هـ.
- معلم التزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محبي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعى (ت 510 هـ)، تحرير: عبد الرزاق المهدى، دار إحياء التراث العربى - بيروت، الطبعة الأولى ، 1420 هـ.
- معانى القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت 215 هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانقى، القاهرة، طبعة الأولى، 1411 هـ - 1990 م.
- معانى القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت 207 هـ)، تحقيق: أحد يوسف النجاتى و محمد على النجار و عبد الفتاح إسماعيل الشابى، الدار المصرية للتأليف والت旡رجة - مصر، الطبعة الأولى.
- معانى القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت 311 هـ)، عالم الكتب - بيروت، طبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.
- معرك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.
- المعجزة الكبرى القرآن ، محمد احمد أبو زهرة، محمد بن احمد بن مصطفى بن احمد المعروف بابي زهرة (ت 1394 هـ)، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

- معجم الأدباء، = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى، 1414 هـ - 1993 م.

- المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، إعداد: أعضاء ملتقي أهل الحديث، أعده للمكتبة الشاملة: أسامة بن الزهراء عضو في ملتقي أهل الحديث، <http://www.ahlalhdeeth.com>

- معجم مقاييس اللغة، أحد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر - دمشق، 1399هـ - 1979 م.

- المغرب في ترتيب العرب، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطري (ت 610هـ)، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت.

- مقاييس الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - 1420 هـ .

- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى - 1412 هـ .

- المقصد الأنسى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسي (ت 505هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، نشر: الجفان والجابي - قبرص، الطبعة الأولى، 1407 - 1987 م.

- الموسى = الظرف والظرفاء، محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب، المعروف باللوشاء (ت 325هـ)، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر - مطبعة الاعتماد، الطبعة الثانية، 1371 هـ - 1953 م.

- النبا العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (ت 1377هـ)، اعنى به: أحد مصطفى فضلي، قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة سنة 1426هـ- 2005 م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ - 2000م.
- الوفيات والأحداث، إعداد: ملتقى أهل الحديث : على المكتبة الشاملة.

جَمَالِيَّاتُ التَّحْمِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

فِي ضُوءِ جُهُودِ الْمُفَسِّرِينَ

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، وسبباً للمزيد من فضله، والصلة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آل الطيبين الطاهرين وصحبه الغر المiamين..

يتناول هذا البحث جماليات اللغة القرآنية في آيات التحية، وقد انقسم البحث على ثلاثة محاور، قدمت في المحور الأول توطئة في التحية الإسلامية، والألفاظ المستعملة فيها وتاريخ ظهورها في الواقع اللغوي على ألسنة متكلمي اللغة العربية وكيفية أدانها كما حددتها الإسلام، وعالجت في المحور الثاني علة اختيار هذه الألفاظ في التحية الإسلامية لغوية وبلاغياً واجتماعياً ونفسياً، ودرست في المحور الثالث صور التحية في القرآن الكريم وجاليات كل منها في سياقها الذي وردت فيه، كل ذلك في ضوء جهود المفسرين ودراساتهم التي كشفت عن كثير من اللطائف والنكت البلاغية الدقيقة. وختمت البحث بخاتمة أجملت فيها أهم التنتائج التي توصل إليها البحث.

توطئة في التحية الإسلامية:

لما كانت التحية في القرآن الكريم تعتمد على استعمال عبارتين: (السلام عليكم)، فلا بد لنا من الوقوف على معاني السلام والتحية في اللغة أولاً. والسلام في اللغة من الفعل (سلم)، وتبيّن المعجمات المعاني التي تستعمل فيها هذه المادة، فقد بين الخليل المعاني التي يدل عليه هذا الأصل، وبدأ بالمعاني المادية أو الحسية، وهي: السلم يعني دلو مستطيل له عروة، وجمعه سلام، وبمعنى: لدغ الحياة؛ ومنه السليم بمعنى الملدوغ، ومنها

السلام بمعنى الحِجَارة؛ ولعل منه الاستسلام للحجر: ثناوْلُه باليد، وبالقبلة، ومسحة بالكف، والسلم بمعنى ضرب من دقيق الشجر، والسلُّم، بمعنى: السَّبَبُ والمِرْقاةُ. كما كشف الخليل عن الدلالات المعنوية وهي: انه يأتي بمعنى السلامة، وجعل منه تحية الإسلام: السلام عليكم، أي السلام عليكم، وقيل إنه اسم من أسماء الله فمعنى السلام عليكم: الله فوقكم. ومنه الإسلام بمعنى الاستسلام لأمر الله تعالى، وهو الانقياد لطاعته، والقبول لأمره. ومنه أيضاً السَّلَمُ: ضِدُّ الْحَرْبِ¹.

وحدد أبو بكر الانباري أربعة معانٍ للسلام، هي: السلام بمعنى التسليم أي التحية المعروفة، والسلام اسم من أسماء الله تعالى، ويكون جمع سلام، ويعني الحجر، ويعني الشجر العظام².

وجعل ابن فارس معاني هذه الكلمة تعود إلى أصل واحد هو الصحة والعافية وما شذ عنه قليل، قال: ((السَّيْنُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ مُعْظَمُ بَابِهِ مِنَ الصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ؛ وَيَكُونُ فِيهِ مَا يَشِيدُ، وَالشَّادُ عَنْهُ قَلِيلٌ، فَالسَّلَامُ: أَنْ يَسْلُمَ الْإِسْلَامُ مِنَ الْعَاهَةِ وَالْأَذَى. فَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ: اللَّهُ جَلَّ ثَناؤَهُ هُوَ السَّلَامُ؛ لِسَلَامِتِهِ مِمَّا يَلْحَقُ الْمَخْلُوقَيْنَ مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقصِ وَالْفَنَاءِ، ...، وَمِنْ بَابِ أَيْضًا الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الْانْقِيَادُ؛ لِأَنَّهُ يَسْلُمُ مِنَ الْإِيَاءِ وَالْأَمْتَانِعِ. وَالسَّلَامُ: الْمُسَالَّمَةُ، ...، وَمِنْ بَابِ الْإِصْحَابِ وَالْانْقِيَادِ: السَّلَمُ الَّذِي يُسَمِّي السَّلْفَ، كَائِنُهُ مَا لَمْ أَسْلُمْ وَلَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ إِغْطَائِهِ. وَمُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْحِجَارَةُ سَمِّيَتْ سِلَاماً لِأَنَّهَا أَبْعَدَ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَنَاءِ وَالذَّهَابِ؛ لِشَدَّتِهَا وَصَلَابَتِهَا. فَأَمَّا السَّلِيمُ وَهُوَ اللَّدِيعُ فَفِي سَمِّيَتِهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَسْلَمَ لِمَا يَهُ. وَالْقَوْلُ الْآخَرُ أَنَّهُمْ ظَفَّاءُلُوا بِالسَّلَامَةِ. وَقَدْ يُسَمِّونَ الشَّيْءَ بِاسْمَاءِ فِي التَّفَاعُلِ وَالتَّطَيِّرِ. وَالسَّلَمُ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ مِنَ السَّلَامَةِ أَيْضًا؛

1 ينظر: العين: 7 / 265 - 266. وينظر: تهذيب اللغة: 12 / 309، والصحاح: 5 / 1950-1952، والقاموس المحيط: 1122، وبصائر ذوي التمييز: 3 / 252، وタاج العروس: 32 / 370-409، والمعجم الوسيط: 1 / 446.

2 ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: 1 / 65.

لأنَّ النازلٌ عَلَيْهِ يُرْجَى لَهُ السَّلَامَةُ. والسَّلَامَةُ: شَجَرٌ، وَجَمِيعُهَا سَلَامٌ. وَالذِّي شَدَّ عَنِ الْبَابِ السَّلْمُ: الدَّلْوُ الْتِي لَهَا عُرْوَةٌ وَاحِدَةٌ. وَالسَّلْمُ: شَجَرٌ، وَاحِدَةٌ سَلَامٌ. وَالسَّلَامَانُ: شَجَرٌ. وَمِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ السَّلْمُ وَهُوَ الصُّلْحُ، وَقَدْ يُؤْتَثُ وَيُذَكَّرُ¹). وَنَقلُ الزِّجاجِ عَنِ الْمَبْرُدِ أَنَّهُ جَعَلَ مَعَانِي هَذِهِ الْمَادَةِ أَرْبَعَةً أَشْيَاءً؛ قَالَ: ((سَمِعْتُ أَبا العَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ يَذَكُّرُ أَنَّ السَّلَامَ فِي الْلُّغَةِ أَرْبَعَةً أَشْيَاءً: فَمِنْهَا سَلَمَتْ سَلَاماً مَصْدَرَ سَلَمَتْ، وَمِنْهَا السَّلَامُ جَمْعُ سَلَامَةٍ، وَمِنْهَا السَّلَامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْهَا السَّلَامُ شَجَرٌ))². وَقَدْ تَوَقَّفَ أَبْنُ الْقَيْمِ عَلَى مَعْنَى السَّلَامِ فِي خُطَابِ الْمُسْتَعْمِلِينَ لَهُ عَلَى أَنَّهُ تَحْيِيْهِمْ، قَالَ: ((فِيهِ قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَعْنَى اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَالسَّلَامُ هُنَا هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَعْنَى الْكَلَامِ نَزَلتْ بِرَبْكَةِ اسْمِهِ عَلَيْكُمْ وَحَلَّتْ عَلَيْكُمْ وَنَحْوُ هَذَا،...،الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ السَّلَامَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى السَّلَامَةِ وَهُمُ الْمُطْلُوبُونَ الْمَدْعُوُونَ بِهِ عِنْدَ التَّحْيَةِ،...،وَفَصَلَ الْخُطَابُ فِي هَذِهِ الْمَسَالَةِ: أَنَّ يَقَالُ الْحَقُّ فِي مَجْمُوعِ الْقَوْلَيْنِ،...،فَالْمَلْقَامُ لِمَا كَانَ مَقَامُ طَلْبِ السَّلَامَةِ الَّتِي هِي أَهْمَّ مَا عِنْدَ الرَّجُلِ أَتَى فِي لَفْظِهَا بِصِيغَةِ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَهُوَ السَّلَامُ الَّذِي يَطْلُبُ مِنْهُ السَّلَامَةُ فَتَضْمِنُ لِفَظِ السَّلَامِ مَعْنَيَيْنِ أَحَدُهُمَا: ذَكْرُ اللَّهِ،...،وَالثَّانِي: طَلْبُ السَّلَامَةِ وَهُوَ مَقْصُودُ الْمُسْلِمِ فَقَدْ تَضْمِنُ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَطَلْبُ السَّلَامَةِ مِنْهُ فَتَأْمُلُ هَذِهِ الْفَائِدَةَ))³.

وَيَبْدُوا أَنَّ السَّلَامَ وَالتَّحْيَةَ عِنْدَ الْلَّغَوَيْنِ مُتَرَادِفَانِ، كَمَا يَظْهُرُ مِنْ تَفْسِيرِ مَعْنَى التَّحْيَةِ، قَالَ الزِّجاجُ: ((وَقَيْلٌ فِي التَّفْسِيرِ: التَّحْيَةُ هُنَا، السَّلَامُ، وَهِيَ تَفْعَلُهُ - مِنْ

1 مقاييس اللغة: 3 / 90-91. وينظر: جمل اللغة: 469، وأساس البلاغة: 1 / 471، والمصباح المنير: 1 / 286، وبصائر ذوي التمييز: 3 / 252.

2 معاني القرآن وإعرابه: 2 / 252. وينظر: تهذيب اللغة: 12 / 309، ولسان العرب: 12 / 291.

3 بدائع الفوائد 2 / 143. وينظر: أحكام أهل الذمة، له أيضًا: 1 / 413.

حيث) ¹. وذكر أبو بكر الانباري: في تفسير التحيات في قوله: (التحيات لله والصلوات والطيبات) ثلاثة أقوال، الأولى: بمعنى السلام، كما في قوله تعالى: (وإذا حيستم بتحية فحيوا) معناه: وإذا سلم عليكم. والثاني أنها بمعنى الملك، وذلك أن الملك كان يحيى، فيقال له: اللهم صباحاً، أبنت اللعن. والثالث أنها بمعنى: البقاء لله ². وقال الراغب الأصفهاني: ((التحية: من قوله حيا الله فلاناً، أي جعل له حياة، وذلك إخبار، ثم يجعل دعاء، ثم يقال: وحياناً فلان فلاناً إذا قال له ذلك، وحكم به، كما يقال: أصللت فلاناً وأرشدته إذا حكمت له بذلك، وأصل التحية من الحياة، ثم يقال لكل دعاء تحية، لكون جميعه غير خارج عن كونه حياة، أو سبب حياة)) ³. وقال ابن عطية: ((و «التحية» مأخوذة من تبني الحياة للإنسان والدعاء بها، يقال حياء بمحيه)) ⁴. وقال ابن منظور في تأصيل معنى التحية: ((والتحية: السلام، ... والتحية: البقاء. والتحية: الملك؛ ... والتحية: تفعيلة من الحياة، ...، و قال القمي: إنما قيل التحيات لله لآ على الجموع لأنكَانَ في الأرض ملوكٌ يحيون بتحيات مختلفة، يقال لبعضهم: أبنت اللعن، ولبعضهم: أسلم وانعم وعش ألف سنة، ولبعضهم: العيم صباحاً، فقيل لنا: قولوا التحيات لله أي الألفاظ التي تدل على الملك والبقاء ويكتفى بها عن الملك فهي لله عز وجل)) ⁵. وجاء فيه: ((وقال أبو الهيثم: السلام والتحية معاهمَا واحد، ومعاهمَا السلامَةَ من جميع الآفات)) ⁶. وفي الناج: ((والتحية: السلام؛ ... وقال أبو الهيثم:

1 معاني القرآن وإعرابه: 2 / 86. وينظر: المحرر الوجيز: 2 / 87، ومفائق الغيب: 10 / 161، وأنوار التزيل: 2 / 88، والجامع لأحكام القرآن: 5 / 297، والبحر الخبط: 3 / 733، والباب في علوم الكتاب: 6 / 535، وبصائر ذوي التميز: 3 / 252، وتفسير المنار: 5 / 253.

2 ينظر: الراهن في معاني كلمات الناس: 1 / 60، والمخصص: 3 / 468، ولسان العرب: 14 / 216.

3 تفسير الراغب الأصفهاني: 3 / 1366. وينظر: المفردات في غريب القرآن: 270، والباب في علوم الكتاب: 6 / 537، وبصائر ذوي التميز: 2 / 514، ومعحسن التأويل: 3 / 243.

4 المحرر الوجيز: 3 / 107. وينظر: محسن التأويل: 6 / 8.

5 لسان العرب: 14 / 216. وينظر: تهذيب اللغة: 5 / 188.

6 لسان العرب: 12 / 289-290، و 14 / 217، والمخصص: 3 / 468، وناتج العروس: 32 / 385.

التحية في كلام العرب ما يحيي به بعضهم بعضاً إذا تلقوها، قال: وتحية الله التي جعلها في الدنيا لمؤمني عباده إذا تلقوها ودعا بعضهم البعض فأجمع الدعاة أن يقولوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قال الله، عز وجل: (تحيئهم يوم يلقونه سلام) ([الأحزاب 34]).¹ وقال الطاهر بن عاشور: ((والتحية: الكلام الذي يخاطب به عند انتهاء الملاقاة إغراها عن السرور باللقاء من دعاء وتحية. وهذا الاسم في الأصل متصدر حياء، إذا قال له: أحياك الله، أي أطال حيائك. فسمى به الكلام المغرب عن انتهاء الحير للملاقي أو الثناء عليه لأنه غالب أن يقولوا: أحياك الله عند انتهاء الملاقاة فأطلق اسمها على كل دعاء وثناء يقال عند الملاقاة وتحية الإسلام: سلام عليك أو السلام عليكما، دعاء بالسلامة والأمن، أي من المكررو لأن السلامة أحسن ما يتعين في الحياة)).² وهذا ما أكدته الشيخ محمد رشيد رضا، إذ قال: ((التحية: متصدر حياء إذا قال له حياك الله، هذا هو الأصل، ثم صارت التحية اسمًا لكل ما يقوله المرأة لمن يلقيه أو يقبله هو عليه من نحو دعاء أو ثناء كقولهم: أتعم صباحاً وألعم مساء، وقالوا: عم صباحاً وأمساء، وجعلت تحية المسلمين السلام للإشعار بأن دين السلام والأمان، وأنهم أهل السلام ومحبو السلام، ومن التحيات الشائعة في بلادنا إلى هذا اليوم: أسعد الله صباحكم، أسعد الله مساءكم – وهذا بمعنى قول العرب القدماء: أليم صباحاً ومساء – وتهارك سعيد، وليلتك سعيدة، وهذا مترجم عن الإفرنجية)).³ وقد خصص ابن سيده بابا للتسليم عالج فيه بعض التحيات المستعملة عند العرب وتفسيرها⁴. وقد نقل أبو حيان عن البرد انه فرق بين التحية والسلام قال: ((وفرق

1 تاج العروس: 37 / 515

2 التحرير والتنوير: 22 / 51

3 تفسير المنار: 5 / 253

4 ينظر: المخصص: 3 / 468

المُبَرِّدُ بَيْنَ التَّحْيَةِ وَالسَّلَامِ فَقَالَ: التَّحْيَةُ يَكُونُ ذَلِكَ دُعَاءً، وَالسَّلَامُ مَخْصُوصٌ، وَمِنْهُ: (وَيَلْقَوْنَ فِيهَا تَحْيَةً وَسَلَاماً) [الفرقان 75])¹

وحدد الدكتور محمد بن عبد الله الشباني، في مقال له درس فيه مفهوم السلام الذي هو ضد الحرب في القرآن الكريم ، دلالة مشتقات السلام بأربعة أشكال في الاستعمال القرآني، الأول: في مجال الحياة الأسرية: الذي يتعلّق بحماية الطفولة وتحقيق الأمان عند انفصام الروابط التي تجمع بين الأب والأم في قوله تعالى: (وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِيُوا أُولَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا أَكْتَبْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَئْتُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [البقرة 233]. والثاني: في مجال الحرب والسلم: وذلك عندما تحدث القرآن عن علاقة المجتمع المسلم مع بقية الجماعات الأخرى التي تدين بغير دين الإسلام، وأوضح الإطار الذي يحدد مظاهر علاقات السلم ونوعيته، والظروف التي يمكن فيها قبول المهادنة والصلح مع العدو. والثالث: ورد بمعنى الخصوص والاستسلام لله، الذي هو المفهوم الحقيقي ل الدين الإسلام، فقد ورد لفظ (السلام) ومشتقاته للدلالة على الإسلام، الذي يعني كمال الخصوص والذلة والاستسلام لله بما شرعه وأمر به. والرابع: ورد لفظ (السلام) في القرآن بما يفيد ضرورة استخدامه تحية يتخذها الأفراد، بقصد بث الأمان النفسي والمادي في المجتمع المسلم². في حين ذكر بعض الباحثين أن السلام جاء في القرآن على ستة معان، وهي: السلام بمعنى اسم من أسماء الله تعالى، وبمعنى التحية المعروفة، وبمعنى الثناء الجميل، وبمعنى السلام من كل شر، وبمعنى الخير، ويزاد عليها دار السلام وهي الجنة³.

1 البحر المحيط: 8 / 487.

2 ينظر: مقال: السلام كما جاء في القرآن الكريم، بقلم: د. محمد بن عبد الله الشباني، مجلة البيان شوال - 1416هـ - مارس - 1996م، (السنة: 10)، ع : 98، ص 52.

3 ينظر: نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: 2 / 434-438.

كيفية التحية كما حددها الإسلام:

بين العلماء أن للتحية مراتب؛ فإذا قال المسلم: السلام عليك، كان الرد في جوابه بالرحمة، وإذا ذكر السلام والرحمة في الابتداء، زيد في جوابه البركة وإذا ذكر الثلاثة في الابتداء، أعادها في الجواب¹. كما نص قوله تعالى: (وَإِذَا حَيَّشْتُمْ بِتَحْيَيَةٍ فَحَيِّبُوا بِأَخْسَنِ مِنْهَا، أَوْ رُدُّوهَا، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا) [النساء: 86]، فقد أوجَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا في هذه الآية أن تحييبَ من حيَّاناً بأحسنَ من تحييته أو بمثيلها أو عينها²، فمن قالَ لَكَ: أَسْعَدَ اللَّهُ صَبَّاكُمْ وَمَسَاءَكُمْ، فَقُلْتَ لَهُ: أَسْعَدَ اللَّهُ جَمِيعَ أَوْقَاتِكُمْ كَائِنَ تَحْيِيْكَ أَخْسَنَ مِنْ تَحْيَيَتِهِ، وَمَنْ قَالَ لَكَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِصَوْنِتِ خَافَتِ يُشْعِرُ بِقُلْةِ الْعِنَاءِ فَقُلْتَ لَهُ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ بِصَوْنِتِ أَرْفَعَ وَإِقْبَالٍ يُشْعِرُ بِالْعِنَاءِ وَزِيادةِ الْإِقْبَالِ وَالْتَّكَرِيمِ، كُنْتَ قَدْ حَيَّيْتَهُ بِتَحْيَيَةٍ أَخْسَنَ مِنْ تَحْيَيَتِهِ فِي صِيفَتِهَا، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلُهَا فِي لَفْظَهَا، وَالثَّاسُ يُفَرَّقُونَ فِي الْقِيَامِ لِلزَّائِرِينَ بَيْنَ مَنْ يَقُومُ بِحَرَكَةِ خَفِيقَةٍ وَهَمَّةٍ يُشْعِرُ بِزِيادةِ الْعِنَاءِ وَمَنْ يَقُومُ مُتَكَافِلًا، وقد عَلِمَ مِنْ الآية أَنَّ الْجَوَابَ عَنِ التَّحْيَيَةِ لَهُ مَرْبَطَانِ: أَذْنَاهُمَا رَدُّهَا بِعِنَاءِ، وَأَغْلَاهُمَا الْجَوَابُ عَنْهَا بِأَخْسَنِ مِنْهَا³.

وقد جاء الإسلام بهذه التحية الخاصة، التي تميز المجتمع المسلم وتجعل كل سمة فيه - حتى السمات اليومية المعتادة - متفردةً متميزةً لا تندغم ولا تضيع في سمات المجتمعات الأخرى ومعاملتها، إذ يحرص النهج الإسلامي على أن يطبع المجتمع المسلم بسمات متميزة بحيث تكون له ملامحه الخاصة، وتقاليده الخاصة - كما أن له شرائعه الخاصة ونظامه الخاص - كما أن الجماعة المسلمة تميزت بقبلتها، وعقيدتها⁴.

1 ينظر: الباب في علوم الكتاب: 6 / 538، وفي ظلال القرآن: 2 / 726.

2 ينظر: تفسير المنار: 5 / 253.

3 ينظر: نفسه: 5 / 254.

4 ينظر: في ظلال القرآن: 2 / 726.

علة اختيار لفظ السلام في التحية الإسلامية:

يبدو من كلام المفسرين، أن الإسلام قد أمات التحية التي كانت مستعملة في الجاهلية؛ وهي قوله: (حياك الله) بين العامة وقولهم: (العيم صباحاً) في تحية الملوك، إذ استعمل تحية جديدة هي: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، قال الفخر الرازبي (ت 606 هـ) عن تحية العرب (حياك الله): ((اعلم أن عادة العرب قبل الإسلام الله إذا لقي بعضهم بعضاً قالوا: حياك الله وأشيقافه من الحياة كائنة يدعوه له بالحياة، فكانت التحية عندهم عبارة عن قول بعضهم لبعضٍ حياك الله، فلما جاء الإسلام أبدل ذلك بالسلام، فجعلوا التحية اسمًا للسلام))¹. وقد أيد الطاهر بن عاشور هذه الفكرة، قال: ((وكان هذا اللفظ تحيّة العرب قبل الإسلام تحيّة العامة، ...، وكانت تحيّة الملوك «عِم صباحاً»، فجعل الإسلام التحية كلمة «السلام عليكم»، ...، وسماها تحيّة الإسلام))². وقال في موضع آخر: ((والسلام: الأمان، كلمة قائلها العرب عند لقاء المرء يعنيه دلالة على أنه مسلم لا محارب لأن العرب كانت بينهم دماء وتراث وكأنوا يشارون لأنفسهم ولو يعني المعتمدي من قبيلته، فكان الرجل إذا لقي من لا يعرفه لا يأمن أن يكون بيته وبين قبيلته إحقن وحافظ فيؤمن أحدهما الآخر بقوله: السلام عليكم، أو سلام، أو تحيّه ذلك. وقد حكاما الله تعالى عن إبراهيم - عليه السلام - ثم شاع هذا اللفظ فصار مستعملًا في التكريم))³. وقد ساعد على ذلك جيء بهذه التحية الجديدة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: (وَتَحِيَّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) [يونس 10]. فقد ((ذكر تعالى في هذه الآية: أن تحيّة أهل الجنة في الجنة سلام، أي يسلّم بعضهم على بعض بذلك، ويسلّمون على الملائكة، وسلّم عليهم الملائكة بذلك، وقد بين تعالى هذا في مواضع أخرى، كقوله: (تحيّهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ) الآية [الاحزاب 44]، وقوله: (وَالملائكة

1 مفاتيح الغيب: 10 / 161. وينظر: مدارك التنزيل: 1 / 380.

2 التحرير والتنوير: 18 / 304.

3 نفسه: 18 / 304-305.

يَذَّهَّلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) الآية [الرعد 23-24]، وَقَوْلُهُ: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا)¹. وفي الحديث الشريف الذي دفع المسلمين إلى استعمالها دون غيرها، وذلك لما لها من قيمة دينية؛ فقد جاء عن الرسول أن الله سبحانه وتعالى لما خلق (adam) عليه السلام قال له: ((اذهب فسلم على أولئك التفcer من الملائكة، جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحيي ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله))². كما وضع الإسلام أحكام السلام بين المسلمين فقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «يسلم الصغير على الكبير، وأما الرأْ على القاعِدِ، والقليل على الكبير»³. كما كان من سنة الرسول الجهر بالإفشاء والمصادفة، وأجاز الإسلام للرجل السلام على زوجته دون الأجنبية، والابداء بالسلام سنة مؤكدة، ورده فريضة⁴.

وفي تعليل اختيار الإسلام لفظ (السلام) دون غيره من الألفاظ والتحيات، نجد أن المفسرين قد ذهبوا مذاهب اجتماعية وعقائدية تحاول أن تربط بين الجانب الديني الذي فضل هذا اللفظ على غيره من جهة، وتربيطه بالجانب الاجتماعي الذي يؤكّد على الأمان والسلامة بين الملاقيين من جهة أخرى؛ فقد ذهب الراغب الأصفهاني إلى أن سبب اختيار لفظ السلام للتحية يعود إلى أنه يعني السلم فكان الرجل حين يحيي الآخر بهذه التحية فكانه يقول له إنني بذلك لك الأمان والسلام ويطلب منه مثل ذلك، قال: ((إن قيل: على أي وجه جعل قولهم: السلام تحية الملتقيين؟ قيل: السلام والسلام واحد، بدلالة

1 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 2/ 151.

2 صحيح البخاري: 8/ 50، وينظر: مفاتيح الغيب: 10/ 164، والجامع لأحكام القرآن: 5/ 300، وغذاء الألباب: 1/ 284-280.

3 صحيح البخاري: 8/ 52، وتنظر أحكامه الأخرى في: صحيح البخاري: 8/ 45-52، وصحیح مسلم: 3/ 1704-1708، ومتاتع الغيب: 10/ 165-164، ونثرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: 2/ 434، وتفسير المنار: 5/ 258.

4 ينظر: مفاتيح الغيب: 10/ 164-165.

قوله: (فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سِلْمٌ) [هود: 69]، ولما كان الملتقيان من الأجانب قد حذر أحدهما الآخر استعملوا هذه اللفظة تبيهاً من المخاطب، أي بذلك لك ذلك وطلبه منك. ونبه المحب إذا قال: وعليك السلام. على نحو ذلك، ثم صار ذلك مستعملاً في الأجانب والأقارب والأعادي والأحباب، تبيهاً أني أسأل الله ذلك لك، وأكثر المفسرين حملوا الآية على التحية المجردة)¹. وقد ربط الفخر الرازي سبب اختيار الإسلام هذه التحية بما تفيده من دلالة تبعث على الأمان والطمأنينة، قال: ((وإذا وصل إنسان إلى إنسان كان أهم المهمات أن يعرّفه الله منه في السلامة والأمن والأمان، فلهذا السبب وقع الصنطلاح على أن يقع ابتداء الكلام بذكر السلام، وهو أن يقول «سلام عليكم»))². ولم يكتف الفخر الرازي بذلك وإنما إلى الموازنة بين التحية الإسلامية والتحية التي كانت مستعملة من قبل، مبيناً ما في التحية الإسلامية من دلالات هامشية ناتجة من المفاصلة بين المعنين اللغويين لـ(السلام) من جانب (حياك) من جانب آخر، من خلال ربط التحية الإسلامية بامتداداتها الدينية والاجتماعية؛ قال: ((واعلم أن قول القائل لغيره: (السلام عليك) أتم وأكمل من قوله: حياك الله، وبيانه من وجوه الأول: أن الحي إذا كان سليماً كان حياً لا محاله، وليس إذا كان حياً كان سليماً، فقد تكون حيائمه مقرئون بالآفات والبليات، فثبتت أن قوله: السلام عليك أتم وأكمل من قوله: حياك الله. الثاني: أن السلام أسم من أسماء الله تعالى، فالابتداء بذكر الله أو بصيغة من صفاتيه الدالة على أنه يريد إبقاء السلام على عباده أكمل من قوله: حياك الله. الثالث: أن قول الإنسان لغيره: السلام عليك فيه بشاره بالسلامة، وقوله: حياك الله لا يفيذ ذلك، فكان هذا أكمل. ومما يدل على فضيلة السلام القرآن والأحاديث والمعقول))³.

1 تفسير الراغب الأصفهاني: 3 / 1366 - 1367.

2 مفاتيح الغيب: 16 / 138.

3 نفسه: 10 / 161. وينظر: الباب في علوم الكتاب: 6 / 536، ومحاسن التأويل: 3 / 243، وتفسير الشعراوي: 4 / 2503.

وذهب بعض العلماء إلى أن سبب اختبار لفظ السلام تحية في الإسلام هو ارتباط معنى السلام بالله تعالى لأنه من أسمائه سبحانه. جاء في اللسان: ((والتسليم: مشتقٌ من السلام اسم الله تعالى لسلامته من العيب والنقض، وقيل: معناه أن الله مطلع عليكم فلما تغفلوا، وقيل: معناه اسم السلام عليك، إذ كان اسم الله تعالى يذكر على الأعمال توقعًا لاجتماع معاني الحُجَّرات فيه، وألفاظ عوارض الفساد عنه، وقيل: معناه سلِّمتْ مبنيًّا فاجعلني أسلم مِنْكَ مِنَ السَّلَامَ بِمَعْنَى السَّلَام))¹. ولقي هذا الوجه من تبناء من العلماء كما نجد عند ابن قيم الجوزية (ت 751 هـ)، الذي راح يربط إطلاق اسم السلام على الله تعالى لأنه سلم من العيوب والنقض المادي والمعنوي، قال: ((إطلاق السلام على الله تعالى اسمًا من أسمائه هو أولى من هذا كله وأحق بهذا الاسم من كل مسمى به لسلامته سبحانه من كل عيب ونقض من كل وجه، فهو السلام الحق بكل اعتبار والخلق سلام بالإضافة فهو سبحانه سلام في ذاته عن كل عيب ونقض يتخيله وهم سلام في صفاته من كل عيب ونقض وسلم في أفعاله من كل عيب ونقض وشر وظلم وفعل واقع على غير وجه الحكمة بل هو السلام الحق من كل وجه وبكل اعتبار فعل أن استحقاقه تعالى لهذا الاسم أكمل من استحقاق كل ما يطلق عليه وهذا هو حقيقة التزية الذي نزعه به نفسه ونزعه به رسوله فهو السلام من الصاحبة والولد والسلام من النظير والكافء والسمى والمماطل والسلام من الشريك، ولذلك إذا نظرت إلى أفراد صفات كماله وجدت كل صفة سلاماً مما يضاد كمالها))². ويبدو أن التعليل الذي توصل إليه الفخر الرازمي وجده قبولاً عند بعض المفسرين، ومنهم أبو السعود، إذ

1 لسان العرب: 12 / 290. وينظر: المقصد الأسمى: 69. ولا بد من التنبيه على أن السيد مرتضى الحسيني رفض القول بأن الله تعالى تسمى بالسلام لأن سلم من الآفات وعده من شنيع القول، قال: ((ومن زعم من المفسرين لهذا الاسم أنه تسمى به لسلامته من العيوب والأفات فقد أثني بشنيع من القول، إنما السلام من سليم منه، والسلام من سليم من عيشه)). وقال الزجاج في تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص: 31: ((يقال السلام هو الذي سلم من عذابه من لا يستحقه)).

2 بداعن الفوائد: 2 / 135.

يقول: ((أصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب إذا لقي بعضهم بعضاً يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الإسلام، قال تعالى: (تحيئُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) [يونس 10]، وقال: (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ) [الاحزاب 44]، وقال: (فَسَلَّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مَّنْ عِنْدِ اللَّهِ) [النور 61]، قالوا في السلام مزيّة على التحية لما أنه دعاء بالسلامة من الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحياة وليس في الدعاء بطول الحياة ذلك لأن السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره ما لا ريب في فضله)¹. في حين نجد الطاهر بن عاشور أصل للفظ التحية وبحث عن جذور استعماله التاريخية التي لسبب اختيارها وشبيهة دينية بلا شك من جهة، كما لاختيارها جوانب اجتماعية ونفسية تنطلق من حاجة الإنسان في ذلك الوقت إلى الإحساس بالأمن في بيته تفتقر إليه. فقال: ((جعل الإسلام التحية كلمة «السلام عليكم»، وهي جائحة من الحنفية (قالوا سلاماً قال سلام) [هود: 69] [وسماها تحية الإسلام، وهي من جوامع الكلم لأن المقصود من التحية تأنيس الداخلي بتأمينه إن كان لا يعرفه وباللطف له إن كان معروفاً. وللفظ «السلام» يجمع المعتدين لأن مشتقه من السلام فهو دعاء بالسلامة وتأمين بالسلام لأن إذا دعاه بالسلام فهو مسام لـه فكان الخبر كناية عن التأمين، وإذا تحقق الأمران حصل خير كثير لأن السلام لا تجتمع شيئاً من الشر في ذات السلام، والأمان لا يجتمع شيئاً من الشر يأتي من قبل المعتدي فكانت دعاء ترجي إيجابته وعهدًا بالأمن يحب الوقاء به. وفي كلمة عليكم معنى التمكّن، أي السلام مُستقرة عليكم. وللكون كلمة (السلام) جامدة لهذا المعنى امتن اللّه على المسلمين بها بأن جعلها من عند اللّه إذ هو الذي علّمها رسوله بالوحي،...، والمعنى أنَّ كلمة «السلام عليكم» تحية خيرٌ من تحية أهل الجاهلية²). وأكد هذا الفهم الشيخ الشعراوي؛ قال: ((إنَّ كلمة التحية وهي «السلام عليكم» معناها أمان واطمأنان،

1 إرشاد العقل السليم: 2 / 211. وينظر: روح المعاني: 3 / 95.

2 التحرير والتنوير: 18 / 304-305.

والأمان والاطمئنان كلاماً يعطي الحياة بهجة، فالحياة بدون أمن أو اطمئنان ليس لها قيمة. فكان إشاعة السلام بقولنا: «السلام عليكم» أو «السلام عليكم ورحمة الله» أو «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» تجعل المجتمع مجتمعاً صفائياً، وما دام المجتمع كله مجتمعاً صفائياً، فخير أي واحد يكون عند الآخر. ويتعدى ذلك إلى أن يطلب المؤمن خير الله لأنبيائه المؤمنين¹).

ولابد لنا من الوقوف على مجموعة من المسائل اللغوية الصرفية وال نحوية التي عالجها العلماء القدماء في عبارة التحية الإسلامية: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وعبارة الرد عليها: (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته)، التي تكشف عن عناية العلماء واهتمامهم بدراسة مظاهر لغوي اجتماعي شائع وهو التحية الإسلامية وبذلهم جهوداً مهمة من أجل تحليلها على المستويات اللغوية كافة، وأولى هذه المسائل نوع الصيغة الصرفية لكلمة (السلام): أ مصدر هي أم اسم مصدر؟ وقد تناول هذه المسألة بالدراسة ابن قيم الجوزية؛ قال: ((ان السلام الذي هو التحية اسم مصدر من سلم ومصدره الجاري عليه تسلیم کعلم تعليماً وفهم تفهیماً وكلم تکلیماً والسلام من سلم كالكلام من کلم))². ولم يكتف ابن القيم ببيان نوع لفظ (السلام)؛ فراح يميز بين الدلالة الصرفية لكل من المصدر واسم المصدر، قال: ((فإن قيل: وما الفرق بين المصدر والاسم؟ قلنا: بينهما فرقان لفظي ومعنوي، أما اللفظي: فإن المصدر هو الجاري على فعله الذي هو قياسه كالإفعال من أفعل والتفعيل من فعل وأما السلام والكلام فليسا بجاريين على فعليهما ولو جريا عليه لقليل تسلیم وتکلیم، وأما الفرق المعنوي فهو أن المصدر دال على الحديث وفاعله فإذا قلت تکلیم وتسلیم وتعليم ونحو ذلك دل على الحديث ومن قام به فيدل التسلیم على السلام والمسلم وكذلك التکلیم والتعليم وأما اسم المصدر فإنما يدل

1. تفسير الشعراوي: 4 / 2503.

2. بداع الفوائد: 2 / 137.

على الحديث وحده.... وهذه النكتة من أسرار العربية فهذا السلام الذي هو التحية¹). لقد بلغ البحث في الاستعمال اللغوي الواقعي وعلاقته بالدلالة الصرفية في ضوء السياق في التحية الإسلامية عند ابن القيم، هنا، مرحلة متقدمة تدل على النضج في التفكير، فهو في مجده عن فرق بين السلام والتسليم توصل إلى علة اختيار السلام، الذي هو اسم مصدر وليس مصدراً، وهي أن في السلام حدثاً من غير صاحبه أو القائم به، في حين أن المصدر يحتوي عليهما كليهما. وفي رأيي فإن اسم المصدر (السلام) هنا أكثر مناسبة للتحية، لأن فيه ذوياتاً لشخصية المسلم في السلام أو اختفاءها وراءه، وهذا يوفر إيحاء بالأمان أكثر عند السامع، لأن في هذه التحية يختفي الشخص أو الذات ويظهر فعل السلام فقط.

وعلى ابن القيم سبب استعمال (السلام) دون (السلامة) بالتاء، بأن السلامة بالتاء تدل على الوحدة أو الإفراد، في حين يدل السلام من غير التاء على الحديث عامة من غير تحديد وإفراد، قال: ((وأما السلام الذي هو يعني السلامة فهو مصدر نفسه وهو مثل الجلال والجلالة فإذا حذفت التاء كان المراد نفس المصدر وإذا أتيت بالتاء كان فيه إيدان بالتحديد بالمرة من المصدر كالحب والحبة فالسلام والجمال والجلال كالجنس العام من حيث لم يكن فيه تاء التحديد والسلامة والجلالة والملاحة والفصاحة كلها تدل على الخصلة الواحدة ،...، جاء السلام مجرداً عن التاء إيداناً بمصطلح المسمى التام إذ لا يحصل المقصود إلا به فإنه لو سلم من آفة وقع في آفة لم يكن قد حصل له السلام فوضوح أن السلام لم يخرج عن المصدرية في جميع وجوهه²). فقد استعمل لفظ (السلام) مجرداً من الزيادة(التاء) للدلالة على الحديث فقط وهو ما يناسب موضوع التحية. أما العلة في اختيار اسم المصدر دون المصدر فتعود إلى أن اسم المصدر يدل على الحديث من غير فاعل، في حين أن المصدر يدل على الفعل وفاعله؛ قال ابن القيم: ((إن

1 نفسه: 137-138 / 2

2 نفسه: 138 / 2

قيل: فما الحكمة في مجئه اسم مصدر ولم يجيء على أصل المصدر؟ قيل: هذا السر بديع وهو أن المقصود حصول مسمى السلامة لل المسلم عليه على الإطلاق من غير تقييد بفاعل فلما كان المراد مطلق السلامة من غير تعرض لفاعل أتوا باسم المصدر الدال على مجرد الفعل ولم يأتوا بالمصدر الدال على الفعل والفاعل معا فتأمله¹. في حين ذكر الطاهر بن عاشور ان السلام قد يكون مصدرا أو اسم مصدر، قال: ((وَالسَّلَامُ: مَصْنَرٌ أَوْ اسْمُ مَصْنَرٍ مَعْنَاهُ السَّلَامَةُ،، وَيَطْلُقُ السَّلَامُ عَلَى التَّحْيَةِ وَالْمِذْحَةِ))². ولكنه قرر في موضع آخر انه اسم مصدر وليس مصدرا، قال: ((وَالسَّلَامُ: الْأَمَانُ، كَلِمَةٌ قَالَهَا الْعَرَبُ عِنْدَ إِلَقاءِ الْمَرْءِ بِغَيْرِهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ مُسَالِمٌ لَا مُحَارِبٌ، ...، وَمَصْنَرٌ سَلَمُ التَّسْلِيمُ. وَالسَّلَامُ اسْمُ مَصْنَرٍ))³.

كما عالج ابن قيم الجوزية موضوعا آخر مهمًا في بنية التحية الإسلامية، وهو أن قولهم: (سلام عليكم) قد يدخل تحت جنس الإنشاء تارة والخبر تارة أخرى؛ وذلك لأن هذه العبارة من الفاظ الدعاء وأنها تتضمن الإنشاء والخبر معا على أساس جهة النظر أو نسبته؛ فهي إنشاء من حيث نسبتها إلى قصد المسلم وإرادته لثبتوت مضمونها، وهي خبرية من حيث نسبتها إلى المتكلم فيه والإعلام بتحققوها في الخارج وقد يجتمع فيها وصف الخبرية والإنسانية في موضع وقد يفترقان في موضع⁴. وقال مبيناً هذا التفسير: ((ان هذا ونحوه من الفاظ الدعاء متضمن للإنشاء والإخبار فجهة الخبرية فيه لا تناقض جهة الإنسانية وهذا موضع بديع يحتاج إلى كشف وإيضاح فنقول الكلام له نسبة إلى المتكلم به نفسه ونسبة إلى المتكلم فيه إما طلبا وإما خبرا ولهم نسبة ثالثة إلى المخاطب لا يتعلق بها هذا الغرض وإنما يتعلق تحقيقه بالنسبةين الأوليين فباعتبار

1. نفسه: 2 / 139.

2. نفسه: 30 / 465.

3. نفسه: 7 / 257.

4. ينظر: بداع الفوائد: 2 / 139.

تبينك النسبتين نشأ التقسيم إلى الخبر والإنشاء ويعلم أين يجتمعان وأين يفترقان فله بنسبة إلى قصد المتكلم وإرادته لثبوت مضمونه وصف الإنشاء وله بنسبة إلى المتكلم فيه والإعلام بتحققه في الخارج وصف بالإخبار ثم تجتمع النسبتان في موضع وتفرقان في موضع فكل موضع كان المعنى فيه حاصلاً بقصد المتكلم وإرادته فقط فإنه لا يجتمع فيه الخبر الإنشاء نحو قوله: بعثك كذا ووهبتكه وأعتقدت وطلقت فإن هذه المعاني لم يثبت لها وجود خارجي إلا بإرادة المتكلم وقصده فهي إنشاءات وخبرياتها من جهة أخرى وهي تضمنها إخبار المتكلم عن ثبوت هذه النسبة في ذهنه لكن ليست هذه هي الخبرية التي وضع لها لفظ الخبر وكل موضع كان المعنى حاصلاً فيه من غير جهة المتكلم وليس للمتكلم إلا دعاؤه بمصوّله ومحبته فالخبر فيه لا ينافي إنشاء وهذا نحو سلام عليكم فإن السلام المطلوبة لم تحصل بفعل المسلم وليس للمسلم إلا الدعاء بها ومحبتها فإذا قال سلام عليكم تضمن الإخبار بمصوّل السلام والإنشاء للدعاء بها وإرادتها وتغيّرها وكذلك ويل له قال سيبويه: هو دعاء وخبرٌ ولم يفهم كثير من الناس قول سيبويه على وجهه بل حرفوه بما أراد سيبويه هذا المعنى: أنها تضمن الإخبار بمصوّل الويل له مع الدعاء به فتدبر هذه النكتة التي لا تجد لها محررة في غير هذا الموضع هكذا بل تجدتهم يطلقون تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء من غير تحرير وبيان لمواضع اجتماعهما وافتراضهما وقد عرفت بهذا أن قولهم سلام عليكم وويل له وما أشبه هذا أبلغ من إخراج الكلام في صورة الطلب المجرد نحو اللهم سلمه¹). وما عالجه ابن القيم هنا لفت الدارسين المحدثين؛ لأن فيه أصولاً للدرس اللغوي التداولي الحديث ، كما هي الحال هنا في مجده في ضم التحيات إلى رهط الدعاء، وجعلها متضمنة للإنشاء والإخبار استناداً إلى ما تشتمل عليه من نسبة إلى المتكلم ونسبة إلى مضمونها ومحتوها ما يتضح من كلامه. وهذا يقتضي الدلالة على الاستقبال من جهة الشرط القضوي في الأعمال

اللغوية، كما يقتضي أن يدخلها معنى الطلب فكأنها مقوله تجمع الدعاء من جهة والتحية والشكر والترحيب من جهة ثانية¹.

ووقف الفخر الرازي على زاوية أخرى في البنية الكلية للتحية، تخص بناء التحية عند الطرفين المسلم والمسلم عليه؛ وهي سبب وقوع السلام في أول كلام المسلم وفي نهاية جواب الراد، قال: ((وَالَّذِي خَطَرَ بِيَالِي فِيهِ أَنَّهُ إِذَا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ كَانَ الْإِبْدَاءُ وَأَقْعَدَا بِذِكْرِ اللَّهِ، فَلَمَّا قَالَ الْمُجِيبُ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ كَانَ الْإِخْتِتَامُ وَأَقْعَدَا بِذِكْرِ اللَّهِ، وَهَذَا يُطَابِقُ قَوْلَهُ: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ)[الْحَدِيد: 3]، وَأَيْضًا لَمَّا وَقَعَ الْإِبْدَاءُ وَالْإِخْتِتَامُ بِذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُرْجَى أَنْ يَكُونَ مَا وَقَعَ بِيَهُمَا يَصِيرُ مَقْبُولًا بِبَرْكَتِهِ))². وقد علل بناء التحية لغويًا على هذا النحو بعلة أخرى في موضع آخر؛ قال: ((إِنَّهُ عِنْدَ الْجَوَابِ يُقْلِبُ هَذَا التَّرْتِيبُ فَيَقُولُ وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ، وَالسَّبَبُ فِيهِ مَا قَالَهُ سَيِّدُنَا وَآلهُ وَسَلَّمَ يَقْدُمُونَ الْأَهْمَمُ وَالَّذِي هُمْ يَشَاءُنَّ أَعْنَى، فَلَمَّا قَالَ وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ ذَلِّ عَلَى أَنَّ اهْتِمَامَ هَذَا الْمُجِيبِ يَشَاءُنَّ ذَلِّكَ الْفَائِلِ شَدِيدَ كَامِلٍ، وَأَيْضًا فَقَوْلُهُ: «وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ» يُفِيدُ الْحَاضِرَ، فَكَانَهُ يَقُولُ إِنَّ كُثُرَ قَدْ أُوْصَلَتِ السَّلَامُ إِلَيَّ فَلَمَّا أَزِيدُ عَلَيْهِ وَأَجْعَلُ السَّلَامَ مُخْتَصًّا بِكَ وَمَخْصُورًًا فِيَكَ))³.

كما تناول ابن القيم الأمر نفسه بطريقة أخرى، كشف فيها عن علة مجيء لفظ(السلام) متقدما على المسلم عليه في تحية المسلم ، في حين جاء المسلم عليه (وهو لفظ: وعليكم) متقدما على السلام في تحية الراد، وذلك بأن في هذا التركيب فوائد عده، الفائدة الأولى: الفرق بين الكلام في حالتي الابتداء والرد خوف اللبس، ومن ثم فإنهم لما كانوا قد اعتمدوا الفرق بين سلام المبتدئ وسلام الراد خصوا المبتدئ بتقديم السلام؛

1 ينظر: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية: 360، دائرة الأعمال اللغوية؛ مراجعات ومقترنات: 242.

2 مفاتيح الغيب: 10 / 163.

3 نفسه: 16 / 137.

لأنه هو المقصود وخصوصاً الراد بتقديم الجار وال مجرور¹. والفائدة الثانية: هي أن سلام الراد يجري بجري الجواب وهذا يكتفي فيه بالكلمة المفردة الدالة على اختها فلو قال: وعليك، لكن متضمناً للرد كما هو المشروع في الرد على أهل الكتاب ... فتأمل هذه الفائدة البدعة والمقصود أن الجواب يكفي فيه قوله: وعليك، وإنما كُمِلَ تكميلاً للعدل وقطعاً للتوضيح². والفائدة الثالثة: هي أقوى مما تقدم وهي أن المسلم لما تضمن سلامه الدعاء للمسلم عليه بوقوع السلامة عليه وحلوها عليه وكان الرد متضمناً لطلب أن يحمل عليه من ذلك مثل ما دعا به فإنه إذا قال وعليك السلام كان معناه وعليك من ذلك مثل ما طلبت لي لا أنفرد به عنك ولا اختص به دونك ولا ريب أن هذا المعنى يستدعي تقديم المشارك المساوي³.

كما سأله ابن القيم عن الحكمة من اقتران الرحمة والبركة بالسلام في التحية الإسلامية، وأجاب عنه بأن التحية الإسلامية مُتضمنة لثلاثة أشياء لا سبيل للإنسان إلى الانتفاع بالحياة من غيرها، أحدها سلامته من الشر ومن كل ما يضاد حياته وعيشها، والثاني حصول الخير له والثالث دوامه وثباته له. فقوله: (سلام عليكم) يتضمن السلامة من الشر، وقوله: (ورحمة الله) يتضمن حصول الخير وقوله: (وبركاته) يتضمن دوامه وثباته كما هو موضوع لفظ البركة وهو كثرة الخير واستمراره. وبهذا عُرف فضل هذه التحية وكما لها على سائر تحيات الأمم وهذا اختيارها الله لعباده وجعلها تحبهم بينهم في الدنيا وفي دار السلام⁴. ولعل مما يؤكد هذه الدلالات ما جاء في قول الفخر الرازي: إن لفظ التحية (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته): ((صار كنائةٌ عن الإكرام، فجَمِيعُ أنواعٍ

1 ينظر: بدائع الفوائد: 2 / 153.

2 ينظر: نفسه: 2 / 153.

3 ينظر: نفسه: 2 / 153-154.

4 ينظر: نفسه: 2 / 178.

الإكرام يدخل تحت لفظ التحية¹). ويلاحظ على هذه الأنوار التحليلية عند ابن القيم مدى عمقها وتبعها السياقات اللغوية الواقعية من أجل استنباط علة مقبولة للسلوك اللغوي في الواقع الاجتماعي.

وبحث ابن القيم في الحكمة من إضافة الرحمة والبركة إلى الله تعالى وتجريد السلام عن الإضافة؛ فيبين أن السلام لما كان اسمًا من أسماء الله تعالى استغني بذلك مطلقاً عن الإضافة إلى المسمى وأما الرحمة والبركة فلو لم يضافا إلى الله لم يعلم رحمة من ولا بركة من تطلب². واستنبط دلالة ثانية في هذه المسألة في ضوء الاستعمالات اللغوية في الواقع اللغوي وما توحيه تلك السياقات التي تأتي فيها من دلالات ثقافية تغنى التحية وتفسر سبب تركيبها على هذا النحو وهو أن السلام مضاف إلى المسلم ويراد به حقيقة السلامة المطلوبة من الله سبحانه، كما يضاف إلى الله؛ أي أنه يضاف إلى المسلم تارة وإلى المطلوب منه تارة. وأما الرحمة والبركة فلا يضافان إلا إلى الله تعالى وحده وهذا لا يقال: رحمي وبركي عليكم، ويقال: سلام مني عليكم وسلام من فلان على فلان³. كما توصل بثاقب نظره إلى ما في الكلمات التي تؤلف التحية من تفاوت في الدلالة ثم وزن بينها وتوصل إلى جواب آخر، وهو أن الرحمة والبركة أتم من مجرد السلامة فإن السلامة بعيدة عن الشر وأما الرحمة والبركة فتحصيل للخير وإدامة له وثبتت وتنمية وهذا أكمل فأضيفت إلى الله تعالى أكمل المعنين وأقهما لفظاً وأطلق الآخر وفهمت إضافته إليه معنى من العطف وقرينة الحال، فجاء اللفظ على أتم نظام وأحسن سياق⁴.

والتفت ابن القيم إلى أنَّ في إفراد السلام والرحمة وجمع البركة حكمةٌ تجلّى في ((أنَّ السلام إما مصدرٌ محض فهو شيءٌ واحدٌ فلا معنى لجمعه، وإما اسمٌ من أسماء الله

1. مفاتيح النسب: 10 / 166.

2. ينظر: بدائع الفوائد: 2 / 181.

3. ينظر: نفسه: 2 / 181.

4. ينظر: نفسه: 2 / 181.

تعالى فيستحيل أيضاً جمعه ... وأما الرحمة فمصدر أيضاً يعني العطف والحنان فلا تجتمع أيضاً والباء فيها بمنزلتها في الخلة والمحبة والرقابة ليست للتحديد ... لا يقال: رحات، وهنا دخول الجمع يشعر بالتحديد والتقييد بعدد وإنفراده يشعر بالمعنى مطلقاً من غير تحديد، فالإفراد هنا أكمل وأكثر معنى من الجمع وهذا بديع جداً أن يكون مدلول المفرد أكثر من مدلول الجمع وهذا كان قوله تعالى: (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) [الأنعام 149]، أعم وأعمّ معنى من أن يقال: فللهم الحجج البالغ،....، وأما البركة فإنها لما كان مسماها كثرة الخير واستمراره شيئاً بعد شيء كلما انقضى منه فردٌ خلقه فرد آخر؛ فهو خيرٌ مستمر يتعاقب الإفراد على الدوام شيئاً بعد شيء كان لفظُ الجمع أولى بها للدلالة على المعنى المقصود بها ولهذا جاءت في القرآن كذلك في قوله تعالى: (رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) [هود 73]، فأفراد الرحمة وجمع البركة وكذلك في السلام في التشهد: السلام عليك أبا النبي ورحمة الله وبركاته¹. وأورد الفخر الرازي أن أشد الأوقات حاجة إلى السلام ثلاثة أوقات مستدلاً بما جاء في القرآن الكريم، قال: ((من الدلائل القرآنية الدالة على فضيلة السلام أن أشد الأوقات حاجة إلى السلام والكرامة ثلاثة أوقات: وقت الابتداء، وقت الموت، وقت البعث)، والله تعالى لما أكرم يحيى عليه السلام فإنهما أكرم ما بأن وعده السلام في هذه الأوقات الثلاثة فقال: (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وِلْدَةِ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبَعْثَ حَيَا) [مرثيم: 15]، ويعنى عليه السلام ذكره أيضاً ذلك فقال: (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وِلْدَتْ وَيَوْمَ أَمْوَتْ وَيَوْمَ أَبْعَثْ حَيَا) [مرثيم: 33])².

ولابد من الإشارة إلى أن التحية الإسلامية قد تأتي بصيغ مختلفة؛ فقد يأتي لفظ السلام معرفاً وقد يأتي منكراً، وعالج ابن القيم مسوغ مجيء (سلام) مبتدأ على الرغم من أنها نكرة كما في قوله تعالى: (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا قُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ

1 نفسه: 2/ 182.

2 مفاتيح الغيب: 10/ 162.

وأصلحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (54) وَكَذَلِكَ نَفَضَّلُ الْآيَاتِ وَلِشَتَّىِنَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ [الأنعام: 53-55] ، بان مسوغه ما فيه من دلالة على الدعاء ، وكان المسلم يدعو بالسلام للمسلم عليه؛ قال: ((الذي صَحَّ الابتداء بالنكرة في (سلام عليكم) إنَّ المُسْلِمَ لَمْ كَانْ دَاعِيًّا وَكَانَ الاسمُ الْمُبْتَداً النكرة هو المطلوب بالدعاء صار هو المقصود المهم به وينزل منزلة قولك اسأل الله سلامًا عليك واطلب من الله سلامًا عليك فالسلام نفس مطلوبك ومقصودك ألا ترى أنك لو قلت: اسأل الله عليك سلامًا لم يجز وهذا في قوله ومعناه فتأمله فإنه بديع جدا))¹.

صور التَّحْيَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

ورد السلام بمعنى التَّحْيَةِ في القرآن الكريم على صور عدَّة، وفي ما يأتي من البحث سُقُف على الموضع التي ورد فيها السلام، مستعينين بأقوال المفسرين والعلماء في تفسيرها وبيان ما تحمله من معانٍ؛ تمهيداً للكشف عمّا فيها من أسرار تعبيرية انماز بها الخطاب القرآني الكريم، ويمكن تجزيئ صور التَّحْيَةِ في القرآن على النحو الآتي:

أولاً: السلام في سياق التشريع:

ورد السلام في سياق تشريع ما يخص التعامل مع من يلقي السلام على المسلمين، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَنْتُمْ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنَّدَ اللَّهِ مَعَانِيمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا [النساء: 94]). ذكر المفسرون في تفسيرها أن سبب نزولها رجلاً سلم على سرية من سرايا المسلمين الخارجة في إحدى غزواتها، فظنوا أنه عائد بالإسلام وليس مُسْلِمٌ فقتله أحدهم². وقد اختلف

1. بداع الفوائد: 2 / 152.

2. تفسير المنار: 5 / 258.

المفسرون في القاتل والمقتول في الحادثة¹، وبين ابن النحاس دلالة القراءات في الآية الكريمة، قال: ((فمن قرأ السلم فمعناه عنده الانقياد والاستسلام ومن قرأ السلام فتحتمل قراءته معنيين: أحدهما أن يكون معنى السلم، والأخر أن يكون من التسليم))². وفضل الفخر الرازي في دلالات النص في ضوء القراءات المروية في الآية الكريمة، قال: ((وَمَنْ قَرَأَ السَّلَامَ بِالْأَلْفِ فَلَهُ مَعْنَىٰ: أَحَدُهُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ السَّلَامُ الَّذِي يَكُونُ هُوَ تَحِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ، أَيْ لَا تَقُولُوا لِمَنْ حَيَّا كُمْ بِهَذِهِ التَّحِيَّةِ إِنَّمَا قَالُوهَا تَعْوِدُّا فَتَقْدِيمُوا عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ لِتَخْذُلُوا مَالَهُ وَلَكِنْ كُفُوا وَاقْبَلُوا مِنْهُ مَا أَظْهَرَهُ. وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَا تَقُولُوا لِمَنْ اعْتَزَلَكُمْ وَلَمْ يُقَاتِلُكُمْ لَسْتَ مُؤْمِنًا، وَأَصْلُ هَذَا مِنَ السَّلَامَةِ لِأَنَّ الْمَعْتَزِلَ طَالِبٌ لِلسَّلَامَةِ))³. وقال الطاهر بن عاشور: ((قرأ نافع، وأبن عاصم، وحمزة، وخلف «السلم» - بدون ألف بعده اللام - وهو ضد الحرب، ومعنى ألفى السلم أظهره بينكم كأنه رمأه بينهم، وقرأ البقية «السلام» - بالالف - وهو مشترك بين معنى السلام ضد الحرب، ومعنى تحية الإسلام، فهي قول: السلام عليكم، أي من

1 ينظر: جامع البيان: 9 / 73، ومعنى القرآن وإعرابه: 2 / 92، ومعنى القرآن للنحاس: 2 / 167، والتفسير الوسيط: 2 / 101، وأسباب التزول: 171، ومعالم التنزيل: 1 / 680، وتفسير الراغب الأصفهاني: 3 / 1403، والمفردات في غريب القرآن: 423، والكشف: 1 / 552، والمحرر الوجيز: 2 / 96، وزاد المسير: 1 / 453، ومفاتيح الغيب: 11 / 190، وأنوار التنزيل: 2 / 91، ومدارك التنزيل: 1 / 386، والجامع لأحكام القرآن: 5 / 338، والبحر المحيط: 4 / 32، وعasan التأويل: 3 / 282، وفي ظلال القرآن: 2 / 737، والتحرير والتنوير: 5 / 167.

2 معنى القرآن للنحاس: 2 / 167، وينظر: معنى القرآن وإعرابه: 2 / 92، وتفسير الراغب الأصفهاني: 3 / 1403، والمفردات في غريب القرآن: 423، والكشف: 1 / 552، والمحرر الوجيز: 2 / 96، وتفسير مجمع البيان: 3 / 143، وزاد المسير: 1 / 453، ومفاتيح الغيب 11 / 189، وأنوار التنزيل: 2 / 91، ومدارك التنزيل: 1 / 386، والجامع لأحكام القرآن: 5 / 338، والبحر المحيط: 4 / 32، وعasan التأويل: 3 / 282، وتفسير النار: 5 / 254، وفي ظلال القرآن: 2 / 737، والتحرير والتنوير: 5 / 167، وتفسير الشعراوي: 4 / 2561.

3 مفاتيح الغيب: 11 / 189. وينظر: مجمع البيان: 3 / 143.

خاطبكم بتحية الإسلام علامة على الله مسلِّم¹). وهكذا يكون لفظ السلام هنا محتملاً لمعنى السلم ضد الحرب ولمعنى التحية.

وما ورد في سياق التشريع أيضاً قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا يَوْمًا غَيْرَ يَوْتَكُمْ حَتَّىٰ تَسْأَلُوهُ وَتَسْلَمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النور: 22-27]), فسر بعض المفسرين السلام هنا بالتحية، ولذلك جعلوا الاستئناس فيها بمعنى: الاستئذان². ومن خلال تفسير الرسول (ص) العملي لهذه الآية تبين للمسلمين طريقة الاستئذان؛ فقد نقل الطبرى ((أن رجلاً استاذن على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ألحُّ أو أنلُّج؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأمة له يقال لها روضة: قُومٍ إلى هَذَا فَكَلَمِيهِ، فَإِنَّهُ لَا يُحِسِّنُ يَسْتَأْذِنُ، فَقُولِي لَهُ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَذْخُلُ؟ فَسَمِعَهَا الرَّجُلُ، فَقَاتَهَا، فَقَالَ: أَذْخُلُ))³. وتحديث الزمخشري عن أهمية التشريع الذي تضمنته الآية، ووجوب التحية هنا، قال: ((تَسْتَأْنِسُوا فِيهِ وَجْهَانَ، أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مِنَ الْاسْتَئْنَاسِ الظَّاهِرِ الَّذِي هُوَ خَلَفُ الْاسْتِيْحَاشِ لِأَنَّ الَّذِي يَطْرُقُ بَابَ غَيْرِهِ لَا يَدْرِي أَيُّؤْذَنُ لَهُ أَمْ لَا؟ فَهُوَ كَالْمُسْتَوْحِشِ مِنْ خَفَاءِ الْحَالِ عَلَيْهِ، فَإِذَا أَذْنَ لَهُ اسْتَأْنِسَ، فَالْمَعْنَى: حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ فَوْضَعُ مَوْضِعِ الْإِذْنِ. وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الْاسْتَئْنَاسِ الَّذِي هُوَ الْاسْتِعْلَامُ وَالْاسْتِكْشَافُ: اسْتِفْعَالُ مِنْ أَنْسِ الشَّيْءِ إِذَا أَبْصَرَهُ ظَاهِرًا مَكْشُوفًا. وَالْمَعْنَى: حَتَّىٰ تَسْتَعْلِمُوا وَتَسْتَكْشِفُوا الْحَالَ، هَلْ يَرَادُ دُخُولُكُمْ أَمْ لَا. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: اسْتَأْنِسْ هَلْ

1 التحرير والتنوير: 5 / 167.

2 ينظر: جامع البيان: 19 / 146، ومعاني القرآن وإعرابه: 4 / 39، ومعاني القرآن للنحاس 4 / 517 والتفسيـر الوسيـط: 3 / 315، وأسباب التزول: 324، ومعالـم التـنزيل: 3 / 398-399، والكتـافـ: 3 / 227-226، والمـحرـر الـوـجيـز: 4 / 175، وزـادـ المـسـير: 3 / 288، وـمـفـاتـيحـ الـغـيـبـ: 23 / 356-360، وأنوارـ التـنزـيلـ: 4 / 103، ومـدارـكـ التـنزـيلـ: 2 / 498، والـجـامـعـ لـأـحـكـامـ الـقـرـآنـ: 12 / 212، والـبـحـرـ الـحـبـيطـ: 31، والـلـبـابـ فـيـ عـلـمـ الـكـتـابـ: 14 / 343، وإـرـشـادـ العـقـلـ السـلـيمـ: 6 / 168، وـرـوحـ الـمعـانـيـ: 9 / 329، وـعـاصـنـ الـتـأـوـيلـ: 7 / 368، والـتـحـرـيرـ وـالـتـنـويرـ: 18 / 196.

3 جامع البيان: 19 / 146.

ترى أحداً، واستأنست فلم أر أحداً، أي: تعرفت واستعلمت وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيته غير بيته: حبitem صباحاً، وحيبitem مساءً، ثم يدخل، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد، فصدق الله عن ذلك، وعلم الأحسن والأجمل. وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به، وبباب الاستئذان من ذلك: بينما أنت في بيتك، إذا رعف عليك الباب. بواحد، من غير استئذان ولا تحية من تحايا إسلام ولا جاهلية، وهو من سمع ما أنزل الله فيه، وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أين الأذن الواجبة؟¹). وبين الطاهر بن عاشور أنَّ منَ أَكْبَرِ الْأَغْرَاضِ فِي سِيَاقِ سُورَةِ النُّورِ، مُحَلِّ الْبَحْثَ هُنَا، هُوَ (تَشْرِيعُ نِظَامِ الْمُعَاشَةِ وَالْمُخَالَطَةِ الْعَالِيَّةِ فِي التَّجَارُورِ.... وَمِنَ الْمَعْنَى فَإِنَّ فَائِدَةَ الْإِسْتِئْذَانِ دَفْعَ مَا يُنْكِرُهُ عَنِ الْمَطْرُوقِ الْمَزُورِ وَقَطْعُ أَسْبَابِ الْإِنْكَارِ أَوِ الشَّيْءِ أَوِ الْإِغْلَاطِ فِي الْقَوْلِ مَعَ سَدْ ذِرَاعِ الرَّبِّ وَكُلُّهَا أَوْ مَجْمُوعَهَا يَقْتَضِي وَجْبَ الْإِسْتِئْذَانِ. وَأَمَّا فَائِدَةُ السَّلَامِ مَعَ الْإِسْتِئْذَانِ فَهِيَ تَقوِيَّةُ الْأَلْفَةِ الْمُتَقْرَرَةِ فَلَا يَقْتَضِي أَكْبَرُ مِنْ تَأْكِيدِ الْإِسْتِجَابَاتِ. فَالْقُرْآنُ أَمَرَ بِالْحَالَةِ الْكَاملَةِ وَأَحَادِيثِ تَفْصِيلِ أَجْزَائِهَا عَلَى تَبَيِّنِ السُّلْطَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (لِتَبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ [الثَّحْل: 44]). وقد أجمئت حِكْمَةُ الْإِسْتِئْذَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ أَيْ ذَلِكُمُ الْإِسْتِئْذَانُ خَيْرٌ لَكُمْ، أَيْ فِيهِ خَيْرٌ لَكُمْ وَتَفَعَّلْ فَإِذَا تَدَبَّرْتُمْ عَلِمْتُمْ مَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ لَكُمْ كَمَا هُوَ الْمَرْجُوُ مِنْكُمْ²). وهكذا يكون السلام وسيلة للاستئذان من دواعي الألفة بين الناس لأنه يدفع عن المزور ما يكره فهو علامة لغوية لها وظيفة لغوية خاصة في مثل هذه الحال تكتسبها من سياق الحال.

ومن الآيات التي ورد فيها السلام في سياق التشريع، مما يرتبط بالأية السابقة ويقترب منها، قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الْأَغْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَغْرَاجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْفَسِيْكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بَيْوِكُمْ أَوْ بَيْوَتِ آبَائِكُمْ أَوْ بَيْوَتِ أَمْهَاتِكُمْ

1 الكشاف: 3 / 226. وينظر: مفاتيح الغيب: 23 / 356.

2 التحرير والتنوير: 18 / 197 - 198.

أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتكم مفاتحة أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشخاصاً فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحيه من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تغفرون [النور: 60-61]، وعلى الرغم من وضوح الألفاظ والتراكيب التي تولف الآية الكريمة فإن المفسرين اختلفوا في تحديد معنى التسليم على الأنفس، فقد فهم الفراء منها أن يسلم المرء إذا دخل بيته على أهله، قال: ((وقوله (فَسَلَّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ) إذا دخل على أهله فليسلم). فإن لم يكن في بيته أحد فليقل السلام علينا من ربنا، وإذا دخل المسجد قال: السلام على رسول الله، السلام علينا وعلى خيار عباد الله الصالحين، ثم قال: (تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ) أي من أمر الله أمركم بها تفعلون تحيه منه وطاعة له)¹. ونقل الطبراني اختلاف المفسرين في المقصود من هذا التسليم، فمنهم من قال إن المعنى: سلموا على أهاليكم إذا دخلتم بيتكم، وعلى غير أهاليكم، فسلموا إذا دخلتم بيوتهم. ومنهم من قال: بل معناه: فإذا دخلتم المساجد فسلموا على أهليها؛ تقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وقال آخرون: معناه: فإذا دخلتم بيوتاً ليس فيها أحد، فسلموا على أنفسكم². وقيل إن على المسلمين إن لم يكن في البيت أحد أن يقول: السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل بيته ورحمة الله وبركاته³. وقد اعترض الشيخ الطاهر بن عاشور على هذا الفهم والتفسير ويبيّن أن المراد بالتسليم

1 معاني القرآن للفراء: 2/ 261-262.

2 جامع البيان: 19 / 224-226. وينظر: معاني القرآن للتحاس: 4/ 562، والتفسير الوسيط: 3/ 330، ومعالم التنزيل: 3/ 432، والكتاف: 3/ 258، والمعمر الوجيز: 4/ 197، وزاد المسير: 3/ 309، ومفاتيح الغيب: 24/ 423، ومدارك التنزيل: 2/ 521، والجامع لأحكام القرآن: 12/ 318، والبحر الخيط: 8/ 73، والباب في علوم الكتاب: 6/ 540، وإرشاد العقل السليم: 2/ 210، وروح المعاني: 3/ 95، ومحاسن التأويل: 7/ 410.

3 الشفا بتعريف حقوق المصطفى: 2/ 67.

على أنفسهم ان يسلم بعضهم على بعض حفظا لأدب الدخول مع اقرب الناس؛ لأنه لا يؤمر احد بالتسليم على نفسه، قال إن الآية: ((تُفْرِيْغُ عَلَى الْأَذْنِ لَهُمْ فِي الْأَكْلِ مِنْ هَذِهِ الْبَيْوَتِ يَأْنِ ذَكْرُهُمْ بِأَدَبِ الدُّخُولِ الْمُتَقْدِمِ فِي قَوْلِهِ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُدْخِلُوا يَوْمًا غَيْرَ يَوْمِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْسِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا [الثور: 27]) إلَّا يَجْعَلُوا الْقَرَابَةَ وَالصَّدَاقَةَ وَالْمُخَالَطَةَ مُبِحَّةً لِإِسْقَاطِ الْأَدَابِ فَإِنَّ وَاجِبَ الْمَرْءِ أَنْ يُلَازِمَ الْأَدَابَ مَعَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَلَا يَعْرِئَهُ قَوْلُ النَّاسِ: إِذَا اسْتَوَى الْحَبُّ سَقَطَ الْأَدَابُ. وَمَعْنَى فَسَلَّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَلَيْسُلْمُ بِعَضُّكُمْ عَلَى بَعْضٍ، كَقَوْلِهِ: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) [النساء: 29]. ولقد عَكَفَ قَوْمٌ عَلَى ظَاهِرِ هَذَا الْلُّفْظِ وَأَهْمَلُوا دَقِيقَتِهِ فَظَنُّوا أَنَّ الدَّاخِلَ يُسَلِّمُ عَلَى نَفْسِهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ أَحَدًا وَهَذَا بَيْعِيدٌ مِنْ أَغْرَاضِ التَّكْلِيفِ وَالْأَدَابِ،، وَأَمَّا السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَهُوَ التَّحِيَّةُ كَمَا فَسَرَّهُ بَقُولُهُ: تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ وَلَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ بِأَنَّ يُسَلِّمَ عَلَى نَفْسِهِ) ¹. وقد انتفت المفسرون إلى جوانب تركيبة دلالية تنطلق من بناء الآية الكريمة في ضوء تعاملها مع التسليم على النفس المذكور وارتباط بعضها ببعض، ومن ذلك التفاتهم إلى ما في قوله تعالى: (تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)، من توكيده وأمر واجب الطاعة؛ فحكم التسليم هنا ثابت بأمره، لأن التحيّة مُشَرِّعة من لدنـه. أو لأن التسليم والتتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله. وقد وصف النص الكريم هذه التحية بأنها مباركة وطيبة؛ لأنها دعوة مؤمن برجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق تحية من عند الله ².

ثانياً: سلام الله سبحانه على الأنبياء:

وقد ورد السلام منه سبحانه على أنبيائه في مواضع عدة من القرآن الكريم، ومن ذلك سلامه سبحانه على نبيه نوح عليه السلام في قوله تعالى: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرِينَ

1 التحرير والتنوير: 18 / 304.

2 ينظر: الكشاف: 3 / 258، والبحر الوجيز: 4 / 197، ومقاييس الغيب: 24 / 423، ومدارك الترتيل: 2 / 521، والجامع لأحكام القرآن: 12 / 319، والبحر الحبيب: 8 / 73، وإرشاد العقل السليم: 6 / 197.

(78) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81)) [الصافات 78-81]، وقد وقف الفراء على بمحىء (سلام) في الآية بحالة الرفع فذهب إلى أنها جاءت هنا مرفوعة لأنها محكية، قال: ((أي تركنا عليه هذه الكلمة كما تقول: قرأت من القرآن (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فيكون في الجملة في معنى نصب ترفعها بالكلام، كذلك (سلام على نوح) ترفعه بعلى، وهو في تأويل نصب. ولو كان: تركنا عليه سلاماً كان صواباً))¹. ومعنى السلام هنا الأمانة من أن يذكره أحد بسوء²، أو أن يصلّى عليه إلى يوم القيمة³، وفسره الزمخشري بمعنى التحيّة، قال: ((وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ مِنَ الْأَمْمِ هَذِهِ الْكَلْمَةُ، وَهِيَ: سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ يَعْنِي يَسْلِمُونَ عَلَيْهِ تَسْلِيمًا، وَيَدْعُونَ لَهُ، وَهُوَ مِنَ الْكَلَامِ الْمُحْكَيِّ، كَفُولَكَ: قَرَأْتَ سُورَةَ أَنْزَلْنَاهَا. فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنِي قُولِهِ فِي الْعَالَمِينَ؟ قُلْتَ: مَعْنَاهُ الدُّعَاءُ بِثَبَوتِ هَذِهِ التَّحِيَّةِ فِيهِمْ جَمِيعًا، وَأَنْ لَا يَخْلُو أَحَدٌ مِّنْهُمْ مِّنْهَا، كَأَنَّهُ قِيلَ: ثَبَّتَ اللَّهُ التَّسْلِيمَ عَلَى نُوحٍ وَأَدَمَهُ فِي الْمَلَائِكَةِ وَالثَّقَلَيْنِ يَسْلِمُونَ عَلَيْهِ عَنْ آخِرِهِمْ. عَلَلَ مَجازَةَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِتِلْكَ التَّكْرِمَةِ الْسَّنِيَّةِ مِنْ تَبْقِيَّةِ ذَكْرِهِ، وَتَسْلِيمِ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ بِأَنَّهُ كَانَ مُحْسِنًا، ثُمَّ عَلَلَ كَوْنَهُ مُحْسِنًا بِأَنَّهُ كَانَ عَبْدًا مُّؤْمِنًا، لِيُرِيكَ جَلَالَةَ حَلَلِ الإِيمَانِ، وَأَنَّهُ الْقَصَارِيُّ مِنْ صَفَاتِ الْمَدْحُ وَالْتَّعْظِيمِ، وَيُرَغِّبُكَ فِي تَحْصِيلِهِ وَالْازْدِيَادِ مِنْهُ))⁴. وَعَالِجَ السَّمِينُ الْخَلَبِيُّ الْجَانِبُ النَّحْوِيُّ فِي الآيَةِ الْكَرِيمَةِ، تَؤَدِّيُ إِلَى مَعْانٍ مُخْتَلِفَةٍ، قَالَ: ((قُولُهُ: (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ) : مِبْدَأٌ وَخَبْرٌ،

1 معاني القرآن للفراء: 2 / 387-388. ونقله الطبرى في: جامع البيان: 21 / 60. والقراءة لعبد الله بن مسعود في المحرر الوجيز: 4 / 477.

2 ينظر: جامع البيان: 21 / 60، ومعاني القرآن للنحاس: 6 / 38، والتفسير الوسيط: 3 / 527، والمفردات في غريب القرآن: 422، والمحرر الوجيز: 4 / 477، وزاد المسير: 3 / 544.

3 ينظر: معاني القرآن وأعرابه: 4 / 308، والمفردات في غريب القرآن: 422، والجامع لأحكام القرآن: 15 / 90.

4 الكشاف: 4 / 48. وينظر: مفاتيح الغيب: 26 / 339، وأنوار التنزيل: 5 / 13، ومدارك التنزيل: 3 / 127، والبحر الحيط: 9 / 108، وإرشاد العقل السليم: 7 / 196، وروح المعاني: 12 / 96، ومحاسن التأويل: 8 / 214، وفي ظلال القرآن: 5 / 2991، والتحرير والتنوير: 23 / 135.

وفيه أوجه، أحدها: أَلَهُ مُفَسِّرٌ لـ «تَرَكَنَا». والثاني: أنه مفسّر لمعنى الفعل أي: ترکنا عليه ثناء وهو هذا الكلام. وقيل: ثُمَّ قول مقدّر أي: قلنا سلام. وقيل: ضمّن معنى تركنا معنى قلنا. وقيل: سلط «ترکنا» على ما بعده.، وقرأ عبد الله «سلاماً» وهو مفعول به بـ «ترکنا»).¹ ووقف الشيخ الطاهر بن عاشور على تعدية النصّ الكريم الفعل (ترك) بحرف الجر: (على)، وكان حقه -في غير القرآن الكريم- أن يتعدى باللام؛ فذهب إلى أن سبب هذا الاستعمال هو أن الفعل (ترك)، هنا، تضمن معنى الفعل (نعم) وهو ما يناسب سياق التكريم، قال: ((وَمَتَعَلَّقُ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ: وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ لَمْ يَحُمِّمْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُفَسِّرِينَ حَوْلَهُ فِيمَا اطْلَعْتُ، وَالْوَجْهُ أَنْ يَتَعَلَّقَ عَلَيْهِ بِفِعْلِ تَرَكَنَا بِتَضْمِينِ هَذَا الْفِعْلِ مَعْنَى (أَعْمَنَا) فَكَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُعَدِّي هَذَا الْفِعْلُ بِاللَّامِ، فَلَمَّا ضَمَّنْ مَعْنَى أَعْمَنَا أَفَادَ بِمَادِيهِ مَعْنَى الْإِبْقَاءِ لَهُ، أَيْ إِعْطَاءِ شَيْءٍ مِّنَ الْفَضَائِلِ الْمُدَخَّرَةِ الَّتِي يُشَبِّهُ إِعْطَاؤُهَا تَرْكَنَكَ أَحَدِ مَتَاعِنِ نَفِيسَاً لِمَنْ يُخْلِيْهِ هُوَ لَهُ وَيَخْلُفُهُ فِيهِ. وَأَفَادَ بِتَعْلِيقِ حَرْفِ (على) بِهِ أَنَّ هَذَا التَّرْكُ مِنْ قَبْلِ الْإِنْعَامِ وَالْتَّفْضِيلِ، وَلِذَلِكَ شَأْنُ التَّضْمِينِ أَنْ يَقِيدَ الْمُضَمِّنَ مَقَادَ كَلِمَتَيْنِ فَهُوَ مِنَ الْطَّفِيلِ الْإِيجَازِ. ثُمَّ إِنَّ مَفْعُولَ تَرَكَنَا لَمَّا كَانَ مَخْذُوفًا وَكَانَ فِعْلُ (أَعْمَنَا) الَّذِي ضَمَّنَهُ فِعْلُ تَرَكَنَا مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى مَتَعَلَّقٍ مَعْنَى الْمَفْعُولِ، كَانَ مَخْذُوفًا أَيْضًا مَعَ عَامِلِهِ فَكَانَ التَّقْدِيرُ: وَتَرَكَنَا لَهُ ثَناءً وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِ، فَحَصَّلَ فِي قَوْلِهِ: تَرَكَنَا عَلَيْهِ حَذْفُ خَمْسَ كَلِمَاتٍ وَهُوَ إِيجَازٌ بَدِيعٌ. وَلِذَلِكَ قَدْرُ جُمِهُورِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَتَرَكَنَا ثَناءً حَسَنَنَا عَلَيْهِ))². ثم ينتقل إلى الكلام على بنية قوله تعالى: (سلام على نوح في العالمين) موضحاً ما فيها من دلالة الإنشاء ومبينا أن تنوين (سلام) هنا للتعظيم، قال: ((وجملة سلام على نوح في العالمين إنشاء ثناء الله على نوح وتحية له ومعناه لازم التحية وهو الرضى والتقرير، وهو نعمة ... وتشوين سلام للتغظيم ولذلك شاع الابتداء

1 الدر المصنون: 317. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 16/319، وروح المعاني: 12/96، ومحاسن

التأويل: 8/214.

2 التحرير والتنوير: 23/133.

بالنَّكِرَةِ لِأَنَّهَا كَالْمَوْصُوفِ)).¹ ووازن الطاهر بن عاشور بين هذا السلام على نوح عليه السلام والسلام على الأنبياء، قال: ((وَالْمُرَادُ بِالْعَالَمِينَ: الْأَمْمُ وَالْفَرْوَنُ وَهُوَ كِتَابٌ عَنْ دُوَامِ السَّلَامِ عَلَيْهِ كَقُولِهِ تَعَالَى: (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَلَدٌ وَيَوْمٌ يَمُوتُ وَيَوْمٌ يُعْثَثُ حَيًّا) [مرئيم: 15] [في حَقِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَقُولِهِ: (سَلَامٌ عَلَى إِنْ يَاسِينَ) [الصفات: 130] (سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) [الصفات: 109]. وَفِي الْعَالَمِينَ حَالٌ فَهُوَ ظَرْفٌ مُسْتَقِرٌ أَوْ خَبَرٌ ثَانٌ عَنْ سَلَامٍ، ...، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَالُوا فِي نَظَارِهَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُتَعَاقِبَةِ. وَزَيَّدَ فِي سَلَامٍ نُوحٌ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَصَنَفَهُ بِأَنَّهُ فِي الْعَالَمِينَ دُونَ السَّلَامِ عَلَى غَيْرِهِ فِي قَصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَإِلَيَّاسَ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ التَّشِيهَ بِنُوحٍ كَانَ سَائِرًا فِي جَمِيعِ الْأَمْمِ لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ يَتَّسِمُونَ إِلَيْهِ وَيَذَكُرُوْهُ ذَكْرًا صِدْقِيًّا، ...، وَجُمِلَةُ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ تَذَيلٌ لِمَا سَبَقَ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ تَوَحُّدًا)).²

وما ورد فيه سلامه سبحانه على نبيه إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111)) [الصفات: 108-111]. فقد قيل إن المعنى: وتركنا عليه في الآخرين أن يقال: سلام على إبراهيم. قوله (سلام على إبراهيم) يقول تعالى ذكره: أمَّةٌ من الله في الأرض لا يذكر من بعده إلا بالجميل من الذكر.³ والاختلاف بين السلام على سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم عليهما السلام يتمثل في حذف (إننا) من السلام على النبي إبراهيم عليه السلام، قال البيضاوي: ((كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ لِعِلْمِهِ طَرَحَ عَنْهُ إِنَّا اكْتَفَيْنَا بِذَكْرِهِ مَرَّةً فِي هَذِهِ الْقَصَّةِ)).⁴ ووقف

1. نفسه: 133 / 23.

2. نفسه: 135 / 23.

3. جامع البيان: 21 / 91، وإعراب القرآن للباقيلي المنسوب خطأ للزجاج: 1 / 208-209، ومفاتيح الغيب:

21 / 518، وروح البيان: 7 / 478، ومحسن التأويل: 8 / 219، وفي ظلال القرآن: 5 / 2997.

4. أنوار التنزيل: 5 / 16، ومدارك التنزيل: 3 / 133، والباب في علوم الكتاب: 3 / 28، والبرهان في علوم القرآن: 3 / 134، وبصائر ذوي التمييز: 1 / 396.

الالوسي عند الاستفناه عن ذكر (إنا) من السلام على سيدنا إبراهيم، قال: ((وَطَرَحَ
هُنَا (إِنَّا) قَبْلَ مِبَالَغَةً فِي دُفَعِ تَوْهِمِ الْخَادِهِ مَعَ مَا سَبَقَ ،....، وَقِيلَ لِعَلَى ذَلِكَ اكْتِفَاءً بِذَكْرِ
(إِنَّا) مَرَّةً فِي هَذِهِ الْقَصَّةِ، وَقَالَ بَعْضُ الْأَجْلَةِ: إِنَّهُ لِإِشَارَةٍ إِلَى أَنَّ قَصَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ
السَّلَامَ لَمْ تَكُنْ تَكُونَ فَلَمْ تَكُنْ مَا بَعْدَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى وَيَشْرِئَنَا يَإِسْحَاقَ إِلَيْهِ مِنْ تَكْمِلَةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخَلْفِ سَائِرِ الْقَصَصِ الَّتِي جَعَلَ (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) مُقْطَعًا لَهَا
فَإِنَّمَا بَعْدَ لِيُسَمِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ قَبْلَ وَمَعَ هَذَا لَمْ تَخْلُ الْقَصَّةُ مِنْ مُثْلِ تَلْكَ الْجَمْلَةِ بِجَمِيعِ
كَلْمَاتِهَا وَسَلَكَ فِيهَا هَذَا الْمُسْلِكَ اعْتِنَاءً بِهَا فَتَأْمَلَ ، ،....، وَكَذَا قَوْلِهِ تَعَالَى مِنَ الصَّالِحِينَ
وَفِي ذَلِكَ تَعْظِيمُ شَأنِ الْصَّالِحَةِ، وَفِي تَأْخِيرِهِ إِيمَاءً إِلَى أَنَّهُ الْغَايَةُ لَهُ لِتَضَمِنُهَا مَعْنَى الْكَمالِ
وَالْتَّكْمِيلِ وَالْمَقصُودِ مِنْهُمَا الْإِلَيَّانِ بِالْأَفْعَالِ الْحَسَنَةِ السَّدِيقَةِ وَهُوَ فِي الْاسْتِعْمَالِ يَخْتَصُ
بِهَا))¹. وقد التفت الشیخ الطاهر إلى أن التسلیم بالغیة في القرآن الكريم جاء مقصوراً
على الأنبياء والملائكة، وأن ذلك لم يشرکهم فيه غيرهم، قال: ((وَأَمَّا التَّسْلِيمُ فِي الغِيَّةِ
فَمَقْصُورٌ عَلَيْهِ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ لَا يُشَرِّكُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ
لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) الاصفافات: 79 ، وَقَوْلِهِ: (سَلَامٌ عَلَى إِنَّ
يَاسِينَ) [الاصفافات: 130] ، (سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ) [الاصفافات: 1] ، (سَلَامٌ
عَلَى إِبْرَاهِيمَ) [الاصفافات: 109]))².

وورد السلام على موسى وهارون عليهما السلام منه سبحانه في قوله تعالى: (وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (114) وَتَجَيَّنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (115)
وَتَصَرَّتَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (116) وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ (117) وَهَدَيْنَاهُمَا
الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (118) وَتَرَكَنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (119) سَلَامٌ عَلَى مُوسَى
وَهَارُونَ (120) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (121) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (122)
الاصفافات)، فسر أبو عبيدة قوله تعالى تركنا على انه حكاية بمعنى قلنا، قال: ((حكاية

1 روح المعاني: 12 / 127.

2 التحرير والتنوير: 22 / 103

أي تركناهم يقال لهم في الآخرين.. «سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ» (120) أي يقال لهم هذا¹. وقيل إن معناها: فقد تركنا عليهما في الآخرين بعدهم الثناء الحسن عليهما²; على أن معنى السلام هنا ليس التحية وإنما الذكر الجميل. واستبعد الطاهر بن عاشور احتمال أن تكون جملة السلام في هذه الآية مفعولاً به لل فعل (تركنا)، قال: ((والقولُ في ظفيرِ وَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ الْأَرْبَعِ كَالْقَوْلُ فِي نَظَائِرِهِ عِنْدَ ذِكْرِ نُوحٍ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، إِلَّا أَنَّ احْتِمَالَ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةً سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ مَفْعُولًا لِفَعْلِ وَرَكْنَا عَلَيْهِمَا عَلَى إِرَادَةِ حِكَمَةِ الْفَنْطِ هُنَّا أَضْعَفُ مِنْهُ فِيمَا تَقْدَمَ إِذْ لَيْسَ يَطْرُدُ أَنْ يَكُونَ سَلَامٌ الْآخِرِينَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ مَعًا لِأَنَّ الَّذِي ذَكَرَ مُوسَى يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَى مُوسَى وَالَّذِي يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ ذَكْرُ هَارُونَ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَى هَارُونَ وَلَا يَجْمِعُ اسْمَيْهِمَا فِي السَّلَامِ إِلَّا الَّذِي يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ ذَكْرُهُمَا مَعًا))³.

ومنه سلامه سبحانه على إل ياسين في قوله تعالى: (وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) (129) سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (130) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (131) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (132)) [الصفات 129-132]، وما قيل في السلام على الأنبياء قيل أيضاً في هذه الآية الكريمة إلا أنهم مختلفون في الياسين، فقيل إنه النبي إدريس أو انه سلام على إل ياسين على أن ياسين اسم أبي الياس أضيف إليه الآل⁴.

وما يدخل في هذا الباب (السلام) على سيدنا يحيى عليه السلام في قوله تعالى: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَتْبِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) (12) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاهُ وَكَانَ تَقِيًّا) (13) وَبَرًّا بِوَالِدِيهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَارًا عَصِيًّا) (14) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلْدَهُ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ

1. مجاز القرآن: 2/ 172.

2. ينظر: جامع البيان: 21/ 95، ومتاتع الغيب: 26/ 352، وإرشاد العقل السليم: 7/ 203.

3. التحرير والتنوير: 23/ 165.

4. ينظر: الكشاف: 4/ 60، والمغر الوجيز: 4/ 484، ومتاتع الغيب: 26/ 353-354، وأنوار التنزيل: 5/

يَبْعَثُ حَيًّا (15) [مريم 15-12]، والسلام هنا أمان عليه يوم ولد من أن يناله سوء ويوم موت ويوم يبعث حيًا من عذاب الله يوم القيمة وذلك تكريباً له لأنه لم يذنب أبداً، فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((ما مِنْ أَحَدٍ يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا ذُنْبٌ، إِلَّا يَتَخَيَّبٌ بْنَ زَكَرْيَاءِ))¹. وقد خصّت هذه الأوقات دون غيرها لأنها أثقل الأوقات على ابن آدم؛ جاء في تفسير الطبرى: ((أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيه نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيه قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيه نفسه في محشر عظيم، قال: فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا، فخصّه بالسلام عليه؛ فقال (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلْدَهُ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبَعَّثُ حَيًّا))².

وقد رأى المفسرون في هذا السلام على النبي يحيى دلالة على تفضيله على النبي عيسى بأن الله تعالى سلم عليه في حين أن النبي عيسى سلم على نفسه، يروى المفسرون: ((أن عيسى ويجيئ التقى فقال له عيسى: استغفر لي، أنت خير مني، فقال له الآخر: استغفر لي، أنت خير مني، فقال له عيسى: أنت خير مني، سلمت على نفسي، وسلم الله عليك، فعرف والله فضليها))³. وذهب ابن عطية إلى أن السلام هنا يعني التحية المتعارفة وليس يعني الأمان لأنها أشرف وأتبه واهم، قال: ((والأظهر عندي أنها التحية المتعارفة فهي أشرف وأتبه من الأمان؛ لأن الأمان متحصل له ببني العصيان وهي أقل درجاته وإنما الشرف في أن سلم الله عليه وحياة في المواطن التي الإنسان فيها في غاية

1 ينظر: جامع البيان: 18 / 160.

2 جامع البيان: 18 / 160. وينظر: معاني القرآن للنحاس: 4 / 317، والتفسير الوسيط: 3 / 179، ومعالم التنزيل: 3 / 228، والكشف: 3 / 9، والمغرر الوجيز: 4 / 8، وزاد المسير: 3 / 122، وأنوار التنزيل: 4 / 7، ومدارك التنزيل: 2 / 329، والجامع لأحكام القرآن: 10 / 220، والبحر المحيط: 7 / 246، والدر المصنون: 6 / 253.

3 جامع البيان: 18 / 161.

الضعف وال الحاجة وقلة الحيلة وال فقر إلى الله و عظيم ال هول)¹. وقد استبط الفخر الراري مجموعة من الدلالات التي يخرج إليها السلام في هذا السياق، أولاها: احتمال أن يكون هذا السلام من الله تعالى وأن يكون من الملائكة وعلى التقديرين فذلك شرفه وفضله لا تختلف لأن الملائكة لا يسلمون إلا عن أمر الله تعالى. والدالة الثانية: ما في هذا السلام من مزية ليحيى على ما لسائر الأنبياء عليهم السلام؛ لأنه قال ويوم ولد وليس ذلك لسائر الأنبياء عليهم السلام. والدالة الثالثة: رفضه ما ذهب إليه بعض المفسرين من تفضيل يحيى عليه السلام على عيسى عليه السلام بدلالة السلام فيما، بان هذا الأمر ليس يقوى لأن سلام عيسى على نفسه يجري مجرئ سلام الله على يحيى لأن عيسى مغصوم لا يفعل إلا ما أمره الله به. والدالة الرابعة: ان في سلام الله تعالى عليه يوم ولد نفلا منه سبحانه له أنه لم يتقدم من النبي يحيى ما يكون ذلك السلام من الله تعالى جزاء له، وأمام السلام عليه يوم يموت ويوم يبعث في الم Kusher، فقد يجوز أن يكون ثوابا كالمدح والتعظيم². وزان بعض المفسرين بين السلام على يحيى وعلى عيسى عليهما السلام ، فيبينوا أن السلام على يحيى جاء متأخراً وعلى عيسى جاء معرفاً؛ وذلك ((لأن الأول من الله تعالى، والقليل منه ،...، والثاني من عيسى، والألف واللام لاستغراق الجنس، ولو أدخل عليه السبعة والعشرين والفروع المستحسنة والمستقبحة، لم يبلغ عشر معشار سلام الله. ويجوز أن يكون ذلك بمحى من الله عز وجل، فيقرب من سلام يحيى . وقيل: إنما أدخل الألف واللام لأن النكرة إذا تكررت تعرفت . وقيل: نكرة الجنس ومعرفته سواء: تقول: لا أشرب ماء، ولا أشرب الماء، فهما سواء))³. أما استعمال حرف الجر (على) مع (السلام) في هذه الآية؛ فهو للدلالة على التمكن

1 المحرر الوجيز: 4/8. وينظر: زاد المسير: 3/122، والمجامع لأحكام القرآن: 11/88، والبحر الخيط: 7/246، واللباب في علوم الكتاب: 13/28، والتحرير والتبيير: 16/77، وتفسير الشعراوي: 9/5500.

2 ينظر: مفاتيح الغيب: 21/518، ومحاسن التأويل: 7/88

3 بصائر ذوي التمييز: 1/307.

والتبس بالأمان الذي يريد النص إشاعته وتثبيته، قال الطاهر بن عاشور: ((وكلمة (على) في الحالتين للدلالة على تمكن التبس بالأمان، أي الأمان مستقر منكم متلبس بكم، أي لا تخف))¹. وبين الطاهر سبب اختيار الأوقات المذكورة، قال: ((وهذه الأخوال الثلاثة المذكورة هنا أحوال ابتداء أطوار طوز الرزود على الدنيا، وطوز الارتحال عنها، وطوز الرزود على الآخرة. وهذا كناية على الله بمحل العناية الإلهية في هذه الأحوال. والمراد بالاليوم مطلق الزمان الواقع فيه تلك الأحوال. وجيء بالفعل المضارع في ويوم يموت لاستحضار الحالة التي مات فيها، ولم تذكر قصة قتله في القرآن إلا إجمالا))².

ثالثاً: سلام الله سبحانه على عباده من غير الأنبياء:

واما ورد من هذا النوع من التسفيه في القرآن الكريم قوله تعالى: (إن أصحاب الجنة اليوم في شغلٍ فاكهون (55) هم وأزواجهم في ظلالٍ على الأرائك متکثرون (56) لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون (57) سلامٌ قولنا من رب رحيم [يس]), وقد جاء في تفسيرها أن لأصحاب الجنة ما يدعون مسلما خالصا، أي هو لهم خالص³. وقيل معناه ان الله تعالى يسلم عليهم عند الموت⁴. أو ان الله تعالى يسلم على أهل الجنة⁵، وقيل: سلامٌ عليهم الملائكة من ربهم. وقيل: تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل

1 التحرير والتنوير: 7 / 258.

2 نفسه: 16 / 78.

3 ينظر: معاني القرآن للفراء: 2 / 380، وعياز القرآن: 2 / 164، ومعاني القرآن للأخفش: 2 / 489، وجامع البيان: 20 / 539، ومعاني القرآن وإعرابه: 4 / 292، والتفسير الوسيط: 3 / 516، ومعالم التنزيل: 4 / 17، والمغرر الوجيز: 4 / 459، وزاد المسير: 2 / 77، ومفاتيح الغيب: 8 / 267.

4 ينظر: جامع البيان: 17 / 199.

5 ينظر: التفسير الوسيط: 3 / 516.

باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم¹. فالمعنى على ذلك: أنَّ الله يسلِّمُ عَلَيْهِم بِرَأْسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ يَغْنِيرُ وَاسِطَةً، مِبَالَقَةً فِي تَعْظِيمِهِمْ، وَذَلِكَ مَتَّهَمُهُمْ، وَلَهُمْ ذَلِكَ لَا يُمْتَهِنُهُ². وقد توقف الطاهر على الدلالة النحوية لتنوين السلام من جهة، ودلالة حذف الخبر ووصف السلام بأنه من رب رحيم، فجعل التنوين والتنكير دالاً على التعظيم، كما لمس في مجده مرفعاً دلالة على الدوام والتحقق وهو ما لا توفره حالة النصب؛ قال: ((وَسَلَامٌ مَرْفُوعٌ فِي جَمِيعِ الْفَرَاءَاتِ الْمَشْهُورَةِ. وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَتَنْكِيرٌ لِلتَّعْظِيمِ وَرَفْعُهُ لِلَّدَلَّةِ عَلَى الدَّوَامِ وَالتَّحْقِيقِ، فَإِنَّ أَصْنَلَةَ النَّصْبِ عَلَى الْمَقْعُولَيَّةِ الْمُطْلَقَةِ بِنِيَّاتِهِ عَنِ الْفِعْلِ ،....، فَلَمَّا أَرِيدَتِ الدَّلَالَةُ عَلَى الدَّوَامِ جَيَءَ بِهِ مَرْفُوعًا ،....، وَحَذَفَ خَبَرُ سَلَامٍ بِنِيَّاتِهِ الْمَقْعُولُ الْمُطْلَقُ وَهُوَ قَوْلُهُ قَوْلًا عَنِ الْخَبَرِ لِأَنَّ تَقْدِيرَهُ: سَلَامٌ يُقَالُ لَهُمْ قَوْلًا مِنَ اللَّهِ، وَالَّذِي افْتَضَى حَذْفَ الْفِعْلِ وَنِيَّاتِهِ الْمَصْنَرِ عَنْهُ هُوَ اسْتِعْدَادُ الْمَصْنَرِ لِقَبُولِ التَّنْوينِ الدَّالِّ عَلَى التَّعْظِيمِ، وَالَّذِي افْتَضَى أَنْ يَكُونَ الْمَصْنَرُ مَنْصُوبًا دُونَ أَنْ يُؤْتَى بِهِ مَرْفُوعًا هُوَ مَا يُشَعِّرُ بِهِ النَّصْبُ مِنْ كَوْنِ الْمَصْنَرِ جَاءَ بَدِيلًا عَنِ الْفِعْلِ. وَمِنْ ابْنَادِيَّةِ وَتَنْوينِ رَبٍ لِلتَّعْظِيمِ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ عُدِلَّ عَنِ إِضَافَةِ رَبٍ إِلَى ضَمِيرِهِمْ، وَأَخْتَيَرَ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الدَّائِتِ الْعَلَيَّةِ بِوَصْفِ الرَّبِّ لِشَدَّةِ مَنَاسِبَتِهِ لِلْإِكْرَامِ وَالرُّضَى عَنْهُمْ بِذِكْرِ أَنَّهُمْ عَبْدُوْهُ فِي الدِّينِ فَاعْتَرَفُوا بِرَبِّيَّتِهِ))³.

ومن سلامه سبحانه على عباده ما جاء في قوله تعالى: (فُلِّ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْنَطَفَى اللَّهُ خَيْرًا مَا يُشَرِّكُونَ (59) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَا شَاءَ فَأَتَيْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُثْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60)) [النمل 59-60]، وقد تعددت أقوال المفسرين في

1 ينظر: معالم التنزيل: 4/18، وأنوار التنزيل: 4/271، ومدارك التنزيل: 3/108، والبحر المحيط: 9/76، واللباب في علوم الكتاب: 14/578.

2 ينظر: البحر المحيط: 9/76.

3 التحرير والتنوير: 23/44.

معنى قوله: (عباده الذين اصطفى)، فقيل هم الأنبياء الذين اختارهم الله لرسالته. وقيل: هم أصحاب محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وقيل: هم الذين وحدوه، وأمنوا به. وقيل هم أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، اصطفاهم الله لمعرفته وطاعته. ومعنى السلام عليهم: أنهم سَلِّمُوا مَا عذب به الكفار¹. وبين الشيخ الطاهر أن السلام، هنا، مراده الدعاء، كما فهم من عباده المصطفين انه لفظ شامل للأنبياء والرسل والصالحين، قال: ((مَعْنَى وَسَلَامٍ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْنَطَفَى إِنْشَاءً طَلَبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَى أَحَدِ الْمُصْنَطَفِينَ، أَيْ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ ذِكْرًا حَسَنًا فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى . فَإِذَا قَاتَ الْفَاقِلُونَ : السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ غَائِبٌ أَوْ فِي حُكْمِ الْغَائبِ كَانَ ذَلِكَ قَرِيبَةً عَلَى أَنَّ الْمَفْصُودَ الدُّعَاءَ لَهُ بَسَلَامٍ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ . فَقَدْ أَزَيلَ مِنْهُ مَعْنَى التَّحْمِيدِ لَا مَحَالَةَ وَتَعْيِنَ لِلْدُعَاءِ ،... ، فَلَمَّا أَمَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ سَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْنَطَفَى فَقَدْ عَيَّنَ لَهُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ لِيَقُولَهَا يَسْأَلُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكْرَمَ عِبَادَةَ الَّذِينَ اصْنَطَفَى بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَحُسْنِ الذِّكْرِ ، إِذْ قُصَارَى مَا يَسْتَطِيعُهُ الْحَاضِرُ مِنْ جَزَاءِ الْغَائبِ عَلَى حُسْنِ صَنْيِعِهِ أَنْ يَتَهَمَّ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَنْفَحِّمَ بِالْكَرَامَةِ . وَالْعِيَادَ الَّذِينَ اصْنَطَفَاهُمُ اللَّهُ فِي مُقْدَمِهِمُ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَيَشْمَلُ ذَلِكَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ كَمَا فِي صِيغَةِ الشَّهْدَى : « السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ »)² . وقد تناول ابن القيم أمراً آخر في الآية الكريمة وهو حكم السلام فيها معطوف هو على الحمد فيكون داخلاً في الأمر بالقول أم انه غير معطوف على الحمد فيكون غير داخلي في العطف، قال: ((فالجواب عنه أن الكلام يتحمل الأمرين،... ، وفصل الخطاب: في ذلك أن يقال الآية تتضمن الأمرين جميعاً وتنتظمهما انتظاماً واحداً فإن الرسول هو المبلغ عن الله كلامه وليس فيه إلا البلاغ والكلام كلام رب تبارك وتعالى فهو الذي حد نفسه وسلم على عباده وأمر رسوله بتبلیغ ذلك فإذا قال الرسول الحمد لله وسلم على عباده

1. ينظر: التفسير الوسيط: 3/382، ومعالم التنزيل: 3/510.

2. التحرير والتنوير: 20/8.

الذين اصطفى كان قد حمد الله وسلم على عباده بما حمد به نفسه وسلم به هو على عباده فهو سلام من الله ابتداء ومن المبلغ بлагаً ومن العباد اقتداء وطاعة¹) ، وفي ضوء هذا التوجيه النحوي نجد أن المعنى يتسع ليشمل الدلالتين المحمليتين، وفي هذا الاستعمال إعجاز لغويٍّ وبلاغيٍّ دقيقٍ، إذ لا يمكن لكاتب مهما كانت قدرته أن يصوغ نصاً يجمع بنية تركيبية قويةٍ ومتماضكةً من جهة وينفتح على دلالات ومعانٍ مراددة ومطلوبة في نفسها ولا يرفضها النص، ليكون بذلك قد جمع بين هذه الدلالات في بنيةٍ لغويةٍ موجزةٍ ومحكمةٍ.

رابعاً: سلام العباد بعضهم على بعض (الأنبياء والملائكة والبشر):

أ. سلام الأنبياء على أنفسهم: وما يدخل في هذا الباب سلام عيسى عليه السلام على نفسه في قوله تعالى: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَثَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مَبَارِكًا أَيْنَ مَا كُثِّرَ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبِرًا يَوْمَ الْدِيَنِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا شَقِيقًا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبَعْثَرُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمٍ قَوْلُ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) [مريم: 30 – 34])، والسلام هنا يعني الأمانة من الله عليٍّ من الشيطان وجنته يوم ولدتُّ أن ينالوا مني ما ينالون من يولد عند الولادة، من الطعن فيه، ويوم الموت، من هول المطلع، ويوم أبعث حياً يوم القيمة أن ينالني الفزع الذي ينال الناس بمعايتهم أهواه ذلك اليوم². أو هو يعني عموم العافية والسلامة، إلا أنه لم يجرئ ذكر (سلام) قبل هذا الموضع بغير ألف ولام، كان الأحسن أن يرد ثانيةً بالألف واللام، أو أن السلام وسلام لغتان لا فرق بينهما دلاليًا³. وذهب الرخشي إلى أن سبب تعريفه، هنا، هو التعرض بمثلهمي السيدة

1 بداعن الفوائد: 2 / 172.

2 جامع البيان: 18 / 193، ومعالم التنزيل: 3 / 233، وإعراب القرآن للباقولي النسوب خطأ للزجاج: 1 / 209، وزاد المسير: 3 / 130، ومفاتيح الغيب: 16 / 137.

3 معاني القرآن وإعرابه: 3 / 329.

مريم، بقوله: السلام علي فيكون ضده عليكم، قال: ((قيل: أدخل لام التعريف لتعرف بالذكر قبله، كقولك: جاءنا رجل، فكان من فعل الرجل كذا. والمعنى: ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إلى. والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضاً باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائهم من اليهود. وتحقيقه أن اللام للجنس، فإذا قال: وجنس السلام على خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم. ونظيره قوله تعالى والسلام على من أتبع الهدى يعني أن العذاب على من كذب وتولى، وكان المقام مقام منا كرها وعناد، فهو متنه لنحو هذا من التعريض))¹. ووجد الطاهر بن عاشور في هذا السلام تنويعاً بعيسي ومنزلته عليه السلام، كما وجد في تعريف لفظ السلام على عيسى عليه السلام دلالة على المبالغة، فكانه قد جمع عن طريق تعريفها بالألف واللام جنس السلام كله، قال : ((وَقَوْلُهُ وَالسَّلَامُ عَلَيْ يَوْمٍ وَلِذْنٍ إِلَى آخِرِهِ، ثُئُوبَةٌ بِكَرَامَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ، أَجْرَاهُ عَلَى لِسَانِهِ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ بِمَحَلِّ الْعِنَايَةِ مِنْ رَبِّهِ ،...، وَجِيءَ بِالسَّلَامِ هَذَا مَعْرَفًا بِاللَّامِ الدَّائِلَةِ عَلَى الْجِنْسِ مَبَالَغَةً فِي تَعْلُقِ السَّلَامِ بِهِ حَتَّى كَانَ جِنْسُ السَّلَامِ يَأْجُمِعُهُ عَلَيْهِ. وَهَذَا مُؤْذِنٌ بِتَفْضِيلِهِ عَلَى يَحْتِيِّ إِذْ قِيلَ فِي شَائِيهِ (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَلِذْنٌ) [مرثيم: 15]، وَذَلِكَ هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَعْرُوفِ بِلَامِ الْجِنْسِ وَبَيْنَ النُّكْرَةِ. وَيَجُوزُ جَعْلُ اللَّامِ لِلْعَهْدِ، أَيْ سَلَامٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ كِتَابَةٌ عَنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ عَبْدَهُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَبِالْأَمْرِ بِكَرَامَتِهِ))². والشيخ الطاهر يشير هنا إلى فرق دلالي بين سلام يحيى وسلام عيسى عليهما السلام اللذين سبق ذكرهما، يتجلّى هذا الفرق في أنَّ السلام على عيسى جاء معروفاً بالـ في حين جاء مُنكراً مع يحيى عليه السلام ما يدل على تفضيل عيسى على يحيى عليهما السلام؛ لأن سلام الأول منها أتم واجع وашمل من سلام الثاني.

1 الكشاف: 3 / 16. وينظر: مفاتيح الغيب: 21 / 536، وأنوار التنزيل: 4 / 10، ومدارك التنزيل: 2 / 334، والجامع لأحكام القرآن: 11 / 105، والبحر المحيط: 7 / 259، وإرشاد العقل السليم: 5 / 264، وروح المعاني: 8 / 408 - 409.

2 التحرير والتنوير: 16 / 100 - 101.

بـ. سلام الأنبياء على البشر: وما جاء في القرآن الكريم من هذا النوع سلام نبينا عليه السلام على المؤمنين في قوله تعالى: (إِذَا جَاءَكُمُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَهُنَّ مَعْمَلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (54) وكذلك تفصل الآيات، ولتشتتين سبيل المجرمين (55) [الأنعام 54-55] ، فالسلام في هذه الآية يحتمل أن يكون أمراً للرسول بالتبليغ أو أن يكون أمراً له عليه السلام بالقاء التحية على المؤمنين إكراماً لهم، قال الزمخشري: ((فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَمْرًا بِتَبْلِيغِ سَلَامِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ . إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَمْرًا بِأَنْ يَدْأُمْ بِالسَّلَامِ إِكْرَامًا لَهُمْ وَتَطْبِيبًا لِقُلُوبِهِمْ))¹ . وقد نقل ابن عطيه أقوال المفسرين في تفسير معنى السلام والمقصود به فيها ، قال: ((قال جمهور المفسرين: الَّذِينَ يَرَادُ بِهِمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا عَرَضُ طَرَدِهِمْ فَنَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ طَرَدِهِمْ، وَشَفَعَ ذَلِكَ بِأَنَّ أَمْرَ بِأَنْ يَسْلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَيُؤْتِنُهُمْ، وَقَالَ عَكْرَمَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ الَّذِينَ يَرَادُ بِهِمُ الْقَوْمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ صَوَّبُوا رَأْيَ أَبِي طَالِبٍ فِي طَرْدِ الْمُضَعَّفَةِ فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْلِمَ عَلَيْهِمْ وَيَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُمْ مَعَ تُوبَتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ السُّوءِ وَغَيْرِهِ، وَأَسَندَ الطَّبَرِيُّ عَنْ مَاهَانَ أَنَّهُ قَالَ نَزَّلَتِ الْآيَةُ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَفْتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَنْبِ سَلْفِهِمْ فَنَزَّلَتِ الْآيَةُ بِسَبِيلِهِمْ))² . وذكر ابن الجوزي وجهين في معنى السلام في هذه الآية الكريمة، ((أحدهما: أنه أمر بالسلام عليهم تشريفاً لهم

1 الكشاف: 2 / 29. وينظر: جامع البيان: 11 / 376، ومعاني القرآن وإعرابه: 2 / 252، ومعاني القرآن للنحاس: 2 / 431، وعلالم التنزيل: 2 / 128، وأنوار التنزيل: 2 / 164، ومدارك التنزيل: 1 / 507، والجامع لأحكام القرآن: 6 / 435، والبحر المحيط: 4 / 526، وإرشاد العقل السليم: 3 / 140، وروح المعاني: 4 / 155.

2 المحرر الوجيز: 2 / 296. وينظر: زاد المسير: 2 / 34.

والثاني: أنه أمر بإبلاغ السلام إليهم عن الله تعالى¹). فجعلهما كليهما يعني التحية. وهو ما ذهب إليه الشيخ الطاهر بن عاشور أيضاً، قال: ((وقوله: فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ قيل: معناه حِيَّهُم بِشَجَّةِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ كَلْمَةُ (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ)، وَقِيلَ: أَبْلَغُهُمُ السَّلَامَ مِنَ اللَّهِ عَالَىٰ تَكْرِمَةٍ لَهُمْ لِمُضَادَّةِ طَلَبِ الْمُشْرِكِينَ طَرَدَهُمْ))².

واما يقع تحت هذا الباب ما جاء في قوله تعالى: (وَلَيْسَ سَائِلُهُمْ مَنْ خَلَقُهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (87) وَقِيلَهُ يَا رَبِّ إِنَّ هُؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (88) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (89) الزخرف[87 – 89]), ومعنى السلام، هنا، المتابكة، قال البغوي: ((وَقُلْ سَلَامٌ، معناه: المتابكة))³. وبين الرغشري انه سلام متابكة وقد جاء في سياق وعيد، قال: ((وَقُلْ لَهُمْ سَلَامٌ أَيْ تَسْلِمُ مِنْكُمْ وَمِنْكُمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ وَتَسْلِيَةٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والضمير في وَقِيلَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإِقْسَامُ اللَّهِ بِقِيلِهِ رُفْعٌ مِنْهُ وَتَعْظِيمٌ لِدُعَائِهِ وَالْمُجَاهَدِ إِلَيْهِ))⁴.

ومنه قوله تعالى: (فَالَّذِي أَرَاغَبَ أَنْتَ عَنِ الْهَتَّيِّ يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تُشْهُ لَأَزْجِمَنِكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) فَالَّذِي أَرَاغَبَ أَنْتَ عَنِ الْهَتَّيِّ يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تُشْهُ لَأَزْجِمَنِكَ وَالسَّلَامُ، هنا، سلام توديع ومتابكة أيضاً، قال الطبرى: ((يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لأبيه حين توعده على نصيحته إياه ودعائه إلى الله بالقول السريع والعقوبة: سلام عليك

1 زاد المسير: 2 / 35.

2 التحرير والتنوير: 7 / 257.

3 معالم التنزيل: 4 / 171، والكتاف: 4 / 268، وزاد المسير: 4 / 86، ومفاتيح الغيب: 27 / 650، وأنوار التنزيل: 5 / 98، ومدارك التنزيل: 3 / 285، ومحاسن التأويل: 8 / 404، والتحرير والتنوير: 25 / 274.

4 الكشاف: 4 / 268.

يا أبْتَ، يَقُولُ: أَمْنَةٌ مِنِّي لَكَ أَعَاوِدُكَ فِيمَا كَرِهْتَ، وَلَدْعَائِكَ إِلَيَّ مَا تَوَعَّدْتَنِي عَلَيْهِ
بِالْعَقُوبَةِ) ^١، وَهَذَا يَؤْيِدُهُ قَوْلُ الْوَاحِدِيِّ أَيْضًا، قَالَ: ((قَالَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ: سَلَامٌ عَلَيْكَ
أَيْ: سَلَمْتُ مِنِّي لَا أَصْبِيكَ بِكُرُوهٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَؤْمِرْ بِقتالِهِ عَلَى كُفْرِهِ)) ^٢. وَاسْتَدَلَ
الرَّمْخَشِرِيُّ بِسَيِّاقِ الْأَيَّةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى جَوَازِ مَتَارِكَةِ الْمَنْصُوحِ لِغَرْضِ الْإِسْتِمَالَةِ، قَالَ: ((قَالَ
سَلَامٌ عَلَيْكَ سَلَامٌ تَوْدِيعٌ وَمَتَارِكَةٌ، ...، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ مَتَارِكَةِ الْمَنْصُوحِ وَالْحَالِ
هَذِهِ). وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ دَعَا لَهُ بِالسَّلَامَةِ إِسْتِمَالَةً لَهُ)) ^٣.

جـ. سلام الملائكة على الأنبياء وغيرهم: ورد سلام الملائكة على الأنبياء والمؤمنين
في مواضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا
سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيْذٍ) (69) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيهِمْ لَا تَصِلُّ إِلَيْهِ
نَكَرَهُمْ وَأَزْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخْفِ أَنَا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ) (70) [هود: 69-
70)، ومثلها ما جاء في قوله تعالى: (هَلْ أَنَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفٌ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) (24)
إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) (25) (الذاريات)، وقد ذكر المفسرون
أن السلام هنا يحتمل أن يكون من السلامة أو المسالمة كما يحتمل أن يكون من التسليم
يعنى التحية وهو متقابلان عندهم ^٤، وبين الزجاج توجيه الرفع والنصب والدلالة
التي تؤدي إليها كل حالة منها ، قال: ((فَأَمَا قَوْلُهُ (سَلَامًا) فَمَنْصُوبٌ عَلَى سَلَمَنَا
سَلَامًا، وَأَمَا سَلَامٌ فَمَرْفُوعٌ عَلَى معنِي أَمْرِي سَلَامٌ (وَمَنْ قَرَأَ سَلَامٌ) فَمَرْفُوعٌ عَلَى أَمْرِي

١ جامع البيان: 18 / 207، ومعاني القرآن وإعرابه: 3 / 333.

٢ التفسير الوسيط: 3 / 185. وينظر: معلم التنزيل: 3 / 236، والمغرر الوجيز: 4 / 19، وزاد المسير: 3 / 134.

٣ الكشاف: 3 / 21. وينظر: مفاتيح الغيب: 21 / 546، وأنوار التنزيل: 4 / 12، ومدارك التنزيل: 2 /

339، والجامع لأحكام القرآن: 11 / 111، والبحر المحيط: 7 / 271-272، ومحاسن التأويل: 7 / 101،

والتحرير والتنوير: 16 / 121.

٤ جامع البيان: 15 / 383.

سلام. أي لَسْتُ مُرِيداً غير السلام والصفح))¹، وفسر الزمخشري دلالة الرفع والنصب بـأَنَّ النَّبِيَّ إِبْرَاهِيمَ رَدَ السَّلامَ عَلَى نَحْوِ أَحْسَنِ مِنْ سَلامَ الْمَلَائِكَةِ ، قَالَ: ((رفع السلام الثاني للدلالة على أنَّ إِبْراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامَ حِيَامَ بِتَحْيَةِ أَحْسَنِ مِنْ تَحْيَتِهِمْ لِأَنَّ الرَّفْعَ دَالٌ عَلَى مَعْنَى ثَبَاتِ السَّلامِ لَهُمْ دُونَ تَجَدَّدِهِ وَحْدَوْهُ))². وفيهم من كلام الرازبي أنه يرى أنَّ سلامَ الْمَلَائِكَةِ سلامٌ تَحْيَةٌ وسلامٌ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ هُوَ طَلْبٌ أَمْنَةٍ وسلامَةٍ، وكأنَّه ناتجٌ من إحساسٍ بالخوفِ من طرُوقِ الغُرَيَّبِ في ذَلِكَ الْوَقْتِ، قَالَ: ((قَالُوا سَلَامًا تَقْدِيرَةً: سَلَمْنَا عَلَيْكَ سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ تَقْدِيرَةً: أَنْرِي سَلَامًا، أَيْ لَسْتُ مُرِيداً غيرَ السَّلامَ وَالصُّلُحِ))³. وذكر الرازبي أنَّ السلامَ هنا يحملُ أنَّ يكونَ معنى التَّحْيَةِ أو نوعاً من أَنْوَاعِ الْكَلَامِ وَهُوَ كَلَامٌ سَلِيمٌ بِهِ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ أَنْ يَلْغُو أَوْ يَأْتِمَ⁴. وأشار الرازبي إلى خصيصة أسلوبية في هذا السلام وهي أنَّ استعمالَ سلامٍ نكرة للدلالة على الدُّعَاءِ، قَالَ: ((أَكْثُرُ مَا يُسْتَغْفَلُ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِغَيْرِ الْفِوْلَامِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الدُّعَاءِ، فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ: خَيْرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ، ...، فَالثَّكِيرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ يَدْلُلُ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ، فَكَانَهُ قِيلَ: سَلَامٌ كَامِلٌ ثَامٌ عَلَيْكُمْ، ...، وَأَقُولُ: قَوْلُهُ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَكْمَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، لِأَنَّ الثَّكِيرَ فِي قَوْلِهِ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يُقْيِدُ الْكَمَالَ وَالْمُبَالَغَةَ وَالْتَّمَامَ. وَأَمَّا

1 معاني القرآن واعرابه: 3 / 60-61. وينظر: معاني القرآن للفراء: 2 / 21، ومجاز القرآن: 1 / 291، وجامع البيان: 15 / 382، ومعاني القرآن للتحاس: 3 / 361، والتفسير الوسيط: 2 / 581، ومعالم التزيل: 2 / 456، واعراب القرآن للباقي النسوب خطأ للزجاج: 1 / 208، وزاد المسير: 2 / 385.

2 الكشاف: 1 / 9. وينظر: المحرر الوجيز: 3 / 188، ومفاتيح الغيب: 28 / 175، وأنوار التزيل: 3 / 141، ومدارك التزيل: 2 / 72، والجامع لأحكام القرآن: 9 / 62-63، والبحر العظيم: 6 / 179، وبصائر ذوي التميز: 3 / 253، واللباب في علوم الكتاب: 10 / 519-521.

3 مفاتيح الغيب: 18 / 372.

4 ينظر: نفسه: 28 / 175.

لفظُ السَّلَامِ: فَإِنَّهُ لَا يَقِيدُ إِلَّا الْمَاهِيَّةَ¹). كما وقف على جانب تركيبي آخرٍ مهمٍ في هذا السَّلام وهي دلالة الجملة الاسمية على الشّبوت؛ وهذه الدلالة تناسب ردَّ إبراهيم التحية على الملائكة على نحو أحسن من سلامهم عليه، قال: ((لَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِالْأَخْسَنِ، فَأَتَى بِالْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ فَإِنَّهَا أَذْلَلُ عَلَى الدَّوَامِ وَالْإِسْتِمْرَارِ)²). وتناول الزركشي البنية التركيبية لسلام النبي من جهة وسلام الملائكة من جهة لتلمس الفروق الدلالية بينهما، قال: ((مُضْمِنُ الْفِعْلِ كَمُظْهَرِهِ فِي إِفَادَةِ الْحَدُوثِ وَمِنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ قَالُوا إِنَّ سَلَامَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبْلَغُ مِنْ سَلَامِ الْمَلَائِكَةِ حِينَ ثَقَلَتْ قَوْلَةُ سَلَامٍ قَالَ سَلَامٌ فَإِنَّ نَصْبَ سَلَامًا إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى إِرَادَةِ الْفِعْلِ أَيْ سَلَمْنَا سَلَامًا وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ مُؤَذِّنَةٌ بِحَدُوثِ التَّسْلِيمِ مِنْهُمْ إِذَا الْفِعْلُ تَأْخِرُ عَنْ وُجُودِ الْفَاعِلِ بِخِلَافِ سَلَامِ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ مُرْتَفِعٌ بِالْأَبْيَادِ فَاقْتَضَى الْبُثُوتُ عَلَى الإِطْلَاقِ وَهُوَ أَوْلَى بِمَا يَعْرِضُ لَهُ الْبُثُوتُ فَكَانَهُ قَصَدَ أَنْ يُحَيِّيَهُمْ بِأَخْسَنِ مِمَّا حَيَّهُ بِهِ))³. وتحدث أبو السعد عن الفرق بين السالمين ولكنه جعل مصدر الفرق بينهما هو الحالة الإعرابية، قال : ((إِثْنَارِ الرَّفِيعِ عَلَى النَّصْبِ الَّذِي هُوَ الْأَصْلُ لِلْإِبْدَانِ بِأَنَّ ثَبُوتَ الْحَمْدَ لَهُ تَعَالَى لِذَاهَهُ لَا لِإِثْبَاتِ مُثْبَتٍ وَأَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ دَائِمٌ مُسْتَمِرٌ لَا حَادِثٌ مُتَجَدِّدٌ كَمَا تَفِيدُهُ قِرَاءَةُ النَّصْبِ وَهُوَ السُّرُّ فِي كُونِ تَحْيَةِ الْخَلِيلِ لِلْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ التَّحْيَةُ وَالسَّلَامُ أَحْسَنُ مِنْ تَحْيَتِهِمْ لَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ وَتَعْرِيفُهُ لِلْجِنْسِ وَمَعْنَاهُ الْإِشَارَةُ إِلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ حِيثِ هِيَ حَاضِرَةٌ فِي

1. نفسه: 18 / 372.

2. نفسه: 28 / 175.

3 البرهان في علوم القرآن: 4 / 71. وينظر: الاتقان في علوم القرآن: 2 / 378، ومعترك الأقران: 3 / 496، وإرشاد العقل السليم: 1 / 13، ومحاسن التأويل: 3 / 245، وتفسير المنار: 12 / 106.

ذهن السامع)¹. وقال الطاهر بن عاشور عمّا سماه المخالفة بين السلامين: ((والسلام: التسجية،...، ورفع المصندر أبلغ من نصبه، لأن الرفع فيه تناسي معنى الفعل فهو أدنى على الدوام والثبات. ولذلك خالف بيتهما للدلالة على أن إبراهيم - عليه السلام - رد السلام بعبارة أحسن من عبارة الرسل زيادة في الإكرام، فحكي ذلك بأوجز لفظ في العربية أداءً لمعنى كلام إبراهيم - عليه السلام - في الكلذائية))². و قريب منه سلام الملائكة على النبي إبراهيم قوله تعالى: (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلون (52) قالوا لَا نؤجل إنا نبشرك بعلم علیم (53)[الحجر 54-53])، قال الزمخشري عنه: ((سلاماً أي نسلم عليك سلاماً، أو سلمت سلاماً وجلون خائفون، وكان خوفه لامتناعهم من الأكل. وقيل: لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت))³. وتابعه ابن عطية، قال: ((وقوله سلاماً مصدر منصوب بفعل مضمر تقديره سلمنا أو نسلم سلاماً، والسلام هنا التسجية، وقوله سلاماً حكاية قو لهم فلا يعمل القول فيه))⁴.

ومن هذا النوع من السلام تحية الملائكة للمؤمنين وهم يدخلون الجنة في قوله تعالى: (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويحافظون سوء الحساب (21) والذين صبروا ابتلاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سيراً وعلانية ويدركون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار (22) جنات عدن يدخلونها ومن صلّح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب (23)

1 إرشاد العقل السليم: 1/ 13.

2 التحرير والتنوير: 12 / 116-117. وينظر: تفسير الشعراوي: 12 / 7300.

3 الكشاف: 2 / 580. وينظر: جامع البيان: 17 / 112، ومعاني القرآن وإعرابه: 3 / 180، ومعالم التنزيل: 3 / 61، والمغر الوجيز: 3 / 365، وأنوار التنزيل: 3 / 213، ومدارك التنزيل: 2 / 192، والجامع لأحكام القرآن: 10 / 35، والبحر المحيط: 6 / 484، وبصائر ذوي التمييز: 1 / 275، والتحرير والتنوير: 14 / 58.

4 المغر الوجيز: 3 / 365.

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عَقْبَى الدَّارِ (24) ([الرعد: 21-24]), وفسرها علماء التفسير بأنَّ الملائكة يقولون لهم سلام عليكم تكرمة من الله لأهل الجنة¹، أي: سلمكم الله من أحوال القيمة وشرّها بصركم في الدنيا على طاعته، فالملائكة مع جمالة مراتيهم يدخلون عليهم لأجل التجة والإنعام عند الدخول عليهم يكرمونهم بالتجة والسلام ويشرونهم²، ويرى الشيخ الطاهر أنَّ لفظ (سلام) هو تحيتهم في الآخرة دون لفظ (السلام) بآل التعريف؛ لأنَّ النص، هنا، حكى الأول باللفظ ولو أراد معنى السلام عامة دون اللفظ لعبَّر عن بالسلام المعرف بآل التعريف لإفاده عموم السلام دون اللفظ؛ قال: ((والظاهر أنَّ التجة ينتهي هي كَلِمَةُ (سلام)، وأنَّها مَحْكِيَّةٌ هُنَا بِلَفْظِهَا دُونَ لَفْظِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ أَوْ سَلَامٍ عَلَيْكُمْ، لِأَنَّهُ لَوْ أَرِيدَ ذَلِكَ لَقَبِيلٌ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا السَّلَامُ بِالْتَّعْرِيفِ لِيَتَبَادِرَ مِنَ التَّعْرِيفِ أَنَّ السَّلَامَ الْمَعْرُوفُ فِي الْإِسْلَامِ، وَهُوَ كَلِمَةُ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ). وكذا يَكُوْنُ سَلَامُ الله عَلَيْهِمْ بِهَذَا الْلَّفْظِ قَالَ ثَعَالَى: (سَلَامٌ فَوْلَا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ) [يس: 58]، وأمَّا قَوْلُهُ: ((وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) ([الرعد: 23-24])، فَهُوَ ظَلْفٌ مَعْهُمْ بِتَحِيَّتِهِمُ الْتِي جَاءَهُمْ بِهَا الْإِسْلَامُ)).³

وقريب منه قوله تعالى: (الَّذِينَ تَنَوَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبُونَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ اذْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ([النحل: 32])، فهذا السلام بشارة للمتقين، قال الطبرى: ((وقوله (يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) يعني جل ثناؤه أنَّ الملائكة تقضى أرواح هؤلاء المتقين، وهي تقول لهم: سلام عليكم صيروا إلى الجنة بشارة من الله تبشرهم بها

1. ينظر: معاني القرآن للأخفش: 2/ 404، وجامع البيان: 6/ 126، ومعاني القرآن وإعرابه: 3/ 147، والتفسير الوسيط: 3/ 14، والكتاف: 2/ 527، والمغرر الوجيز: 3/ 310، وإعراب القرآن للباقيلى المتسبوب خطأ للزجاج: 1/ 15، وأنوار التنزيل: 3/ 186، ومدارك التنزيل: 2/ 153، والجامع لأحكام القرآن: 9/ 312، والبحر المحيط: 6/ 527، وبصائر ذوي التمييز: 3/ 252، وروح المعاني: 7/ 138.

2. ينظر: مفاتيح الغيب: 19/ 37.

3. روح المعاني: 7/ 138.

الملائكة)).¹ وذكر القرطبي في معنى السلام، هنا، احتمالين: أحدهما انه إنذار لهم بالوفاة، والأخر انه بشاره بالجنة لأن السلام أمان². في حين اكتفى الشيخ الطاهر بـأن جعله سلام إكرام، قال: ((وَجْمَلَةٌ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ حَالٌ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ وَهِيَ حَالٌ مُّقَارَنَةٌ لِّتَوْفَاهُمْ، أَيْ يَتَوَفَّوْهُمْ مُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ سَلَامٌ ثَانِيٌّ وَإِكْرَامٌ حِينَ مَجِيئِهِمْ لِيَتَوَفَّوْهُمْ، لِأَنَّ فَعْلَ تَوْفَاهُمْ يَبْتَدِئُ مِنْ وَقْتٍ خَلُوِّ الْمَلَائِكَةِ إِلَى أَنْ تُشَرَّعَ الْأَزْوَاجُ وَهِيَ حِصْنَةٌ قَصِيرَةٌ)).³

ومن سلام الملائكة على الأنبياء ما جاء في قوله تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ آتَوْنَا رِزْقَهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زَمِرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتُحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبِيعَةً فَأَذْخُلُوهَا خَالِدِينَ) [الزمر 73]، فالمتادر من ظاهر الآية الكريمة انه سلام يستقبل به خزنة الجنة من الملائكة المؤمنين، وقد يكون السلام فيها من الأمان كما فهم ذلك الطبرى، قال: ((وعنى بقوله (سلام عليكم) : أمنة من الله لكم أن ينالكم بعد مكروره أو أذى))⁴. في حين جعلها ابن عطية من باب التحية وتحتمل أن تكون من الأمان، قال: ((سلام عليكم تحية. ويتحمل أن يريد أنهم قالوا لهم سلام عليكم وأمنة لكم)).⁵

وما جاء فيه لفظ (السلام) معملاً معنى التحية من الملائكة على العباد قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنَ الْفِ

1 جامع البيان: 17 / 198. وينظر: معلم التنزيل: 3 / 78، والكشف: 2 / 603، والمحرر الوجيز: 3 / 390، وزاد المسير: 2 / 558، ومفاتيح الغيب: 20 / 203، وأنوار التنزيل: 3 / 225، ومدارك التنزيل: 2 / 211، والجامع لأحكام القرآن: 10 / 101، واللباب في علوم الكتاب: 17 / 363، ومحاسن الناوي: 6 / 366، والتحرير والتنوير: 14 / 144.

2 ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 10 / 101. 3 التحرير والتنوير: 14 / 144.

4 جامع البيان: 21 / 341. وينظر: معلم التنزيل: 4 / 102، وزاد المسير: 4 / 27، ومفاتيح الغيب: 27 / 480، والتحرير والتنوير: 24 / 72.

5 المحرر الوجيز 4 / 543، وينظر: التحرير والتنوير: 24 / 72.

شَهْرٌ (3) تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا يَاذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ
الْفَجْرِ (5) ([القدر 1-5]), فقد ذكر المفسرون في معنى (سلام) هنا أنها مُسَلَّمة من الشر
كله، أو أنها خير كلها، أو أنها لا يحدث فيها أمر¹، أو لا داء فيها ولا يستطيع الشيطان
أن يعمل فيها شيئاً، ولا يجوز فيها السحر؛ فالسلام في هذه المعاني ليس بمعنى التحية. في
حين جعله بعض المفسرين بمعنى التحية، فقيل إن ((السلام في ليلة القدر سلام الملائكة
بعضهم على بعض)، وقيل: نزولهم بالسلامة والخير والبركة، وقيل: سلام هي من الشر،
وهو قول قادة²). كما قيل إن: سَلَامٌ عَلَى أَرْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، أو هُوَ ئَسْلِيمُ
الْمَلَائِكَةِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى أَهْلِ الْمَسَاجِدِ مِنْ حِينِ ظَغْيَبِ الشَّمْسِ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ³.
وذكر الفخر الرازمي سبعة وجوه للسلام في هذه الآية المباركة أحدها بمعنى التحية،
قال: ((وَصَفَتِ اللَّيْلَةُ بِأَنَّهَا سَلَامٌ، ثُمَّ يَجِبُ أَنْ لَا يُسْتَخْفَرَ هَذَا السَّلَامُ لِأَنَّ سَبْعَةَ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ سَلَمُوا عَلَى الْخَلِيلِ فِي قِصَّةِ الْعِجْلِ الْحَيْنِيِّ، فَازْدَادَ فَرَحَةً بِذَلِكَ عَلَى فَرَحَةِ
بِمَلْكِ الدُّنْيَا، بَلِ الْخَلِيلُ لَمَّا سَلَمَ الْمَلَائِكَةَ عَلَيْهِ صَارَ نَارٌ ثُمُرُودٌ عَلَيْهِ بِرَدًا وَسَلَاماً أَفَلَا
يَصِيرُ نَارَهُ ظَاهِرًا بِيَرْكَةِ ئَسْلِيمِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْنَا بَرَدًا وَسَلَاماً لَكِنْ ضَيَافَةُ الْخَلِيلِ لَهُمْ كَانَتْ
عِجْلًا مَشْوِيًّا وَهُمْ يُرِيدُونَ مِنَّا قَلْبًا مَشْوِيًّا، بَلْ فِيهِ دَقِيقَةٌ، وَهِيَ إِظْهَارٌ فَضْلٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ،
فَإِنَّ هُنَاكَ الْمَلَائِكَةَ، تَنْزَلُوا عَلَى الْخَلِيلِ، وَهَا هَا تَنْزَلُوا عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ))⁴. وبخت القاسمي في علة الإخبار بالمصدر (سلام) عن المبتدأ (هي) في الآية
دون غيره من الأبنية الصرفية؛ قال: ((والإخبار عنها بالسلام نفسه - وهو الأمن

1 ينظر: معاني القرآن للأخفش: 2 / 581، وجامع البيان: 24 / 535، ومعاني القرآن وإعرابه: 5 / 348
وإعراب القرآن للتحاس: 5 / 166 - 167، وزاد المسير: 4 / 473، وأنوار التنزيل: 5 / 327، ومدارك
التنزيل: 3 / 666، والجامع لأحكام القرآن: 20 / 134، والبحر المحيط: 10 / 515، ومحاسن التأويل: 9 /
517، والتحرير والتوبيخ: 30 / 465.

2 النكت في القرآن الكريم: 565.

3 ينظر: معالم التنزيل: 5 / 289، والبحر الوجيز: 5 / 505.

4 مفاتيح الغيب: 32 / 236.

والسلامة - للمبالغة في أنه لا يشوبها كدر، بل فرج الله فيها عن نبيه كل كربة، وفتح له فيها سبل المداية، فأناله بذلك ما كان يتطلع إليها¹. وجعل الطاهر بن عاشور السلام هنا جاماً للمعنىين؛ السلام بمعنى السلام والخير وبمعنى التحية، قال: ((وَفُسِّرَ السَّلَامُ بِالْخَيْرِ، وَالْمَعْنَى حَاصِلٌ فِي هَذِهِ الْأَيْةِ، فَالسَّلَامَةُ تَشْكُلُ كُلَّ خَيْرٍ لِأَنَّ الْخَيْرَ سَلَامَةً مِنَ الْشَّرِّ وَمِنَ الْأَذَى، فَيَشْكُلُ السَّلَامُ الْغَفْرَانَ وَإِجْزَاءَ التَّوَابِ وَاسْتِجَابَةَ الدُّعَاءِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالسَّلَامُ بِمَعْنَى التَّحْيَةِ وَالْقَوْلِ الْحَسَنِ مُرَادٌ بِهِ شَاءَ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَهْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ كَذَابِهِمْ مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا حَكَاهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَالْمَلَائِكَةُ يَذْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَيَنْعِمُ عَقْبَى الدَّارِ) [الرعد 23، 24]². وقد عالج الشيخ الطاهر البنية الصرفية وال نحوية للأية الكريمة مبيناً ما فيها من دلالات بلاغية منها دلالة التكير على التعظيم، دلالة الإخبار بالمصدر على المبالغة والتخفيم، دلالة تقديم الخبر على الاختصاص والقصر، قال: ((وَتَكَبَّرُ سَلَامٌ لِلتَّعْظِيمِ. وَأَخْبَرَ عَنِ الْلَّيْلَةِ بِأَهْلِ سَلَامٍ لِلمَبَالِغَةِ لِأَنَّهُ إِخْبَارٌ بِالْمَصْدَرِ. وَتَقْدِيمُ الْمُسْتَنْدِ وَهُوَ سَلَامٌ عَلَى الْمُسْتَنْدِ إِلَيْهِ لِإِفَادَةِ الْإِخْتِصَاصِ، أَيْ مَا هِيَ إِلَّا سَلَامٌ. وَالْقَصْرُ ادْعَائِيٌّ لِعَدَمِ الْإِعْتِدَادِ بِمَا يَحْصُلُ فِيهَا لِغَيْرِ الصَّائِمِينَ الْفَاعِلِينَ، ثُمَّ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَلَامٌ هِيَ مُرَادًا بِهِ الْإِخْبَارُ فَقَطُّ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْمَصْدَرِ الْأَمْرُ، وَالتَّقْدِيرُ: سَلِمُوا سَلَامًا، فَالْمَصْدَرُ بِذَلِكَ مِنَ الْفِعْلِ وَعَدَلَ عَنْ نَصْبِهِ إِلَى الرَّفْعِ لِتَفِيدَ، ...، وَالْمَعْنَى: اجْعَلُوهَا سَلَامًا يَتَكَبَّرُونَ، أَيْ لَا نِزَاعَ وَلَا خِصَامَ))³.

د. سلام العباد بعضهم على بعض: ورد السلام على العباد في مواضع من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَذَ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًا قَالُوا نَعَمْ فَأَدَنَ مُؤْدَنَ يَئِنْهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44) الَّذِينَ يَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَنْعُونَهَا عِوْجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ

1 محسن التأويل: 9 / 518.

2 التحرير والتنوير: 30 / 465.

3 نفسه: 30 / 465.

كَافِرُونَ (45) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرَفُونَ كُلُّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَذْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَئِنُونَ (46) [الأعراف: 44-46]. فالسلام هنا صادر من يقف على الأعراف ووجه لأهل الجنة، وفي ندائهم استغاثة وأمل في دخولها كما دخلها أصحاب الجنة، قال الطبرى: ((وعلى الأعراف رجال يعرفون أهل الجنة بسيماهم، وذلك بياض وجههم، ونمرة النعيم عليها ويعرفون أهل النار كذلك بسيماهم، وذلك سواد وجههم، وزرقة أعينهم، فإذا رأوا أهل الجنة نادوهم: سلام عليكم))¹. وذكر القرطبي في معنى السلام هنا انه يحتمل ان يكون تحية، ويحتمل ان يكون من السلام، قال: ((أي نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة. أن سلام عليكم أي قالوا لهم سلام عليكم. وقيل: المعنى سليمتم من العقوبة))². واحتتمل أبو السعود أن يكون من باب التحية وان يكون من باب الإخبار بنجاتهم من المكاره، وهو ما عبر عنه القرطبي بالسلام من العقوبة، قال: ((ونادوا، أي رجال الأعراف أصحاب الجنة حين رأوهم أن سلام عليكم بطريق الدعاء والتحية أو بطريق الإخبار بنجاتهم من المكاره))³. واستنتاج الطاهر بن عاشور من هذا النداء المتضمن للسلام أن أصحاب الأعراف يدخلون الجنة أيضا، قال: ((ونداوهم أهل الجنة بالسلام يؤذن بهم في اتصال بعيد من أهل الجنة، فجعل الله ذلك أمارة لهم بحسن عاقبتهم ترئاح لها ثوابهم. ويعلمون أنهم صائمون إلى الجنة...، سلام عليكم دعاء تحيه وإكرام))⁴.

وما يدخل تحت هذا الصنف من السلام ما ورد في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهُدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ

1 جامع البيان: 12 / 461. وينظر: مفاتيح الغيب: 14 / 250، وأنوار التنزيل: 3 / 14، ومدارك التنزيل: 1 / 570، والبحر الحيط: 5 / 57.

2 الجامع لأحكام القرآن: 7 / 213.

3 إرشاد العقل السليم: 3 / 230.

4 التحرير والتنوير: 8 - ب / 143.

(9) دَعَوْا هُمْ فِيهَا سَبَّحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحْيِيْهِمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10) [يونس 9-10] ، والسلام هنا أيضا يحتمل معنيين أحدهما التحية والآخر ان الله يحيهم فيه الجنة بالسلام، قال الزجاج: ((معنى (دعواهم) دعواهم، يعني إن دعاء أهل الجنة تزييه الله وتعظيمه. (وَتَحْيِيْهِمْ فِيهَا سَلَامٌ) . جائز أن يكون ما يحيي به بعضهم بعضاً سلام، وجائز أن يكون الله يحيهم منها بالسلام))¹. وجعل الزخشري هذا السلام يعني ان المؤمنين في الجنة يحيي بعضهم بعضاً، أو أن الملائكة تحييهم بها، قال: ((وَمَعْنَى وَتَحْيِيْهِمْ فِيهَا سَلَامٌ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَحْيِي بَعْضًا بِالسَّلَامِ . وَقَبْلَهُ: هِيَ تَحْيَةُ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُمْ، إِضَافَةً لِلْمَصْدَرِ إِلَى الْمَفْعُولِ . وَقَبْلَهُ: تَحْيَةُ اللَّهِ لَهُمْ))². وجع ابن الجوزي في معنى السلام ثلاثة أقوال، ((أحدها: أنها تحية بعضهم البعض وتحية الملائكة لهم، قاله ابن عباس. والثاني: أن الله تعالى يحييهم بالسلام. والثالث: أن التحية: الملك، فالمعنى: ملكهم فيها سالم))³. واستنبط الرازبي دلالة جديدة من قوله : تحييهم فيها سلام، وهو استنباط ناتج من الموازنة بين الحياة الدنيا والآخرة، فيرى أن الحياة الآخرة هي حياة سلام على خلاف الحياة الدنيا فلذلك يواظبون على ذكره وترديدها، قال: ((وَعِنْدِي فِيهِ وَجْهٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنَّ مُوَاضِبَتَهُمْ عَلَى ذِكْرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، مُشْعِرَةً بِإِنَّهُمْ كَائِنُوا فِي الدُّنْيَا فِي مَثْلِ الْأَفَاتِ وَفِي مَغْرِضِ الْمَخَافَاتِ، فَإِذَا أَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَوَصَلُوا إِلَى كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ صَارُوا سَالِمِينَ مِنَ الْأَفَاتِ، أَمْنِينَ مِنَ الْمَخَافَاتِ وَالْتُّقْصِنَاتِ وَقَدْ أَخْتَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ بِإِنَّهُمْ يَذَكُّرُونَ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا

1 معاني القرآن وإعرابه: 3 / 8 . وينظر: جامع البيان: 15 / 30 ، والتفسير الوسيط: 2 / 540 ، ومعاني القرآن للنحاس: 3 / 279 ، ومعالم التنزيل: 2 / 412 ، والمحرر الوجيز: 3 / 108 ، ومفاتيح الغيب: 17 / 216 ، وأنوار التنزيل: 3 / 106 ، ومدارك التنزيل: 2 / 9 ، والجامع: لأحكام القرآن: 8 / 313 ، والباب في علوم الكتاب: 11 / 378 ، ومعترك الأقران: 2 / 130 ، ومحاسن التأويل: 6 / 8 .

2 الكشاف: 2 / 331 .

3 زاد المسير: 2 / 318 .

الحزن إن رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحْنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمْسُنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا
يَمْسُنَا فِيهَا لَعْوبٌ) [فاطِرٌ: 34، 35])¹.

وَقَرِيبٌ مِنْهُ مَا وَرَدَ مِنَ السَّلَامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَأَذْخِلْ أَلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنَهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ
(23) [إِبْرَاهِيمٌ 22-24])، فَتَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ سَلَامٌ، وَقَدْ عَالَجَ الزَّمْخَشْرِيُّ بِنَاءَ الْآيَةِ
نَحْوِيَا، فَذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْجَارَ وَالْمُجْرُورَ يَتَعَلَّقانِ بِالْجَمْلَةِ الْأَسْمَيَّةِ الَّتِي بَعْدَهَا وَالتَّقْدِيرُ: تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَامٌ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، وَفِي هَذَا التَّوْجِيهِ التَّفَاتَةُ جَمِيلَةٌ، مَفَادُهَا أَنَّ سَلَامَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ وَفِي هَذَا دَلَالَةٍ عَلَى التَّفَخِيمِ وَالْعُنَيْةِ وَالْإِهْتِمَامِ، قَالَ: ((قَلْتَ: الْوَجْهُ فِي هَذِهِ
الْقِرَاءَةِ أَنْ يَتَعَلَّقَ قَوْلُهُ: بِإِذْنِ رَبِّهِمْ بِمَا بَعْدِهِ، أَيْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، يَعْنِي: أَنَّ
الْمَلَائِكَةَ يَعْيُونُهُمْ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ))². وَنَقْلُ الْأَلْوَسِيِّ مِنْتَهِيَّ التَّحِيَّةِ وَمَعْنَى السَّلَامَ مِنْ
الْأَفَاتِ، قَالَ: ((السَّلَامٌ بِمَعْنَى السَّلَامَ أَيْ دَارَ السَّلَامَةَ مِنَ الْأَفَاتِ وَالْبَلَابِيَا وَسَائِرِ الْمَكَارِهِ
الَّتِي يَلْقَاهَا أَهْلُ النَّارِ. وَقَيْلٌ: هُوَ بِمَعْنَى التَّسْلِيمِ أَيْ دَارَ تَحِيَّتِهِمْ فِيهَا سَلَامٌ عَنْدَ رَبِّهِمْ أَيْ
فِي ضَمَانِهِ وَتَكْفِلِهِ التَّفْضِيلِيِّ أَوْ ذَخِيرَةِ لَهُمْ عَنْدَهُ لَا يَعْلَمُ كُنْهُ ذَلِكَ غَيْرُهُ))³.

وَمَا يَنْدَرِجُ تَحْتَ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرْئَتِينَ بِمَا
صَبَرُوا وَيَذْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (54) وَإِذَا سَمِعُوا الْلَّغُوَ أَغْرَضُوا
عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِيَ الْجَاهِلِينَ (55) إِنَّكَ لَا
تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ (56)
(القصص 54-56)، فُسْرَ السَّلَامُ هُنَا بِالْأَمْنَةِ، قَالَ الطَّبَرِيُّ: ((أَمْنَةٌ لَكُمْ مِنْ نَسَابِكُمْ،

1 مفاتيح الغيب: 17 / 217

2 الكشاف: 2 / 552. وينظر: المحرر الوجيز: 3 / 334، وأنوار التنزيل: 3 / 198، ومدارك التنزيل: 2 / 171،
والبحر الخبيط: 6 / 430، والباب في علوم الكتاب: 11 / 378، وإرشاد العقل السليم: 2 / 211.

3 روح المعاني: 4 / 267

أو تسمعوا منا ما لا تحبون)¹. وهذا ما وضحه الزجاج بقوله: ((ليس يريدون بقوتهم هنا سلام عليكم التحية . المعنى فيه أعرضوا عنه وقالوا سلام عليكم، أي بيننا وبينكم المتابكة والتسلم . وهذا قبل أن يؤمِّرَ الْمُسْلِمُونَ بالقتال))².

وما ورد فيه السلام قوله تعالى: (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعْدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) (44) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَتَذَيِّرًا (45) وَذَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46) ([الأحزاب] 44-46). وقد استند الطبرى إلى هذه الآية للاستدلال على أن تحية أهل الجنة السلام وإن اختيارها جاء لأن السلام من الأمان، قال: ((يقول جل ثناؤه: تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيمة في الجنة سلام، يقول بعضهم لبعض: أمنة لنا ولكم بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذبنا بالنار أبدا))³. وقد أورد الزمخشري أن غاية هذا السلام تعظيم أهل الجنة من الله، قال: ((أي: يحيون يوم لقائه بسلام، فيجوز أن يعظمهم الله بسلامه عليهم، كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم، وأن يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا. وقيل: هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة. وقيل: سلام الملائكة عند الخروج من القبور. وقيل: عند دخول الجنة))⁴. وعلل الرازى سبب ذكر السلام في تلك الحال، ورأى أنه مناسب لحالم هناك لأنه دليل الخيرات، قال: ((تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ لَمَّا بَيْنَ اللَّهِ عِنَايَتَهُ فِي الْأَوَّلِيَّةِ بَيْنَ عِنَايَتَهُ فِي

1 جامع البيان: 19 / 598.

2 معاني القرآن وإعرابه: 4 / 149، والكشف: 3 / 21، و 3 / 27، وزاد المسير: 3 / 388، ومفاتيح الغيب: 2 / 24، وأنوار التنزيل: 4 / 181، ومدارك التنزيل: 2 / 649، والجامع لأحكام القرآن: 13 / 299، واللباب في علوم الكتاب: 13 / 79.

3 جامع البيان: 20 / 280. وينظر: معاني القرآن وإعرابه: 4 / 231، ومعاني القرآن للنحاس: 5 / 357، والتفسير الوسيط: 3 / 476، وتفسير الراغب الأصفهانى: 1 / 373، وزاد المسير: 3 / 471، وأنوار التنزيل: 4 / 234، واللباب في علوم الكتاب: 15 / 561، وإرشاد العقل السليم: 7 / 107، وروح المعاني: 11 / 222، ومحاسن التأويل: 8 / 91، وفي ظلال القرآن: 5 / 2872.

4 الكشف: 3 / 546. وينظر: المحرر الوجيز: 4 / 389.

الآخرة وذكر السلام لائحة هو الدليل على الحُسْنات فـإِنَّ مَنْ لَقِيَ غَيْرَهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ دَلَّ عَلَى
المُصَافَّةَ بِيَتْهُمَا وَإِنْ لَمْ يُسَلِّمْ دَلَّ عَلَى الْمُنَافَّةِ وَقَوْلُهُ: يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ أَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَذَلِكَ
لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي دُنْيَاهُ غَيْرُ مُقْبِلٍ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى اللَّهِ وَكَيْفَ وَهُوَ حَالَةٌ نَوْمٌ غَافِلٌ عَنْهُ وَفِي
أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ مَشْغُولٌ بِتَحْصِيلِ رِزْقِهِ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلَا شُغْلٌ لِأَحَدٍ يَتَّهِيَّهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ
فَهُوَ حَقِيقَةُ الْلَّقَاءِ،...، وَقَوْلُهُ: تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ مُنَاسِبٌ لِحَالِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَمَّا
ذَكَرُوا اللَّهَ فِي دُنْيَاهُمْ حَصَلَ لَهُمْ مَعْرِفَةٌ وَلَمَّا سَبَحُوهُ تَأَكَّدَتِ الْمَعْرِفَةُ حَيْثُ عَرَفُوهُ كَمَا
يَتَبَغِي بِصِفَاتِ الْجَلَالِ وَتَعُوتُ الْكَمَالُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ حَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَأَخْسَنَ إِلَيْهِمْ
بِالرَّحْمَةِ¹). وبين النسفي أن السلام هنا من تحيي الله تعالى للمؤمنين، لأن المصدر تحيي
أضيف هنا إلى المفعول أي تحيي الله لهم سلام². وربط الطاهر بن عاشور بين المكان
والتحية من أجل وضع منزلة التحية في موضعها من الصورة التي ترسمها الآيات الكريمة
لذلك اليوم المشهود، قال: ((كَانَتْ تَحِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ السَّلَامُ بِشَارَةً بِالسَّلَامَةِ
مِمَّا يُشَاهِدُهُ النَّاسُ مِنَ الْأَهْوَالِ الْمُتَشَظَّرَةِ. وَكَذِلِكَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَتَّهِيُّهُمْ ثَلَاثًا يَاسِنُ
مَا هُمْ فِيهِ مِنَ السَّلَامَةِ مِنْ أَهْوَالِ أَهْلِ الثَّارِ،...، وَإِضَافَةُ التَّحِيَّةِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْ إِضَافَةِ اسْمِ الْمَصْدِرِ إِلَى مَفْعُولِهِ، أَيْ تَحِيَّةٌ يَتَّهِيُّونَ بِهَا))³.

ومن هذا النوع قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا هُبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَدُرَيْاتِنَا
قُرْئَةً أَعْتَنِ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمامًا (74) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيَلْقَوْنَ فِيهَا
تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75) خَالِدِينَ فِيهَا حَسِّنَتْ مُسْتَقْرَأً وَمُقَاماً (76)) [الفرقان 74-76]، فقد
فرق الزخشي بين التحية والسلام هنا تفريقاً دقيقاً مستنبطاً من الأصل اللغوي لكلِّ
منهما، فجعل التحية دعاء بالتعمير في تفسيرها: ((والتحية: دعاء بالتعمير. والسلام:
دعاء بالسلامة، يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم. أو يحيى بعضهم ببعضاً

1 مفاتيح الغيب: 25 / 172-173. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: 14 / 199.

2 مدارك الترتيل: 3 / 35.

3 التحرير والتنوير: 22 / 51.

ويسلم عليه أو يعطون التبقة والتخليد مع السلامة عن كل آفة¹). وقد أفاد الرازبي ما كلام الزمخشري السابق، ووظفه توظيفاً لطيفاً ارجع فيه التعبير بان أصحاب الجنة يلقون تبقة وسلاماً إلى أن معنى التبقة الدعاء بالتعمير وهذا يناسب سياق الثناء والإثابة لأن منقطع والى معنى السلام من السلام والصحة وهذا يناسب سياق الثناء والإثابة لأن الجنّة نعيم خالص من الشوائب، قال: ((وَالثَّجِيْهُ الدُّعَاءُ بِالْتَّعْمِيرِ وَالسَّلَامُ الدُّعَاءُ بِالسَّلَامَةِ، فَيَرْجِعُ حَاصِلُ الثَّجِيْهِ إِلَى كَوْنِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ بِأَقِيْمَا غَيْرَ مُنْفَطِعٍ، وَيَرْجِعُ السَّلَامُ إِلَى كَوْنِ ذَلِكَ النَّعِيمِ خَالِصًا عَنْ شَوَّابِ الضَّرَرِ، ثُمَّ هَذِهِ الثَّجِيْهُ وَالسَّلَامُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ،...، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ،...، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ))². وقد عالج الطاهر بن عاشور الدلالات البلاغية التي تضمنها التعبير في قوله تعالى: يلقون فيها تبقة وسلاماً، قال: ((وَقَدْ اسْتَعْيَرَ اللُّقِيُّ لِسَمَاعِ الثَّجِيْهِ وَالسَّلَامِ، أَيْ أَهُمْ يَسْمَعُونَ ذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى بَاسِ أَوْ يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ بَاسٌ بَلْ هُمْ مُصَادِفُونَ تَحْيَةً إِكْرَامٍ وَثَنَاءً مِثْلَ تَحْيَاتِ الْعَظِيمَاءِ وَالْمُلُوكِ الَّتِي يُرْتَلُهَا الشُّعُرَاءُ وَالْمُشْدِدُونَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِطْلَاقُ اللُّقِيِّ لِسَمَاعِ الْفَاظِ الثَّجِيْهِ وَالسَّلَامِ لِأَجْلِ الْأَيَّامِ إِلَى أَهُمْ يَسْمَعُونَ الثَّجِيْهَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَلْقَوْنَهُمْ بِهَا، فَهُوَ مَجَازٌ بِالْحَدْفِ قَالَ تَعَالَى: (وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمَكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) في سُورةِ الْأَيَّامِ 3)).

ومنه السلام على من اتبع الهدى في قوله تعالى: (اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخْرُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَبِأْ فِي ذَكْرِي) (42) اذهبوا إلى فرعون إنّه طغى (43) فقولا له قوْلًا لَيْنَا لَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ

1 الكشاف: 3 / 297. وينظر: جامع البيان: 19 / 321، ومعالم التنزيل: 3 / 460، والمحرر الوجيز: 4 / 223، وزاد المسير: 3 / 332، وأنوار التنزيل: 4 / 132، ومدارك التنزيل: 2 / 552، والجامع لأحكام القرآن: 4 / 13، والبحر المحيط: 8 / 487، وروح المعاني: 10 / 53، وعاشر الناوي: 7 / 446، وتفسير الشعراوى: 17 / 10527.

2 مفاتيح الغيب: 24 / 488.

3 التحرير والتنوير: 19 / 85.

يَخْشِي (44) قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعْكُمَا أَسْمَعُ وَأَرِي (46) فَأَتَيْاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولاً رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ حِينَاكَ يَا يَةَ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّ (48) ([طه: 42-48]), التي تحتمل من ظاهر لفظها التحية والسلامة، ودليل ذلك أن الفراء فسر السلام هنا بمعنى السلامة، قال: ((يريد: والسلامة على من اتبع المدى))¹. واستدل الزجاج على أن السلام هنا ليس بمعنى التحية بأنه لم يأت ابتداء وإنما جاء ضمناً، قال: ((ليس يعني به التحية، وإنما معناه أن من اتبع المدى سلم من عذاب الله وسخطه والدليل على أنه ليس بسلام أنه ليس ابتداء لقاء وخطاب))². في حين ذهب ابن عطية إلى أنها تحتمل معنى التحية، قال: ((وقوله عليه السلام من اتبع المدى يحتمل أن يكون آخر كلام وفصله فيقوى أن يكون السلام بمعنى التحية كأنهما رغبا بها عنه وجريا على العرف في التسليم عند الفراغ من القول فسلمما على متبوع المدى وفي هذا توبين له، وعلى هذه الجهة استعمل الناس هذه الآية في مخاطبتهم ومحاوراتهم ويحتمل أن يكون في درج القول متصلًا بقوله إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا فيقوى على هذا أن يكون خبراً بأن السلامة للمهتدين، وهذا المعنى قال كل واحد منهم فرقه، لكن دون هذا التلخيص، وقالوا السلامُ بمعنى السلامة وعلى بمعنى السلام أي: (السلام ل من اتبع المدى) ولما فرغ من المقالة التي أمر بها عن قوله وَتَوَلَّ خاطبهما)³. وتبنى الطاهر بن عاشور انه بمعنى السلامة لأنه موجها إلى شخص

1 معاني القرآن للفراء: 2/ 180. وينظر: جامع البيان: 18/ 315.

2 معاني القرآن وإعرابه: 3/ 358، وينظر: التفسير الوسيط: 3/ 209، ومعالم التنزيل: 3/ 263، وزاد المسير: 3/ 161، ومفاتيح الغيب: 22/ 55، ومدارك التنزيل: 2/ 367، والجامع لأحكام القرآن: 11/ 203، والبحر الحيط: 7/ 339، والدر المصنون: 8/ 45، والباب في علوم الكتاب: 13/ 260، وروح المعاني: 8/ 512.

3 المحرر الوجيز: 4/ 46. وينظر: آثار التنزيل: 4/ 29، والبحر الحيط: 7/ 339، والباب في علوم الكتاب: 13/ 260، وتفسير الشعراوي: 15/ 9283.

مقصود بالتحية، قال: ((والسلام: السلام والكرام. وليس المراد به هنا التحية، إذ ليس ثم معين يقصد بالتحية. ولما يراد تحية فرعون لأنها إنما تكون في ابتداء المواجهة لا في أثناء الكلام،...، و(على) للتمكّن، أي سلام من أئب الهدى ثابت لهم دون رب))¹.

وجاء السلام على لسان عباد الرحمن في ردهم على ما يخاطبهم به الجاهلون في قوله تعالى: (وعيادة الرحمن الذين يمشون على الأرض هؤلئك إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً (63)) [الفرقان 63]، وتفسيره أن المؤمنين قوم ذليل، ذلت منهم الله الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مرضى، وهم أصحاب القلوب، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالأخرة، فإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، أي قالوا: سدادا². ورأى الرازمي أن السلام أقيم هنا مقام التسليم، وقد وجد في قوله: (قالوا سلاماً) دلالات عدة محتملة، منها أن يكون مرادهم طلب السلام أو التنبية على سوء خلقهم، أو أراد الموازنة بين الحالين، قال: ((معناه لاجاهلوكم ولآخرين يتتنا ولآشرأ أي سلم منكم سليمان، فأقيم السلام مقام التسليم، ثم يتحمل أن يكون مرادهم طلب السلام والسكوت، ويتحمل أن يكون مرادهم الشدة عن طريق المعاملة، ويتحمل أن يكون المراد إظهار الحلم في مقابلة الجهل))³. وحمل القاسمي السلام في الآية على أنه تحية يستعملها عباد الله المتواضعين في الرد على الجهال لأنها من لطيف الكلام، قال: ((أي إذا خاطبهم السفهاء بالقول السريع لم يقابلوا لهم بمثله، بل قالوا كلاما فيه سلام من الإيذاء والإثم. سواء كان بصيغة السلام كقولهم

1 التحرير والتنوير: 16 / 23 ، وينظر: تفسير الشعراوي: 15 / 9283.

2 ينظر: جامع البيان: 19 / 295، ومعاني القرآن وإعرابه: 4 / 74، ومعاني القرآن للنحاس: 5 / 46، والتفسير الوسيط: 3 / 345، والنكت في القرآن الكريم: 364، ومعالم التنزيل: 3 / 455، وال Kashaf: 3 / 291، والمحرر الوجيز: 4 / 218، وأنوار التنزيل: 4 / 130، ومدارك التنزيل: 2 / 548، والجامع لأحكام القرآن: 13 / 69، والبحر الخبيط: 8 / 127، والباب في علوم الكتاب: 14 / 564، وبصائر ذوي التمييز: 3 / 253.

3 مفاتيح الغيب: 24 / 481

(سلام عليكم) ، أو غيرها مما فيه لطف في القول أو عفو أو صفح. كظم للغيفظ)¹. وأفاد الطاهر بن عاشور مما يتيحه السياق من دلالات فجاز أن يكون سلام تحية أو معنى السلامة، وبين معنى الآية في الحالين وما تؤدي إليه من معانٍ؛ يتسع معها فضاء النص الكريم من غير فسر أو إفحام، قال: ((والسَّلَامُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا بِمَعْنَى السَّلَامَةِ، أَيْ لَا خَيْرَ يَبْتَئِنُ وَلَا شَرًّا فَتَخْنُ مُسْلِمُونَ مِنْكُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ لِفَظُ التَّحْيَةِ فَيَكُونُ مُسْتَعْمَلًا فِي لَازِمِهِ وَهُوَ الْمُتَارِكَةُ لِأَنَّ أَصْلَ اسْتِعْمَالِ لِفَظِ السَّلَامِ فِي التَّحْيَةِ أَنَّهُ يُؤْذِنُ بِالثَّائِمِينَ، أَيْ عَدْمِ الْإِهَاجَةِ، وَالثَّائِمِينُ: أُولُو مَا يَلْقَى بِهِ الْمَرْءُ مَنْ يُرِيدُ إِكْرَامَهُ، فَتَكُونُ الْآيَةُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ (وَإِذَا سَمِعُوا الْلُّغُوْ أَغْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَاهِلِيَّنَ) [القصص 55]).²

وقد وقع السلام مستثنى من اللغو في قوله تعالى: (جَنَّاتٍ عَدْنَ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدَهُ مَأْتِيَا) (61) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَى سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (62) [مريم 61-62] ، وقد وجَّه الفراء استثناء السلام من اللغو، هنا، على أنه من الاستثناء المنقطع، ونصبه على البديل منه، قال: ((فهذا كالاستثناء الذي ليس من أول الكلام. وهذا على البديل إن شئت كانه لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا إِلَّا سَلَاماً))³ . ورأى الزجاج أن معنى الاستثناء في الآية الكريمة أنهم لا يسمعون إلا السلام، قال: ((اللغو ما يلغى من الكلام ويؤثم فيه، و (سلاماً) اسم جامع للخير مُتَضَمِّنٌ للسلامة، فالمعنى أن أهل الجنة لا يسمعون إلا ما يُسَلِّمُهُمْ))⁴ . في حين ذكر البغوي معاني للسلام ، قال: ((وَالسَّلَامُ اسْمٌ جَامِعٌ لِلْخَيْرِ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ السَّلَامَةَ، مَعْنَاهُ أَنَّ

1 محسن التأويل: 7 / 436.

2 التحرير والتنوير: 19 / 69.

3 معاني القرآن للأخفش: 2 / 439 . وينظر: جامع البيان: 7 / 115.

4 معاني القرآن وإعرابه: 3 / 337، وينظر: معاني القرآن للنحاس: 4 / 342، والتفسير الوسيط: 3 / 189،

ومعلم التنزيل: 3 / 240، وزاد المسير: 3 / 139، والجامع لأحكام القرآن: 11 / 126.

أهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَسْمَعُونَ مَا يُؤْتَمُهُمْ، إِنَّمَا يَسْمَعُونَ مَا يُسَلِّمُهُمْ. وَقَيْلٌ: هُوَ تَسْلِيمٌ بِعَضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَتَسْلِيمٌ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمْ. وَقَيْلٌ: هُوَ تَسْلِيمُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بَكْرَةً وَعَشِيًّا¹). وَاحْتَمَلَ الزَّخْشَرِيُّ لِلْإِسْتِنَاءِ السَّلَامَ مِنَ الْلُّغُوِ احْتِمَالَاتٍ دَلَالِيَّةٍ يَقْبِلُها التَّرْكِيبُ وَلَا يَوْجِدُ دَلِيلًا عَلَى رَفْضِ بَعْضِهَا، قَالٌ: ((اللُّغُوُ: فَضْلُوُ الْكَلَامِ وَمَا لَا طَائِلٌ لَهُ تَحْتَهُ. ، ، ، أَيٌّ: إِنْ كَانَ تَسْلِيمٌ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ أَوْ تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ لَغْوًا، فَلَا يَسْمَعُونَ لَغْوًا إِلَّا ذَلِكُ، ، ، ، أَوْ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا إِلَّا قَوْلًا يَسْلِمُونَ فِيهِ مِنَ الْعِيبِ وَالنَّقِيْصَةِ، عَلَى الْإِسْتِنَاءِ الْمُنْقَطِعِ. أَوْ لَأَنَّ مَعْنَى السَّلَامِ هُوَ الدُّعَاءُ بِالسَّلَامَةِ. وَدارَ السَّلَامُ: هِيَ دَارُ السَّلَامَةِ، وَأَهْلُهَا عَنِ الدُّعَاءِ بِالسَّلَامَةِ أَغْنِيَاءُ، فَكَانَ ظَاهِرُهُ مِنْ بَابِ الْلُّغُوِ وَفَضْلُوِ الْحَدِيثِ، لَوْلَا مَا فِيهِ مِنْ فَائِدَةِ الْإِكْرَامِ))². وَبَيْنَ الزَّرْكَشِيِّ، وَتَابِعِهِ الْأَلْوَسِيِّ، أَنَّ الْغَرْضَ مِنَ هَذَا الْإِسْتِنَاءِ هُوَ التَّوْكِيدُ³. وَرَجَعَ الشَّيْخُ حَمْدُ رَشِيدُ رَضَا إِنَّ الْمَرَادَ بِالسَّلَامِ فِي الْآيَةِ سَلَامٌ أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالٌ: ((فَإِنَّ الْلُّغُوَ وَالثَّائِمَ مِنْ شَأنِ كَلَامِ الْبَشَرِ، فَلَمَّا نَفَى وَقُوَّعَهُمَا مِنْهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَاسْتَدْرَكَ عَلَى نَفِيَّهُ بِاسْتِنَاءِ كَلِمَةِ سَلَامٍ مُنْقَطِعًا، تَرَجَّحَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ سَلَامٌ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ أَوْ عَامًا يَشْمَلُهُ))⁴. وَقَرَأَ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورَ فِي هَذَا الْإِسْتِنَاءِ اسْتِعْمَالًا مُجَازِيًّا لِتَوْكِيدِ الشَّيْءِ بِضَدِّهِ أَوْ مَا يُشَبِّهُهُ، قَالٌ: ((وَاللُّغُوُ: فَضْلُوُ الْكَلَامِ وَمَا لَا طَائِلٌ لَهُ تَحْتَهُ. وَإِنْفَاقَةُ كِتَابَةٍ عَنِ اتِّيقَاءِ أَقْلَى الْمُكَدَّرَاتِ فِي الْجَنَّةِ، ، ، ، وَكِتَابَةٌ عَنْ جَعْلِ مَحَازِّهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ بِضَدِّهِ

1 معلم التنزيل: 3 / 241.

2 الكشاف: 3 / 27. وينظر: مفاتيح الغيب: 21 / 553، وأنوار التنزيل: 4 / 15، ومدارك التنزيل: 2 / 344، والبحر الخبيط: 7 / 280، والبرهان في علوم القرآن: 3 / 48، وإرشاد العقل السليم: 8 / 192، ومحاسن التأويل: 7 / 106.

3 البرهان في علوم القرآن: 3 / 48، وروح المعاني: 14 / 139.

4 تفسير المنار: 11 / 253، وينظر: في ظلال القرآن: 4 / 2315.

ما كَانُوا يُلَاقُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَلَغُوْهُمْ. وَقَوْلُهُ إِلَّا سَلَامًا اسْتِبْشَأْ مُنْقَطِعٌ
وَهُوَ مَجَازٌ مِنْ تَأْكِيدِ الشَّيْءِ بِمَا يُشَبِّهُ ضِيَّةً ،...، أَيْ لَكِنْ يَسْمَعُونَ سَلَامًا) ¹.

ورود السلام مستثنى من اللغو والتائيم في موضع آخر أيضاً في قوله تعالى:
(جزءاً بما كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغُوا وَلَا تَأْثِيمَا (25) إِلَّا قِيلَا سَلَامًا
سَلَامًا (26)) [الواقعة: 24-26]، ولكن التركيب الذي جاء فيه السلام هنا مختلف عن
تركيب الآية السابقة، وقد انفتح هذا البناء النحووي عند الزجاج إلى دلالتين نحويتين؛
الأولى: أن يكون السلام هنا نعتاً للقيل السابق، والثانية: أن يكون السلام مفعولاً مطلقاً،
قال: ((لا يسمعون إِلَّا قِيلَا سَلَامًا سَلَاماً، منصوبٌ من جهتين إحداهما أن يكون من
نعتٍ لـ (قِيلَا)، فيكون المعنى لا يسمعون إلا قيلاً يسلم فيه من اللغو والإثم. والوجه
الثاني أن يكون (سَلَاماً) منصوباً على المصدر، فيكون المعنى لا يسمعون فيها إلا أن
يقول بعضهم لبعض سَلَاماً سَلَاماً. ودليل هذا قوله تعالى: (تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ)) ². وزاد
الرازي عليه وجهاً نحوياً آخر مما ينبغي عليه معنى جديد، فذكر في توجيهه ثلاثة أوجه في
المَسَأَلَةِ السَّادِسَةِ التي خصصها لتوجيه لفظ (سَلَاماً) في الآية؛ ((أَحَدُهَا: أَنَّهُ صِفَةٌ
وَصِفَتُ اللهُ تَعَالَى بِهَا قِيلَا كَمَا يُوصَفُ الشَّيْءُ بِالْمَصْدَرِ حَيْثُ يُقَالُ: رَجُلٌ عَذْلٌ، وَقَوْمٌ
صَوْمٌ، وَمَعْنَاهُ إِلَّا قِيلَا سَالِمًا عَنِ الْعَيْوَبِ، وَثَانِيَهَا: هُوَ مَصْدَرٌ تَقْدِيرٌ، إِلَّا أَنْ يَقُولُوا سَلَاماً
وَثَالِثَهَا: هُوَ بَدْلٌ مِنْ قِيلَا، تَقْدِيرٌ: إِلَّا سَلَاماً)) ³. وعالج أمراً طيفاً في بناء الآية الكريمة
أيضاً؛ وهو تكرار السلام فيها، وهو ما اختلفت به هذه الآية عن سابقتها، وقد خصص
المَسَأَلَةِ السَّابِعَةِ لبيان دلالة تكريره، وهي أنَّ في هذا التكرير ((إِشارةٌ إِلَى تَمَامِ النُّغْمَةِ،
وَذَلِكَ لِأَنَّ أَئِرَ السَّلَامِ فِي الدُّنْيَا لَا يَتَمَمُ إِلَّا بِالْتَّسْلِيمِ وَرَدَ السَّلَامِ، فَكَمَا أَنَّ أَحَدَ الْمُتَلَاقِينَ
فِي الدُّنْيَا يَقُولُ لِلآخرِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَيَقُولُ الْآخَرُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، فَكَذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ

1 التحرير والتنوير: 16 / 138.

2 معاني القرآن واعرابه: 5 / 112.

3 مفاتيح الغيب: 29 / 403.

يقولون: (سلاماً سلاماً ثم إلهٔ تعالى لَمَا قَالَ: سلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ [يس: 58]) لم يكن له ردٌ لأنَّ سُلْطَنَ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ مُؤْمِنٌ لَهُ، فَأَمَّا اللَّهُ تَعَالَى فَهُوَ مُنْزَهٌ عَنْ أَنْ يُؤْمِنَهُ أحدٌ، بَلِ الرُّدُّ إِنْ كَانَ فَهُوَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِ: سلامٌ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ) ¹. ثم وازن الرازي في المسألة الثالثة بين قوله تعالى: (سلاماً سلاماً) يتصبّهُما، وبين قوله تعالى: (قالوا سلاماً قال سلام [هود: 69]), فيبيّن ((أنَّ قَوْلَهُ: سلامٌ عَلَيْكَ أَئُمُّ وَأَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِمْ سلاماً عَلَيْكَ، فَبَرَّاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِالذِّكْرِ وَيُجَيِّبُهُمْ بِالْأَخْسَنِ مَا حَيَّوْا، وَأَمَّا هُنَّا فَلَا يَتَفَضَّلُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى الْآخَرِ مِثْلَ التَّفَضُّلِ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ إِذْ هُمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَلَا يَشْبُهُ أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ تَقْصِيرًا)) ². وعالج سبب جيءٌ سلام هنا بحالة النصب في حين أنَّ الإبلاغ في السلام أن يكون مرفوعاً، فارجع ذلك إلى الاختلاف بينهما من حيث اللفظ والمعنى، ((أَمَا الْفَظُّ فَلِإِنَّهُ يُسْتَشَنُ مِنَ الْمَسْنُوعِ وَهُوَ مَفْعُولٌ مَنْصُوبٌ، فَالْتَّصْبِطُ بِقَوْلِهِ: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَأَمَّا الْمَعْنَى فَلِإِنَّا يَبَيِّنُ أَنَّ الْإِسْتِشَاءَ مَتَّصِلٌ، وَقَوْلُهُمْ: سلامٌ أَبْعَدُ مِنَ اللَّغْوِ مِنْ قَوْلِهِمْ: سلاماً فَقَالَ: إِنَّا قِيلَا سلاماً لِيَكُونَ أَقْرَبٌ إِلَى اللَّغْوِ مِنْ غَيْرِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ بَعِيداً عَنْهُ)) ³. وقد أدى الشيخ الطاهر بن عاشور بدلوه في تحليل طريقة بناء هذه الآية وربطه بما يحيل عليه هذا البناء من دلالات، قال: ((وَسَلَامًا الْأَوَّلُ مَقُولٌ قِيلًا أَيْ هَذَا الْفَظُّ الَّذِي تَكْرِيرُهُ: سَلَمْنَا سَلَامًا، فَهُوَ جُمْلَةٌ مَحْكَيَّةٌ بِالْقَوْلِ. وَسَلَامًا الثَّانِي تَكْرِيرٌ لـ (سلاماً) الْأَوَّلُ تَكْرِيرًا لَيْسَ لِلتَّأكِيدِ بَلْ لِإِفَادَةِ التَّعَاقِبِ، أَيْ سَلَامًا إِثرَ سَلَامٍ،، أَوْ مُشَارًا بِهِ إِلَى كُثْرَةِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مُؤْذنٌ مَعَ الْكَرَامَةِ بِأَنَّهُمْ مُعَظَّمُونَ مُبَجَّلُونَ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْوَجْهَيْنِ أَنَّ الْأَوَّلَ يُفِيدُ التَّكْرِيرَ بِتَكْرِيرِ الْأَرْضَمَةِ، وَالثَّانِي يُفِيدُ التَّكْرِيرَ بِتَكْرِيرِ الْمُسْلِمِينَ. وَهَذَا الْقِيلُ يَتَلَقَّوْنَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِالْجَنَّةِ، ...، وَيَتَلَقَّاهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، ...، وَإِنَّمَا جيءٌ

1 نفسه: 29 / 403

2 نفسه: 29 / 403

3 نفسه: 29 / 403

بِلْفَظِ: سَلَامًا مَنْصُوبًا دُونَ الرَّفِيعِ مَعَ كَوْنِ الرَّفِيعِ أَذْلَى عَلَى الْمُبَالَغَةِ ،...، لِأَنَّهُ أَرِيدَ جَعْلَهُ بَدَلًا مِنْ قِيلَا))¹.

وورد السلام في القرآن الكريم على المؤمنين من أصحاب اليمين في قوله تعالى: (فَإِنَّمَا إِنَّ كَانَ مِنَ الْمُقْرَرِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ (89) وَأَمَّا إِنَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) ([الواقعة: 88-91])، وقد فسره القراء بأن معناه أنك مسلم لك أنك من أصحاب اليمين، قال: ((أي: فذلك مسلم لك أنك من أصحاب اليمين))². وذكر الطبرى أن فيه اختلافا ففسر على معنى أنه: سلام من عند الله، وسلمت عليه ملائكة الله، أو بمعنى : سلم ما يكره³. وجعله الزجاج بمعنى السلامة في أصحاب اليمين، قال: ((أنك ترى فيهم ما تحب من السَّلَامَةِ وقد علمت ما أَعِدَّ لَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ))⁴. في حين ذهب الزخشري إلى أنه من باب التحية، قال: ((فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ أي: فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين، أي: يسلمون عليك، كقوله تعالى إِنَّا قِيلَا سَلَاماً سَلَاماً))⁵. وقد لمس ابن عطية في هذا السلام مدحًا ودلالة على حصولهم على أعلى المراتب، كما توقف على اختلاف المفسرين في عائد الضمير(الكاف) من (لك)، قال: ((عبارة تقضي جملة مدح وصفة تخلص وحصول في عال من المراتب ليس في أمرهم إلا السلام والنجاة من العذاب، وهذا كما تقول في مدح رجل: أما فلان فناهيك به، أو فحسبك أمره، فهذا يقتضي جملة غير مفصلة من مدحه، وقد اضطررت عبارات المتأولين في قوله تعالى:

1 التحرير والتنوير: 27 / 297.

2 معاني القرآن للقراء: 3 / 131.

3 جامع البيان: 23 / 162 .

4 معاني القرآن وإعرابه: 5 / 118. وينظر: النكت في القرآن الكريم: 482، ومعالم التنزيل: 5 / 23، وأنوار التنزيل: 5 / 184، ومدارك التنزيل: 3 / 431، واللباب في علوم الكتاب: 18 / 447، ومعترك الأقران: 3 / 110، وارشاد العقل السليم: 8 / 202، وروح المعاني: 14 / 159.

5 الكشاف: 4 / 470.

فَسَلَامٌ لَكَ فَقَالَ قَوْمٌ: الْمَعْنَى: فِي قَوْلِهِ مُسْلِمٌ لَكَ إِنْكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ،...، وَقِيلَ
الْمَعْنَى فَسَلَامٌ لَكَ يَا مُحَمَّدًا، أَيْ لَا تَرَى فِيهِمْ إِلَّا الْمُسَالَةُ مِنَ الْعَذَابِ، فَهَذِهِ الْكَافُ فِي ذَلِكَ
إِمَّا أَنْ تَكُونَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الْأَظَهَرُ، ثُمَّ لِكُلِّ مُعْشَرِ فِيهَا مِنْ أُمَّتِهِ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ
لِمَنْ يُخَاطِبُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَغَيْرُ هَذَا مَا قِيلَ تَكْلِيفًا¹). وَذَكَرَ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِ
السَّلَامِ فِي الْآيَةِ ثَلَاثَةُ أُوْجَهٍ أَوْلُهَا: أَنَّ يُسَلِّمُ بِهِ صَاحِبُ الْيَمِينِ عَلَى صَاحِبِ الْيَمِينِ.
وَثَانِيَهَا: فَسَلَامٌ لَكَ مَعْنَاهُ هُنَا سَلَامًا لَكَ مِنْ أَمْرٍ خَافَ قَلْبُكَ مِنْهُ فَإِنَّهُ فِي أَعْلَى
الْمَرَاتِبِ. وَثَالِثُهَا: أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ تُفِيدُ عَظَمَةَ حَالِهِمْ كَمَا يُقَالُ: فَلَمَّا نَاهَيْتُكَ يَهُ، وَحَسَبْتَكَ
أَنَّهُ فُلَانٌ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ مَمْدُوحٌ فَوْقَ الْفَضْلِ². وَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ الْخَطَابُ فِي سَلَامٍ لَكَ
مُوجَهًا إِلَى الرَّسُولِ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ³. وَقَرَأَ الشَّيْخُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورَ السَّلَامَ فِي
الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فَجَعَلَهَا جَمْلَةً جَارِيَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ اسْتَبَطَ مِنَ الْاِحْتِمَالَاتِ الَّتِي أُورِدَهَا
الْمُفْسِرُونَ فِي الْفَصِيرِ: الْكَافُ مِنْ (لَكَ) مَعَانٍ اسْتَشْرَفَ مِنْهَا دَلَالَةُ السَّلَامِ فِيهَا عَلَى
الرُّفْعَةِ وَالْتَّكْرِيمِ، قَالَ: ((وَالسَّلَامُ: اسْتَمْ لِلسَّلَامَةِ مِنَ الْمُكْرُوِهِ، وَيَطْلُقُ عَلَى التَّحْيَةِ،
وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: لَكَ لِلَاخْتِصَاصِ. وَالْكَلَامُ إِجْمَاعًا لِلتَّثْوِيَةِ بِهِمْ وَعَلُوِّ مَرَبِّيَتِهِمْ وَخَلَاصِهِمْ
مِنَ الْمُكَدِّرَاتِ لِتَذَهَّبَ نَفْسُ السَّامِعِ كُلَّ مَذَهَبٍ. وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ: فَسَلَامٌ
لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَقِيلَ: كَافُ الْخَطَابُ مُوجَهٌ لِغَيْرِ مُعَيْنٍ، أَيْ لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ
هَذَا الْخَبَرَ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ السَّلَامَةَ الْحَاضِلَةَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ شَرُّ مَنْ يَتَلَقَّهُ أَمْرُهَا. ،...،
وَاللَّفْظُ جَرَى مَجْرَى الْمَكَلِ فَطُوِيَّ مِنْهُ بَعْضُهُ، وَأَصْنَلَهُ: فَلَهُمُ السَّلَامَةُ سَلَامَةٌ شَرُّ مَنْ بَلَغَهُ
حَدِيثُهَا. وَقِيلَ: الْخَطَابُ لِلَّبَيِّنِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرِيرُ الْمَعْنَى كَمَا تَقْدِمُ لِأَنَّ
الَّبَيِّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْرَّ بِمَا يَنَالُهُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْكَرَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَهُمْ مِمَّنْ

1 المحرر الوجيز: 5 / 254. وينظر: زاد المسير: 4 / 231، والجامع لأحكام القرآن: 17 / 233، والبحر المحيط: 9 / 10.

2 ينظر: مفاتيح الغيب: 29 / 438.

3 ينظر: نفسه: 29 / 438-439، وروح المعاني: 14 / 160، وعasan التاویل: 9 / 134-135.

شَمَلَهُمْ لفظُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . وَقَوْلُهُ: الْكَلَامُ عَلَى تَقْدِيرِ الْقَوْلِ ، أَيْ فَيَقَالُ لَهُ: سَلَامٌ لَكَ ، أَيْ تَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ ، ... ، فَهِيَ بِشَارَةٍ لِلْمُخَاطِبِ عِنْدَ الْبَغْثِ ، ... ، وَقَوْلُهُ: الْكَافُ خطَابٌ لِمَنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِلْتِفَاتِ . وَمُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُقَالُ: فَسَلَامٌ لَهُ ، فَعَدَلَ إِلَى الْخَطَابِ لِاستِخْضَارِ تِلْكَ الْحَالَةِ الشَّرِيفَةِ ، أَيْ فَيَسْلُمُ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْيَمِينِ ، ... ، وَهَذَا كِتَابَةٌ عَنْ كَوْنِهِ مِنْ أَهْلِ مَنْزِلَتِهِمْ ، ... ، فَهَذِهِ مَحَاجِلٌ لِهَذِهِ الْآيَةِ يُسْتَخلِصُ مِنْ مَجْمُوعِهَا مَعْنَى الرُّفْعَةِ وَالْكَرَامَةِ)¹ .

هـ . سلام المؤمنين على الأنبياء: ورد التسليم على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا) [الأحزاب 56]، فقد جعل الطبرى السلام في الآية من باب التحية، وغايتها الدعاء للرسول، قال: ((يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا ادعوا النبي الله محمد صلى الله عليه وسلم (وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا) يقول: وحيوه تحية الإسلام))². وقد أكد الواحدى هذا الفهم للسلام، هنا، قال: ((ادعوا له بالغفرة واستغروا له، وسلمو تسليما قولوا: السلام عليك أيها النبي))³. وقد بين الرازى دلالة الصلاة على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وانه ليس به حاجة إليها؛ إذ لا حاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه، كما أن الله تعالى أوجب علينا ذكر نفسيه ولنا حاجة له إليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه مثنا شفقة علينا ليثيبنا عليه⁴. وتوقف ابن القيم على أمر آخر في هذه الآية الكريمة وهو دلالة تأكيد السلام على الرسول دون الصلاة في قوله: (صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا) والحكمة فيه، وأجاب عن ذلك بأن المسلمين هنا مؤكdan بطريقتين مختلفتين، قال: ((التأكيد واقع على الصلاة والسلام وإن اختلفت

1 التحرير والتورير: 27 / 349

2 جامع البيان: 20 / 320

3 التفسير الوسيط: 3 / 481

4 ينظر: مفاتيح الغيب: 25 / 182

جهة التأكيد فإنه سبحانه أخبر في أول الآية بصلاته عليه وصلاة ملائكته عليه مؤكداً لهذا الإخبار بحرف (إن) غيراً عن الملائكة بصيغة الجمع المضاف إليه وهذا يفيد العموم والاستغراق فإذا استشعرت النقوس أن شأنه صلى الله عليه وسلم عند الله وعنده ملائكته هذا الشأن بادرت إلى الصلاة عليه وإن لم تؤمر بها ،...، فلم يمتنع إلى تأكيد الفعل بالمصدر. ولما خلا السلام عن هذا المعنى وجاء في حيز الأمر المجرد دون الخبر حسن تأكيده بالمصدر؛ ليدل على تحقيق المعنى وتشييه ويقوم تأكيد الفعل مقام تكريره كما حصل التكرير في الصلاة خبراً وطلبًا فكذلك حصل التكرير في السلام فعلاً ومصدراً فتأمله فإنه بديع جداً) ¹.

الخاتمة والنتائج :

كان المهد الأأساسي من هذا البحث رسم صورة متكاملة تكشف عن معاني السلام وجماليات استعماله في النص القرآني، بوصفه التحية الإسلامية، وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج؛ منها نتائج عامة، وأهمها أن البحث قدّم دراسة تحليلية عن السلام في القرآن الكريم مفيداً من جهود المفسرين وقراءاتهم للنص الكريم، وقد توصل البحث -في أثناء سعيه من أجل تحقيق هذا الهدف الرئيس- إلى نتائج فرعية أخرى؛ منها أن العبارة المستعملة في التحية الآن وهي: (السلام عليكم) هي تحية إسلامية دفع النص الديني : القرآني والحديثي باتجاهيتها والتشجيع على استعمالها دون غيرها؛ لتكون إحدى الخصائص المميزة للدين الإسلامي والجماعة الإسلامية، وهو أمرٌ يحتاج إليه الإسلام والمسلمون آنذاك، ومن ثمَّ فقد ألمات هذه التحية الإسلامية الجديدة ما كان موجوداً من تحايا في ذلك الوقت وحلّت محلها. وقد تبين من البحث أن المفسرين وزانوا لغوياً بين التحية الإسلامية وغيرها من التحايا؛ كما وزانوا بين لفظ السلام

1 بداع الفوائد: 2/ 188.

والتحية فبینوا أنَّ في السلام مزية على التحية؛ لأنَّه دعاء بالسلامة من الآفات الدينية والدنيوية فهو يستلزم طول الحياة وليس في التحية التي معناها الدعاء بطول الحياة هذا الأمر. ولذلك ارجعوا اختيار الإسلام إياها لما تفيده من دلالة تبعث على الأمان والطمأنينة. وكشف البحث كذلك عن الخصائص اللغوية للتحية الإسلامية من خلال موازنات المفسرين وتحليلاتهم العميقه ولاسيما ما وجدها عند ابن القيم والفارغ الرازى ووقفاتهم الدلالية الدقيقة والمعللة في اختيار لفظ السلام تحية للمسلمين، وتفضيل اسم المصدر (السلام) على المصدر وغيره من الصيغ، وقد تتبع البحث كثيراً من الملامح الدلالية التي اكتنفها علماء العربية للسلام القرآني في سياقاته التي حددتها البحث كالسلام الصادر منه سبحانه على آبيائه أو على عباده الصالحين وغير ذلك مما عالجته الدراسة. غير أننا نريد الإشارة هنا إلى أنَّ من أهم النتائج نتيجة تجمعت ملامحها من جزئيات البحث واستوت في ذهني من النظر الكلي إلى السلام وتمثيلاته ومتثلاته في القرآن كما عرض لها هذا البحث، وهي أنَّ عبارة التحية الإسلامية: السلام عليكم تتسم بسمات لغوية من حيث معاني ألفاظها المعجمية (السلام، والرحمة، والبركة)، ومن حيث بنيتها الصرفية، ومن حيث طريقة بناء تركيبها بين الابتداء والرد، وقابلية تعريفها وتنكيرها، وخبريتها التي تفيد الإنسانية بحسب القرائن، مما يتبع تنوعاً ومرنة في الاستعمال فيضفي على تلك التحية دلالات تتناسب والسياق الذي ترد فيه من غير وجود أو ثبات على قالب لغوي واحد. وقد ألهف البحث عن هذه السمات اللغوية والتنويعات التعبيرية في الاستعمال على النمط الأساسي، من آية إلى آية أخرى، جماليات التحية الإسلامية مما تكفل البحث بتقييدها كل في موضعه. ومن ثم فقد أتيح للتحية - لما فيها من سمات لغوية - أن تستعمل في سياقات متعددة تؤدي إلى معانٍ مختلفة؛ وهو ما

ظهر عند المفسرين، فتارة يكون السلام سلام تحيه، وتارة يكون سلام متاركة، وحيثما يكون سلام تكريماً وإثابة، وحيثما يكون بمعنى السلامة من العقوبة، وحيثما يكون من الأعلى على الأدنى ومرة يكون من الأدنى على الأعلى كما يكون من المتساوين، وغير ذلك مما يتضح في أثناء الدراسة. وهذا الأمر إنما نتج من أن التحية القرآنية هي جزء من النص القرآني المعجز، ومن ثم ، كان من الطبيعي أن تسم التحية فيه بالإعجاز والبلاغة في أعلى مراتبها.

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم.

- الإنقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تتح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة: 1974م.
- أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، نشر: رمادي للنشر - الدمام، الطبعة الأولى، 1418 - 1997م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تتح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998م.
- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الوحداني، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، تحقيق: عصام بن عبد الحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، الطبعة الثانية، 1412 هـ - 1992م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشقسطي (ت 1393هـ)، دار - بيروت، 1415 هـ - 1995م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر التحسس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوى (ت 338هـ)، عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ.
- إعراب القرآن المنسوب خطأ للزجاج، أبو الحسن نور الدين علي بن الحسين بن علي، جامع العلوم الأصفهاني الباقولي (ت 543هـ)، تتح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري - القاهرة ودار الكتب اللبناني - بيروت، الطبعة الرابعة - 1420 هـ.
- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، د. خالد ميلاد، جامعة منوبة، المؤسسة العربية - تونس، الطبعة الأولى، 2001.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685 هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ.
- البحر الخيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن جيان أثير الدين الأندلسى (ت 745 هـ)، تحقيق: صدقى محمد جليل، دار الفكر - بيروت، الطبعة 1420 هـ.
- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية (ت 751 هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، د.ط، د.ت.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشى (ت 794 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1376 هـ - 1957 م.
- بصائر ذوى التميز، مجدى الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817 هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ج: 1، 2، 3 سنة 1416 هـ - 1996 م، وج: 4، 5: 1412 هـ - 1992 م، وج: 6: 1393 هـ - 1973 م.
- ناج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت 1205 هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار المداية.
- البيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكري (ت 616 هـ)، تحقيق علي محمد البجاوى، مكتبة عيسى البابى الحلبي وشركاه - مصر.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393 هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 م.
- تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311 هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاد، دار الثقافة العربية، د. ط، د. ت.
- تفسير الراغب الأصفهانى بو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502 هـ)، ج: 1: تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيونى، نشر كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م، ج: 2، 3: تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشلبي، نشر: دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى: 1424 هـ - 2003 م، ج: 4، 5: تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زايد سردار، نشر: كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: 1422 هـ - 2001 م.

تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي (ت 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، مصر، 1997م.

تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلمونى الحسيني (ت 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

التفسير الوسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدى، النيسابورى، الشافعى (ت 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحد عبد الموجود، الشيخ علي محمد عوض، الدكتور أحد محمد صيرى، الدكتور أحد الغنى الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحى الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1994م.

تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري المروي، (ت 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربى - بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملی، الطبرى (ت 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000م.

الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م.

حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى، المسمأة: عناية القاضى وكفاية الرأضى على تفسير البيضاوى، شهاب الدين أحمد بن عمر الخفاجى المصرى الحنفى (ت 1069هـ)، دار صادر - بيروت.

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادى (ت 1093هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام عمد هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1418هـ - 1997م.
دائرة الأعمال اللغوية: مراجعات ومقترنات، د. شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت، الطبعة الأولى، 2010.

الدر المصنون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم - دمشق.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني = تفسير الالوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسني الالوسي (ت 1270هـ)، تج: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تج: عبد الرزاق المهدى، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى - 1422هـ.
- سنن الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذى، أبو عيسى (ت 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحد محمد شاكر (ج 1، 2) و محمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي مصر، الطبعة: الثانية، 1395هـ - 1975م.
- صحيح البخارى، الجامع المسند الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى الجعفى، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (بصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، 1422هـ.
- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النسابوري (ت 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ط، د.ت.
- القاموس المحيط، مجدى الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ)، تج: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقوسى، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426هـ - 2005م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيويه (ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الحاخمي - القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1988م.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن عقيم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، تحقيق: د مهدى المخزومى، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الملال.
- الكشاف عن حقائق غواضن التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - 1407هـ.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعمانى (ت 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصارى الإفريقي (ت 711هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - 1414هـ.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التبّاعي البصري (ت 209هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزگین، مكتبة الخامنئي - القاهرة، طبعة سنة: 1381هـ.
- مجتمع البيان، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المجتمع العالمي لأهل البيت.
- تحمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن ذكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - 1406هـ . 1986م.
- محاسن التأويل=تفسير القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1418هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن ثمام بن عطية الأندلسى المخاربى (ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1422هـ.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ 1996م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت 710هـ)، حققه وخرج أحديه: يوسف علي بدبوى، راجعه وقدم له: محبى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب- بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.
- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسى القيروانى ثم الأندلسى القرطبي المالكى (ت 437هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، 1405هـ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو 770هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، د.ط، د.ت.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 510هـ)، تحرير: عبد الرزاق المهدى، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ، 1420 هـ.
- معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت 215هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الحاخامي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1990 م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت 207هـ)، تحقيق: أحد يوسف التجانى و محمد علي النجار و عبد الفتاح إسماعيل الشلي، الدار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة الأولى.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت 311هـ)، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.
- معنى القرآن في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.
- معجم مقاييس اللغة، أحد بن فارس بن ذكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر - دمشق، 1399هـ - 1979 م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، تأليف: (إبراهيم مصطفى وأحد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار)، الناشر: دار الدعوة .
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - 1420 هـ .
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى - 1412 هـ .
- مقال: السلام كما جاء في القرآن الكريم، بقلم: د. محمد بن عبد الله الشبانى، مجلة البيان شوال 1416هـ - مارس - 1996م، (السنة: 10)، ع : 98، ص 52

- المقصد الأسمى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسي (ت 505هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجاوى، نشر: الجفان والجاوى - قبرص، الطبعة الأولى، 1407-1987م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجنى، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامى - بيروت، الطبعة الرابعة، 2007م.
- نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، تأليف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع - جدة، الطبعة الرابعة، د.ط، د.ت.
- النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، علي بن فضال بن علي بن غالب المجاشعي القبرواني، أبو الحسن (ت 479هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1428هـ - 2007م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت 606هـ)، تحقيق: طاهر أحد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م

إصلاحُ اللُّفْظِ وَتَزْيِينُهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ
الطَّاهِرِينَ، وَصَحَّابِهِ الْمُتَّسِّبِينَ.

يَذْرُسُ هَذَا الْبَحْثُ نَظَرِيَّةً إِصْلَاحَ الْلُّفْظِ وَتَزْيِينِهِ فِي الْفِكْرِ الْلُّغُوِيِّ الْعَرَبِيِّ، وَقَدْ
انْقَسَمَ الْبَحْثُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَحَاوِرٍ، تَأَوَّلُتْ فِي الْمُحَورِ الْأَوَّلِ أَصْلُ الْقَوْلِ بِإِصْلَاحِ الْلُّفْظِ
وَتَزْيِينِهِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَيَبْيَسْتُ الْمَصْطَلَحَاتِ الْمَسْعَمَةَ لِهَذَا الْغَرَضِ عِنْدَ الْلُّغَوِيِّينَ الْعَرَبِ،
وَالْمَرْجِعِيَّاتِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي صَدَرَتْ عَنْهَا، وَخَصَصَتْ الْمُحَورُ الثَّانِي لِلْمَسَائِلِ الصَّوَّيَّةِ
وَالصَّرْفِيَّةِ الَّتِي وَجَهُوهَا الْلُّغَوِيُّونَ عَلَى أَنَّهَا مِنْ بَابِ إِصْلَاحِ الْلُّفْظِ أَوْ تَزْيِينِهِ، ثُمَّ خَصَصَتْ
الْمُحَورُ الثَّالِثُ لِلْمَسَائِلِ النَّحْوِيَّةِ الَّتِي عَالَجَهَا الْلُّغَوِيُّونَ عَلَى أَنَّهَا مِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا،
وَخَتَّمَتِ الْبَحْثُ بِخَاتَمَةٍ أَجْمَلَتْ فِيهَا أَفْمَ الثَّانِيَّ.

أَصْلُ الْقَوْلِ بِإِصْلَاحِ الْلُّفْظِ وَتَزْيِينِهِ فِي الْفِكْرِ الْلُّغُوِيِّ:

يَسْتَمدُ فِكْرُهُ إِصْلَاحُ الْلُّفْظِ وَتَزْيِينُهُ مَلَامِحَهَا فِي أَذْهَانِ النَّحْوَيِّينَ الْعَرَبِ مِنْ
الدَّلَالَةِ الْلُّغُوِيَّةِ لِكُلِّ مِنْهُمَا؛ إِذ يَدْلُلُ إِصْلَاحُ عَلَى خَلَافِ الْإِفْسَادِ وَعَلَى إِقَامَةِ الشَّيْءِ
بَعْدَ فَسَادِهِ، أَوْ عَلَى سَلَامَتِهِ مِنِ الْعِيبِ.¹ كَمَا أَنَّ التَّزْيِينَ يَدْلُلُ عَلَى تَحْسِينِ الشَّيْءِ
بِالْتَّزْيِينِ؛ وَهِيَ كُلُّ مَا يُتَزْيِنُ بِهِ²، وَذَلِكَ أَنَّ مَفْهُومَ إِصْلَاحِ الْلُّفْظِ وَتَزْيِينِهِ، يَصْبُرُ فِي نِهايَةِ

1 ينظر: العين: 3/ 117، وجهرة اللغة: 1/ 542، وتهذيب اللغة: 4/ 142، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 1/ 383، وجميل اللغة: 539، ومقاييس اللغة: 3/ 303، والمحكم والمحيط الأعظم: 3/ 152، وأساس البلاغة: 1/ 554، ولسان العرب: 2/ 517، والقاموس المحيط: 229، تاج العروس: 6/ 547-548، والممعجم الوسيط: 1/ 520. مادة (صلح).

2 ينظر: العين: 7/ 387، وتهذيب اللغة: 13/ 174-175، وجميل اللغة: 446، ومقاييس اللغة: 3/ 41، وأساس البلاغة: 1/ 429، ولسان العرب: 13/ 201-202، والقاموس المحيط: 1204، وتاج العروس: 35/ 161-162، وفي: المفردات في غريب القرآن للراوي: 390: ((وَتَزْيِينُ اللَّهِ لِلأَشْيَاءِ قَدْ يَكُونُ بِإِبْدَاعِهَا مُزَيَّنَةً وَإِيجادِهَا كَذِيلَكَ، وَتَزْيِينُ النَّاسِ لِلشَّيْءِ بِتَزْوِيقِهِمْ أَوْ بِقَوْلِهِمْ، وَفَوْ أَنْ يَمْذُخُوهُ وَيَتَذَكَّرُوهُ بِمَا يَرْفَعُ مِنْهُ)).
مادة (زين).

النظر إليه، في ميدان الظواهر اللغوية التي سلكها اللغة لغرض تحقيق الانسجام اللغوي في تسييج اللغة بمستوياتها المختلفة من صوت وصرف ونحو ودلالة، مما يسهم في تحسين الكلام وتزيينه وإضفاء طابع الجمال اللغوي عليه؛ ومن ثم تتبغي الإشارة هنا إلى أن مفهوم إصلاح اللُّفْظِ وتزيينه لا يعني وجود خطأ أو غيبة في اللُّفْظِ الذي قال النحاة بوقوع ظاهرة إصلاح اللُّفْظِ أو التزيين فيه، وإنما يعني إجراء تغيير ما على اللُّفْظِ أو التركيب بما يؤدي إلى تحسين الكلام وتجميله و MASKEH. ومن تلك الظواهر اللغوية التي تتحقق هذا الانسجام اللغوي المنشود في الكلام: الإغفال والإبدال والإذمام والقلب المكاني والإغراب التقديري والإغراب بالحرُوفِ بدلاً عن الحركاتِ وإبدال الحركاتِ الإغراهية كما في المتنوع من الصرف، وبغض ظواهر التوافق الحركي على المستوى النحوي¹. ومن ثم تتبغي الإشارة هنا إلى أنهم لا يريدون باللُّفْظِ عِنْدَ استعمالِهم مُصطلح إصلاح اللُّفْظِ: الكلمة المفردة، وإنما مرادهم، هنا، هو الكلام المفوض سواء أكان كلمة أم جملة.

و قبل البدء بتتبع هذا الموضوع في التفكير النحوي وعرض صوره ومظاهره، لا بد من الإشارة إلى أن الفكرة التي تقوم عليها هذه المقوله اللغوية تبدي بمصطلحات ثلاثة، هي: إصلاح اللُّفْظِ، وتزيين اللُّفْظِ، وتحسين اللُّفْظِ. وهذه المصطلحات - كما يندو - متقاربة من حيث الدلالة؛ فهي تنتهي إلى الأمر نفسه، ومن ثم قد تستعمل مفترضة بيغضها؛ فيقال: إصلاح اللُّفْظِ وتحسينه، أو تحسين اللُّفْظِ وتزيينه، فهي تتضافر مجتمعة، في الوقت نفسه، من أجل خلق صورة لهذه المقوله وبيان وظيفتها في الفكر النحوي في تعامله مع اللغة، على الرغم مما تتصف به هذه المصطلحات من جهة أخرى من سعة في الدلالة قد تنسحب على ميدان لغوية وأدبية أخرى، ومنها ميدان البلاغة الذي يستعمل فيه مصطلح تحسين اللُّفْظِ أو تحسين الكلام، ومن ذلك ما ذهب إليه

1. ثُنِّيَّتْ هذه الظواهر اللغوية التي تؤدي إلى الانسجام اللغوي في: أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، د. فدوی محمد حسان: 392-85.

أبو هلال العسكري (395 هـ) من أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ، قال: ((وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَدَارَ الْبَلَاغَةِ عَلَى تَحْسِينِ الْلُّفْظِ أَنَّ الْخُطْبَ الرَّائِعَةَ، وَالْأَشْعَارَ الرَّائِفَةَ مَا عَمِلَتْ لِإِلْفَاهِ الْمَعَانِي فَقَطْ؛ لِأَنَّ الرَّدِيءَ مِنَ الْأَلْفَاظِ يَقُولُ مَقَامَ الْجَيْدَةِ مِنْهَا فِي الْإِفْهَامِ، وَإِنَّمَا يَذْكُرُ حُسْنَ الْكَلَامِ، وَإِحْكَامُ صَنْعَتِهِ، وَرَوْنَقُ الْفَاظِيهِ، وَجَوْزَةُ مَطَالِعِهِ، وَحُسْنُ مَقَاطِعِهِ، وَبَدِينُ مَبَادِيهِ، وَغَرِيبُ مَبَانِيهِ عَلَى فَضْلِ قَائِلِهِ، وَفَهْمِ مُشَبِّهِ))¹. ومن ذلك استعمال (تحسين اللفظ) في الدلالة على الكناية، قال ابن فارس (ت 395 هـ) في باب الكناية: ((الْكِنَائِيَّةُ لَهَا بَابَانٌ: أَحَدُهُمَا أَنْ يُكَثِّفَ عَنِ الشَّيْءِ فَيُذَكَّرَ بِعِنْدِهِ اسْمُهُ تَحْسِينًا لِّلْفَظِ أَوْ إِكْرَامًا لِلْمَذَكُورِ، وَذَلِكَ كَقُولُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: (وَقَالُوا لِجَلُودِهِمْ لَمْ شَهَدْتُمْ عَلَيْنَا)²، قَالُوا: إِنَّ الْجَلُودَ فِي هَذَا الْمَوْضِيعِ كِنَائِيَّةٌ عَنْ آرَابِ الْإِنْسَانِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: (وَلَكِنْ لَا ثَوَاعِدُوهُنَّ سِيرًا)³ إِنَّهُ النَّكَاحُ. كَذَلِكَ: (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ)⁴، وَالْغَائِطُ: مُطْمَئِنٌ مِنَ الْأَرْضِ. كُلُّ هَذَا تَحْسِينُ الْلُّفْظِ ...)).⁵ ومن ذلك ما ورد في كتاب العلوى على الشرائط التي تؤدي إلى حسن السجع؛ فذكر أنَّ من هذه الشرائط ما يرجع إلى التراكيب، قال: ((وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنْكَ إِذَا نَصَوَرْتَ فِي تَفْسِيكَ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي، فَإِنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْوِغَ بِلِفْظٍ مَسْجُوعٍ وَلَمْ يُوَاتِكَ ذَلِكَ، وَلَا سَمَحَتْ قَرِنْحَتُكَ بِهِ إِلَّا بِزِيَادَةِ فِي ذَلِكَ الْلُّفْظِ أَوْ ثَقْصَانِ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى ذَلِكَ التَّقْصَانِ وَتِلْكَ الزِّيَادَةِ، وَإِنَّمَا تَأْتِي بِالزِّيَادَةِ وَالتَّقْصَانِ مِنْ أَجْلِ تَسْوِيَةِ السَّجَعِ وَإِظْهَارِ جَوْهِرِهِ لَا مِنْ أَجْلِ الْمَعْنَى، فَمَا هَذَا حَالُهُ هُوَ الَّذِي يُدَمِّرُ مِنَ التَّسْبِيحِ وَيَقْبِعُ، لِمَا فِيهِ مِنْ إِصْلَاحِ الْلُّفْظِ دُونَ الْمَعْنَى، وَلِمَا فِيهِ مِنَ التَّكَلُّفِ وَالْتَّعْسُفِ الْمُسْتَعْتَنِ عَنْهُ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِ ثَكْلُفٍ فَإِنَّهُ يَأْتِي فِي غَایَةِ

1 الصناعتين: الكتابة والشعر: 58. وينظر فيه: 69، 195، 391 أيضاً.

2 سورة فصلت، الآية: 21.

3 سورة البقرة، الآية: 235.

4 سورة النساء، الآية: 43.

5 الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها و السنن العرب في كلامها: 200-201. ومن استعمال تحسين اللفظ بمعنى الكناية ما ورد في: البرهان في علوم القرآن: 2 / 307.

الحسن))¹. كما ذكر العلوي أن علم البدين ينقسم إلى ثلاثة أضراب يكُون الضرب الثالث منها يمْعِز عن الفصاحة اللفظية والفصاحة المعنوية، ولكنه يقوم بوظيفة تحسين الكلام وتزيينه نحو الكمال وحسن البيان، وقد جعل من صوره التقديم والتأخير في عناصر الجملة لأغراض بلاغية لتحسين الكلام وتزيينه؛ قال عن هذا الضرب من علم البدين: ((الضرب الثالث ما يكُون يمْعِز عن الفصاحة اللفظية والفصاحة المعنوية على الحصوص، ولكنه ينزل منزلة التيمة والتكلمية لهم، ويَكُون تحسيناً لهم وتزييناً لمواقفهم، وهذا نحو الكمال والإيضاح، وحسن البيان، و نحو التثمين، والاستيعاب، والتذليل إلى غير ذلك من الأوصاف التي لا تستقل بنفسها، وإنما يَكُون حصولها على ما ذكرناه من مراوغة الإكمال وتحسين الهيئة كما أشرنا إليه في الأصناف السابقة، ونظيره من علم الإغراب قوله: ضرب زيداً عمرو، بتقديم المفعول على الفاعل، فإن ما هذا حالة فدأه كلاماً مطابقاً لقوائين العرية، خلا الله لم يفده منه إلا تحسين الكلام وتزيينه، حيث لم يكن الفاعل لاصقاً بالفعل، والمفعول متأخراً عن الفاعل، فهذا يجري مجرى التحسين والإكمال للجملة لا غير)).² ومن ذلك وصف السمين الحلبي (ت 756هـ) استعمال القرآن الكريم الوصف المشتق (المغضوب) في قوله تعالى: (صبراط الذين ألمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)، بأنه جيء به مبيناً للمفعول تحسيناً للفظ، قال: ((فإن قيل: لم أتى بصلة الذين فعلاً ماضياً؟ قيل: ليذل ذلك على ثبوت إنعام الله عليهم وتحقيقه لهم، وأتى بصلة آل اسماء ليشمل سائر الأزمان، وجاء به مبيناً للمفعول تحسيناً للفظ، لأنَّ من طبيعته المذابة وسبب الإنعام إليه لا يُناسبه نسبة العصب إليه، لأنَّ مقام تلطُّف وترفق لطلب الإحسان فلَا يحسن مواجهته بصفة الإنعام)).³ كما ورد استعمال تحسين اللفظ وتزيينه على نحو غير اصطلاحي، أي

1 الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: 3/ 14.

2 المصدر نفسه: 3/ 117.

3 الدر المصور: 1/ 76. وينظر فيه أيضاً 5/ 301، واللباب في علوم الكتاب: 1/ 224.

بالمعنى اللغوی المتعارف عليه، عند محمد على الصدیق الشافعی (ت 1057هـ)، في سیاق آخر، وذلک في شرح کلام ابن عباس عن قراءة قوله تعالى: (وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُثُونَ) ^١ بترخیم مالک، أي: يا مال ^٢، إذ قال: ((أنکر ابن عباس قراءة يا مال بحذف الكاف ترخیماً وقال: ما أشغل أهل النار عن الترخیم. أي: الله إنما يكون لتحسين اللفظ وتریته وذلک إنما ينسا عن الفراغ والسرور، وهم بخلافه، ...، وقال غيره: إنه ترخیم من شدة العذاب وإنما متعتهم من إثمهم حروف الكلمة)) ^٣. ومن الجدير بالذكر، هنا، أن بعض التحويین يربطُ بين الزیادة التحويۃ من جهة وتحسين اللفظ وتریته من جهة أخرى، فكانه عندما يقول بالزيادة إنما يريد أن الغرض من هذه الزيادة هو تحسين الكلام وتریته، ويبدو هذا واضحاً في کلام الشیخ خالد الأزهري (ت 905هـ) في توجيه قول التحويین بالزيادة في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةِ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ) ^٤، إذ قال: ((وَكَثِيرٌ مِن النَّحَّاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ يُسَمُّونَ الزَّائِدَ صِلَةً لِكَوْنِهِ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى نَيْلِ غَرَضِ صَحِيحِ كَتْحسِينِ الْكَلَامِ وَتَرْبِيَتِهِ وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ مُؤْكِدًا لِاللهِ يُعْطِي الْكَلَامَ مَعْنَى التَّأكِيدِ وَالْتَّقْوِيَةِ)) ^٥. ومن صور الربط بين القول بالزيادة وتحسين الكلام وتریته ما ورد في توجيه الواو في قول الشاعر ^٦:

وَبِلَدَةٌ لَنِسَ بِهَا أَنْبِسُ إِلَّا الْيَعَافِيُّ وَإِلَّا الْعَيْسُ

١ سورة الزخرف، الآية: 77.

٢ تُنسب هذه القراءة إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وابن مسعود ومجيبي والأعمش، ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج 4/420، والمحتب: 2/257، والكشف: 4/264، والمرعر الوجيز: 5/64، وزاد المسير: 4/84، ومفاتيح الغيب: 27/644، والبحر الخبط: 9/389، والدر المصنون: 9/607، واللباب في علوم الكتاب 17/294.

٣ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: 8/744.

٤ سورة آل عمران، الآية: 159.

٥ موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: 172.

٦ لجران العود، في ديوانه: 97، ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. اميل بدیع یعقوب 10/284.

إذ ذكر أبو البقاء الكفوي¹ (ت 1094هـ) أنَّ أهلَ اللُّغَةَ وجْهُوا هَذِهِ الْوَأْوَ بِأَفْوَالِ مُخْتَلِفَةٍ؛ منها أنها لِتَحْسِينِ الْكَلَامِ وَتَزْيِينِهِ، قال: ((وَمَا يَذَكُرُهُ أَهْلُ الْلُّغَةِ مِنْ أَنَّ الْوَأْوَ قَدْ تَكُونُ لِلابْتِداَءِ وَالاسْتِئْنَافِ فَمَرَادُهُمْ أَنْ يُبَتَّدِأُ الْكَلَامُ بَعْدَ تَقْدِيمِ جُمْلَةٍ مُفْيِدَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ شَارِكُ الْأُولَى. وَأَمَّا وَقْوَعُهَا فِي الابْتِداَءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَقْدِيمَ عَلَيْهَا شَيْءٌ فَعَلَى الابْتِداَيَةِ الْمُجَرَّدَةِ أَوْ لِتَحْسِينِ الْكَلَامِ وَتَزْيِينِهِ أَوْ لِلزِّيَادَةِ الْمُطْلَقَةِ))². فقد أورَدَ أَنَّ هَذِهِ الْوَأْوَ قَدْ تَكُونُ ابْتِداَيَةً، وَقَدْ تَكُونُ زِيَادَةً زِيَادَةً مُطْلَقَةً لَا لِلتَّوْكِيدِ، وَيَكُونُ الْغَرَضُ مِنْ زِيَادَتِهَا هَنَا هُوَ تَحْسِينُ الْكَلَامِ وَتَزْيِينُهُ. وَيَتَجَلُّ هَذَا الْفَهْمُ لِلْعَلَاقَةِ بَيْنَ الزِّيَادَةِ وَالتَّزْيِينِ وَالتَّحْسِينِ وَالْكَمَالِ عِنْدَ الْكَفُوِيِّ وَاضْبَحَاهُ فِي كَلَامِهِ عَلَى فَوَائِدِ الزِّيَادَةِ أَوْ وَظَائِفِهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ، قال: ((وَالزِّيَادَةُ كَمَا ثَسْتَعْمِلُ بِمَعْنَى الزِّيَادِ الْمُسْتَدِرِكِ وَهُوَ الْمَعْنَى الْمَشْهُورُ كَذَلِكَ ثَسْتَعْمِلُ فِيمَا بِهِ [يَقُولُ] الشَّيْءُ وَيَكْمُلُ بِهِ فِي عَيْنِ الْكَمَالِ، وَالزِّيَادُ فِي كَلَامِهِ لَا بُدَّ أَنْ يُقْيِدَ فَإِنَّدَةً مَعْنَوِيَّةً أَوْ لِفَظِيَّةً وَإِلَّا كَانَ عَبَّاً وَلَفْوًا؛ فَالْمَعْنَوِيَّةُ تُأكِيدُ لِلْمَعْنَى كَمَا فِي (مِنْ) الْاسْتِغْرَافِيَّةِ، وَالْبَاءُ فِي خَبَرِ (مَا) وَ(لَيْسَ)، وَاللِّفَظِيَّةُ تُزَيِّنُ الْلِّفَظَ وَكَوْنُهُ يُزَيَّدُ بِهَا أَفْصَحَ، أَوْ مُهِيَّأً لِاسْتِفَاقَةِ وَزَنٍ أَوْ لِحُسْنِ سَجْعٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وَقَدْ تَجْتَمِعُ الْفَائِدَاتُ فِي حَرْفٍ، وَقَدْ تُنَفَّرُ إِحْدَاهُمَا عَنِ الْأُخْرَى))³.

وَتَظَهَّرُ، عِنْدَ أَبِي مَنْصُورِ التَّعَالَى (ت 429هـ) وَفِقْهَةُ لُغَوِيَّةٍ مُهِمَّةٍ يَقْتَرَبُ فِيهَا، عَلَى تَحْوِيْكِيرِ، مِنْ فِكْرَةِ إِصْلَاحِ الْلِّفَظِ وَتَزْيِينِهِ، وَذَلِكَ فِي الفَصْلِ السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ أَسْرَارِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَجَارِيِّ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ وَسَيْنِهَا، الَّذِي جَعَلَهُ يَعْتَوَانَ (حَفْظُ التَّوَازِنِ)، قال فيهم: ((الْعَرَبُ تَزِيدُ وَتَحْذِفُ حِفْظًا لِلْتَّوَازِنِ وَإِنَّهَا لَهُ، أَمَّا الزِّيَادَةُ فَكَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَتَنْظُنُنَّ بِاللَّهِ الظُّنُونَ)³، وَكَمَا قَالَ: (فَاضْلُلُوْنَا السَّيِّلَا)). وَأَمَّا الحَذْفُ، فَكَمَا قَالَ جَلَّ

1 الكليات: 921.

2 الكليات: 487-488.

3 سورة الأحزاب، الآية: 10.

اسمها: (واللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ) ²، وقال: (الكَبِيرُ الْمُتَعَالُ) ³) ⁴. فهو يرى أنَّ من سُنَّ العَرَبِ في كلامها أنْ تُزِيدَ فِي اللفظِ أو تُخَذَّفَ مِنْهُ لِغَرَضِ التَّوازنِ فِي الْكَلَامِ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ حَصَرَ الْعَائِدَةَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ التَّعْيِيرَاتِ: الْحَذْفُ أَوِ الرِّيَادَةُ، فِي تَحْقِيقِ التَّوازنِ الْمُوسِيقِيِّ فِي الْفَوَاصِلِ، إِلَّا أَنَّ فِي هَذَا إِشَارَةً، مِنْ جِهَةِ أُخْرَى، إِلَى فِكْرَةِ التَّعْيِيرِ فِي اللفظِ وِإِصْنَالِهِ أَوْ تَزِينِهِ. وَمَمَّا يُؤكِّدُ هَذَا أَنَّ الرَّاغِبَ الْأَصْفَهَانِيَّ فَهِمَ أَنَّ الْمَرَادَ مِنْ حِفْظِ التَّوازنِ، هُنَّا، هُوَ إِصْنَالُ الْفَظِّ، وَمِنْ ثُمَّ فَسَرَ هَذِهِ الشَّوَاهِدُ نَفْسَهَا عَلَى أَسَاسِهِ؛ فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ الْأَلْفَاظَ قَدْ تُزَادُ فِي أَوَاخِرِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَقْعُدُ فَوَاصِلَ فَتَجْرِي مَجْرَى أَوَاخِرِ الْآيَاتِ وَتُعَامَلُ مُعَامَلَتَهَا، تَحْوِي: الظُّنُونَ وَالسَّيْلَةَ، فَقَدْ زَيَّدَتِ الْأَلْفُاظُ فِيهَا، لَيْسَ لِغَرَضِ تَحْقِيقِ مَعْنَى جَدِيدٍ وَإِنَّمَا لِإِصْنَالِ الْفَظِّ، قَالَ عَنْ أَحَدِ مَوَاضِيعِ زِيَادَةِ الْأَلْفَاظِ: ((وَالَّذِي فِي أَوَاخِرِ الْآيَاتِ الْجَارِيَةِ مَجْرَى أَوَاخِرِ الْآيَاتِ، تَحْوِي: (وَتَنْظُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ) ⁵، (فَأَضْلَلُونَا السَّيْلَةَ) ⁶، لَكِنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ لَا تُثْبِتُ مَعْنَى، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِإِصْنَالِ الْفَظِّ)) ⁷.

وَقَدْ دَرَسَ ابْنُ جِنْيَيْ مَوْضُوعَ إِصْنَالِ الْفَظِّ فِي بَابِ خَصْصَةِ لَهُ: (بَابُ إِصْنَالِ الْفَظِّ)، بَيَّنَ فِيهِ أَنَّ فَلْسَفَةَ الْعَرَبِ فِي عِنَائِيَّتِهَا بِالْأَلْفَاظِ تَعُودُ إِلَى اهْتِمَامِهَا أَوْلَأَ بِمَعْنَاهِي هَذِهِ الْأَلْفَاظِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ إِنَّمَا هِيَ أُوْعِيَّةٌ لِلْمَعَانِي وَأَدْلَةٌ عَلَيْهَا وَمُوَصِّلَةٌ إِلَيْهَا، قَالَ: ((اعْلَمُ أَنَّهُ لَا كَانَتِ الْأَلْفَاظُ لِلْمَعَانِي أَرْمَةً وَعَلَيْهَا أَدْلَةٌ وَإِلَيْهَا مُوَصِّلَةٌ، وَعَلَى الْمَرَادِ مِنْهَا مُخَصِّلَةٌ عَنِيتَ الْعَرَبُ بِهَا فَأَوْلَئِكَ صَدِرَا صَالِحًا مِنْ تَقْيِيفِهَا وِإِصْنالِهَا)) ⁸. وَقَدْ أَكَدَ

1 سورة الأحزاب، الآية: 67.

2 سورة الفجر، الآية: 4.

3 سورة الرعد، الآية: 9.

4 فقه اللغة وسر العربية: 231.

5 سورة الأحزاب، الآية: 10.

6 سورة الأحزاب، الآية: 67.

7 المفردات في غريب القرآن: 105.

8 المخصص: 1 / 313.

هَذِهِ الْفِكْرَةُ الَّتِي تُؤَسِّسُ مُنْطَلَقاً إِلَيْهِ الْمُقْلَوَةُ الْلُّغُويَّةُ فِي مَوْضِيعِ آخَرَ، قَالَ: ((أَنَّ الْعَرَبَ كَمَا ثَعْنَى بِالْمَعَانِي فَتَحَقَّقُهَا، فَكَذَلِكَ أَيْضًا ثَعْنَى بِالْأَلْفَاظِ فَتَصْلِحُهَا))¹.

وَقَدْ وَصَفَ ابْنُ جِنِيَّ بَابَ إِصْلَاحِ الْلُّفْظِ بِأَنَّهُ كَثِيرٌ وَاسِعٌ، قَالَ: ((وَطَرِيقُ إِصْلَاحِ الْلُّفْظِ كَثِيرٌ وَاسِعٌ فَتَفَطَّنَ لَهُ))². وَالْمَسَائِلُ الَّتِي عِنْدَهَا الْلُّغُويُّونَ وَالثَّوْخِيُّونَ الْعَرَبُ مِنْ هَذَا الْبَابِ تَوَزَّعُ عَلَى مُسْتَوَيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ مِنْهَا مَا هُوَ صَوْنِيٌّ، وَمِنْهَا مَا هُوَ صَرْفِيٌّ، وَمِنْهَا مَا هُوَ ثَوْخِيٌّ.

وَمِنْ أَهْمَّ مَسَائِلِ إِصْلَاحِ الْلُّفْظِ فِي الْمُسْتَوَيَّينِ الصَّوْنِيِّ وَالصَّرْفِيِّ - وَهُمَا مُنْدَاخِلَانِ تَأْثِيرًا - بِنَاءُ الْفِعْلِ الْمَاضِي عَلَى السُّكُونِ عِنْدَ إِسْتَادِهِ إِلَى ضَمَائِرِ الرَّفْعِ، طَلَبًا لِلتَّشْجَاهِ الْصَّوْنِيِّ سَعْيًا إِلَى التَّحْقِيقِ عَلَى الْلِّسَانِ عِنْدَ النُّطُقِ بِهِ، كَمَا فِي: كَتَبْتُ، وَكَتَبْتُ، وَكَتَبْتُ، قَالَ ابْنُ جِنِيَّ: ((وَمِنْ ذَلِكَ تَسْكِينُهُمْ لَامَ الْفِعْلِ إِذَا اتَّصلَ بِهَا عَلَمُ الضَّمِيرِ الْمَرْفُوعِ تَحْوِي: ضَرَبْتُ وَضَرَبَنَا وَضَرَبَتْنَا. وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَجْزَوُا الْفَاعِلَ هُنَّا مُجْرَى جُزُءٌ مِنْ الْفِعْلِ فَكُرِّهَ اجْتِمَاعُ الْحَرَكَاتِ الَّذِي لَا يُوجَدُ فِي الْوَاحِدِ. فَأَسْكَنُوا اللَّامَ، إِصْلَاحًا لِلْفِظِ فَقَالُوا: ضَرَبْتُ وَدَخَلْنَا وَخَرَجْنَا. نَعَمْ وَقَدْ كَانَ يَجْتَمِعُ فِيهِ أَيْضًا خَمْسُ مُتَحَرِّكَاتٍ، تَحْوِي: خَرَجْتُمَا فَالْإِسْكَانُ إِذَا أَشْدُ وَجْهُنَا))³. وَيَبْدُو أَنَّ ابْنَ جِنِيَّ اسْتَنَدَ فِي تَعْلِيلِهِ بِنَاءَ الْفِعْلِ، فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ، عَلَى السُّكُونِ، وَمِنْ ثُمَّ جَعَلَهُ إِيَّاهُ مِنْ بَابِ إِصْلَاحِ الْلُّفْظِ، إِلَى الْحُكْمِ الْلُّغُويِّ الْعَامِ الَّذِي قَرَرَهُ سِبْيَوِيَّ، وَهُوَ أَنَّهُ: ((لَيْسَ حَرْفُ فِي الْكَلَامِ تَوَالَى فِيهِ أَرْبَعُ مُتَحَرِّكَاتٍ))⁴. وَقَدْ طَبَقَهُ الرَّضِيُّ الْإِسْتَرَابَابِذِي عَلَى الْفِعْلِ عِنْدَ إِسْتَادِهِ إِلَى ضَمَائِرِ الرَّفْعِ، قَالَ: ((لَا يَتَوَالَى فِي كَلَامِهِمْ أَرْبَعُ مُتَحَرِّكَاتٍ فِي كَلِمَةٍ، أَلَا ظَرِيَ إِلَى تَسْكِينِ لَامِ

1 سر صناعة الإعراب: 1/277

2 الخصائص: 1/322

3 الخصائص: 1/322

4 الكتاب لسيبوه 4/289

نحو: ضربت لما كان الثناء كجزء الكلمة¹). وكأنَّ العَرَبَ يُنظِّرونَ إلى الفعل، عندَ انصتاير بالضَّمَاءِ، على أَنَّهُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ؛ مما يقتضي أن تُطبَّقَ عَلَيْهِ تلك القاعدة العامة: أعني: عدم توالى أربع حركات.

ومن مسائل إصلاح اللُّفْظِ وتزئينه، مما درسَه المحدثون تحت عنوان: الانسجام الصُّوتِيُّ، مما أشرنا إليه قبلًا، بابُ الإدغامِ وبابُ الإبدالِ، الذي عَبَّرَ عنه ابن جنبي باسم باب التقرِيبِ، قال: ((وَمِنْ ذَلِكَ [أي]: مِنْ مَسَائِلِ بَابِ إِصْنَاحِ الْلُّفْظِ) بَابُ الْإِدْغَامِ فِي الْمُتَقَارِبِ نَحْوَ: وَدْ فِي وَتْدِ، وَمِنَ النَّاسِ مَيَقُولُ فِي: مَنْ يَقُولُ، وَمِنْهُ جَمِيعُ بَابِ التَّقْرِيبِ؛ نَحْوَ: اصْطَبَرَ، وَازْدَانَ، وَجَمَعَ بَابُ الْمُضَارِعَةِ، نَحْوَ: مَصْدَرُ وَبَاهِ))². وفي استعماله التقرِيبُ هنا دلالةً من جهةٍ ما على أنَّ الغرضَ من هذا التَّشِيرِ وأمثاله هو تحقيق التقارُب الصُّوتِيُّ مما يُؤدي إلى التَّجَائِسِ والاشتِلافِ اللُّفْظِيِّ والتَّخْفِيفِ على اللسان عند النطق. وقد أشار المطرزي (ت 610هـ) إلى أنَّ الغايةَ من مثل هذا النوع من الإبدال هي تحسين اللُّفْظِ، قال: (((والزَّايُ)) ثُبَّدَ مِنَ الصَّادِ إِذَا وَقَعَتْ قَبْلَ الدَّالِ سَاكِنَةً تَقُولُ: يَزْدَرُ فِي يَصْدُرُ، وَلَمْ يُجَرِّمْ مَنْ فُزِّدَ لَهُ فِي فُصِيدَ مِنَ الْفَصِيدِ، وَلَمْ يَعُدْ أَبُو عَلَيَّ الْفَارَسِيُّ الصَّادِ، وَالزَّايُ فِي حُرُوفِ الْبَدْلِ، وَقَالَ: إِنَّمَا أَبْدَلَنَا فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ تحسيناً لِلْفَظِ))³.

ومن صور إصلاح اللُّفْظِ وتزئينه أنَّ العَرَبَ امتنعت عن الالتحاق بالآلفِ إلا أنَّ يَكُونَ في آخر الكلمة نَحْوَ: أَرْطَى وَمِعْزَى، ولم يُوقِّعُوها في حشو الكلمة، وَذَلِكَ مِنْ بابِ الاختِياطِ لِلْفَظِ؛ ليَكُونَ ذَلِكَ أَفْوَى لِلْكَلِمَةِ وَأَدْلَى عَلَى إِغْرَايْهَا وَالْمُصِيرَافِهَا، ولَيَكُونَ ثُوِينَهَا دَلِيلًا عَلَى الأَصْلِ الَّذِي أَحْقَتْ بِهِ، قال ابن جنبي في باب إصلاح اللُّفْظِ: ((وَمِنْ

1 مرح شافية ابن الحاجب: 1/49، وفي: المفتاح في الصرف: 34-35: ((ولا يتوالى في كلام العرب أربعة أحرف متحركات، إلا أن يكون عذوفاً منه شيء)).

2 المخصص: 1/321.

3 المغرب في ترتيب العرب: 543.

ذلك امتناعهم من الإلحاد بالألف إلا أن تقع آخرًا نحو أزطى، ومعزى، وحبطى، وسرىنى، وزبغرى، وصلخدى، وذلك أنها إذا وقعت طرفاً وقعت موقع حرف متحرك فدل ذلك على قوتها عندهم وإذا وقعت حشواً وقعت موقع الساكن فضعف ذلك فلم تقو فيعلم بذلك إلحادها بما هي على سمت متحركه؛ لأن ثرى أنك لو الحفت بها ثانية فقلت: خاتم ملحق يجعفر لكان مقابلة لعينيه وهي ساكنة فاحتاطوا للفظ بأن قابلاً بالألف فيه الحرف المتحرك ليكون أقوى لها وأدلة على شدة تمكّنها ولعلهم يشنونها أيضاً وكون ما هي فيه على وزن أصل من الأصول له أنها للإلحاد به. ولنيست كذلك ألف قبترى، وضبغطرى؛ لأنها وإن كانت طرفاً ومنوئه فإن المكان الذي فيه لا مصدع للأصول إليه فيلحق هذا به لأنها لا أصل لها مدعياً، فلما ألف قبترى قسم من الألفات الرؤايد في أوآخر الكلم ثالث لا للثانية ولا للإلحاد. فاعرف ذلك) ¹.

وقد ذكر علماء العربية أن الألف لا تلحق إلا آخرًا، فلتقط ملحقة في أول الكلمة أو في حشوها، قال ابن السراج (ت 316هـ): ((ولا تكون ألف ملحقة أبداً إلا أن تكون آخرًا نحو: علقى، وتعرف أنها ملحقة إذا رأيتها منوئه)) ². قال الزمخشري (ت 538هـ): ((ولا تقع للإلحاد إلا آخرًا في نحو معزى)) ³. وقال ابن الحاجب (ت 646هـ) مبيناً السبب في هذا الحكم اللغوي: ((ولا تقع ألف للإلحاد في الاسم حشواً لما يتلزم من تحريكها)) ⁴. وقد شرح ركن الدين الاسترابادي (ت 715هـ) هذا الكلام، قال: ((إعلم أن الألف لا تقع للإلحاد في أول الكلمة وهو ظاهر، ولا في وسطها؛ لأنك لو وقعت حشواً للإلحاد لزم تحريكها؛ لأنها إن كانت ثانية وجوب تحريكها في التصغير، وإن كانت ثالثة وجوب تحريكها بعد ياء التصغير، وإن كانت رابعة كانت

1. المصادف: /1-320-321.

2. الأصول في النحو: /3-353. وينظر: الكتاب لسيبوه 2/260، والمنصف لابن جني: 35-36، والمخصص:

3/421، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي الاسترابادي: 2/330-323.

3. الفصل في صنعة الإعراب: 502.

4. الشافية في علم التصريف: 1/70.

آخرًا في التصغير والجمع؛ لأنها إذا كانت رابعة حشوا، وهي للإلحاق، فلا تكون إلا للإلحاق بالخمسيني، فيجب حذف الآخر ليمكن جمعه وتضييقه كما مر، وإذا كان كذلك لم يقع الألف للإلحاق إلا آخرًا لإمكان بقائها غير محركة، هذا تقرير ما ذكر المصطف¹).

وممَّا يدخل في مسائل إصلاح اللُّفْظِ وتحسينه أنَّ العَرَبَ خصَّتِي الألفَ بالزيادة في آخر بناتِ الخامسة لحفيتها دون أختيَّتها: الواو والياء، قال ابن جنِي: ((ومن ذلك أنَّهم لما جمعوا الزيادة في آخر بناتِ الخامسة -كما زادوا في آخر بناتِ الأربع- خصُّوا بالزيادة فيه الألف استخفافاً لها ورغبة فيها هناك دون أختيَّتها: الياء والواو. وذلك أنَّ بناتِ الخامسة يطولها لا يتقوى إلى آخرها إلا وقد ملت، فلما تحملوا الزيادة في آخرها طلبوا أخفَّ الثلثات -وهي الألف- فخصُّوها بها، وجعلوا الواو والياء حشوا في نحو عضرفوط وجغفلق لأنَّهم لو جاءوا بهما طرفاً وسدايسين مع ثقلهما لظهرت الكلفة في تجسيدهما وكدت في احتمال النطق بهما كُلَّ ذلك لصلاح اللُّفْظ)).²

ومن مظاهير إصلاح اللُّفْظِ وتحسينه حذفُ ئاءِ التأنيثِ من الأسماء المؤنثة عند جمعها جمْعَ مؤنثٍ سالماً، كما في جمْع نمرة على تمرات، كراهَة اجتماعِ علامتيِي تأنيثٍ: (تاين) في لُفْظٍ واحدٍ، قال ابن جنِي: ((إذا جمعتِ الاسمِ المؤنثِ زدتِ في آخرِه الفاءُ وئاءً، ...، فإنَّ كَانَ في الاسمِ المؤنثِ هاءُ التأنيثِ حذفتها في الجمْعِ تقولُ في جمْع مُسْلِمَاتٍ وفي جمْع قَائِمَاتٍ وكانَ الأصلُ مُسْلِمَاتٍ وقَائِمَاتٍ فَحُذِفتِي التاءُ الأولى لِئلا تجتمعَ في الاسمِ الواحدِ علامتيَي تأنيثٍ)).³ وقد زاد أبو البركات الأنباري (ت 577هـ) في إيضاح هذا التعليل، إذ قال: ((ألا ترى أنَّهم لا يجمعون بين

1 شرح شافية ابن الحاجب لركن الدين الاسترابادي: 2/ 577.

2 الخصائص: 1/ 321. وفي الكتاب: 4/ 303: ((وتلحق الألف سادسة لغير التأنيث فيكون الحرف على مثال فعلى، وهو قليل)).

3 اللَّمْعُ في العربية لابن جنِي: 21

علماني تأثيٰت في كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ نَحْوُ مُسْلِمَاتٍ وَصَالَحَاتٍ، وَإِنْ كَانَ الْأَصْلُ فِي مُسْلِمَاتٍ وَصَالَحَاتٍ؛ لَأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ التَّأْعِينِ تَدْلُّ عَلَى مَا تَدْلُّ عَلَيْهِ الْأُخْرَى مِنَ التَّأْيِثِ، وَتَقْوِيمَ مَقَامَهَا، فَلَمْ يَجْمِعُوا بَيْنَهُمَا؛ فَكَذَّلِكَ هَذَا) ¹. وَقَدْ عَدَ ابْنُ جِنْيَهُ هَذَا الْمَسْلَكُ الْلُّغُوئِيُّ الَّذِي تَبَعَّهُ الْعَرَبِيَّةُ، هُنَا، مِنْ بَابِ إِصْلَاحِ الْلُّفْظِ، قَالَ: ((وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي جَمْعِ ئَمْرَةٍ وَبِسْرَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ: ئَمْرَاتٍ وَبِسْرَاتٍ، فَكَرَهُوا إِفْرَارَ التَّاءِ ئَنَّا كَرَّا لِاجْتِمَاعِ عَلَمَانِي تأثيٰتٍ فِي لُفْظِ اسْمٍ وَاحِدٍ، فَحُذِفَتْ وَهِيَ فِي النِّسْيَةِ -مُرَادَةُ الْبَتَّةِ- لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِإِصْلَاحِ الْلُّفْظِ؛ لَأَنَّهَا فِي الْمَعْنَى مُقْدَرَةٌ مُثْوِيَّةٌ لَا غَيْرَ، أَلَا تَرَكَ إِذَا قُلْتَ: (عَمَراتٍ) لَمْ يَعْتَرِضْ شَكٌ فِي أَنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْهَا ئَمْرَةٌ، وَهَذَا وَاضِعٌ. وَالْعِنَائِيَّةُ، إِذَا، فِي الْحَدْفِ إِلَيْهَا هِيَ بِإِصْلَاحِ الْلُّفْظِ؛ إِذَ الْمَعْنَى نَاطِقٌ بِالْتَّاءِ مُقْتَضِيٌّ لَهَا حَاكِمٌ بِمَوْضِعِهَا)) ².

وَمِنْ مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ الْلُّفْظِ وَتَزْيِينِهِ (أَلِّي) الدَّاخِلَةِ عَلَى الْأَسْمَاءِ الْمُوصُولَةِ؛ فَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْتَّحْوِيْنِ إِلَى أَنَّ (أَلِّي) فِيهَا لَا تُفِيدُ التَّعْرِيفَ لَأَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ تُكَسِّبُ التَّعْرِيفَ مِنْ صِيلَتِهَا، وَمِنْ ثُمَّ فَإِنَّ وَظِيفَةً (أَلِّي) الَّتِي دَخَلَتْ عَلَيْهَا هِيَ إِصْلَاحُ الْلُّفْظِ وَلَيْسَ التَّعْرِيفُ. قَالَ ابْنُ يَعْيَشَ: ((إِذَا تَبَتَّ أَنَّ الْأَلْفَ وَاللامَ لَا تُفِيدَانِ هُنَا - فِي بَابِ اسْمِ الْمَوْصُولِ - التَّعْرِيفُ كَانَ زِيَادَتِهِمَا لِضَرْبِ مِنْ إِصْلَاحِ الْلُّفْظِ، وَذَلِكَ أَنَّ (الَّذِي) وَأَخْوَاهُ مِمَّا فِيهِ لامٌ إِلَيْهِمَا دَخَلَ ئَوْصِلًا إِلَى وَصْفِ الْمَعَارِفِ بِالْجُمْلَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجُمْلَ تَكْرَاتٌ، أَلَا تَرَى أَنَّهَا تَجْرِي أَوْصَافًا عَلَى التَّكْرَاتِ، نَحْوُ قَوْلِكَ: مَرَّاتٌ بِرَجْلٍ أَبُوهُ زَيْنَدَ، وَنَظَرَتْ إِلَى غَلَامٍ قَامَ أَخْوَهُ، وَصِفَةُ النَّكْرَةِ نَكْرَةٌ، ...، فَلَمَّا كَانَتْ تَجْرِي أَوْصَافًا عَلَى التَّكْرَاتِ لِتَنَكِّرُهَا أَرَادُوا أَنْ تَكُونَ فِي الْمَعَارِفِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَسْعُ أَنْ يَقُولُ: مَرَّاتٌ بِزَيْنَدٍ أَخْوَهُ كَرِيمٌ، وَأَلْتَ ثُرِيدُ التَّنْعِتَ لِزَيْنَدٍ؛ لَأَنَّهُ قَدْ تَبَتَّ أَنَّ الْجُمْلَ تَكْرَاتٌ، وَالنَّكْرَةُ لَا تَكُونُ وَصْفًا لِلْمَعْرِفَةِ. وَلَمْ يُمْكِنْ إِدْخَالُ لامِ التَّعْرِيفِ عَلَى الْجُمْلَةِ؛ لَأَنَّ هَذِهِ اللَّامَ مِنْ خَوَاصِ

1 الإنصاف في مسائل الخلاف: 1 / 19، وينظر: أسرار العربية: 68، 258، والمخصص: 5 / 183، وشرح

شذور الذهب للجوهرجي 1 / 184-185، وشرح التصريح على التوضيح: 2 / 513.

2 المخصص: 1 / 314-315.

الأسماء، والجملة لا تختصُّ بالأسماء، ...، إلَّا أَنَّ لفظَ (الذِّي) قَبْلَ دُخُولِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ لم يَكُنْ عَلَى لفظِ أوصافِ المَعَارِفِ فَزَادُوا فِي أُولَئِنَا الْأَلْفَ وَاللَّامَ لِيَخْصُّلَ لَهُمْ بِذَلِكَ لفظَ الْمَعْرِفَةِ الَّذِي قَصَدُوهُ، فَيَتَطَابَقُ الْلَّفْظُ وَالْمَعْنَى) ¹. وَقَدْ عَلِقَ الأَسْتَاذُ عَبَّاسُ حَسَنٌ عَلَى هَذَا التَّخْليلِ بِأَنَّهُ خَيَالِيٌّ وَأَنَّ الْعَرَبِيَّ كَانَ يَتَكَلَّمُ عَلَى السُّلِيقَةِ لَا يَعْرِفُ بِهَذَا الْأَمْرِ، قَالَ: ((وَكُلُّ مَا تَقْدِمُ خَيَالِيٌّ مَحْضٌ يَخْسُنُ إِهْمَالُهُ، إِذَا لَا يَعْرِفُ الْعَرَبِيُّ الْأَصْلِ عَنْهُ شَيْئًا. أَمَا التَّعْلِيلُ الْحَقُّ فَهُوَ كَلَامُ الْعَرَبِ وَحْدَهُ)) ².

وَيَلْحَقُ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ (أَلِّي) الْمَوْصُولَةُ الدَّاخِلَةُ عَلَى صِفَةِ صَرِيمَةٍ لِغَيْرِ التَّفْصِيلِ وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: اسْمُ الْفَاعِلِ كَالضَّارِبِ وَاسْمُ الْمَفْعُولِ كَالْمُضْرُوبِ وَالصِّفَةُ الْمُشَبَّهَةُ كَالْحَسَنِ، فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَى اسْمِ جَامِدٍ كَالرَّجُلِ أَوْ عَلَى وَصْفٍ يُشَبِّهُ الْأَسْمَاءَ الْجَامِدَةَ كَالصَّاحِبِ أَوْ عَلَى وَصْفٍ وَصَفِّ التَّفْصِيلِ كَالْأَفْضَلِ وَالْأَعْلَى فَهِيَ حَرْفُ تَغْرِيفٍ ³، فَقَدْ دَفعَ التَّفْكِيرُ الْتَّخْوِيُّ فِي وَظِيفَتِهَا وَذَلِكَ لِتَحْوِيلِهَا إِلَى الْدَّهَابِ إِلَى أَنَّهَا اسْتَغْمَلَتْ لِضَرْبِهِ مِنْ إِصْنَاحِ الْلَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ، قَالَ الْأَسْتَاذُ عَبَّاسُ حَسَنٌ: ((لَيْسَتْ (أَلِّي) هَذِهِ هُنَّا لِلتَّعْرِيفِ، فِي الْأَشْهَرِ، وَإِلَيْمَا هِيَ لِضَرْبِهِ مِنْ إِصْنَاحِ الْلَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ؛ لَأَنَّ اسْمَ الْمَوْصُولِ يَتَعَرَّفُ بِصِلَتِهِ. وَكَثِيرٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَوْصُولِ مُجَرَّدٌ مِنْ (أَلِّي) مَعَ أَنَّهُ مَعْرِفَةٌ، فَتَغْرِيفُهُ جَاءَ مِنْ صِلَتِهِ، لَا مِنْ (أَلِّي). وَلَوْ كَانَتْ لِلتَّغْرِيفِ لَمْ يُنْعَنْتْ مِنْ إِعْمَالِ اسْمِيِّ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ إِذَا كَانَا بِمَعْنَى الْحَالِ أَوِ الْاسْتِقْبَالِ، إِذْ تُبَعِّدُهُمَا -كَمَا يَقُولُونَ- عَنْ شَبَهِ الْفِعْلِ، وَتَقْرِبُهُمَا مِنِ الْجَوَامِدِ؛

1 شرح المفصل: 3 / 254-255، وينظر: النحو الوافي: 1 / 347، (الهامش).

2 النحو الوافي 1 / 347.

3 ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى: 102، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك: 1 / 150، وحاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك 1 / 239. وفي: النحو الوافي: 1 / 356، ((والمراد هنا بالمشقات الصريمَةُ، أي: الصلفات الصريمَةُ: اسْمُ الْفَاعِلِ، واسْمُ الْمَفْعُولِ، اتفاقاً وَفِي الصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ خَلَافٌ ... لِأَنَّهُمَا يَدْلَانِ عَلَى الْحَدِيثِ وَالتَّجَدُّدِ كَالْفِعْلِ. أَمَّا الصِّفَةُ الْمُشَبَّهَةُ وَبَاقِي الْمُشَبَّحَاتُ فَتَدَلُّ عَلَى الشَّبَوتِ، فَهِيَ بَعِيدَةٌ مِنِ الْفِعْلِ، قَرِيبَةٌ مِنِ الْأَسْمَاءِ الْجَامِدَةِ. وَمِنْ ثُمَّ كَانَتْ (أَلِّي) الدَّاخِلَةُ عَلَى (أَفْعُلُ التَّفْصِيلِ) لِلْعَهْدِ، وَلَيْسَ مَوْصُولَةً...)).

لأنَّها من خصائص الأسماء، والأصلُ في الأسماء الجمودُ، يسبِّبُ وضعفها للذوات،
والجامدُ لا يَعْمَلُ، بخلاف الفعلِ وما يُشَبِّهُ) ^١.

وإذا انتقلنا إلى المستوى الشعويِّ فسنجد مجموعات من المسائل التي قال فيها
الشخوُيونَ بأنَّها من إصلاح اللُّفظِ وتزيينه، من أهمُّها تغيير موقع الفاء الواقعة في جواب
الشرطِ بعد الأداةِ (أمًا) ونقلها من محلِّها إلى موضع آخر ليكون التركيبُ أخفًّا على
اللسانِ كما في نحو: أمًا زيدٌ فمُنْطَلِقٌ، إذ يرى الشخوُيونَ أنَّ أصلَ التركيب: أمًا فزيدٌ
مُنْطَلِقٌ، لأنَّ أصلَ (أمًا) ومعناها عندَهم هو: مهما يكنَّ من شيءٍ فزيدٌ مُنْطَلِقٌ ^٢. وقد
يُ بينَ الشخوُيونَ معنى (أمًا) وذلةَ التركيب الذي تأتي فيه في ضوءِ الأصلِ الذي قدَرُوه
لها، قال الزمخشريُّ: ((أمًا: حرفٌ فيه معنى الشرطِ، ولذلك يُجابُ بالفاء. وفائدته في
الكلامِ أنَّ يعطيه فضلَ توكيدٍ. تقولُ: زيدٌ ذاهبٌ. فإذا قصدتَ توكيدَ ذاكَ وآنه لا محالة
ذاهبٌ وأنَّه بقصدِ الذهابِ وأنَّه منه عزيزةٌ، فلتَ: أمًا زيدٌ فذاهبٌ. ولذلك قال سيبويه في
تفسيرِه: مهما يكنَّ من شيءٍ فزيدٌ ذاهبٌ. وهذا التفسيرُ مدلٌ لفائدةِ ذئْنِ: بيانِ كونِه
توكيدًا، وأنَّه في معنى الشرطِ)) ^٣. وقد يُ بينَ ابنِ جنِي أصلَ هذا التركيبِ وما أصابَه من
تغييرٍ لغرضِ إصلاحِ اللُّفظِ، قال: ((فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: أمًا زيدٌ فمُنْطَلِقٌ أَلَا ثَرَى أَنَّ ثَرَى
هَذَا القَوْلَ إِذَا صَرَحْتَ بِلُفْظِ الشَّرْطِ فِيهِ صِرْتَ إِلَى أَنْكَ كَانَكَ قُلْتَ: مَهْمَا يَكُنْ مِنْ
شَيْءٍ فَزِيدٌ مُنْطَلِقٌ فَتَجِدُ الْفَاءَ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ فِي صَدْرِ الْجُزَائِينِ مُقَدَّمةً عَلَيْهِمَا. وَأَنْتَ
فِي قَوْلِكَ: أمًا زيدٌ فمُنْطَلِقٌ إِنَّمَا تَجِدُ الْفَاءَ وَاسِطةً بَيْنَ الْجُزَائِينِ وَلَا تَقُولُ: أمًا فَزِيدٌ مُنْطَلِقٌ
كَمَا تَقُولُ فِيمَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ: مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فَزِيدٌ مُنْطَلِقٌ. وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِإِصْلَاحِ
اللُّفْظِ. وَوَجَهٌ لِإِصْلَاحِهِ أَنَّ هَذِهِ الْفَاءَ وَإِنْ كَانَتْ جَوَابًا وَلَمْ تَكُنْ عَاطِفَةً فَلِهَا عَلَى مَذَهِبٍ

١ النحو الرافي: /1 .356

٢ جاء في الكتاب: /3 137: ((مهما يكن من شيء فإنك ذاهب)).

٣ المفصل في صنعة الإعراب: 443، وينظر: الكشاف: /1 117، وأنوار التنزيل: /1 63، ومدارك التنزيل: /1 73، والبحر المحيط: /1 192، ومعنى الليب: 82، والبرهان في علوم القرآن: /4 242، والإتقان في علوم القرآن: /2 197، ومعنى الأقران: /2 64، وهو مع المرام: /2 580، والكلمات: 183.

لَفْظُ الْعَاطِفَةِ وَيَصُورُهَا فَلَوْ قَالُوا: أَمَا فَرِيزَةٌ مُنْطَلِقٌ كَمَا يَقُولُونَ: مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فَرِيزَةٌ مُنْطَلِقٌ لَوَقَعَتِ الْفَاءُ الْجَارِيَةُ مَجْرِيٌ فَإِنَّ الْعَطْفَ بَعْدَهَا اسْمٌ وَلَيْسَ قَبْلَهَا اسْمٌ، إِنَّمَا قَبْلَهَا فِي الْلَّفْظِ حَرْفٌ، وَهُوَ أَمَا. فَتَكْبِيْبُوا ذَلِكَ لِمَا ذَكَرْنَا، وَوَسْطُوهَا بَيْنَ الْحَرْفَيْنِ لِيَكُونَ قَبْلَهَا اسْمٌ وَبَعْدَهَا آخِرُ فَتَأْبَيْ على صُورَةِ الْعَاطِفَةِ؛ فَقَالُوا: أَمَا زَيْدٌ فَمُنْطَلِقٌ كَمَا تَأْبَيْ عَاطِفَةً بَيْنَ الْاسْمَيْنِ فِي نَحْوِ قَامَ زَيْدٌ فَعَمَرَوْ. وَهَذَا تَفْسِيرٌ أَبِي عَلَيٍ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى. وَهُوَ الصَّوَابُ¹). وَهَذَا مَا أَكَدَهُ الْمَرَادِيُّ (ت 749هـ)، إِذْ قَالَ: ((أَمَا يَفْتَحُ الْهَمْزَةُ حَرْفٌ بَسِيطٌ، فِيهِ مَعْنَى الشَّرْطِ، مُؤْوَلٌ بِمَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ، لَأَنَّهُ قَائِمٌ مَقَامَ أَدَاءِ الشَّرْطِ وَفَعْلِ الشَّرْطِ. وَلِذَلِكَ يُجَابُ بِالْفَاءِ، ...، وَالْجُمْهُورُ يَقْدِرُونَ أَمَا بِمَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ، كَمَا تَقْدَمَ). فَإِذَا قُلْتَ: أَمَا زَيْدٌ فَمُنْطَلِقٌ، فَالْقُدْبِيرُ: مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فَرِيزَةٌ مُنْطَلِقٌ. فَحَذِفَ فَعْلُ الشَّرْطِ وَأَدَاءُهُ، وَأَقِيمَتْ أَمَا مَقَامَهُمَا، فَصَارَ التَّقْدِيرُ: أَمَا فَرِيزَةٌ مُنْطَلِقٌ. فَأَخْرَجَ الْفَاءُ إِلَى الْجُزْءِ الثَّانِي، لِضَرْبِ مِنْ إِصْلَاحِ الْلَّفْظِ)². وَقَدْ بَيَّنَ الشَّيْخُ خَالِدُ الْأَزْهَرِيُّ أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ خَالَفَتِ الْأَصْنَلَ الْمَقْدَرَ فِي اسْتِعْمَالِ أَمَا وَتَرْكِبِهَا هَرَبًا مِنْ قُبْحِ التَّرْكِيبِ لِأَنَّهُ فِي صُورَةِ مَغْطُوفٍ بِلَا مَغْطُوفٍ عَلَيْهِ، فَاستَعْمَلَتْهَا عَلَى النَّحْوِ الْمَعْهُودِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الْيَوْمَ، بِأَنَّ فُصْلِيْبَ بَيْنَ (أَمَا) وَالْفَاءِ بِجُزْءِهِ مِنِ الْجَوَابِ، قَالَ: ((وَكَوْنُ (أَمَا) ثَقَدَرُ بِهِمَا هُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ، ...، وَلَا بُدُّ لَهَا مِنْ فَاءَ ثَالِيَّةَ لِتَالِيَّهَا، نَحْوُ: أَمَا زَيْدٌ فَمُنْطَلِقٌ، وَالْأَصْنَلُ أَنْ يُقَالَ: أَمَا فَرِيزَةٌ مُنْطَلِقٌ، فَتَجْعَلُ الْفَاءُ فِي صَدِرِ الْجَوَابِ كَمَا هِيَ مَعَ غَيْرِ (أَمَا) مِنْ أَدَوَاتِ الشَّرْطِ. وَلَكِنَّ خُولِفَ هَذَا الْأَصْنَلُ مَعَ (أَمَا) فَرَارًا مِنْ قُبْحِهِ لِكَوْنِهِ فِي صُورَةِ مَغْطُوفٍ بِلَا مَغْطُوفٍ عَلَيْهِ. فَفَصَلُوا بَيْنَ (أَمَا) وَالْفَاءِ بِجُزْءِهِ مِنِ الْجَوَابِ))³.

1 المختصص: 1 / 313 - 314. وفي: سر صناعة الإعراب: 1 / 277، ذكر التوجية نفسه منسوباً إلى أبي علي الفارسي.

2 الجنى الداني في حروف المعاني: 522. وينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفبة ابن مالك: 3 / 1305، والبرهان في علوم القرآن: 2 / 370.

3 شرح التصریح على الترضیح: 2 / 429.

وَمِنْ مَظَاهِرِ إِصْنَاحِ الْلُّفْظِ وَتَزْيِينِهِ طَرِيقَةً اسْتِعْمَالٍ لَامِ الْابْتِدَاءِ عِنْدَ دُخُولِ (إِنْ)، إِذْ ثَرَّ حَلْقُ مِنَ الْمُبْتَدَأِ إِلَى الْخَبَرِ، كَمَا فِي: إِنْ زَيْدًا لِقَائِمٍ؛ لَأَنَّ الْأَصْنَلَ عِنْدَ التَّحْوِيْنِ هُوَ: لَيْنَ زَيْدًا قَائِمٌ، ثُمَّ نَقْلَتْ مِنْ مَحْلِهَا قَبْلَ (إِنْ) إِلَى الْخَبَرِ، قَالَ الْمَبْرُدُ (ت 285هـ): ((لَا تَقُولُ: لَيْنَ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ؛ لِأَنَّ اللَّامَ فِي مَعْنَى إِنْ فَإِنْ فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا بِشَيْءٍ حَسْنٌ وَاسْتِقَامٌ فَقَلَتْ: إِنْ فِي الدَّارِ لَزَيْدًا))¹. وَقَدْ يَبْيَنَ النَّحْوِيُّونَ أَنَّ سَبَبَ هَذَا الْمُسْلِكِ الْلُّغُويُّ هُوَ كَرَاهَةُ اجْتِمَاعِ حَرْفَيْنِ يُؤَدِّيَانِ وَظِيفَةُ دَلَالِيَّةٍ وَاحِدَةٍ -وَهِيَ التَّوْكِيدُ- فِي مَوْضِيعٍ وَاحِدٍ، قَالَ الْأَشْمُونِيُّ (ت 900هـ): ((وَكَانَ حَتَّى هَذِهِ اللَّامِ أَنْ تَدْخُلَ عَلَى أَوْلِ الْكَلَامِ؛ لَأَنَّ لَهَا الصَّدْرَ، لَكِنْ لَمْ كَأْتِ لِلتَّأكِيدِ وَ(إِنْ) لِلتَّأكِيدِ كَرِهُوا الْجَمْعَ بَيْنَ حَرْفَيْنِ لَمَعْنَى وَاحِدٍ، فَزَحَلَقُوا اللَّامَ إِلَى الْخَبَرِ))². وَقَدْ عَدَ ابْنُ جِنْيِيْ هَذَا التَّغْيِيرَ فِي مَوْضِيعِ اللَّامِ بِنَقلِهَا مِنْ أَوْلِ الْجُمْلَةِ إِلَى آخِرِهَا مِنْ بَابِ إِصْنَاحِ الْلُّفْظِ هَرَبًا مِنْ الْجَفَاءِ الَّذِي يَثْرُكُهُ اجْتِمَاعُ مُؤَكِّدَيْنِ: (اللَّامِ وَإِنْ) فِي مَوْضِيعٍ وَاحِدٍ، قَالَ: ((وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: إِنْ زَيْدًا لِقَائِمٍ فَهَذِهِ لَامِ الْابْتِدَاءِ وَمَوْضِعُهَا أَوْلُ الْجُمْلَةِ وَصَدْرُهَا لَا آخِرُهَا وَعَجِزُهَا فَتَقْدِيرُهَا أَوْلَى: لَيْنَ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ، فَلِمَّا كَرِهَ ئَلَاقِي حَرْفَيْنِ لَمَعْنَى وَاحِدٍ -وَهُوَ التَّوْكِيدُ- أَخْرَتِ اللَّامَ إِلَى الْخَبَرِ فَصَارَ إِنْ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ، ...، وَيَدْلُلُ عَلَى أَنَّ مَوْضِيعَ اللَّامِ فِي خَبَرِ (إِنْ) أَوْلُ الْجُمْلَةِ قَبْلَ (إِنْ) أَنَّ الْعَرَبَ لَا جَفَا عَلَيْهَا اجْتِمَاعُ هَذِينِ الْحَرْفَيْنِ قَلَّبُوا الْمَهْمَزةَ هَاءَ لِيَزُولَ لَفْظُ (إِنْ) فَيَزُولُ أَيْضًا مَا كَانَ مُسْتَكْرِهًا مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا (لَهُنَّكَ قَائِمٌ)؛ أَيْ لِيَئُنَّكَ قَائِمٌ، ...، فَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنْ قَوْلُهُمْ (لَهُنَّكَ) إِنْ أَصْنَلَهُ: (اللَّهُ إِنَّكَ)، فَقَدْ تَقْدَمَ ذِكْرُهَا ذَلِكَ مَعَ مَا عَلَيْهِ فِيهِ فِي

1 المقتنص: 2/ 343.

2 شرح الأشموني: 1/ 305، وينظر: الكتاب: 3/ 150، ومعاني القرآن للفراء: 1/ 466، ومعاني القرآن للأخفش: 1/ 107، وتفسير الطبرى: 12/ 42، والأصول في النحو 1/ 259، وإعراب القرآن المنسوب خطأ للزرجاج: 3/ 940، الإنصال في مسائل الخلاف: 1/ 173، والدر المصنون: 1/ 25، واللباب في علوم الكتاب: 1/ 138، والصحاح: 6/ 2197، ولسان العرب: 13/ 393، وهمي المقام: 1/ 509، وخزانة الأدب: 10/ 338، ونماذج العروس: 36/ 133-134، وحاشية الصبان: 1/ 412.

مَوْضِعٍ آخَرَ، وَعَلَى أَنْ أَبَا عَلَيٌّ قَدْ كَانَ قَوَاهُ بِآخِرَةٍ، وَفِيهِ تَعْسُفٌ) ¹. وَقَدْ تَنَاهَى ابْنُ جِنْيَيْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ؛ فَبَحَثَ فِي سَبَبِ عَدَمِ الْجَمْعِ بَيْنَ (إِنَّ) وَاللَّامِ، مِنْ جِهَةِ، وَعِلْمِ ئَاخِيرِ اللَّامِ دُونَ (إِنَّ)، مِنْ جِهَةِ أُخْرَى، قَالَ: ((يَذْخُلُ هَذِهِ اللَّامُ عَلَى الْجُمْلَةِ الَّتِي فِي أُولِئِكَ إِنَّ الْمُقْلَلَةِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَيَلْزُمُ ئَاخِيرُ اللَّامِ إِلَى الْخَبَرِ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: إِنَّ زَيْدًا لِمُنْطَلِقٍ، فَأَصْلُ هَذَا: إِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٍ، ثُمَّ جَاءَتِ اللَّامُ؛ فَصَارَ التَّقْدِيرُ: لَيْنَ زَيْدًا مُنْطَلِقٍ؛ فَلَمَّا اجْتَمَعَ حَرْفَانِ لِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ التَّحْقِيقُ وَالتَّوْكِيدُ، كُرِهَ اجْتِمَاعُهُمَا، فَأَخْرَجَتِ اللَّامُ إِلَى الْخَبَرِ، فَصَارَ الْكَلَامُ: إِنَّ زَيْدًا لِمُنْطَلِقٍ، ...، فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ اللَّامَ كَانَ سَبِيلَهَا أَنْ يَكُونَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ، وَصَحَّ بِمَا قَدَّمْتَهُ؛ فَهَلَّا جُمِعَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ (إِنَّ) فَكَانَ ذَلِكَ يَكُونُ أُوكَدَ، وَلَمْ فُصِّلْ بَيْنُهُمَا؟ فَالجَوابُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ حَرْفَانِ لِمَعْنَى وَاحِدٍ مُجَمِّعَانِ، وَالْعِلْمُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْغَرَضَ فِي هَذِهِ الْمُرْوَفِ الدُّوَالِ عَلَى الْمَعَانِي؛ إِنَّمَا هُوَ التَّحْكِيفُ وَالْاِخْتِصَارُ، أَلَا تَرَى أَنَّ (هَلْ) تُنْوِبُ عَنِ اسْتِفْهَمَ وَ(مَا) تُنْوِبُ عَنِ الْفِيِّ، ...، فَإِذَا كَانَ الْغَرَضُ فِيهَا إِنَّمَا هُوَ الْاِخْتِصَارُ وَالْاسْتِعْنَاءُ بِالْقَلِيلِ عَنِ الْكَثِيرِ؛ فَلَا وَجْهٌ لِلْجَمْعِ بَيْنَ حَرْفَيْنِ لِمَعْنَى وَاحِدٍ، إِذَا فِي الْوَاحِدِ كِفَايَةٌ مِنَ الْآخَرِ وَغَنَاءُهُ عَنْهُ، وَلَوْ جَمِعَ مَعَهُ لِتَتَقْضَ الْغَرَضُ بِتَكْرِيرِهِ وَالْإِكْتَارِ بِإِعَادَتِهِ؛ فَإِذَا تَبَاعَدَ عَنْهُ؛ لَمْ يَجْتَمِعْ فِي الْلُّفْظِ مَعَهُ اسْتِحْيَازُ اجْتِمَاعُهُمَا فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ) ².

وَمِنْ مَظَاهِرِ اِصْنَالِ الْلُّفْظِ وَتَزْيِينِهِ عِنْدَ النَّحْوَيْنِ تَرْكِيبُ الْأَدَاءِ (كَانَ)، إِذَا يَرَى جُمْهُورُ النَّحْوَيْنِ أَنَّهَا تَرَكِبُ مِنْ كَافِ التَّشْبِيهِ وَالْحَرْفِ الشَّبِهِ بِالْفِعْلِ: (إِنَّ)، أَيْ أَنَّ الْأَصْلُ هُوَ: زَيْدٌ كَعْمَرٌ، ثُمَّ جِيءَ بِ(إِنَّ) لِتَوْكِيدِ التَّشْبِيهِ، فَصَارَتِ الْجُمْلَةُ: إِنَّ زَيْدًا كَعْمَرٌ، ثُمَّ رُكِّبَتِ الْأَدَاءَنَ (إِنَّ وَكَافُ التَّشْبِيهِ)، فَصَارَتَا: كَانَ، فَقَالُوا: كَانَ زَيْدًا عَمْرُو؛ قَالَ سَيِّدُهُمْ: ((وَسَأَلْتُ الْخَلِيلَ عَنْ كَانَ، فَزَعَمَ أَنَّهَا إِنَّ، لَحِقْتَهَا الْكَافُ لِلتَّشْبِيهِ، وَلَكِنَّهَا

1 المُصَانِصُونَ: 315-318 / 1

2 سُرُّ صَنَاعَةِ الْإِعْرَابِ: 49-52 / 2

صَارَتْ مَعَ إِنْ يَمْتَزِلَةُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ) ¹. وَقَدْ أَرْجَعَ بَعْضُ الشَّخْوِيْنَ هَذَا التَّعْبِيرَ بِتَرْكِيبِ الْأَدَاءِ (كَانَ) مِنَ الْأَدَائِينَ الْمَذْكُورَيْنَ (إِنْ وَكَافُ التَّشْبِيهِ) إِلَى الْاِهْتِمَامِ بِالتَّشْبِيهِ وَالْعِنَابِيَّةِ بِهِ؛ فَقَدْ وَضَعَ أَبُو الْبَرَّ كَاتِ الْأَنْبَارِيُّ أَصْلَ (كَانَ) وَالْغَايَةَ مِنْ تَرْكِيْبِهَا، وَبَيَّنَ أَنَّ مَا أَصْبَاهَا مِنْ تَعْبِيرٍ عَنْ طَرِيقِ التَّرْكِيبِ شَبَهٍ بِمَا جَرَى مِنْ نَفْلٍ لِمَحْلٍ لَامِ الْاِبْتِدَاءِ مِنْ أُولَى الْجُمْلَةِ إِلَى آخِرِهَا عِنْدَ دُخُولِ الْحَرْفِ الْمُشَبَّهِ بِالْفِعْلِ: (إِنْ) عَلَى الْجُمْلَةِ، قَالَ: ((وَأَصْنَلُهَا إِنْ أَضْيَفَ إِلَيْهَا الْكَافُ لِلتَّشْبِيهِ، وَالْأَصْلُ فِي الْكَافِ أَنْ تَكُونُ مُؤَخَّرَةً؛ كَمَا أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْلَّامِ أَنْ تَكُونُ مُقَدَّمَةً؛ فَلَمَّا قُلْتَ: كَانَ زَيْنَدًا الْأَسَدُ، كَانَ الْأَصْلُ فِيهِ: إِنْ زَيْنَدًا كَالْأَسَدِ، كَمَا إِذَا قُلْتَ: إِنْ زَيْنَدًا لِقَائِمٍ، كَانَ الْأَصْلُ فِيهِ: لَيْنَ زَيْنَدًا قَائِمٍ، إِلَّا أَنَّهُ قُدِّمَتِ الْكَافُ عَلَى (إِنْ) عِنَابِيَّةِ التَّشْبِيهِ، وَأَخْرَتِ الْلَّامُ عَنِ (إِنْ) لِتَلَى يَجْمِعُوا بَيْنَ حَرْفِيْ ثَأْكِيدٍ، فَلَمَّا نُصِبَ بِهَا مَعَ التَّحْخِيفِ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا يَمْتَزِلَةٌ فِيْ غُلٍ قَدْ حُذِفَ بَعْضُ حُرُوفِهِ) ². وَهُوَ مَا أَخَذَ بِهِ ابْنُ هِشَامَ، إِذْ قَالَ: ((وَالْأَصْلُ فِي كَانَ زَيْنَدًا أَسَدًا إِنْ زَيْنَدًا كَالْأَسَدِ ثُمَّ قُدِّمَ حَرْفُ التَّشْبِيهِ اهْتِمَاماً بِهِ)) ³. فِي حِينَ عَالَجَ الْعَكْبَرِيُّ الْغَايَةَ مِنْ هَذَا التَّرْكِيبِ مِنْ زَاوِيَّةِ أُخْرَى، نَاظِرًا فِيهَا إِلَى مَقَاصِدِ الْمُكَلَّمِ وَمَوَازِنَاهَا بَيْنَ مَعْنَى التَّشْبِيهِ الَّذِي ثَفِيْدُهُ (الْكَافُ) وَمَعْنَى التَّحْقِيقِ الَّذِي ثَفِيْدُهُ (إِنْ)، مُتَهَيِّئًا إِلَى أَنْهُمْ ابْتَدَأُوا بِحَرْفِ التَّشْبِيهِ لِأَنَّهُ أُولَى مِنْ أَنْ يَتَدَبَّرُوا بِحَرْفِ التَّحْقِيقِ ثُمَّ يَعُودُوا إِلَى التَّشْبِيهِ؛ لِيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَبْتَنى الْجُمْلَةِ –عِنْدَنِي– قَائِمٌ عَلَى التَّشْبِيهِ، قَالَ: ((وَالْأَصْلُ فِي (كَانَ زَيْنَدًا الْأَسَدُ) إِنْ زَيْنَدًا كَالْأَسَدِ ثُمَّ قَدِّمُوا (الْكَافُ) فَأَدْخَلُوهَا عَلَى (إِنْ) لِيَتَدَبَّرُوا بِالْمُشَبَّهِ وَهُوَ أُولَى مِنْ أَنْ يَتَدَبَّرُوا بِمَا لَفَظُهُ لَفْظُ التَّحْقِيقِ ثُمَّ يَعُودُ التَّشْبِيهُ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ)) ⁴. فِي حِينَ جَعَلَ ابْنُ جِنْيِي الْغَايَةَ مِنْ تَرْكِيبِهِا

1 الكتاب: 3/ 151. وينظر: الأصول في النحو 1/ 230، وتأويل مشكل القرآن: 281، والمحكم والمحيط الأعظم: 10/ 475، وتهذيب اللغة: 10/ 206، ومغني الليث: 252، والجني الداني: 568، وشرح الرضي: 1814، ولسان العرب: 13/ 33، وشرح التصريح: 1/ 294، وهم المقام: 1/ 487.

2 الإنصال في مسائل الخلاف: 1/ 160.

3 مغني الليث: 252.

4 اللباب في علل البناء والإعراب: 1/ 205.

الأذائين: (إِنَّ وَكَافَ التَّشِيهِ) عَلَى هَذَا النَّحْوِ هِيَ إِصْلَاحُ الْلَّفْظِ، وَهُوَ مَا يَصْبُرُ بِدَورِهِ فِي دُقَّةِ الْمَعَانِي وَقُوَّتِهَا، قَالَ: ((وَمِنْ إِصْلَاحِ الْلَّفْظِ قَوْلُهُمْ: كَانَ زَيْدًا عَمْرُو. إِغْلِمْ أَنْ أَصْلِ هَذَا الْكَلَامَ: زَيْدٌ كَعَمْرُو، ثُمَّ أَرَادُوا تُوكِيدَ الْخَبَرِ فَزَادُوا فِيهِ (إِنَّ) فَقَالُوا: إِنَّ زَيْدًا كَعَمْرُو، ثُمَّ إِنَّهُمْ بِالْغُوا فِي تُوكِيدِ التَّشِيهِ فَقَدَّمُوا حَرْفَةً إِلَى أُولَئِكَ الْكَلَامِ عِنَاءَةً بِهِ وَإِغْلِامًا أَنْ عَقَدَ الْكَلَامَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا نَقَدَّمَتِ الْكَافُ وَهِيَ جَارَةٌ لَمْ يَجِزْ أَنْ تُبَاشِرَ (إِنَّ) لِأَنَّهَا يَنْقُطُعُ عَنْهَا مَا قَبْلَهَا مِنَ الْعَوَامِلِ فَوَجَبَ لِذَلِكَ فَسْحَهَا فَقَالُوا: كَانَ زَيْدًا عَمْرُو)).¹

وَمِنْ أَسْكَالِ إِصْلَاحِ الْلَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ، فِي الْعَرَبِيَّةِ، تُأخِيرُ الْمُبْتَدَأِ إِذَا كَانَ نَكِرَةً وَتَقْدِيمُ الْخَبَرِ -الَّذِي غَالِبًا مَا يَكُونُ شَيْءًا جَمِيلًا- عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْمُبْتَدَأَ النَّكِرَةُ لَا يَخْسُنُ الْاِبْتِدَاءَ بِهِ، قَالَ سَيِّدُ الْمُؤْمِنِينَ: ((إِنَّ الْاِبْتِدَاءَ إِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ، وَأَحْسَنُهُ إِذَا اجْتَمَعَ نَكِرَةً وَمَعْرِفَةً أَنْ يَنْتَدِي بِالْأَغْرِفِ؛ وَهُوَ أَصْلُ الْكَلَامِ)).² وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ عِنْدَهُمْ أَنَّ فِي الْاِبْتِدَاءِ بِالنَّكِرَةِ جَفَاءً وَقُبْحًا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى؛ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُفِيدُ مَعْنَى عِنْدَ السَّمَاعِ، وَمِنْ ثُمَّ كَانَ الْأُولَى أَنْ يَكُونُ الْمُبْتَدَأَ مَعْرِفَةً أَوْ نَكِرَةً مُخْتَصَّةً، قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ: ((وَحَقُّ الْمُبْتَدَأِ أَنْ يَكُونَ مَعْرِفَةً أَوْ مَا قَارَبَ الْمَعْرِفَةِ مِنَ النَّكِرَاتِ الْمُوصُوفَةِ خَاصَّةً، ...، وَإِنَّمَا امْتَنَعَ الْاِبْتِدَاءُ بِالنَّكِرَةِ الْمُفَرَّدةِ الْمُخْضَبَةِ لِأَنَّهُ لَا فَائِدَةُ فِيهِ، وَمَا لَا فَائِدَةُ فِيهِ فَلَا مَعْنَى لِلِّتَكَلُّمِ بِهِ، ...، فَإِذَا اجْتَمَعَ اسْمَانُ الْمُخْضَبَةِ لِأَنَّهُ لَا فَائِدَةُ فِيهِ، وَمَا لَا فَائِدَةُ فِيهِ فَلَا مَعْنَى لِلِّتَكَلُّمِ بِهِ، ...، فَإِذَا اجْتَمَعَ اسْمَانُ الْمَعْرِفَةِ وَنَكِرَةً، فَحَقُّ الْمَعْرِفَةِ أَنْ يَكُونَ هِيَ الْمُبْتَدَأُ وَأَنْ يَكُونَ النَّكِرَةُ الْخَبَرُ لِأَنَّكَ إِذَا ابْتَدَأْتَ فَإِنَّمَا قَصْدُكَ تَثْبِيتُ الْسَّمَاعِ بِذِكْرِ الْاسْمِ الَّذِي تُحَدِّثُهُ عَنْهُ لِيَتَوَقَّعَ الْخَبَرُ بَعْدَهُ، فَالْخَبَرُ هُوَ الَّذِي يَنْكِرُهُ وَلَا يَعْرِفُهُ وَيَسْتَفِيدُهُ)).³ وَمِنْ ثُمَّ فَقَدَّمَهُمْ إِلَى إِصْلَاحِ الْلَّفْظِ بِأَنَّهُمْ اِنْجَهُوا إِلَى أَنْ يَقْعُدُ فِي سَمْعِ الْمُتَلَقِّيِّ، قَالَ ابْنُ جِنْيَةَ فِي بَابِ إِصْلَاحِ الْلَّفْظِ: ((وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُمْ: لَكَ مَا لَكَ وَعَلَيْكَ دَيْنُ، فَالْمَالُ وَالدَّيْنُ هُنَا مُبْتَدَآنِ، وَمَا قَبْلَهُمَا خَبَرٌ عَنْهُمَا إِلَّا أَنَّكَ لَوْ رُمِتَ تَقْدِيمُهُمَا إِلَى الْمَكَانِ الْمُقْدَرِ

1. الخصائص: 1/ 318.

2. الكتاب: 1/ 328.

3. الأصول في النحو: 1/ 59.

لهمَا لَمْ يَجِدْ، لِقُبْحِ الابْتِدَاءِ بِالنَّكَرَةِ فِي الْوَاجِبِ فَلَمَّا جَهَّا ذَلِكَ فِي الْلَّفْظِ أَخْرُوا الْبَتِّدَاءَ وَقَدَّمُوا الْخَبَرَ وَكَانَ ذَلِكَ سَهْلًا عَلَيْهِمْ وَمَصْلِحًا لَا قَسَدَ صَنَدُهُمْ. وَإِنَّمَا كَانَ تَأْخُرُهُ مُسْتَخْسَنًا مِنْ قَبْلِ أَنْ لَمْ يَأْخُرْ وَقَعَ مَوْقِعُ الْخَبَرِ وَمِنْ شَرْطِ الْخَبَرِ أَنْ يَكُونَ نَكَرَةً، فَلِذَلِكَ صَلَحَ بِهِ الْلَّفْظُ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَخْطَنَا عِلْمًا بِأَنَّهُ فِي الْمَعْنَى مُبْتَدَأٌ. فَإِنَّمَا مِنْ رَفْعِ الْاسْمِ فِي نَخْوِ هَذَا بِالظُّرْفِيَّةِ فَقَدْ كُفِيَ مَتْوِئَةً هَذَا الْاعْتِدَارُ لِأَنَّهُ لَيْسَ مُبْتَدَأٌ عِنْدَهُ¹. وَقَدْ وَقَفَ الْأَشْمُونِيُّ عَلَى مُسَوْغِ الابْتِدَاءِ بِالنَّكَرَةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ عَنْ طَرِيقِ تَقْدِيمِ الْخَبَرِ شَيْءٍ الْجُمْلَةِ عَلَيْهِ؛ فَيَبْيَّنُ أَنَّهُ لَا دَخْلَ لِتَقْدِيمِ الْخَبَرِ فِي تَسْوِيغِ الابْتِدَاءِ بِالنَّكَرَةِ، وَإِنَّمَا الْأَمْرُ يَعُودُ إِلَى ثَوْهُمِ الْوَاصِفِ التَّائِبِ مِنْ تَأْخِيرِ الْبَتِّدَاءِ؛ قَالَ: ((وَلَا دَخْلَ لِتَقْدِيمِ فِي التَّسْوِيغِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِمَا فِي التَّأْخِيرِ مِنْ ثَوْهُمِ الْوَاصِفِ))².

وَمِنْ صُورِ إِصْنَالِ الْلَّفْظِ وَتَزْبِينِهِ اسْتِعْمَالُ الْاسْمِ الْمَوْصُولِ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى وَصْفِ الْاسْمِ الْمَرْفُوِّ بِالْجُمْلَةِ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْجُمْلَةَ نَكَرَةً فَلَا تُوصَفُ بِهَا الْمَعْرِفَةُ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الْمَجِيءِ بِالْمَوْصُولِ الَّذِي يُحْسِنُ الْجُمْلَةَ وَيُبَيِّنُهَا بِوَصْفِ الْمَعْرِفَةِ، قَالَ ابْنُ حَمْيَيْ: ((وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا أَرَادُوا أَنْ يَصِفُوا الْمَعْرِفَةَ بِالْجُمْلَةِ كَمَا وَصَفُوا بِهَا النَّكَرَةَ، وَلَمْ يَجِدُ أَنْ يُجْزِرُوهَا عَلَيْهَا لِكَوْنِهَا نَكَرَةً أَصْنَلُوهَا الْلَّفْظَ بِإِذْخَالِ (الَّذِي) لِتَبَاشِرَ بِلِفْظِ حَرْفِ التَّعْرِيفِ الْمَعْرِفَةَ فَقَالُوا: مَرَّتُ بِزَيْدِ الَّذِي قَامَ أَخْرُوهُ، وَتَخْوَهُ))³. وَقَدْ وَقَفَ الْجُرْجَانِيُّ (ت 471هـ) عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مُبِيِّنًا سَبَبَ اسْتِعْمَالِ الْاسْمِ الْمَوْصُولِ وَدَلَالَاتِ هَذَا الْاسْتِعْمَالِ؛ قَالَ: ((إِنَّ (الَّذِي) اجْتَلَبَ لِيَكُونَ وُصْنَلَةً إِلَى وَصْفِ الْمَعَارِفِ بِالْجُمْلَةِ، كَمَا اجْتَلَبَ (ذُو) لِيَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى الْوَاصِفِ بِاسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ، يَعْتَوْنَ بِذَلِكَ أَنَّكَ تَقُولُ: مَرَّتُ بِزَيْدِ الَّذِي أَبْوَهَ مُنْطَلِقَ وَالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ عِنْدَنَا أَمْسِ، فَتَحِيدُكَ قَدْ تَوَصَّلْتَ بِ(الَّذِي) إِلَى أَنْ أَبْتَثَ زَيْدًا مِنْ غَيْرِهِ، ...، (الَّذِي) ثُوَصَلْ بِجُمْلَةِ سَبَقَ مِنَ السَّامِعِ الْعِلْمُ بِهَا، ...،

1. الخصائص: 1/318.

2. شرح الأشموني: 1/192.

3. الخصائص: 1/322.

تفسيرٌ هذا أللَّكَ لا تصلُّ (الذِي) إلَّا بِجُمْلَةِ من الْكَلَامِ فَذَسَقَ مِن السَّائِعِ عِلْمَ يَهَا، وَأَمْرٌ قَدْ عَرَفَهُ لَهُ، تَحْوِيْ أَن تَرَى عِنْدَهُ رَجُلًا يُشَدِّدُهُ شِعْرًا فَتَقُولُ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ: مَا فَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالْأَمْسِ يُشَدِّدُكَ الشِّعْرَ؟ : هَذَا حُكْمُ الْجُمْلَةِ بَعْدَ (الذِي)، إِذَا أَنْ وَصَفْتَ بِهِ شَيْئًا. فَكَانَ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: إِنَّهُ اجْتَلَبَ لِيَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى وَصْفِ الْمَعَارِفِ بِالْجُمْلَةِ، أَنَّهُ جِيءَ بِهِ لِيَفْصِلَ بَيْنَ أَنْ يُرَاذَ ذِكْرُ الشَّيْءِ بِجُمْلَةِ قَدْ عَرَفَهَا السَّائِعُ لَهُ، وَبَيْنَ أَنْ لَا يَكُونَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ) ¹. وَقَدْ أَوْجَزَ الْعَكْبَرِيُّ هَذَا الْكَلَامَ بِالْقَوْلِ: ((وَالغَرَضُ مِنِ الْإِثْبَانِ بِالذِي وَالَّتِي وَصَفَ الْمَعَارِفِ بِالْجُمْلَةِ إِذَا كَانَتِ الْجُمْلَةُ تُفَسَّرُ بِالْتَّكَرَاتِ وَيَتَبَغِي أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَى وَصْفِ الْمَعْرِفَةِ بِالْجُمْلَةِ لِتَلَاءِّمَ كَيْفَيَّةً مَا لَيْسَ لِلْمَعْرِفَةِ وَهَذَا كَجَعَلِهِمْ (ذُو) وَصْلَةٌ إِلَى الْوَصْفِ بِالْجُنَاحَسِ وَ(أَيْ) وَصْلَةٌ إِلَى نَدَاءِ مَا فِيهِ الْأَلْفُ وَاللَّامِ)) ².

وَمِنْ إِصْنَاعِ الْلَّفْظِ وَتَزَيِّنَتِهِ فِي الْعَرَبِيَّةِ تُرْكُ إِظْهَارُ الضَّمِيرِ فِي الْاسْمِ الْثَّانِي مِنِ الْمُتَعَاطِفَيْنِ قَبْلَ اسْتِيَافِ الْمَضَافِ إِلَيْهِ، كَمَا فِي: جَاءَ أَخُو وَغَلَامٌ عَلَيْهِ، الَّتِي أَصْنَلَهَا: جَاءَ أَخُو عَلَيْهِ وَغَلَامُهُ، فَلَمَّا حُذِفَ الْمَضَافُ إِلَيْهِ الْأَوَّلُ جُعِلَ الْمَضَافُ إِلَيْهِ الثَّانِي اسْنَمَا ظَاهِرًا، فَيَكُونُ (غَلَام) مَضَافًا، وَالْمَضَافُ إِلَيْهِ مَحْتُوْفًا تَقْدِيرُهُ (عَلَيْهِ)، ثُمَّ حُذِفَ الضَّمِيرُ مِنْ (غَلَامه) إِصْنَاعًا لِلْلَّفْظِ وَتَخْسيْسًا لَهُ، لِتَلَاءِّمَ يَنْقَيِ الْاسْمُ الْمَجْرُورُ (عَلَيْهِ) مِنْ دُونِ جَارٍ، وَمَيْدَلُهُ عِنْدَ الْقَدَمَاءِ: بَيْنَ ذِرَاعَيِّ وَجْهَةِ الْأَسَدِ ³؛ قَالَ ابْنُ جَيْنِي: ((قِيلَ: أَمَّا تُرَكُوكُمْ إِظْهَارُ الضَّمِيرِ فِي الْثَّانِي، وَأَنْ يَقُولُوا: بَيْنَ ذِرَاعَيِّ وَجْهَةِ الْأَسَدِ وَتَحْوِيْهِ الْأَسَدِ وَتَحْوِيْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ لَوْ فَعَلُوهُ لَبَقِيَ الْمَجْرُورُ لَفَظًا لَا جَارَ لَهُ فِي الْلَّفْظِ يُجَارُوْهُ، لَكِنَّهُمْ لَمَا قَالُوا: بَيْنَ ذِرَاعَيِّ وَجْهَةِ الْأَسَدِ صَارَ كَانَ (الْأَسَد) فِي الْلَّفْظِ مَجْرُورٌ بِنَفْسِ (الْجَهَةِ)، وَإِنْ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ مَجْرُورًا بِنَفْسِ

1 دلائل الإعجاز: 1 / 200.

2 اللباب في علل البناء والإعراب: 2 / 113.

3 ينظر: الكتاب: 1 / 180، ومعاني القرآن للفراء: 2 / 322، والمقتضب: 4 / 229، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: 4 / 177، وإعراب القرآن للنحاس: 3 / 179، وإعراب القرآن للباقي المنسوب خطأ للزجاج: 2 / 681، والمفصل في صنعة الإعراب: 133، والتبيان في إعراب القرآن: 2 / 1036، وتوضيح المقاصد: 2 / 821، وشرح الأشموني: 2 / 178، وحاشية الصبان: 2 / 414، وجامع الدروس العربية: 3 / 213.

الدراعين. وكأنهم في ذلك إنما أرادوا إصلاح اللُّفظ. وأماماً قبْح حذف الضمير مجروراً بضعفه عن الانفصال، فساقط عنا أيضاً، وذلك أنه إنما يقبح فصل الضمير المجرور متى خرج إلى اللُّفظ نحو: مَرَأْتُ بَزِيْدُوكَ، وَنَزَّلْتُ عَلَى زَيْدُوكَ لِضيقه أن يفارق ما جرَه. فاما إذا لم يظهر إلى اللُّفظ وكان إنما هو مقدَّرٌ في النفس غير مستكَرٌ عليه اللُّفظ فإنه لا يقبح، ألا ترى أن هنا أشياء مقدَّرة لو ظهرت إلى اللُّفظ قبَحَتْ، ولأنها غير خارجة إليه ما حسنت، من ذلك قوله: اختصم زَيْدٌ وعَمْرُو، ألا ترى أن العامل في المغطوف غير العامل في المغطوف عليه، فلَا بدَّ إذا من تقديره على: اختصم زَيْدٌ واختصم عَمْرُو، وأنت لو قلت ذلك لم يجُز؛ لأنَّ اختصم وتحوه من الأفعال - مثل اقتل واستب واصطَرَعَ - لا يكون فاعله أقل منثنين، وكذلك قوله: رَبُّ رَجُلٍ وَأخِيهِ، ولو قلت: وَرَبُّ أخِيهِ لم يجُز، وإن كانت رَبُّ مُرَادَة هُنَاكَ ومقدَّرة))¹.

ومن صور إصلاح اللُّفظ وتزيينه، في العَرَبِيَّةِ، استعمال الفاء في نحو: زَيْدًا فَأَكْرَمَ، إذ ذهب ببعض النحوين إلى أنَّ أصل الجملة هو: ثَبَّةٌ فَأَكْرَمَ زَيْدًا، ثم حذف الفعل الأول: (ثَبَّة)، فبقيت الجملة: فَأَكْرَمَ زَيْدًا، ومن ثم، وقعت الفاء أوَّلًا من دون أن يتقدَّم عليها شيء، فقدم المفعول به ليكون مسوًغاً لوجود الفاء، فقالوا: زَيْدًا فَأَكْرَمَ، قال أبو حيَّان الأندلسي (ت 745هـ): ((وَإِيَّاهُ فَارَهُبُونَ. إِيَّاهُ: مَنْصُوبٌ بِفَعْلٍ مَحْذُوفٍ مَقدَّرًا بعده للفصال الضمير، وإيَّاهُ ازهُبُوا، وَحُذِفَ لِدِلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَتَقْدِيرَةِ قَبْلَهُ، والفاء في قوله: فَارَهُبُونَ، دَخَلتْ في جوابِ أمرٍ مقدَّرٍ، والتقدير: ثَبَّهُوا فَارَهُبُونَ، ...، قال بعض أصحابنا: الَّذِي ظَهَرَ فِيهَا بَعْدَ الْبَحْثِ أَنَّ الْأَصْلَ فِي: زَيْدًا فَاضْرِبْ، ثَبَّهُ: فَاضْرِبْ زَيْدًا، ثم حذف ثَبَّهُ فصار: فَاضْرِبْ زَيْدًا. فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفَاءُ صَدَرَ قَدْمَوْا الْإِسْمُ إِصْلَاحًا لِلْفُظُّ، وَإِنَّمَا دَخَلتِ الْفَاءُ هَنَاءً لِتَرْبِيعِ هَائِنِ الْجُمْلَتَيْنِ، اتَّهَى مَا لُخْصَ مِنْ كَلَامِهِ. وَإِذَا تَقْرَرَ هَذَا فَتَحْتَمِلُ الْأَيْةُ وَجَهَنَّمُ: أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ وَإِيَّاهُ ازهُبُوا، ثَبَّهُوا فَارَهُبُونَ، فَتَكُونُ الْفَاءُ دَخَلتْ في جوابِ الْأَمْرِ، وَلَيَسْتَ مُؤَخَّرَةً مِنْ تَقْدِيرِهِ. وَالْوَجْهُ

الثاني: أن يكون التقدير وثبّهوا فارهبون، ثم قدم المفعول فافتصل، وأخرت الفاء حين قدم المفعول وفعلن الأمر الذي هو ثبّهوا مخدوف، فالمعنى بعده حرفان: الواو العاطفة والفاء، التي هي جواب أمر، فتصدرت الفاء، فقدم المفعول وأخرت الفاء إصلاحاً للفظ، ثم أعيد المفعول على سبيل التأكيد والتكميل الفاصلة، وعلى هذا التقدير الأخير لا يمكن إياها معنوا لفعل مخدوف، بل معنوا لهدا الفعل الملفوظ به، ولما يبعد تأكيد الضمير المتصل بالضمير المتصل، كما أكد المتصل بالمتصل في نحو: ضربتك إياك¹). وقد لخص السمين الحلبي (ت 756هـ) هذا الكلام، آخذا بفكرة إصلاح اللفظ؛ قال: ((والفاء في «فارهبون» فيها قولان للشخرين، أحدهما: أنها جواب أمر مقدر تقديره: ثبّهوا فارهبون، وهو ظير قولهم: (زيداً فاضرب) أي: ثبّه فاضرب زيداً، ثم حذف: ثبّه فصار: فاضرب زيداً، ثم قدم المفعول إصلاحاً للفظ، لئلا ظفع الفاء صدراً، وإنما دخلت الفاء لترتبط هائين الجملتين. والقول الثاني في هذه الفاء: أنها زائدة))². والمتأمل في مثل هذا التوجيه يرى فيه تكلاعاً وتعسفاً، أدى إلى القول بتقدير مخدوف في الجملة ولما يدل شيء فيها عليه، وهو: الفعل (ثبتة)، ثم القول بتقديم المفعول به، وهو في الجملة (زيداً)، لغرض لفظي، وهو أن لا تصدر الجملة بالفاء، على الرغم من أن التقدير هنا هو لغرض معنوي ذاتي متبوع الاهتمام بالاسم لا بالحدث.

ولابد من الإشارة إلى أن مثل هذا التقدير قد يؤدي، نوعاً ما، إلى تغيير الدلالة، بسبب الدلالة اللغوية المترجمة التي يضفيها الفعل المقدر (ثبتة) على الجملة.

وأقرب من هذا ما ورد في قول ابن مالك:

ومفرداً نعتا لمبني يلي ... فافتخر، أو النصين، أو ارفع، تعديل

البحر الخيط: 1/ 283-284.

2 الدر المصنون: 1/ 314، وينظر: معنى الليب: 221، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري: 1/ 67، والباب في علوم الكتاب: 2/ 12، وإعراب القرآن وبيانه: 1/ 91.

إذ إنَّ الفاءَ هُنَا أَيْضًا جِيءَ بِهَا لِلتَّزِينِ، قَالَ الْأَسْتَادُ عَبْدَ حَسَنَ: ((الفاءُ في: (فَاقْتَحَ) زَائِدَةً لِتَخْسِينِ الْلُّفْظِ، فَلَا تَمْتَعَ مِنْ تَقْدُمٍ مَعْمُولٍ مَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ، مِثْلَ كَلِمةِ: (مُفَرَّداً) هُنَا)).¹

وَقَدْ وَرَدَ حَرْفُ (الفاءُ) مُسْتَعْمَلًا لِغَرضِ إِصْنَاحِ الْلُّفْظِ وَتَزِينِهِ أَوْ لِتَخْسِينِهِ، فِي مَوَاضِيعَ أُخْرَى مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، حَدَّدَهَا عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ، وَمِنْ تِلْكَ الْمَوَاضِيعِ اسْتِعْمَالُ الفاءِ مَعَ (قَدْ)، وَقَطْ، وَحَسْبِ، وَصَاعِدًا، وَزَائِدًا). وَمِنْ صُورِ ذَلِكَ اسْتِعْمَالِ الفاءِ مَعَ اسْمِ الْفِعْلِ (قَدْ) يَمْعَنِي: حَسْبٌ؛ فَقَالُوا: (قَدْ) تَزَيَّنَا لِلْلُّفْظِ وَإِصْنَاحًا لَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ²:

فَالَّتِي أَلَا لَيَتَمَّا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا ... إِلَى حَمَامَتِنَا وَنَصْفَةُ قَدِ

قالَ ابْنُ الْمِنَيرِ الْاسْكَنْدَرِيَّ (ت 683هـ): ((وَقَدْ: اسْمٌ يَمْعَنِي حَسْبٌ، أُضِيفَتْ إِلَى بَيْءِ الْمُتَكَلِّمِ بِعِيْرِ ثُونِ الْوَقَائِيَّةِ، كَمَا يُقَالُ: حَسْبِيٌّ: وَيَخْتَلِفُ أَنَّ الْبَيْءَ حَرْفٌ إِطْلَاقٌ، فَلَا إِضَافَةٌ وَلِكُنْهَا مُتَعَيْنَةٌ فِي كَلَامِ زَرْقَاءِ، وَالْهَاءُ فِيهِ لِلسُّكْتِ، وَهُوَ يُرْجُحُ الْإِضَافَةَ فِي كَلَامِ التَّابِعَةِ، وَالْفاءُ فِيهِ زَائِدَةً لِتَخْسِينِ الْلُّفْظِ كَفَاءٌ فَقَطْ، وَكِلَاهُمَا يَمْعَنِي: أَنْتَهُ، وَكَانُهَا فَاءُ الْحَوَابِ، أَيْ: إِذَا بَلَغْتَ هَذَا الْحَدَّ فَأَنْتَهُ))³. وَجَاءَ فِي نَاجِ الْعَرْوَسِ: ((فَقطٌ: اسْمٌ فَعَلٌ يَمْعَنِي أَنْتَهُ، وَيُصَدِّرُ كَثِيرًا بِالْفاءِ تَزَيَّنَا لِلْلُّفْظِ، كَانَهُ جَزَاءُ شَرْطٍ مَخْتَوْفٍ، أَيْ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأَنْتَهُ عَنِ الْآخَرِ))⁴. وَقَالَ الْحَضْرَيُّ عَنْ (فَقطٍ) فِي قَوْلِ ابْنِ مَالِكٍ:

(أَلَّا) حَرْفٌ تَغْرِيفٌ، أَوْ (اللَّامُ) فَقَطْ ... فَنَمَطٌ عَرَفْتَ، قُلْ فِيهِ: النَّمَطُ

1 النحو الوافي / 1 ، 704، وينظر: حاشية الصبان: 1 / 132، ومنحة الجليل بهامش شرح ابن عقيل: 1 / 66، وضياء السالك إلى أوضح المسالك: 1 / 77.

2 للنابغة التميمي، في ديوانه: 24، ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. أميل بديع يعقوب: 2 / 421.

3 حاشية الاتصال فيما تضمنه الكشاف، بهامش تفسير: الكشاف: 3 / 7.

4 ناج العروس: 20 / 46، وينظر: مختصر معنى الليب: 72، والتطبيق التحوي: 421.

: ((الفاء زائدة لتحسين اللفظ، و(قط) بمعنى حسب. وهي حال من اللام في بيت ابن مالك)، أي: حال كونها؛ حسبك: أي: كافية عن طلب غيرها، وقيل (الفاء) في جواب شرط مقدّر، و(قط) خبر مخدوف فالتقدير: إن عرفت هذا فقط أي: فهي حسبك، أو اسم فعل بمعنى: إن، أي: إذا عرفت لك فهي حسبك، أو: فائته على طلب غيرها)¹. ومن ذلك الفاء الداخلة على (حسب)، قال الأزهري: ((وَدَخَلَتِ الْفَاءُ فِي الْأَخِيرِ عَنْ رِسَا لِلْفَظِ كَمَا تَدْخُلُ عَلَى (قط) فِي قَوْلِكَ: قَبضْتُ عَشْرَةً فَقَطْ)).² وهو ما أكدَه الكفوبي؛ إذ قال: ((وَحَسْبٌ بِالسُّكُونِ: أَجْرِيَ مَغْرِيَ الْجِهَاتِ السُّتُّ فِي حَذْفِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَالْبَيْنَ عَلَى الضَّمِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الظُّرُوفِ، وَشُبَّهَ بِ(غير) فِي عَدَمِ التَّعْرِيفِ بِالْأَضَافَةِ، وَقَدْ تَدْخُلُ الْفَاءُ لِتَحْسِينِ الْفَظِ)).³ ومنه الفاء الداخلة على (قط)، قال الأستاذ سعيد الأفغاني: ((و(الفاء) للترتيب مع التعقيب ولربط الجواب،...، ويحيى زائدة لتحسين اللفظ نحو: خذ سبعة فقط)).⁴ ومن ذلك أيضاً الفاء الداخلة على (صاعداً ونازلاً)، قال الأستاذ عبد الغني الدقر (ت 1423هـ): ((فصادعاً: ثقول: أخذت هذا بذرهم فصادعاً، التقدير: أخذته بذرهم، ثم زدت صاعداً، ودخلت الفاء لأنها للترتيب والتعقيب، وقيل: الفاء لتحسين اللفظ، ولو أئيَتْ بـ(ثم) بدأ الفاء لجاز، ولكن الفاء أجود، لأن معناه الاتصال، وشرحه على الحقيقة: أخذته بذرهم فزاد الثمن صاعداً، فحذف العامل وصاحب العامل وصاحب الحال تخفيفاً. ومثله: أخذته بذرهم فزاد، ولا يجوز أخذته بذرهم فصادعاً ولا وصادعاً، لأنك لا تريده أن تخبر أن الدُّرْهم فزائداً،

1 حاشية الخضرى: 1 / 180، وينظر: النحو الوافى: 1 / 422، وضياء السالك إلى أوضح المسالك: 1 / 180.

2 شرح التصريح: 1 / 723، وينظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك 2 / 363.

3 الكلبات: 397، وينظر: الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغربية: 47-48، وجامع الدروس العربية: 2 / 210، 218، والتطبيق التحوى: 421.

4 الموجز في قواعد اللغة العربية: 389.

مع صاعده ئمن لشيء، ولكتئك أخبرت بأذني التمَن فجعلته أوّلًا ثم قصدت شيئاً بعد
شيء لأنماه شئ))¹.

ومن مظاهير إصلاح اللُّفْظِ وتزيينه الباء الزائدة في صيغة التَّعْجُبِ القياسيةِ (أ فعل
به)، التي تُعد زِيادةً راجحةً لا غاليةً ولا ضرورةً، وقد جاء في كلام السعدي الحلبـي
على صيغة التَّعْجُبِ الواردة في قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غَيْرُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)² ما
يُوضَّحُ ذَلِكَ، قال: ((قوله: (أبصِرْ به): صيغة تعجبٍ يُمْعِنُ في ما أبصره، على سبيل
المجاز، والهاء لله تعالى. وفي مثيل هذا ثلاثة مذاهب: الأصح أنه بلفظ الأمر ومعنى
الخبر، وبالباء مزيدة في الفاعلِ إصلاحاً للفظ. والثانى: أن الفاعل ضمير المصدر.
والثالث: أنه ضمير المخاطب، أي: أوقع إليها المخاطب. وفيه: هو أمر حقيقة لا
تعجب، وأن الهاء تعود على المدى المفهوم من الكلام))³. ويفهم من كلامه في موضع
آخر أن سبب زِيادتها زِيادةً لازمةً، عند النحوين، هو إصلاح اللُّفْظِ بالتمييز بين (أ فعل)
عندما يكون فعلَ تعجبٍ والفاعل معه هو المجرورُ بالباء الزائدة اللازمـة، و(أ فعل) الذي
يكون فعلَ أمرٍ، وفاعله -عندئذ- ضمير مُستتر وجوباً؛ قال: ((قوله تعالى: (أسمع بهم
وابصِرْ)⁴: هذا لفظُ أمرٍ ومعنى التَّعْجُبِ، وأصحُ الأعـارِبُ فيه كما تقرَّ في علمِ
النحو: أنَّ فاعله هو المجرورُ بالباء، وبالباء زائدةً، وزِيادتها لازمةً إصلاحاً للفظِ، لأنَّ أفعل
أمرًا لا يكون فاعله إلـا ضميرًا مُستترًا، ولـا يجوز حذف هذه الباء إلـا مع أنَّ وـأنَّ، ...،

1 معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، عبد الغني الدقر : 328.

2 سورة الكهف، الآية: 26.

3 الدر المصور: 7 / 47.

4 سورة مريم، الآية: 38.

فَالْجُنُورُ مَرْفُوعُ الْمَحْلُ، وَلَا ضَمِيرٌ فِي أَفْعَلٍ) ¹. وَهَذَا مَا أَكَدَهُ ابْنُ هِشَامُ أَيْضًا فِي تَخْلِيلِهِ صِيغَةُ التَّعْجُبِ عَلَى رَأْيِ جُمْهُورِ التَّخْوِينِ الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ (أَفْعَلَ) فِي هَذِهِ الصِّيغَةِ فَعْلٌ أَمْ مَعْنَاهُ الْخَبَرُ؛ إِذَا قَالَ: ((فِي نَحْوِ أَخْسِنِ بِزَيْدٍ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ إِنَّ الْأَصْلَ أَخْسَنَ زَيْدًا بِمَعْنَى: صَارَ ذَا حُسْنٍ، ثُمَّ غَيْرَتْ صِيغَةُ الْخَبَرِ إِلَى الْطَّلْبِ وَزِيدَتْ الْأَبَاءُ أَصْلًا حَالَ لِلْفَظِ)) ².

وَمِنْ مَظَاهِرِ اِصْلَاحِ الْلُّفْظِ وَتَزْيِينِهِ (كَانَ) فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ ³ :

فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ بِدَارِ قَوْمٍ ... وَجِيزَانَ لَنَا كَانُوا كَرَامٍ

فَقَدْ بَيَّنَ ابْنُ هِشَامُ أَنَّ (كَانَ) فِي هَذَا الْبَيْتِ زَائِدَةً إِصْلَاحًا لِلْفَظِ، قَالَ: ((فَقَبِيلَ الْأَصْلِ هُمْ لَنَا ثُمَّ وُصِيلُ الضَّمِيرِ بـ(كَانَ) الزَّائِدَةُ إِصْلَاحًا لِلْفَظِ لِئَلَّا يَقْعُضُ الضَّمِيرُ الْمَرْفُوعُ الْمُنْقَصِلُ إِلَى جَانِبِ الْفَعْلِ)) ⁴. وَتَقَلَّ الشَّيْخُ خَالِدُ الْأَزْهَرِيُّ هَذِهِ التَّخْلِيلَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ، آخِذًا بِفِكْرَةِ إِصْلَاحِ الْلُّفْظِ، قَالَ: ((فَقَبِيلُ الْأَصْلِ هُمْ لَنَا ثُمَّ وُصِيلُ الضَّمِيرِ بـ(كَانَ) الزَّائِدَةُ إِصْلَاحًا لِلْفَظِ لِئَلَّا يَقْعُضُ الضَّمِيرُ الْمَرْفُوعُ الْمُنْقَصِلُ إِلَى جَانِبِ الْفَعْلِ، وَقَبِيلُ الْأَصْلِ ثَوْكِيدٌ لِلْمُسْتَشِيرِ فِي لَنَا عَلَى أَنَّ لَنَا صِفَةً لِجِيزَانَ ثُمَّ وُصِيلٌ لِمَا ذُكِرَ)) ⁵.

وَقَدْ شَرَحَ الْبَعْدَادِيُّ (ت 1093هـ) هَذِهِ التَّوْجِيهَ، قَالَ: ((لَنَا: قَبِيلٌ: خَبَرٌ مُقْدَمٌ ثُمَّ اخْتَلَفَ عَلَى قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ وَالْأَصْلُ: لَنَا هُمْ ثُمَّ زِيدَتْ كَانَ بَيْنَهُمَا فَصَارَ لَنَا كَانَ هُمْ ثُمَّ وُصِيلٌ الضَّمِيرِ إِصْلَاحًا لِلْفَظِ لِأَنَّهُ لَا يَصْحُ وَقُوَّعَهُ مُنْقَصِلًا إِلَى جَانِبِ فِعْلٍ غَيْرِ

1 الدر المصنون: 7 / 602.

2 معنى الليب: 144، وينظر: الباب في علوم الكتاب: 12 / 465، و13 / 68، وإعراب القرآن وبيانه: 5 / 564.

3 للفرزدق، في ديوانه: 2 / 290، ولسان العرب: 13 / 370 (كتن).

4 معنى الليب: 378.

5 شرح التصريح على التوضيح: 1 / 254.

مُشْتَغِلٍ بِمَعْمُولٍ. والثاني: أَنَّهُ خَبَرٌ لِكَانَ وَأَنَّهَا نَاقِصَةٌ وَهُوَ قَوْلُ الْمُبَرَّدِ وَجَمَاعَةٌ وَعَلَيْهِ فَالْجُمْلَةُ صِفَةٌ لِحِجَارَانِ وَتَقَدَّمَتْ عَلَى الصِّفَةِ الْمُفَرَّدَةِ وَالْأَكْثَرُ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيرِ الْمُفَرَّدَةِ) ¹. وَقَالَ الصَّبَّانُ (ت 1206هـ) مُوضِّحًا هَذَا الوجهُ: ((الْأَصْلُ هُمْ لَنَا ثُمَّ قَدْمُ الْخَبَرِ وَوَصْلُ الضَّمِيرِ بِكَانَ الزَّائِدَةُ إِصْلَاحًا لِلْفَظِ لِئَلَّا يَقْعُضُ الضَّمِيرُ الْمَرْفُوعُ الْمُتَفَصِّلُ بِجَانِبِ الْفِعْلِ)) ².

وَمِنْ إِصْلَاحِ الْفَظِ وَتَزْيِينِهِ زِيَادَةُ (مَا) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَإِنْ كُلُّا لَمَّا لَيُوقِنُهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ) ³، قَالَ السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ: ((وَاللَّامُ فِي (لَيُوقِنُهُمْ) جَوابٌ قَسْمٌ مُضْمِنٌ، وَالْجُمْلَةُ مِنَ الْقَسْمِ وَجَوابُهُ صِلَةٌ لِلْمَوْصُولِ، وَالتَّقْدِيرُ: وَإِنْ كُلُّا لِلَّذِينَ وَاللَّهُ لِيُوقِنُهُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هَذَا نِكْرَةً مَوْصُوفَةً، وَالْجُمْلَةُ الْقَسْمِيَّةُ وَجَوابُهَا صِفَةٌ لِ(مَا) وَالتَّقْدِيرُ: وَإِنْ كُلُّا لَخْلَقَ أَوْ لَفَرِيقَ وَاللَّهُ لِيُوقِنُهُمْ، وَالْمَوْصُولُ وَصِيلَتُهُ أَوْ الْمَوْصُوفُ وَصِيفَتُهُ خَبَرٌ لِ(إِنْ). وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْلَّامُ الْأُولَى هِيَ الْمُوَطَّئَةُ لِلْقَسْمِ، وَلَمَّا اجْتَمَعَ الْلَّامَانِ، وَأَتَفَقَا فِي الْفَظِ فُصِّلَ بَيْنَهُمَا بِ(مَا) كَمَا فُصِّلَ بِالْأَلْفِ بَيْنَ الثُّوَّابِينِ فِي (يَضْرِبُنَا)، وَبَيْنَ الْمَنْزَلَتِينِ فِي تَحْوِي: (أَلَّا). فَظَاهِرٌ هَذِهِ الْعِبَارَةُ أَنَّ (مَا) هَذَا زِيَادَةٌ حِيَّةٌ بِهَا لِلْفَصِيلِ إِصْلَاحًا لِلْفَظِ ...) ⁴. وَمِنْ الْمُفِيدِ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ بَعْضَ الشُّخُورِيَّنَ قَدْ وَجَهُوا (مَا) فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى أَنَّهَا زِيَادَةٌ حِيَّةٌ بِهَا لِلْفَصِيلِ بَيْنَ الْلَّامَيْنِ؛ قَالَ الْعَكْبَرِيُّ: ((وَمَا) خَفِيفَةٌ زِيَادَةٌ لِتَكُونَ فَاصِلَةً بَيْنَ لَامٍ إِنْ وَلَامَ الْقَسْمِ كَرَاهِيَّةٌ تَوَالِيهِمَا، كَمَا فَصَلُوا بِالْأَلْفِ بَيْنَ الثُّوَّابِتِ فِي قَوْلِهِمْ: أَخْسِنَا عَنِّي)) ⁵. وَوَاضِعُهُ مِنْ كَلَامِ الشُّخُورِيَّنَ هُنَّا أَنَّ

1 خزانة الأدب: 9 / 220.

2 حاشية الصبان: 1 / 353.

3 سورة هود، الآية: 111.

4 الدر المصنون: 6 / 400، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 10 / 578.

5 البيان في إعراب القرآن: 2 / 716، وينظر: الكشاف: 2 / 432، ومفاتيح الغيب: 18 / 405، ومدارك التنزيل: 2 / 87.

وَجَهِ إِصْنَاحُ الْفَظْرِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يَتَمَثَّلُ فِي التَّخْلُصِ مِنِ التَّقْلِيلِ الصَّوْنِيِّ النَّاتِيِّ بِنَجْمِ اجْتِمَاعِ الْلَّامِينِ، وَهُوَ أَمْرٌ وَصَفْوَهُ هُمْ بِالْمُسْتَكْرِهِ، وَمِنْ ثُمَّ فَقَدْ لَجَاتِ الْلُّغَةُ إِلَى الْفَصْلِ بِيَتْهُمَا بـ(مَا) الرَّازِيَةُ تَوَصِّلًا إِلَى النُّطْقِ بِهِمَا وَتَخْسِيْنَاهُ، مَعَ الْحِفَاظِ عَلَى الدَّلَالَةِ التَّرْكِيَّيَّةِ لِلنَّصِّ.

وَيُسْتَفَادُ مِنْ نَصٍّ كَلَامِ السَّمِينِ الْحَلَبِيِّ الإِشَارَةُ إِلَى مَظَاهِرِ لُغَويٍّ آخَرَ مِنْ مَظَاهِرِ إِصْنَاحِ الْفَظْرِ، وَهُوَ إِفْحَامُ الْأَلْفِ بَيْنَ ثُونَ النُّسْوَةِ وَثُونَ التَّوْكِيدِ التَّقِيَّيِّ، فِي نَحْوِ: يَضْرِبُنَانِ، فَقَدْ جَيَّءَ بِهِمَا الْأَلْفُ لِئَلَّا تَجْتَمِعَ ثَلَاثُ ثُونَاتٍ، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ حَذْفُ إِحْدَى تِلْكَ الثُّونَاتِ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الْلَّبْسِ، إِذْ تَشْتَبَهُ –عِنْدَ حَذْفِهَا– بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ غَيْرِ الْمُسْتَنِدِ إِلَى ثُونَ النُّسْوَةِ.

وَمِنْ صُورِ إِصْنَاحِ الْفَظْرِ وَتَزْيِينِهِ الْعُدُولُ عَنِ الضَّمِيرِ إِلَى الظَّاهِرِ، وَقَدْ وَرَدَتِ الإِشَارَةُ إِلَى هَذِهِ الصُّورَةِ فِي شَرْحِ ابْنِ حِجْرِ الْعَسْفَلَانِيِّ الْحَدِيثِ التَّبَوَّيِّ الشَّرِيفِ: ((مَنْ أَحَبَ لِقاءَ اللَّهِ أَحَبَ اللَّهِ لِقاءً))¹; إِذْ قَالَ فِي شَرْحِهِ: ((وَفِي قَوْلِهِ أَحَبَ اللَّهُ لِقاءً الْعُدُولُ عَنِ الضَّمِيرِ إِلَى الظَّاهِرِ تَفْخِيمًا وَتَعْظِيمًا وَدَفْعًا لِتَوْهُمِ عَوْدِ الضَّمِيرِ عَلَى الْمَوْصُولِ لِئَلَّا يَتَحَدَّدَ فِي الصُّورَةِ الْمُبَيَّنَةِ وَالْحَبْرُ فِيهِ إِصْنَاحُ الْفَظْرِ لِتَصْنِحِيعِ الْمَعْنَى وَأَيْضًا فَعَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ قَلِيل))². وَمَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ اسْتِعْمَالَ الضَّمِيرِ فِي الْحَدِيثِ يَأْتِي بِقَالَ: (مَنْ أَحَبَ لِقاءَ اللَّهِ أَحَبَ اللَّهِ لِقاءً) يُؤَدِّي إِلَى احْتِمَالِ دَلَالَتَيْنِ، لِأَنَّ الضَّمِيرَ (الْمَاءُ) يَحْتَمِلُ أَنْ يَرْجِعَ عَلَى (اللِّقاءِ) كَمَا يَحْتَمِلُ الرُّجُوعَ عَلَى (الْعَبْدِ)، فِي حِينِ أَنَّ الْحَدِيثَ اسْتَغْمَلَ الظَّاهِرَ فَقَالَ: (أَحَبَ اللَّهُ لِقاءً)، إِصْنَاحًا لِلفَظِّ وَدَفْعًا لِلْلَّبْسِ.

1 صحيح البخاري: 8/ 106، (باب: مَنْ أَحَبَ لِقاءَ اللَّهِ أَحَبَ اللَّهُ لِقاءً). رقم الحديث: 6507، وصحيح مسلم: 4/ 2065، (بابُ مَنْ أَحَبَ لِقاءَ اللَّهِ أَحَبَ اللَّهُ لِقاءً وَمَنْ كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءً). رقم الحديث: 2683.

2 فتح الباري: 11/ 358، وينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصايِب: 5/ 290.

ويمكّنا وصف هذا النوع من إصلاح اللُّفْظِ بـأَنَّه طارئٌ وليس دائمًا، كما في الحالات السابقة، والغرض منه دقة التغيير وبلاعنة دلاليته وسلامته من اللبس.

ومن مظاهير إصلاح اللُّفْظِ وتربيته استعمال (إيَا) وصلة مع الضمائر لتحسين اللُّفْظِ؛ أي لغرض تحسين النطق بالضمير، قال الراغب الأصفهاني (ت 400 هـ): ((قال بعض التحويين: (إيَاكَ) كُلُّهُ اسْمٌ وَاحِدٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (الْكَافُّ) هُوَ الْاسْمُ. وَ(إيَا): وَصَلَةٌ لَهُ. وَهَذَا لَا تَنافِي بَيْنَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ، لَأَنَّ ذَلِكَ بِنَظَرِنَا مُخْتَلِفُونَ، وَذَاكَ أَنَّ الضَّمِيرَ الْمَتَّصِيلَ إِذَا قَدِمَ أَوْ فُصِّلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَتَّصِيلِ بِهِ لَا يَخْسُنُ النُّطُقُ بِهِ مُفَرِّداً، فَضَمِّ إِلَيْهِ: (إيَا) لِيَصِيرَ بِذَلِكَ كَلَامًا مُسْتَقِلًا. فَمَنْ قَالَ: الضَّمِيرُ هُوَ الْكَافُّ، فَإِنَّمَا اعْتَبَرَ بِذَلِكَ بَعْدَ الضَّمِيمَ (إيَا) إِلَى الضَّمِيرِ. وَالعَرَبُ كَمَا أَنَّهُمْ يَتَحَرَّونَ بِالْحُرُوفِ الْمُرْكَبَةِ إِفَادَةً الْمَعْنَى، فَقَدْ يَأْتُونَ بِيَغْضِبُهَا كَهْلِيَّةً لِلْفُظُورِ وَيَخْسِبُهَا لَهُ، بِدَلَالَةِ إِذْخَالِهِمُ الْحُرُوفَ بَيْنَ الْحَرْفَيْنِ الْمُتَّابِقَيْنِ فِي التَّرْكِيبِ، لِئَلَّا يَقْبَعُ التَّفُوُّهُ بِهِمَا. وَذَلِكَ فَدَ أَشْبَعَ الْكَلَامَ فِيهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ. فـ(إيَا): جَعَلَ وَصَلَةً لِتَحْسِينِ الْفُظُورِ بِالضَّمِيرِ إِذَا قَدِمَ لَمْ يَخْسُنْ أَنْ يُقَالَ: كَأَزْمَتُ. وَهُ ضَرِبَتُ))¹. وقد شبه الراغب الأصفهاني هذا التخليل اللغوي لاستعمال (إيَا) والغاية منها باستعمال (دو وذا وذي) عند الوصف باسم جنس، مثل: مررت برجل ذي مال، واستعمال الأسماء الموصولة توصلًا إلى وصف المعرف بالجمل - وقد مر الكلام عليها - مثل: جاء الرجل الذي أشد القصيدة، واستعمال لفظ (مثل) مع حرف التسبيه: (الكاف) في نحو: ليس كمثله شيء، لأن لا يجوز القول: ليس كـشيء؛ قال الراغب: ((كما أتوا بـ(ذى) لما أرادوا الوصف باسم الجنس في نحو قولهم: (مررت برجل ذي مال). وأتي بـ(الذى) لما أريده أن توصف بالمعرفة بالجمل. وعلى ذلك أتى (مثل) مع (الكاف) في نحو كمثله شيء لما لم يحسن إدخال الكاف على الضمير، فيقال: كـك، وكـه))².

1 تفسير الراغب الأصفهاني: 1 / 57 - 58.

2 تفسير الراغب الأصفهاني: 1 / 58.

وَمِن صُورِ تَحْسِينِ الْلَّفْظِ عِنْدَ النَّحْوِيْنَ اسْتِعْمَالُ اللَّامِ فِي نَحْوٍ: (لَا أَبَا لَكَ، وَلَا أَخَا لَكَ)، فَقَدْ وَجَهَ بَعْضُ النَّحْوِيْنَ هَذِهِ اللَّامَ عَلَى أَنَّهَا زَائِدَةٌ جِيءَ بِهَا تَحْسِينًا لِلْلَّفْظِ حَتَّى لَا يَذْخُلَ لَا التَّأْفِيْةَ لِلْجِنْسِ - الَّتِي مِنْ شُرُوطِ عَمَلِهَا كَوْنُ اسْمِهَا نَكِرَةً لِلْإِفَادَةِ عُمُومُ النَّفِيِّ - عَلَى مَعْرِفَةِ الْإِضَافَةِ، قَالَ السُّيُوْطِيُّ (ت 911هـ): ((وَمَا قَوْلُنَا لَا أَبَا لَكَ وَلَا أَخَا لَكَ وَلَا يَدِي لَكَ وَلَا غَلامِي لَكَ، ...، فَنَحْيَ أَقْوَالَ أَحْدَهَا وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّهَا أَسْمَاءُ مُضَافَةٍ إِلَى الْمَجْرُورِ بِاللَّامِ وَاللَّامُ زَائِدَةٌ لَا اعْتِدَادُ بِهَا وَلَا تَعْلُقُ وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ وَالْإِضَافَةُ غَيْرُ مَحْضَةٍ كَهِي فِي: مِثْلِكَ وَغَيْرِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُفْصَدْ فِي: أَبٌ أَوْ أَخٌ مُعَيْنٌ، فَلَمْ يَعْمَلْ (لَا) فِي مَعْرِفَةِ، وَزَيَّدَتِ اللَّامُ تَحْسِينًا لِلْلَّفْظِ لِتَلَا يَذْخُلَ لَا عَلَى مَا ظَاهِرُهُ التَّعْرِيفِ.

الثَّانِي أَنَّهَا أَسْمَاءُ مُفَرَّدَةٍ غَيْرُ مُضَافَةٍ عُوْمِلَتْ مُعَالَمَةَ الْمُضَافِ فِي الْإِعْرَابِ، وَالْمَجْرُورُ بِاللَّامِ فِي مَوْضِيعِ الصِّفَةِ لَهَا وَهِيَ مُتَعَلَّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ وَالْخَبَرِ أَيْضًا مَحْذُوفٍ، ...، الثَّالِثُ أَنَّهَا مُفَرَّدَةٌ جَاءَتْ عَلَى لُغَةِ الْقَصْرِ وَالْمَجْرُورُ بِاللَّامِ هُوَ الْخَبَرُ، ...، وَإِنَّمَا اخْتِرَتْهُ لِسَلَامَتِهِ مِنِ التَّأْوِيلِ وَالزِّيَادَةِ وَالْحَذْفِ وَكُلُّهَا خِلَافُ الْأَصْنَلِ وَكَانَ الْقِيَاسُ فِي هَذِهِ الْأَلْفَاظِ لَا أَبَ لَكَ وَلَا أَخَ لَكَ وَلَا يَدِينَ لَكَ))¹. وَقَدْ قَلَّنَا هَذِهِ الْأَوْجَهَ الَّتِي ذَكَرَهَا السُّيُوْطِيُّ وَاخْتَارَ مِنْهَا الْوَجْهُ الْآخِرُ لِأَنَّ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى رَدِّ الْقَوْلِ بِالزِّيَادَةِ بِحُجَّةِ تَحْسِينِ الْلَّفْظِ؛ لِأَنَّهَا يَخْلَافُ الْأَصْنَلِ، مِمَّا يَعْنِي أَنَّ تَحْسِينَ الْلَّفْظِ هُنَا إِنَّمَا ارْتَبَطَ بِوَجْهِ نَحْوِيٍّ أَرَادَ تَأْوِيلَ النَّصِّ بِمَا لَا يَتَعَارَضُ مَعَ قَوْاعِدِهِ وَيَعْلَمُهَا تَعْلِيًّا لِغَوْيَا لِفَظِيًّا كَمَالِيًّا وَلَيْسَ مَعْنَوِيًّا.

وَمِنْ أَسْكَالِ تَحْسِينِ الْلَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ ثَنْوِيْنِ الْعِوَضِ الَّذِي يَلْحَقُ (إِذ)؛ قَالَ الأَسْتَاذُ مَحْمُودُ صَنَافِي (ت 1376هـ): ((الثَّنْوِيُّ الَّذِي يَلْحَقُ (إِذ) عِنْدَ مَا تَسْتَصِلُ بِالْيَوْمِ أَوْ الْحَيْنِ وَمَا فِي زُمْرَتِهِمَا كَالْوَقْتِ وَالسَّاعَةِ وَالْقَرْنِ إِلَى آخرِ مَا هُنَالِكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَسْرَةِ، نَحْوِي يَوْمَيْنِ وَحِينَيْنِ وَسَاعَتَيْنِ، وَقَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ النُّسْخَةُ ثَنْوِيْنِ الْعِوَضِ لِأَنَّهُ حَلَّ مَحْلَ الْجُمْلَةِ الَّتِي كَانَ

حقها أن تذكرَ بعْد الظرفِ وبالتالي يضافُ الظرفُ إِلَيْهَا وَهُوَ ضربٌ من الإيجازِ الذي استأثرَت به لغةُ الضادِ وغايتها تحسينُ اللُّفظِ إِلَى جانبِ الاختصارِ) ¹.

الخاتمة:

يخلصُ المتأملُ في مظاهرِ إصلاحِ اللُّفظِ وَتزيينِه وَتحسينِه في اللغةِ العربيةِ إلى أنه مُضطَّلُّ لغويًّا واسعًّا يُريدُ به التَّخويُونَ المسالكَ اللُّغويَّةَ التي سُلَكُوا اللُّغةُ أو مُتَكَلِّمُوها لِغَرضِ تحسينِ اللُّفظِ وَتجمِيلِه وَتزيينِه في بعضِ الجوانبِ الصَّوْتِيَّةِ والصَّرْفيَّةِ واللُّغويَّةِ، طَلَباً للْحِفْظِ أو الالسِّجامِ الصَّوْتِيِّ خاصَّةً وللُّغويِّ عامَّةً، أو سعيًا إلى إِزالةِ اللُّبسِ وَدُقَّةِ المعنى. كما لا يفوئي الإشارةُ هنا إلى أنَّ التَّأویلَ التَّخويَّ القائمَ على التَّقدِيرِ والتَّخيُّلِ كَانَ سبِيلًا فاعِلًا في إِذْرَاجِ بَعْضِ تِلْكَ الْمَسَائِلِ في هَذَا الْبَابِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّخويِّينَ لَمْ يَنْتَلِقُوا في نَظَرِهِمْ إِلَى تِلْكَ الْمَسَائِلِ وَمُعَالَجَتِهَا مِنَ الْوَاقِعِ اللُّغويِّ وَإِنَّمَا استندُوا إلى الافتراضِ التَّخويِّيِّ المُتَخَيَّلِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَثَلًا، مَسَالَةُ: استعمالُ الفاءِ في تَخْوِي: أمَّا زَيْدٌ فَمُضطَّلُقٌ، لَا كُمْ افْتَرَضُوا أَصْنَلَا غَيْرَ مُسْتَغْمَلٍ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بَنَوْا عَلَيْهِ القَوْلَ بِاصْنَالِ اللُّفْظِ، وَهُوَ: أمَّا فَزَيْدٌ مُضطَّلُقٌ، وَهُوَ تَرْكِيبٌ غَيْرُ مُسْتَغْمَلٍ، دَفَعُهُمْ إِلَى ذَلِكَ تَفسِيرُهُمْ مِثْلَ هَذَا التَّرْكِيبِ بِـ: مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فَزَيْدٌ مُضطَّلُقٌ، وَهُوَ تَفسِيرٌ مَعْنَى وَلَيْسَ مَرْحَلَةً لُغويَّةً تَارِيخِيَّةً مُسْتَعْمَلَةً سَابِقًا. وَقَدْ يَكُونُ القَوْلُ بِاصْنَالِ اللُّفْظِ نَاتِيجَةً مِنَ الْرَّبْطِ بَيْنَ أدَائِينَ أو تَرْكِيَّيْنِ مُسْتَعْمَلَيْنِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِعَلَاقَةٍ مُفْتَرَضَةٍ مُتَخَيَّلَةٍ لَا يُؤْيِدُهَا دَلِيلٌ، كَمَا فِي كَلَامِهِمْ عَلَى (كَانَ) الَّذِي قَادَهُمْ إِلَى القَوْلِ بِاصْنَالِ اللُّفْظِ فِيهَا؛ وَذَلِكَ بِأَنَّ أَصْنَلَهَا هُوَ: كَافُ التَّشْيِيهِ وَإِنَّ، عَلَى التَّخْوِي الْآتِي: إِنْ زَيْدًا كَالْأَسَدِ. وَهَذَا شَيْءٌ لَا يَذْعَمُهُ دَلِيلٌ لُغويٌّ وَعِلْمِيٌّ مِنْ تَارِيخِ اللُّغَةِ، فِي حِينٍ يَبْدُو غَايَةً تحسينِ اللُّفْظِ وَتزيينِه وَاضِحَّةً فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ اللُّغويَّةِ الْأُخْرَى، حِينَ كَانَ وَجْهُ الإِصْنَالِ يَتَمَثَّلُ بِاضْفَاءِ لَمْسَةٍ لُغويَّةٍ جَمَالِيَّةٍ، عَنْ طَرِيقِ الارتِكَازِ عَلَى صَوْتِ لُغويٍّ مَا جَيَّنَ بِهِ لِتَزْينِ اللُّفْظِ، كَمَا فِي مَسَالَةِ: زَيْدٌ فَأَكْرَمٌ، وَفَقَطُ، وَفَحَسِبٌ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

1 الجدول في إعراب القرآن 7 / 100.

مَصَادِرُ الْبَحْثِ وَمَرَاجِعُهُ

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: سنة 1394هـ - 1974 م.
- أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، د فدوى محمد حسان، عالم الكتب الحديث - الأردن، ط 1، 2011 م.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1419 هـ - 1998 م.
- أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت 577هـ)، دار الأرقام بن أبي الأرقام، ط 1، 1420 هـ - 1999 م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت 316هـ)، تعلق: عبد الحسين الفتنلي، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- إعراب القرآن النسوب خطأ إلى الزجاج، علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأصفهاني الباقولي (ت نحو 543هـ)، تحقيق ودراسة: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري - القاهرة ودار الكتب اللبنانية - بيروت - القاهرة، بيروت، ط 4، 1420 هـ
- إعراب القرآن للنحاس، أبو جعفر النحاس أحد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1421 هـ.
- إعراب القرآن وبيانه، محى الدين بن أحد مصطفى دروش (ت 1403هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية - حصن - سوريا ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، ط 4، 1415 هـ
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين التحويين: البصريين والковفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت 577هـ)، المكتبة العصرية، ط 1، 1424هـ - 2003 م

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 1، 1418هـ.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت 745هـ)، تج: صدقى محمد جليل، دار الفكر – بيروت، ط: سنة 1420هـ.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: 1، 1376هـ - 1957م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت 1205هـ)، مجموعة من المحققين، دار المداية.
- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- البيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبي (ت 616هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- التطبيق النحوي، الدكتور عبد الرحيم، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: 1، 1420هـ - 1999م.
- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، جزء 1: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الأداب – جامعة طنطا، ط: 1، 1420هـ - 1999م، جزء 2، 3: تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشثري، دار الوطن – الرياض، ط: 1، 1424هـ - 2003م، جزء 4، 5: تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى، ط: 1، 1422هـ - 2001م.
- جامع البيان في تأويل القرآن «تفسير الطبرى»، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420هـ - 2000م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري المروي، أبو منصور (ت 370هـ)، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 1، 2001م.

- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (ت 749هـ).
- شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط1، 1428هـ - 2008م.
- جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلايني (ت 1364هـ)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط28، 1414هـ - 1993م.
- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت 1376هـ)، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط4، 1418هـ.
- جهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ)، تج: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملاتين - بيروت، ط1، 1987م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (ت 749هـ)، تج: د. فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1413هـ - 1992م.
- حاشية الانتصار فيما تضمنه الكشاف، بهامش تفسير الكشاف، لابن المنير الإسكندرى (ت 683هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1407هـ.
- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، الخضري، تج: تركي فرحان المصطفى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 2005م.
- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعى (ت 1206هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ - 1997م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، تج: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الحاخامي - القاهرة، ط4، 1418هـ - 1997م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلى (ت 392هـ)، تج: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.
- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت 471هـ)، تج: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدنى بالقاهرة - دار المدنى بمقدمة، ط3، 1413هـ - 1992م.

- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت 1057هـ)، اعنى بها: خليل مأمون شيخاً، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط 4، 1425هـ - 2004م.
- ديوان جران العود النميري، صنعة أبي جعفر محمد بن حبيب، رواية السكري، تج: د. نوري حودي القيسى، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - العراق، ط 1، 1982م. (عن: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. أميل بديع بعقوب: 10 / 284).
- ديوان النابغة الذبياني، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - مصر، 1977م. (عن: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. أميل بديع بعقوب، 2 / 421).
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدى، دار الكتاب العربي - بيروت، ط 1، 1422هـ.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1421هـ - 2000م.
- الشافية في علم التصريف (ومعها الوافية نظم الشافية للنساري - المتوفى في القرن 12)، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت 646هـ)، تج: حسن أحمد العثمان، المكتبة الملكية - مكة، ط 1، 1415هـ - 1995م.
- شرح الأشموني على الفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي (ت 900هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1419هـ - 1998م.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت 905هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1421هـ - 2000م.
- شرح المفصل لابن يعيش (ت 646هـ)، تج: إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين - دمشق، ط 1، 2013م.
- شرح شافية ابن الحاجب، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذى، ركن الدين (ت 715هـ)، تج: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، 1425هـ - 2004م.

- شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهد للعالم الجليل عبد القادر البغدادي (ت 1093 هـ)، محمد بن الحسن الرضي الإسترابادي، نجم الدين (ت 686 هـ)، تحرير: محمد نور الحسن ومحمد الزفاف ومحمد عبي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية- بيروت، 1395 هـ - 1975 م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجوهرجي القاهرةي الشافعي (ت 889 هـ)، تحرير: نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ط 1، 1423 هـ-2004 م.
- شرح قطر الندى ويل الصدى، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت 761 هـ)، تحرير: محمد عبي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط 11، 1383 هـ.
- الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أ Ahmad بن فارس الرازي (ت 395 هـ)، تحرير: محمد علي بيضون، ط 1، 1418 هـ-1997 م.
- الصحاح ناج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حاد الجوهري الفارابي (ت 393 هـ)، تحرير: أ Ahmad عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط 4، 1407 هـ - 1987 م.
- الجامع المستند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحرير: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طرق النجاة، ط 1، 1422 هـ.
- الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن مجبي بن مهران العسكري (ت نحو 395 هـ)، تحرير: علي محمد الباجوبي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- بيروت، 1419 هـ.
- ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1422 هـ - 2001 م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مجبي بن حزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت 745 هـ)، المكتبة العصرية - بيروت، ط 1، 1423 هـ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحد بدر الدين العيني (ت 855 هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، العين.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أ Ahmad بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، أشرف على طبعه: عب الدين الخطيب، دار المعرفة- بيروت، 1379 هـ.

- فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الشعالي (ت 429هـ)، تحرير: عبد الرزاق المهدى، إحياء التراث العربي، ط 1، 1422هـ - 2002م.
- الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغربية، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت 1252هـ)، د. حاتم صالح الضامن، دار الرائد العربي - بيروت ، ط 1، 1410هـ - 1990م.
- القاموس الخجلي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ)، تحرير: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 8، 1426هـ - 2005م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيويه (ت 180هـ)، تحرير: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخامنئي - القاهرة، ط 3، 1408هـ - 1988م.
- الكشاف عن حقائق غواضن التنزيل، أبو القاسم عمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط 3، 1407هـ.
- الكلبات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، أئوب بن موسى الحسيني القربي الكوفي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، تحرير: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، د. ت، د. ط.
- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكري البغدادي محب الدين (ت 616هـ)، تحرير: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، ط 1، 1416هـ - 1995م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الخبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، تحرير: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معرض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1419هـ - 1998م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط 3، 1414هـ.
- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، تحرير: فائز فارس، دار الكتب الثقافية - الكويت، د. ت، د. ط.

- مجالس ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بشغلب (ت 291هـ) [الكتاب مرقم آلياً غير موافق للمطبوع]
- جمل اللغة، أحمد بن فارس بن ذكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، ترجمة: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 2، 1406 هـ - 1986 م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواد القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1420هـ - 1999م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عام بن عطية الأندلسي المخاربي (ت 542هـ)، ترجمة: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1422هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)، ترجمة: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1421هـ - 2000م.
- مختصر معنى الليبب عن كتاب الأعريب، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت 1421هـ)، مكتبة الرشد، ط 1، 1427هـ.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458هـ)، ترجمة: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 1، 1417هـ - 1996م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل «تفسير النسفي»، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن عمود حافظ الدين النسفي (ت 710هـ)، ترجمة: يوسف علي بدبوبي، دار الكلم الطيب - بيروت، ط 1، 1419هـ - 1998م.
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصايح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحاني المباركفوري (ت 1414هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنaras الهند، ط 3، 1404هـ - 1984م.
- معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت 215هـ)، ترجمة: الدكتورة هدى عمود قراءة، مكتبة الحاخامي - القاهرة، ط 1، 1411هـ - 1990م.

- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت 207هـ)، تج: أحد يوسف التجاني ومحمد علي التجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط 1.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، عالم الكتب - بيروت، ط 1، 1408هـ - 1988 م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1408هـ - 1988 م.
- معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، الأستاذ: عبد الغني الدقر، دار القلم - دمشق، ط 1، 1406هـ - 1986.
- المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. أميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية- بيروت، ط 1، 1417هـ - 1996 م.
- المعجم الوسيط، جمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد التجار)، دار الدعوة- القاهرة، د.ط، د.ت.
- المغرب في ترتيب المغرب، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرزي (ت 610هـ)، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت.
- مغني الليب عن كتب الأعاريض، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت 761هـ)، د. مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط 6، 1985 م.
- مفاتيح الغيب «تفسير الرازي أو التفسير الكبير»، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 3 ، 1420هـ.
- المفتاح في الصرف، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت 471هـ)، تج: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1، 1407 هـ - 1987 م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502هـ)، تج: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط 1 ، 1412هـ.

- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحد، الزغشري جار الله (ت538هـ)، تعلق: د. علي بولطم، مكتبة الملال - بيروت، ط1، 1993م.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن ذكرياء الفزوبي الرازي، أبو الحسين (ت395هـ)، تعلق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمرد (ت285هـ)، تعلق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب - بيروت.
- منحة الجليل بهامش شرح ابن عقيل، لحبي الدين عبد الحميد.
- المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت392هـ)، دار إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ - 1954م.
- الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحد الأفغاني (ت1417هـ)، دار الفكر - بيروت، 1424هـ - 2003م.
- موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت905هـ)، تعلق: عبد الكريم مجاهد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1415هـ 1996م.
- النحو الوافي، عباس حسن (ت1398هـ)، دار المعارف - القاهرة، ط15.
- همع الموامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تعلق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر، د.ط، د.ت.

نَقْدُ الْلُّسَانِيَّاتِ

عِنْدَ الدَّكْتُورِ رَشِيدِ الْعَبَيْدِيِّ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المتجبين...

يتناول هذا البحث النقد الذي وجهه الدكتور رشيد العبيدي، وهو أحد أعلام الدرس اللغوي في العراق، إلى الدرس اللساني الحديث، وقد انقسم البحث على ستة محاور، عرفت في المحور الأول بالدكتور رشيد العبيدي تعريفاً موجزاً، وكشفت في المحور الثاني الموسوم بالنقד العام عن رؤية الدكتور العبيدي للسانيات الحديثة قبولاً ورفضاً، في حين درست في المحور الثالث موقف الدكتور العبيدي من المصطلح اللساني الحديث وحدوده، وعالجت في المحور الرابع ما وصفه الدكتور العبيدي بالتناقض بين المنهاج اللساني، وتناولت في المحور الخامس نقده للسانيات بالبحث عن أصول لسانية للمناهج اللغوية الحديثة في التراث العربي القديم، وبين المحور السادس الأخطاء الناتجة من تطبيق المنهاج اللساني على اللغة العربية في نظر الدكتور العبيدي، وختمت البحث بخاتمة أجملت فيها أهم التأثير.

يُعَدُّ الدكتور رشيد عبد الرحمن صالح العبيدي واحداً من أهم أعلام الدرس اللغوي في العراق في النصف الثاني من القرن العشرين، وقد ولد الدكتور رشيد العبيدي سنة 1940م في مدينة الأعظمية ببغداد، وحصل على درجة ماجستير في النحو والصرف، وعلى درجة الدكتوراه في علم اللغة من جامعة القاهرة، فعين مقرراً لقسم اللغة العربية بكلية التربية في جامعة بغداد. وقد كان له حضور فاعل في ميدان العمل الأكاديمي والثقافي؛ إذ عمل أستاذاً في عدد من الجامعات العراقية والعربية، كما ترك ترائياً علمياً قيماً، عُني فيه بدراسة اللغة العربية وعلومها المختلفة، ومن كتبه: أبو عثمان

المازني ومذاهبه في الصرف والنحو، والأزهري والمعجمية العربية وأبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية، ومشكلات في التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري، والتطبيق العملي لنهج البحث اللغوي، ومباحث في علم اللغة واللسانيات، والعربية وعلم اللغة المعاصر، ومعجم الأصوات اللغوية، ولم يقتصر جهد الدكتور رشيد العبيدي على هذه المؤلفات وإنما كانت له بحوث ودراسات نشرها في عدد من الدوريات العراقية والعربية، كما اختير عضواً في المجمع العلمي العراقي¹. وقد توفي الدكتور رشيد العبيدي رحمه الله يوم السبت الموافق: 22/ المحرم الحرام / 1428هـ = 10/ شباط / 2007م².

وينتظر على جهوده العلمية، أنها تتنوع بين الدرس اللغوي القديم أو ما يكتنا أن نصفه بالتقليدي من جهة والدرس الألسني الحديث من جهة أخرى؛ الذي يتجلّى في كتبه المتأخرة وفي دراساته التي عُنى فيها بمتابعة المناهج الجديدة في مجال اللغة ودرسها، شارحاً أو ناقداً، ومن يطلع على نتاجه العلمي سيجد أنه لم يكن حبيس القديم من تراثنا العربي، بل كان منفتحاً في توجهاته الفكرية وقراءاته على ما يصدر من جديد في ميدان اختصاصه، وهو ما أنت ثماره في بعض نتاجه الذي أشرنا إليه سابقاً. وتأتي دراستنا هذه للوقوف على مساهمته في مجال نقد الدرس اللساني خاصّة؛ وبيان موقفه منه، أمّن أنصار الأخذ بما جاءت به المناهج اللسانية الحديثة كان أم أن له موقفاً آخر منها؟ إذ يهدف هذا البحث إلى تحديد أهم الملامح التي اتسم بها نقده لللسانيات؟ وعلام بنى موقفه منها؟ كما ينطلق هذا البحث من سؤال - يراه أساسياً - وهو هل اطلع الدكتور العبيدي على الجهد اللسانية اطلاعاً عميقاً وتمثلها في مصادرها الأصلية حتى تمكن من نقادها؟ كما يسعى هذا البحث إلى تحديد ما دعا الدكتور العبيدي إلى رده وعدم الاعتزاد به من الدراسات اللسانية أو مناهجها، مع بيان السبب.

1 ينظر: موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين: 1/73.

2 ينظر: معجم المصوّبات: 3، هامش الناشر: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، رقم: (1).

تُضَعِّفُ عنابة الدكتور رشيد العبيدي في البحث في اللسانيات والتعرِيف بها في كتابيه: العربية وعلم اللغة المعاصر، ومباحث في علم اللغة واللسانيات، يضاف إليهما بعض البحوث التي خصصها لذلك، مما سيرد ذكره في أثناء هذا البحث إن شاء الله. وقد كانت مرجعيات الدكتور رشيد العبيدي في دراسة اللسانيات تمثل في مجموعة من المصادر الأساسية أو الأصلية ككتاب حاضرات في علم اللغة العام لفردينان دي سوسيير، باللغة العربية وليس بلغته الأصلية، ومثله البنوية لجان بياجيه، وعلم الدلالة لجون لايتز، والغالب عليها باللغة العربية مثل علم اللغة مقدمة للقارئ العربي للدكتور محمود السعران، ولللغة بين المعيارية والوصفية للدكتور تمام حسان، ومشكلة البنية للدكتور زكريا إبراهيم، والألسنية علم اللغة الحديث للدكتور ميشال زكرياء، والألسنية التوليدية التحويلية له أيضاً، والبنوية في اللسانيات للحنأش محمد، والمنهج الصوتي في البنية العربية للدكتور عبد الصبور شاهين، ودروس في أصوات العربية لكانينو، والتصريف العربي للطيب البكوش، ودراسات في علم أصوات العربية للدكتور داود عبده. هذه كانت أهم المصادر والمراجع التي عاد إليها الدكتور، وقد اختلفت زاوية توظيفها والعودة إليها في منهج بحثه في هذا الباب فاعتمد بعضها في عرض مناهج البحث اللساني كالمنهج الوصفي والتوليدي والتحويلي وفي عرض المستويات التي تُقْسِمُ عليها اللغة عند الدراسة كعلم الأصوات النطقي والسمعي وعلم الصرف وعلم النحو والدلالة وغيرها، ويندو من العودة إلى حالات الدكتور العبيدي، في كتابه التي عُنِي فيها باللسانيات، أنه اعتمد غالباً المراجع العربية وكان من أكثرها البنوية في اللسانيات، ومشكلة البنية في الكشف عن ملامح التناقض بين النظريات اللسانية، كما اعتمد بعض الكتب العربية مثل: المنهج الصوتي في البنية العربية، والتصريف العربي، ودراسات في علم أصوات العربية للدكتور داود عبده؛ في بيان خطأه بعض المحدثين في تطبيق النظريات والمناهج اللسانية الغربية على اللغة العربية.

واللسانيات (Linguistics)، كما يعرفها بعض الدارسين، هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الواقع اللغوي بعيداً عن التزعة التعليمية والأحكام المعيارية¹، ومتماز اللسانيات بمجموعة من الخصائص؛ منها أنها تتصف بالاستقلال، وتهتم باللغة المنطقية قبل المكتوبة، وتعنى باللهجات ولا تفضل الفصحى عليها، كما أن اللسانيات تسعى إلى بناء نظرية لسانية تسم بالعموم تمكن الباحثين من دراسة جميع اللغات الإنسانية، وهي لا تفرق بين اللغات، كما أنها تدرس اللغة في كليتها على صعيد واحد متدرجة من الأصوات إلى الدلالة². ويرى الدكتور العبيدي أنَّ منطلق هذه الخصائص هو السنن سوسير، وأن هذه الخصائص كانت الخطوات نفسها التي على أساسها درس اللغوي العربي لغته³، غير أنَّ تلاميذ سوسير قد طوروا تلك الأسس والخصائص وتوسعوا فيها وربما خرجوا عنها بما أوتوا من نظرات فردية ذاتية أدت إلى اتساع البحث اللساني بحيث أنتجت مذاهب ومناهج متنوعة ومتفاوتة بعيدة عن المنهج البحثي الالسيني الموضوعي⁴. وهذه الرؤية، كما نرى، كانت تمثل إحدى المرتكزات الفكرية التي آمن بها الدكتور العبيدي، ومن ثم، أدت به إلى نقد الدراسات اللسانية الحديثة عامة، وما جاءت به تلك الدراسات اللسانية في ميدان دراسة اللغة العربية خاصة، ولذا قد يشعر من يقرأ جهوده في هذا الباب أنَّ بين اللغة العربية واللسانيات قطيعة أو علاقة استبدال، في حين أن العلاقة بينهما هي علاقة تكامل وإفادة⁵. ويكتنأ أنَّ نبئُ أهُمَّ تجليلات نقد اللسانيات عند الدكتور رشيد العبيدي على النحو الآتي:

1 ينظر: مبادئ اللسانيات: 15.

2 ينظر: نفسه: 16، واللغة العربية واللسانيات المعاصرة: 13.

3 ينظر: مباحث في علم اللغة واللسانيات: 255.

4 ينظر: نفسه: 44.

5 ينظر: اللغة العربية واللسانيات المعاصرة: 32.

النقد العام:

يمكنا أن نتبين موقف الدكتور العبيدي من اللسانيات الحديثة من خلال نظرته العامة لها أولاً، أو ما يمكن أن نسميه بالنقد العام، وهو نقد موجه إلى اللسانيات عامة من غير تحديد محور معين وتسلیط الضوء عليه ونقدہ، وفيه نجده ينظر إلى اللسانيات على أنها علم جديد ووافد ولا يقدم للعربية وأهلها أو دارسيها شيئاً ذا بال. وهذا النوع من النقد لا يتناول فكرة محددة بعينها وإنما ينطلق من الرؤية الكلية التي يتبنّاها ويؤمن بها من ذلك قوله في مقدمة كتابه (مباحث في علم اللغة واللسانيات): ((إن ما جاء به البحث اللغوي المعاصر، لم يكن إلا تقلیداً أعمى للبحث الأوروبي الغربي ومحاکاة لما عرفته الدراسة الأوربية من مصطلحات تتفق ومذاهبهم من تحليل اللغة الأوربية... بعيدة كل البعد عن خصائص العربية ودلالات ألفاظها، وصيغة مفرداتها وأساليب التعبير فيها واستقرار قواعدها وإحكامها ، وتتميز نظامها الصوتي من أنظمة اللغة الأوربية التي لم تعرف استقراراً ولا ثباتاً في عمرها الطويل...)).¹ يلحظ على هذا الحكم أنه ينطلق من العاطفة المتمثّلة بالانحياز الواضح للغة العربية وأساليب درسها بغض النظر عما أصاب تلك الأساليب من تطور وما أصاب منهاج دراستها من تحديد وتجدد نتيجة لتطور العلوم والفكر الإنساني عامّة. ويقول في موضع آخر : ((وليس العبرة في المصطلح والشكل الذي ابتدعته الألسنية الحديثة وهي مصطلحات يسودها الغموض والخلط والتبدل من السني إلى آخر، ولكن العبرة تكمن في الاهتداء إلى الحقيقة العلمية والموضوعية التي نشأت عند الاسني العربي وئمت وئرغعت بين أحضانه، وعلى يديه ثم أعطاها ثمرة ناضجة للأوربيين لكي يبنوا عليها، ويذعوا الطرافه والجلدة، ولم تكن كما ادعوا))². وعلى الرغم من أنَّ هذا النص الذي اقتبسناه كان بعد حديثه عن مجموعة من الظواهر اللغوية التي وجد لها الدارسون- والدكتور العبيدي واحد منهم

1 نفسه: 6.

2 نفسه: 219.

- أصولاً في تراثنا اللغوي القديم فإنَّ فيه طابع العموم والإطلاق اللذين لا ير肯 إليهما منهج البحث الحديث. وقد ذهب الدكتور العبيدي إلى أنَّ هذا النوع من البحوث لا يخدم العربية وانه بعيد عن روحها ، بل انه ذهب إلى أنَّ الهدف من اللسانيات الحديثة هو صرف العرب عن العناية ببحثهم اللغوي الأصيل إلى تلك المناهج الجديدة، قال: ((ولعلني لا أبالغ إذا قلت: إن ثمة غلوا معموما ينهى به نفر من المغربين بالبحث الالسني الأوروبي في هذا القرن، يهدف إلى الانصراف عن البحث العربي الأصيل إلى الألسنية الحديثة، ولاسيما المعنين بالعربية، من تعلموا شيئاً عند الغربيين... وهو بحث مقمم على العربية بعيد عن أنفاسها وخصائصها، وإدخال أهلها في ميدان غير مناسب لها ولا متلازم مع طبيعتها في الوقت الذي كانت الدراسات العربية الأصيلة قد آتت أكلها))¹. ومن ثُمَّات النقد العام غير المحدد أو الموجه إلى أمثلة علمية واحدة أو منهج معين ما نجده في وصفه لأثر المناهج اللغوية الغربية في الدرس العربي بأنه اثُرًّا أدى إلى التداخل والتعقيد بدل التيسير، قال عن مناهج الدراسات اللغوية في الغرب: ((ولقد أثر هذا النهج - أو المناهج - في اتجاهات البحث العربي المعاصر، فأدى إلى التعقيد، والتداخل، واختلاف الآراء والمذاهب لا إلى أن يسر فهم اللغة في أبنيتها وصيغها وترابكيتها ومباحث دلالة كلمات اللغة وتطورها كما انتقلت إلينا من علمائنا المتقدمين وصور تعلياتهم، وتفسير الظواهر، بحسب فهمهم لها، فأدخلت هذه المناهج على الدرس العربي الكثير من التأويلات والمصطلحات التي لا علاقة لها بالبحث العربي الصميم))². نكتفي بهذا القدر من النصوص التي توضح رؤيته العامة للسانيات ولمناهج البحث اللغوي الجديدة وسيعرض البحث لنصوص آخر في أثنائه إن شاء الله . وفيما يأتي من البحث تعالج النقود التفصيلية التي وجهها الدكتور العبيدي إلى اللسانيات الحديثة.

1 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 209.

2 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 203.

المصطلح اللساني وحدوده:

ولعل من أهم المجالات التي يظهر نقده للسانيات واضحًا فيها ما نجده في كلامه عن حدود ميدان علم اللغة الحديث وضبابية ما يمثله هذا المصطلح اللساني الذي يبدو عنده- غير واضح المعالم ؛ لذلك نجد انه لم يكن معنًيا بتبسيط المصطلح ونقده وبيان رأيه فيه؛ حتى إن القارئ ليتمس أنه لم يكن مهتماً بقضية المصطلح اللساني عامة، لأنَّ ملاعنه عنده غير واضحة كما ذكرنا. ولذلك يقول: ((برزت في القرن العشرين طلائع البحث اللغوي الأوروبي فغزت السوق الثقافية والمعرفية في الوطن العربي.... وطفح على السطح ما عرف بالسانيات نسبة إلى اللسان أو الألسنية نسبة إلى الألسن أو اللسنية نسبة إلى اللسان وكلها تعني شيئاً واحداً وهو البحث في اللغة من أجلها ولذاتها))¹. ومن صور عدم الاهتمام بوضوح المصطلح وحدوده في السانيات الحديثة ما نجده في قوله: ((إن الفارق الوحيد بين علم اللغة في الدراسات العربية، وعلم اللغة في عصرنا الحاضر هو تخصصية الدراسة اللغوية عند العرب، وأعني بها اهتمام الباحث بالعربية من بين سائر اللغات، وعمومية الدراسة اللغوية في الدراسات الحديثة، وأعني بها تناول علم اللغة البحث في اللغة.... من غير تحديد للسان معين أو صنف من الناس))². ولعلنا نلمس في كلامه على مصطلح السانيات وعلم اللغة الحديث وعلاقتهما بفقه اللغة رفضه التمييز بين علم اللغة وفقه اللغة؛ وقد ثُمِّلَ هذا التمييز بوضع حدود بينهما وتحديد موضوعات كل منها عند الدارسين المحدثين، قال: ((يطلق مصطلح الألسنية على علم اللغة الحديث، وهو مصطلح يرى الباحثون المحدثون في اللغة أن لا علاقة بينه وبين مصطلح فقه اللغة الذي كان معروفاً منذ عهد قديم،...، ولكن كان الباحثون العرب يطلقون على كل من يعمل في ميدان اللغة مصطلح لغوي أو عالم لغة، كما يطلقون على الأبحاث التي تتناول قضايا اللغة من بنية مفردات، واشتقاقها، وصيغها،

1 مباحث في علم اللغة والسانيات: 197.

2 نفسه: 13.

وخصائص اللغة،...، فقه اللغة إن الأوربيين حتى عهد متاخر أطلقوا على العاملين في هذه الحقول ... فقهاء لغة وسموا العمل فيها: فقه اللغة))¹. وقد نبه الدكتور مجید الماشطة إلى شيء من هذا التوجه، عند الدكتور رشيد العبيدي، في أثناء وقوفه على عنوان كتابه (مباحث في علم اللغة واللسانيات)، إذ لس في اختياره هذا العنوان أنه يميز بين: اللسانيات وعلم اللغة أو أنه يجعل منها مصطلحين مختلفين، في حين أنها مصطلحان لشيء واحد، قال الدكتور مجید الماشطة: ((أول ما يجلب النظر عنوان الكتاب مباحث في علم اللغة واللسانيات فهل يعني هذا ان الكتاب يميز بين علم اللغة واللسانيات؟ ان ما اعرفه أنهم لفظتان تشيران إلى حقل واحد يقابل لفظة linguistics يسميه المصريون علم اللغة والتونسيون اللسانيات واللبنانيون الألسنية))².

ومن أمثلة ذلك تفضيله الحدود العربية التي وضعها علماء العربية على ما جاء به اللسانيون، ومن ذلك مثلاً ما ورد في حديثه عن مصطلح اللغة؛ فيقول بعد عرض أقوالهم في تعريفها: ((ولو أنصف الباحثون المعاصرون في نظرهم إلى اللغة، وما عرفه العلماء العرب عنها لكانوا أهملوا كل ما يرد من أقوال فيها مكتفين بمذهب أبي الفتح بن جني (ت 392هـ) حين قال : (اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)³. فجاء بالشمول والمناعة إن جل التعريفات المعاصرة ناقصة، أو مقتصرة على جانب دون آخر، كالاقتصار على طبيعتها وإهمال الوظيفة أو بالعكس))⁴. يبدو الدكتور العبيدي - في النص السابق - في غاية الحماسة وهو يدافع عن حد ابن جني للغة، بل انه يذهب إلى أن حدودها عند الغربيين ناقصة أو قاصرة على حين أن الحد العربي لها يفوقها من حيث بيان طبيعة اللغة ووظيفتها وأغراض استعمالها. ويبدو من كلامه أنه

1 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 219.

2 اللغة العربية واللسانيات المعاصرة: 265.

3 الخصائص: 2/34.

4 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 212-213.

يرى أن اللسانيات الحديثة ألبست الموروث القديم ثوباً شكلياً متمثلاً بالمصطلح فقط، وأنها لم تقدم جديداً، قال: ((إن هذه المسائل التي سررتها هنا ... تعبّر عن وجود التقابلات والاتفاقات بين الدرس اللغوي العربي والبحث اللساني الحديث)، بل إن السبق للغوي، لأنه الأسبق في الزمن، وليس العبرة في المصطلح والشكل الذي ابتدعه الألسنية الحديثة وهي مصطلحات يسودها الغموض والخلط والتبدل من ألسني إلى آخر، ولكن العبرة تكمن في الاهتداء إلى الحقيقة العلمية والموضوعية التي نشأت عند الألسنية العربية ونمّت وترعرعت في أحضانه¹). فهو يعتمد الزمن أو السبق الزمني أساساً في تفضيل الحدود العربية على ما جاءت به الدراسات اللسانية الحديثة من حدود وتعريفات، وهو معيار لا يمكن الركون إليه دائماً فقد يكون موضوعي في بعض الأحيان كما في كثير من الجزئيات والقضايا التي عالجها البحث اللغوي الحديث فذهب في فهمها وتفسيرها أو توجيهها مذاهب تختلف عما قرره الدرس القديم. وكان يؤكّد أن النحوين العرب إنما وضعوا قواعد النحو العربي معتمدين على المنهج الوصفي²، من غير تحديد لمفهوم الوصف وإنما بالاعتماد على ما ورد من طريقة النحوين العرب في تعقيد النحو العربي عن طريق متابعة كلام الأعراب وفصحاء العرب. وما يتعلّق بالحدود التي وضعها المحدثون للمصطلحات اللسانية التي تكون جزءاً من المنظومة الفكرية المجرحة للعاملين في اللسانيات والمتغللين بها، إذ توقف عند بعضها الدكتور العبيدي وناقشه؛ ومن ذلك ما نجده في كلامه على مصطلح (المقطع) حيث عرض له في مبحث خصصه له وعرض لميدان تطبيقه، وكما هو يبيّن في القراءات القرآنية؛ قال: ((يعتقد الصوتيون المعاصرون ان المصير إلى التقاطع الصوتي، إنما هو منهج حل المشكلات التي تقع في بنية الكلمات ،...، أو التخلص من بعض الظواهر الصوتية التي تكتنف الكلمة أو

1. العربية والبحث اللغوي المعاصر: 257.

2. مباحث في علم اللغة واللسانيات: 254.

الجملة،...، أو غير ذلك من القضايا التي تحصل في الصوت اللغوي))¹، ثم يعرض لأهم تعريفات المحدثين للمقطع وبين مدى اختلافهم في تحديده ويتهمي إلى القول بأن ((هذه التعريفات مختلفة في أطروحتها، متبااعدة في ما قصدت إليه من تحديد المفهوم، وعلى افتراض وصولنا إلى تحديد دقيق للمقطع الصوتي فان الجدوى المرجوة منه ليست بذات قيمة علمية كبيرة، بحيث تدعونا إلى مثل هذا الاختلاف في التعريف))². ان هذه الأحكام التي يطلقها الدكتور رشيد العبيدي ترجع إلى رؤية فكرية تحكم تفكيره وتؤطر اتجاهات هذا التفكير، وهي تمثل في أنَّ ما جاء به البحث اللغوي واللسانى المعاصر لا يختلف عما أنتجته العقلية العربية إلا اختلافاً جزئياً وشكلياً في بعض المصطلحات والعناوين، قال: ((ومن الحق القول-أيضاً-أن أدوات البحث المعاصر ووسائله ومصطلحاته تختلف عن البحث اللغوي المتقدم، ومن هنا كان الاختلاف الجزئي في بعض النتائج، والاختلاف الشكلي في الأسماء، والمصطلحات والعناوين))³. فهنا نلمس ان الدكتور العبيدي يعترف بالتطور المعرفي للإنسانية وما قدمته الآلة له في هذا المجال، مشيراً إلى ما تركته من اثر في البحث اللغوي، ولكنه لا يسلم بذلك فيرى ان الاختلاف جزئي وشكلي في بعض الأسماء والمصطلحات.

التناقض بين المناهج اللسانية:

خصص الدكتور رشيد العبيدي لهذه الزاوية النقدية بحثاً مهما تحت عنوان التناقض بين المذاهب الألسنية الحديثة، تناول فيه ما يراه من تناقض وتعارض بين المناهج اللسانية، كما انه أشار إلى ملامح للتناقض بين المذاهب اللسانية في موضع مختلف من كتبه. وقد بدأ في عرضه لصور وأمثلة من التناقض من دي سوسير؛ فقد أشار إلى موقف (هلمسليف) من معنى الدال والمدلول عند سوسير؛ إذ عده غامضاً، وأن مذهب

1 نفسه: 87

2 نفسه: 92

3 الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين: 15

في تفسير العلامة اللغوية تفسير ذهني. كما ذكر انتقاد مارتيني لسوسيير بأنه بالغ في إعطاء اللغة كل هذه الصبغة الذهنية التي كانت نتيجة تأثيره بالتزعنة الاجتماعية آنذاك. ثم انتقل إلى موقف بارت الذي خالف سوسيير الذي يرى أن علم الرموز (السيمولوجيا) هو العلم العام وان اللسانيات فرع منه، فقد ذهب بارت إلى أن العكس هو الصحيح. وقد حاول الدكتور رشيد العبيدي أن يربط بين هذه الدراسات اللسانية وطبيعة المجتمعات الغربية التي نشأت فيها تلك المناهج، قال :((ولقد وجدت مثل هذه التيارات المتضاربة تربة صالحة في فرنسا فبعد أن ترعرعت فيها الاتجاهات البنوية رأيناها تؤول إلى تناقضات فكرية وتصطدم بآراء واتجاهات أخرى قوية ويعمل كثير من الباحثين ظهورها في فرنسا بان المثقف الفرنسي الخذب بتاريخ الفكر الذي يتخلّى عن التاريخ...)).¹ كما توقف عندَ ما سمَّاه بالتناقضات بين السوسيريَّة والتشومسكيَّة وعرض فيه لمجموعة من الأفكار أو المسلمات التي جاء بها سوسيير ليبيِّن رأيِّ تشومسكي فيها فيقول ((فاللغة عند سوسيير لا تتولد أو تتنج، وإنما هي رموز محفوظة في الذاكرة تسترد حين الاستخدام، وتتحدد بالمائلة للموقف السابق، وهذا التفسير السوسيري تفسير آلي لعملية إنتاج اللغة، وهو تفسير مضاد لها يراه تشومسكي في عملية الإبداع والخلق اللغوي في الذات البشرية فالشخص المتكلم قادر على إنتاج عدد لا متناهٍ من الجمل التي تسمع، ولم تقرأ من قبل، ويعني ذلك أن المتبع ليس لديه أشكال مصوّفة يرتدي إليها عند الصياغة بل لديها أمثلوج داخلٍ كليٍ مشترك))². ويقول في موضع آخر مسجلًا التناقض بين تشومسكي وبنوية سوسيير، قال: ((ولعل أبرز الدارسين الغربيين الذين خرجوا على البنوية هو تشومسكي الأمريكي في كتابه (البني التركيبية)... فقد تجاوز فيه مفهومي الوصف والتصنيف اللذين وضعهما سوسيير في بنويته وتبنتها بنوية أوربا وخرج تشومسكي في نحو التوليدي بمفهوم ثالث هو الإبداع في اللغة الذي يتميز به البشر عن

1 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 238.

2 نفسه: 244.

سائر اللغات))¹. وهكذا نراه يذكر الخلافات والمذاهب التي تولدت من البنوية أو ظهرت رداً عليها، مُنطِلِقاً، في ذلك، من أن هذه الخلافات والمناهج الجديدة إنما تدل على عدم صلاحتها للتطبيق على اللغة العربية؛ لذلك يقول :((وبعد، فإذا كان الألسنيون البنويون قد تنصل معظمهم عن البنوية، وأصبحت الآن في عداد المناهج القديمة بالنسبة للأوربيين، وهم يفتشون عن منهج جديد يشغلون به أنفسهم والعالم من جديد، فما أرانا نحن اليوم بحاجة إلى تقليل صفحات كتاب أصبح حالياً غير ذي فائدة عند مؤلفه الذي راح يبحث عن تأليف آخر يكون أكثر جدواً))². وقد اعتمد على هذه التناقضات لتأكيد رأيه بأنَّ هذه المدارس اللغوية الغربية غير صالحة لأن تطبق على اللغة العربية بدليل أن أصحابها غير متتفقين عليها، من جهة ويدليل أنهم تركوها وانتقلوا إلى البحث عن نظريات جديدة، لذا قال عن البنوية بعد سوسيير: ((لقد تحولت هذه البنوية بعده إلى مذاهب متأخرة، وتحولت إلى أنماط من التفكير الفلسفية عند روادها، ولم تعد تصلح منهاجًا للبحث اللغوي الصرف،...، بل لقد تجاوزت هذا المقدار من حقيقتها، فنادت، وبالتالي، إلى فناء الإنسان، لأنَّه أصبح آلةً يتحرك وفق الأنظمة القسرية، دون أن يكون صاحب اختيار، وهذا هو الذي دفع تشومسكي إلى البحث عن قدرات الإنسان وطاقاته الإبداعية في ميدان اللغة))³. ويعلل الدكتور رشيد العبيدي إخفاق البنوية في الاستمرار بأنَّ المنهج البنوي يعتمد ((على الشكل والصوت في دراسة اللغة وتحليل تراكيبها دون النظر إلى المعنى وغرض المجز، وهو الشيء الذي عُنيت به الدراسات السلوكية اللغوية، والذي سبق إليه عبد القاهر في نظرية النظم والمعنى النحواني والسياسي))⁴. ولم يقتصر نقده على ما أثير حول جهود سوسيير، وإنما توقف عند

1 نفسه: 259.

2 نفسه: 254.

3 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 252.

4 نفسه: 252- 253.

الملحوظات التي وجهت إلى نظرية تشومسكي ومن ذلك إشارته إلى أن تشومسكي إنما أقام نظريته على أصلين: هما المنهج البنوي والمنهج التقليدي، وأنه حاول جهده لكي يجد لنفسه طريقة وسطاً بينهما، وفي هذا إشارة إلى عدم أصالة النظرية المذكورة أو أنها ملقة من المنهج السابقة عليها¹. كما نقل رأي جان بياجيه في النظرية، إذ رأى أنها تحولت إلى نظرية معيارية؛ لأنها لم تضع في اعتبارها النظام المتزامن الذي سبق أن جعلته البنوية الأوروبية أساساً لمنهجها². ويتهي إلى القول: ((إن هذه الملحوظات وغيرها مما يدور حول النحو التوليدية التحويلية تعطي تصوراً عن صعوبة صيرورة نظرية النحو العام التي يسعى إليها نوام تشومسكي وتطبيقها على سائر اللغات الطبيعية لما يواجهها من مشكلات في الدلالة والأصوات، والتركيب والمفردات وهي مشكلات أساسها أن لكل لغة في العالم خصوصيات تميزها عن اللغات الأخرى))³.

البحث عن أصول لسانية في التراث العربي القديم:

من ملامح نقد اللسانيات الأخرى التي تظهر واضحة، عند الدكتور رشيد العبيدي، اهتمامه بتأصيل بعض النظريات اللسانية الغربية في التراث العربي القديم، ويكتننا أن نعرضها على النحو الآتي:

أصول بنوية: ومن أهم الملامح البنوية التي بحث الدكتور العبيدي عن أصول لها في التراث العربي ما جاءت به البنوية من النظر إلى اللغة على أنها نظام أو بنية أو نسق⁴، فقال عنها: ((نرجع الآن إلى تلمس هذه النظارات في اللغة ونظمها، في ما سبق إليه الجرجاني في كتابه (الدلائل والأسرار) فتجد كون اللغة نظاماً أو بناءً أو حتى نسقاً قد طرح بشكل واضح على لسان الجرجاني في كل أجزاء كتابه (الدلائل)); لأنَّ الجرجاني

1 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 269.

2 نفسه: 273.

3 نفسه: 276 - 277.

4 ينظر: البنوية في اللسانيات: 100-102، و 150.

وضع هذه النظرة في اللغة منهجاً يريد من خلاله تحقيق فكرة أنَّ اللغة نظم ذو قواعد وأحكام ومعانٍ اسمها بمعانٍ النحو ووجوهه وأنها بناء كلما احکم - على وفق متطلبات الأحكام والصنعة، كان أكثر بياناً ووضوحاً)¹. كما ربط بين مفهوم اللغة بوصفها نظاماً عند البنويين ونظرية النظم عند الجرجاني، قال: ((ولما كان النظام عند البنويين يرتكز على قانون ينظم العلاقات في الكلام، كان ذلك - أيضاً - هو غرض نظرية النظم عند عبد القاهر، بل هو جوهر النظرية، فالنظم لابد له من أن يرتكز على قواعد وقوانين تنظمه، لذلك لم تخُلُّ فكرة يطرحها في هذا المجال من ربط بقوانين اللغة وأصوتها))²، واستشهد على ذلك بقول الجرجاني: ((ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها))³. ومن ذلك ما جاء في حديثه عن مفهوم الدال والمدلول عند سوسيير والمستوى التعبيري ومستوى المحتوى عند هلمسليف، فإذا وجد الدال ولم يتحدد مع المدلول أصبحت صورة سمعية ذهنية نفسية خالية من المدلول، ويرى الدكتور رشيد العبيدي أن هذا الأمر مما عرفه علماء العربية، قال: ((وهذا هو الذي عرفه الباحثون العرب بالمستعمل والمهمل فـ(زيد) لفظ مستعمل وله دلالته، ولكن (ديز) وهي متواالية من الأصوات هي: (دـيــز)، خالية من المدلول))⁴. ومن ذلك مثلاً ربطه بين ما توصل إليه سوسيير في علم الدلالة؛ حين جعل الدال مادة صوتية والمدلول متصوراً نفسياً يمثل حصول الصورة في الذهن⁵، وتصور الجاحظ (ت 255هـ) للدلالة، فيقول: ((وحين نقرن بين ما يراه سوسيير، وبين الدلالة عند الجاحظ نجد أن البيان عند الجاحظ هو

1 الألسنة بين عبد القاهر والمحدثين: 7.

2 نفسه: 7.

3 دلائل الإعجاز: 64.

4 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 225.

5 ينظر: محاضرات في علم اللسان العام: 104-105، وعلم اللغة، مقدمة للقارئ العربي: 303، والألسنة: علم اللغة الحديث: 57.

(اسم جامع لكل شيء كشف لك الفناء عن المعنى وبجميع أصناف الدلالات على المعاني، من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال ...) ^١ إن الفرق بين ما بينه الجاحظ وما يراه سوسيير، إن الجاحظ أوضح غاية الإيضاح طرق الدلالات على المعاني، بلفظ وغير لفظ فاستقصى أصنافها ووسائل إيقاعها، في حين قصر سوسيير الإبابة والتعبير على الشكل ^٢).
 نلاحظ، هنا، أنَّ الدكتور العبيدي قد بحث عن أصول للفكرة التي طرحتها سوسيير، هنا، فرأى في كلام الجاحظ المذكور مذهبًا فكريًا عربياً شبهاً بها، غير أنه لم يكتفي بذلك، بل راح يُجْزِي موازنة بينهما، ذاهباً إلى أنَّ الجاحظ استقصى إيضاح طرق الدلالات في حين أن سوسيير لم يفعل ذلك. وببحث الدكتور العبيدي - في تراث البرجاني - عن جذور لنظرة البنوية ^٣ إلى العلاقة بين اللفظ والمعنى ولا سيما عند دي سوسيير فجاء بنصوص من كتابيه؛ وانتهى إلى أنَّ كلام الشيخ عبد القاهر يحتوي أهمَّ ما جاءت به البنوية في هذا الباب من حيث فهمها أنَّ الأصوات اللغوية شيءٌ ودلالاتها شيءٌ آخر، وأنَّه لا علاقة عقلية بين المفردة اللغوية ومعناها، وأنَّها علاقة عرفية اصطلاحية ^٤. وفي هذا المضمار يقف الدكتور العبيدي على موضوع تفسير الدال والمدلول والمرجع أو الشيء عند أصحاب المنهج البنوي؛ بدءاً من سوسيير الذي طرح مصطلحات (الدال=الصوت) و(المدلول=المفهوم أو المعنى) ^٥، ثم ما قدمه هلمسليف من مصطلحات جديدة لدراسة اللغة مثل التفرقة بين المحتوى (وهو جانب من المدلول) والتعبير (وهو جانب من الدال) وتقسيم المصطلحين السابقين إلى شكل وجوهر (أي: شكل المحتوى وجوهر المحتوى،

١ ينظر النص في: البيان والتبيين: 1/82.

٢ مباحث في علم اللغة واللسانيات: 183-184.

٣ ينظر: البنوية في اللسانيات: 108-109.

٤ ينظر: نفسه: 150.

٥ محاضرات في علم اللسان العام: 104-105.

وشكل التعبير وجواهر التعبير)¹، ثم يوازن بينها وبين قول الجرجاني عن الألفاظ ((كيف يتصور أن سبق المعاني وأن تتقدمها في تصور النفس؟ إن جاز ذلك، جاز أن تكون أسامي الأشياء قد وضعت قبل أن عرفت الأشياء وقبل أن كانت))². فيرى أن الشيخ عبد القاهر هنا وضع مفاهيم لسانية دقيقة وهي أنه لا يمكن أن تكون الفاظ في الواقع ما لم يكن هناك معنى يسبقها، وأنه لا بد أن يكون الشيء مشاهداً ومحسوساً، ثم يتفق على تسميته بالألفاظ (الدواى) كما استنبط من كلام الجرجاني ثلاثة مفاهيم لنظرية الدلالة، هي الألفاظ والمعاني والأشياء³. ثم يعلق على ما سبق بالقول: ((وبالتالي فإن اللغة -عنه- من إبداع الإنسان ووضعه وهذا كله يؤكد لنا أسبقية النظرة اللسانية الدقيقة في نظرية النظم عند عبد القاهر، ووضعه لأسس البنائية الحديثة في دراسات اللغة))⁴.

ومن صور التأصيل الأخرى، في هذا الباب، ما ورد في كلامه على جهود الألسني مارتيني الذي ميز بين الصوت والфонيم، ((فالصوت هو المادة الصوتية في الجهاز النطقي البشري، في حين يراد بالфонيم الصوت ذو القيمة الخلافية ويعني ذلك أن اللام هو صوت مادي له خرج معروف ... ولكن هذا الصوت يفخم مرة ويرفق مرة أخرى، وبحسب الوظيفة في السلسة الكلامية، وبذلك يقال إن أصوات العربية هي ثمانية وعشرون صوتاً، أو تسعه وعشرون ، ولكنها: اثنتان وأربعون فونيمـا))⁵. ويعلق الدكتور العبيدي على ذلك بالقول: ((الملاحظ أن هذا الاستنتاج الذي خرج به مارتيني ليس جديداً في ميدان البحث اللغوي العربي، فعلماء التجويد القرآني قد رصدوا هذه الظاهرة وأشبعوها بحثاً، بل إن سببويه قد عنى في كتابه بها، وهو الذي أشار إلى أنها أصبحت (42) صوتاً وقد بهدا العدد الأصوات الأصلية مضافاً إليها الفونيمـات

1 ينظر: البنية في اللسانيات: 213.

2 دلائل الإلحاج: 417.

3 ينظر: الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين: 10-11.

4 نفسه: 10.

5 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 239.

المتولدة من الحالات الكلامية... فهذا الذي يقرره سيبويه هو ما قصدت إليه الألسنية الحديثة بمصطلحاتها الصوتية المختلفة قد عرفته الدراسات اللغوية العربية، وسبقت إليه قبل غيرها بفضل دراسة لغة القرآن، وأدائه تجويداً، وتنتفياً¹). وقد كان تراث عبد القاهر الجرجاني مرجعاً أساسياً لتأصيل النظرية البنوية، حتى أنه ذهب إلى أن عبد القاهر الجرجاني أول السني خطط للنظرية البنوية التي ظهرت في القرن العشرين، قال: ((والذي يقف على نظرية النظم عند عبد القاهر، يقف على أول السني في العالم خطط للنظرية البنوية التي ظهرت في مطلع القرن العشرين في أوروبا، ولشن وقف النهاة الأوائل على مبادئ عبد القاهر ولم يحاولوا تطويرها أو وضعها بفكر جديد، ... إن السني أوربا تحركوا باتجاه تطوير بنوية سوسيرو وترسيخ مفاهيمها²). كما بحث عن نقاط التقاء أخرى بين المنهج اللساني البنوية وما جاء في دلائل الجرجاني وأسراره، ثم انتهى إلى تصريح علمي لا يخلو من مبالغة، قال: ((إن مثل هذه اللقاءات بين المدارس البنوية من جهة ونظرة الجرجاني في النظم من جهة أخرى لتؤكد لنا حقيقة لا يمكن تجاوزها، وهي أن البنوية في اللسانيات المعاصرة لا تعدو أن تكون اجتراراً لنظرية النظم الجرجانية، وإن غيرت الأولى -أعني البنوية- مصطلحاتها؛ لأنها تكلمت بلغة العصر، ولغة قوم لم يكونوا عرباً، وأقامت دراساتها بأدوات غير الأدوات التي استخدمها الأقدمون³)).

أصول سلوكية وسياقية: كما يحاول التأصيل لمنهج نظرية بلومفيلد في تفسير اللغة بوصفها ظاهرة سلوكية منظورة قابلة للقياس والملاحظة عن طريق ملاحظة المواقف الكلامية وتحليلها على أساس الحافز والاستجابة⁴، وربطها ببعض الملامح المشابهة في

1 نفسه: 240-241.

2 نفسه: 253.

3 الألسنية بين عبد القاهر والحديثين: 13.

4 ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: 186.

الترااث الغربي القديم وظواهره كالنبر والتنغيم، قال: ((أما المواقف الكلامية، وأثرها في تغير الدلالة، وكذلك تأثير الحالة النفسية للمتكلم، وهو ما تؤمن به المدرسة السلوكية، فقد وردت نصوص في التنغيم والنبر، وعلامات الترخيم في الكلام تدل على معرفتهم بتأثير ذلك في الدلالة))¹. ثم انتقل إلى نظرية السياق التي من أهم أعلامها فيرث الذين يرون أن الكلمات تتكتسب معنى مؤقتاً بتأثير السياق الذي يفرض عليه امتداده وأثاره²، فيربط بينها وبين أعمال علمائنا القدماء في اهتمامهم بالقرينة المصاحبة وأثرها في تحديد الدلالة وإيضاحها، قال: ((وأما نظرية السياق، فالمعجميون العرب تباهوا على الاستعمال، والسياق والقرينة المصاحبة، وأعطوا لذلك أمثلة كثيرة في معجمات اللغة))³. ويظل لذلك بتغير معنى لفظ (أدب) من استعمالها اللغوي بمعنى: المأدبة إلى دلالات أخرى بحسب الاستعمالات التي يرد فيها والسياق والقرآن⁴.

أصول توليدية تحويلية: ومن ذلك ما نجده في محاولته الربط بين نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية وجهود عبد القاهر الجرجاني، ذاهباً إلى أن ما جاءت به التوليدية التحويلية من منهج يقترب على نحو كبير الشبه مما يطرحه منهج النحو العربي التقليدي في دراسته لللغة وتحليلها؛ فيقول إن النحو التحويلي: ((يهمه توليد الجمل ناظراً إلى البنية التحتية لها، وناظراً بما يوجبه البناء التحتي من صحة التركيب وقبوله في الصوت والمعنى... وهذه النظرة ليست جديدة في عالم البحث اللغوي، ولا سيما الدراسات العربية فعبد القاهر الجرجاني يرى أن منتكلم اللغة يفكر في تجميع المعنى في نفسه قبل أن ينطق بشيء، ثم هو بعد ذلك يحاول ترتيب الكلام في نفسه... إن المنهج التحويلي التوليدي منهج أشبه بأن يكون منهج النحو التقليدي العربي، لما اتصف به من الشكلية

1 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 203.

2 ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: 253.

3 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 203.

4 ينظر هامش الصفحة المذكورة في المرجع السابق.

والمعايير التي عرفها الدرس اللغوي العربي))¹. وهكذا نرى أنه بعد ما جاءت به التحويلية التوليدية ليس جديداً وأن له شبيهاً في تراث عبد القاهر الجرجاني، وقد افترض أن تشوسم斯基 تأثر بال نحو العربي والعربي بعد اطلاعه على ما ترجم منها عن طريق نحاة الأندلس، قال: ((ويرزت معلم التحويل والتوليد عند العرب في دراسة اللغة في الأساليب البلاغية، وأصول الكلام وعلم المنطق، وعلم الكلام، ولعل الأصوليين والبلغيين يمثلون - بحق - أسبق المحاولات في دراسة اللغة، من تحويلية تشوسم斯基، بل يمكننا أن نقول: إن اطلاع تشوسم斯基 على النحو العربي والنحو العربي، مما ترجم منه عن طريق نحاة الأندلس، يجعل من الممكن أن نفترض تأثر تشوسم斯基، والمدرسة التحويلية بالدراسات اللغوية العربية القديمة))². وهو يتتابع هنا كلام الدكتور علي زوين الذي ذهب أيضاً إلى أن تشوسم斯基 تأثر بال نحو العربي³. وقد عاد إلى دراسة هذه الفكرة في موضع آخر متحدثاً عن البنية العميقـة والسطحـية عنده وبعد أن عـرف بهـما قال: ((والذـي يتأمل هـذه الصورـة من مذهب تشوسمـسـكي ويقارـنـها بما يـقولـه عبد القـاهر الجـرجـانـي حول تحـويلـ الجـملـة من نـفـسـ المـتكلـم قبل نـطقـها إـلى جـملـة مـالـوـفـة يـجدـ أنـ تـشوـسـمـسـكـي لمـ يـفـعـلـ شيئاً سـوى تـكرـارـ ما قـالـه الأـلسـنـي عبد القـاهر))⁴. وقد ذهب إلى المـوازنـة بين ما جاء به تـشوـسـمـسـكـي في مـفـهـومـ الـبنـيـةـ العـمـيقـةـ؛ حيثـ انـ اللـغـةـ عنـدـهـ إـبـداـعـ وـفـطـرـةـ تـتـحـولـ منـ قـوـاعـدـ ضـمـنـيـةـ مـفـهـومـةـ إـلـىـ جـمـلـةـ مـنـطـوـقـةـ فـطـرـيـاـ، فيـ حـينـ أنـ عبد القـاهرـ يـذـهـبـ إـلـىـ أنـ المـتكلـمـ يـقـصـدـ إـلـىـ تـرـتـيبـ الـأـفـكـارـ فـيـ نـفـسـهـ ثـمـ يـخـرـجـهـاـ مـنـطـوـقـةـ، فـيـقـولـ: ((وـبـيـنـ الـمـذـهـبـيـنـ فـرـقـ وـاضـحـ، وـالـوـاقـعـ انـ مـذـهـبـ عبد القـاهرـ لـيـسـ غـرـيـباـ، بلـ قدـ ذـهـبـ إـلـيـهـ سـوسـيـرـ الـأـلسـنـيـ الـذـيـ يـرـىـ أنـ الـجـمـلـةـ قـوـالـبـ جـاهـزـةـ يـجـتـرـهـاـ الـمـتـكـلـمـ، وـمـعـ ذـلـكـ فـمـذـهـبـ

1 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 216.

2 نفسه: 218.

3 ينظر: بين التراث وعلم اللغة الحديث: 44 ، والعربية والبحث اللغوي المعاصر: 218: (المامش).

4 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 249.

تشومسكي لم يكن بهذا الجمود الذي قصد إليه سوسيير في تكوين الجمل، فهو صاحب مذهب متميز¹. كما قال في موضع آخر: ((وكان للمنطق في منهج تشومسكي أثر واضح في التحليل وتفسير الظواهر اللغوية، وهو من هذا الجانب يقترب من الدراسة اللغوية العربية في التعليل والقياس والمنطق والجدل))². إنّ في موقف الدكتور العبيدي هذا شيئاً من التناقض، ففي حين يدعو إلى عدم الأخذ بما أنتجه سوسيير من بنية وبيان عدم صلاحها للغربية والدعوة إلى طرح ما جاءت به-في ضوء ما خلفته من تناقضات وانشقاقات فكرية- والدعوة إلى اعتماد ما تركه لنا اللغويون العرب، نجده، من جهة أخرى، يذهب إلى أن ما جاءت به بنية سوسيير له أصوله وملامحه العامة في التراث العربي؛ متمثلاً بنظرية النظم عند الجرجاني. يضاف إلى ذلك أن كلامه يعني، من جهة ما، أن نظرية النظم للجرجاني تحتوي على معالم المنهجين اللسانيين السوسييري والتشومسكي، من غير بيان ذلك أو إيضاحه دفعاً لما يمكن أن ينتج عن مثل هذا الطرح من تناقض وإن كان ظاهرياً أو شكلياً على أقل تقدير. وقد حاول الدكتور العبيدي الربط بين قضية تفاوت صحة التركيب، مما يسمى بالصحة التحوية (أو بدرجة الصواب التحوي)، والصحة التحوية للتركيب grammaticality مصطلح يشير إلى توافق جملة ما أو جزء من جملة ما مع قوانين نظام نحوي خاص بلغة معينة، والحكم بتوافق جملة ما أو عدم توافقها مع النظام التحوي للغة لا يكون سهلاً دائماً فقد يختلف المتكلمون الأصليون في أحکامهم، ولا تتعلق هذه الأحكام بمعنى الجملة أو بقبوها أو عدم قبوها في المجتمع فقد تكون الجملة صحيحة من الناحية التحوية أو متوافقة مع النظام التحوي للغة أو صحيحة الصياغة لكنها غير ذات معنى، وقد تكون الجملة صحيحة من الناحية

1 نفسه: 247

2 نفسه: 215

النحوية لكنها لا تلقى القبول لسبب أو لآخر¹. ويرى الدكتور العبيدي أن هذا المعيار اللسني الجديد مما سبق إليه الجرجاني أيضاً قال: ((وهذه الفكرة التي يطرحها الألسنيون، ويناقشون قضيتها على هذا المستوى من التعليل والتفسير هي نص كلام عبد القاهر الجرجاني في إشارته إلى التفاصل بين نظم ونظم، فهو يقول: (ان هنا نظماً أحسن من نظم وذلك بحسب تطبيق معاني النحو...إذ ان تفاصل الناس يتم بالعلم به)². مما يتقدم يتبيّن لنا ان (أصولية الجملة) و (جودتها) أو (الحرافها) عن الأصولية، لم ت تعد ما فهمه نحاة العرب عن بناء الجملة، وصلتها بقواعد اللغة، وقوّة هذه الصلة وضعفها، وتأثير ذلك كله في جودتها ورداءتها أو خروجها))³. كما توقف الدكتور رشيد العبيدي على ما طرّحه تشومسكي من مفهوم السليقة اللغوية عند ابن اللغة، إذ ((ذهب إلى ان الطفل يكتسب لغة الأم عن وعي وإدراك حتى في سن المبكرة جداً، وأنه حالما يستوعب القواعد المختلفة التي تعتمد عليها اللغة، تكون عنده القدرة على الخلق، أي على تركيب الجمل المختلفة التي يريد لها))⁴. وقد ربط الدكتور رشيد العبيدي بين

1 ينظر: اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ترجمة: مصطفى ذكي التونسي، دار النهضة العربية، الطبعة: الأولى، ص: 147، (هامش: 1).

2 النص في دلائل الإعجاز 2 / 546، باختلاف: ((أنه ما من أحدٍ له ادنى معرفة إلا وهو يعلم أن هنالك أحسن من نظم، ثم تراهم إذا أردتَ أن تُبصِّرُهم ذلك تُسْدِرُ أعينَهُ، وتُنْضِلُّ عنَّهم آنفَاهُمْ. وبسبَ ذلك أنهم أولُ شيءٍ عَدِيمُوا العِلْمَ بِهِ نفْسَهُمْ، من حيثٍ حَسِيبُوهُ شَبَّاً غَيْرَ تَوْخِي معاني النحو، وجعلوهُ يَكُونُ في الالْفاظِ دون المعاني. فانتَ ظَلَقَ الجَهَدَ حتى تُبَيِّلُهُمْ عن رأيهِمْ، لأنكَ ثَعَالِبُ مَرْضاً مَرْضاً، وَدَاءً مَتَمَكَّناً. ثم إذا أنتَ قَدَّتهمْ بالحَزَازِمَ إلى الاعْتَارِفِ بِأَنَّ لَهُ غَيْرَ تَوْخِي معاني النحو، عَرَضَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خاطِرِ يَدِهِمُهُمْ، حتى يَكَادُوا يَعُودُونَ إلى رَأْسِ أَمْرِهِمْ. وذلكَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَا نَذْعِي المَزَّةَ وَالْحَسْنَ لِتَنظِيمِ كَلَامِهِمْ غَيْرَ أَنْ يَكُونُ فِيهِ مِنْ معاني النحو شيءٌ يَتَصَوَّرُ أَنْ يَتَفَاضَلَّ النَّاسُ فِي الْعِلْمِ بِهِ)).

3 الألسنية بين عبد القاهر والحديثين: 17.

4 مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية: 267.

هذا المفهوم وبعض اللمحات القديمة عند ابن جني وعبد القاهر الجرجاني، مما استنتج منه ان ثمة التقاء بين ما طرحة نشومسكي وما قدمه علماء العربية الأقدمون¹.

أصول في النظرية الدلالية: ومن ذلك أيضاً ما نجده عند حديثه عن نظرية الحقول الدلالية، في أثناء تعريفه بالنظريات الدلالية الغربية، إذ يقول عنها: ((وهي نظرية سبق إليها علماء اللغة في معجماتهم التي وضعوها على المعاني والموضوعات ، وهي كتب تناولت تقسيم اللغة على علاقات دلالية في الحيوان والنبات والإنسان والجماد، والطبيعة، السماوات والأرض. ولكن هذه الموضوعة التي تناولها العرب في معجماتهم ، كانت تتسم بالعمومية، وتحتاج إلى تنظيم أدق وأكثر في المنهج))². فهو يرى أن نظرية الحقول الدلالية أصولاً عربية في تراثنا العربي تمثل بمعجمات المعاني والرسائل التي خصصها القدماء لموضوع معين كالماء واللبأ والنخل وغيرها ، ولكنه يقر بأن ما أفله القدماء في هذا الميدان يتسم بالعمومية وأن به حاجة إلى التنظيم. ولكنه يعود بعد اسطر قليلة من كلامه السابق إلى وصف ما قدمته ابرز النظريات التي شاعت في الدراسات الغربية بأنها((إعادة وتكرار لمنهج العربي في تفسير مواد اللغة دلالي))³. كما يصف اهتمام الباحث اللغوي العربي بموضوع الحقول الدلالية بأنه ((سبق يحسب لعلماء العربية، قبل ظهور نظرية الحقول الدلالية في البحث اللغوي الأوروبي))⁴. واستمراراً منه في محاولته الكشف عن ملامح الشابه بين الدرس الدلالي العربي والدراسات الدلالية الحديثة أشار إلى أهم تلك النظريات رابطاً بينها وبين الدرس الدلالي العربي القديم، فربط بين المحددات التي وضعها دي سوسير للعلاقة بين اللفظ والمعنى⁵ من

1. الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين: 19.

2. العربية والبحث اللغوي المعاصر: 202.

3. نفسه: 202.

4. نفسه: 203.

5. محاضرات في حلم اللسان العام: 104.

جهة وعمل المعجمين العرب في معجماتهم والمفسرين في تناولهم الكلمة العربية وبيان معناها من جهة أخرى، قال: ((والذي يتبع المعجم العربي، ومناهج المفسرين في تناول الكلمة العربية وإعطاء معناها، يجدهم ينظرون إلى اللفظ ومعناه على أنهما وجهان لعملة واحدة كما يرى سوسيير وهو الدال والمدلول عنده))¹.

الكشف عن أخطاء ناتجة من تطبيق المناهج اللسانية على العربية :

درس الدكتور العبيدي، في أثناء تعريفه بالمناهج اللسانية، محاولة بعض الباحثين العرب تطبيق بعض تلك المنهج على مجموعة من جوانب العربية وظواهرها اللغوية؛ فذهب إلى أن هذه المنهج صالحة لدراسة اللغات الأوربية فقط؛ وأننا ((لو حاولنا تطبيقها على ظواهر العربية لرأينا أن ثمة تكلاها واضحاً بين ما ألفه الباحث العربي، وما يراه الباحث الأوربي))². ثم أخذ يذكر طائفنة من صور التأويل والتخرير لقضايا صرفية موازناً بين الدرس اللغوي التقليدي والدرس الصوتي الحديث؛ ذاهباً إلى أن هذا الدرس ترك أثراً في زعزعة الفكر الألسني العربي ومن ثم الانحراف عن المسيرة المتوارثة عند أجيال الأمة العربية والإسلامية³. ومن ذلك موازنته بين القاعدة الصرفية القدية التي قررها علماء الصرف السابقون؛ تلك القاعدة التي تنص على أن الواو أو الياء تقلبان ألفاً إذا تحرك أي منهما، وانفتح ما قبلهما، نحو (قال) من (قول) و(باع) من (بيع) وهذه القاعدة مطردة في أي حركة تقع على الواو أو الياء، سواء أكانت فتحة أم ضمة أم كسرة، نحو طال من طول وخاف من خوف، على وفق الشروط العشرة التي

1. العربية والبحث اللغوي المعاصر: 202.

2. مباحث في علم اللغة واللسانيات: 217.

3. ينظر: نفسه: 217.

قررها علماء الصرف العرب¹. ويرى الدكتور رشيد العبيدي أن هذه القاعدة مما تعلمه الأجيال ودرجت عليه فأصبحت جزءاً من كيانها اللغوي². ومن ثم فهو يرى، في مقابل ذلك، أن الدرس الحديث عندما طبق منهجه الخاص - بعد تأثيره بالبحث الصوتي الغربي - لم يقنع بما انتهى إليه القدماء فحاول التجديد وإيجاد البديل؛ فذهب أصحاب الدرس الحديث ((إلى أن الذي حصل مثل: (قول) و(بيع) هو سقوط الواو أو الياء، فائز لقت الفتحة التي عليهمما إلى الفتحة التي هي مصاحبة للقاف والباء، فامتدت الفتحة وأصبحت ألفاً طويلة: صاتتا طويلاً))³. ومن تلك التوجيهات توجيه الدكتور عبد الصبور شاهين، الذي قال: ((فإذا تأملنا الأمثلة التي بين أيدينا وجدنا أنها من قبيل الحركة المزدوجة أو الثلاثية التي تحول إلى حركة واحدة طويلة. فكلمة مثل: قوم (qa+u+ama) اجتمعت فيها حركة ثلاثة، نشأ عن اتصال أجزائها واو. فإذا سقطت الضمة، انتفى الانزلاق، واتصلت الفتحتان القصيرتان قبلها وبعدها لتصبح الكلمة: قام (qamaa)، فكل ما حدث هو سقوط عنصر الضمة في واقع الأمر، هروباً من ثلاثة الحركة، إلى الحركة الطويلة))⁴. ويرى الدكتور رشيد العبيدي أن هذا التعليل المقترن بهذه الظاهرة اللغوية غير مقبول لأنه يثير تساؤلات أكثر مما يقترح حلولاً فهو يدخل الدارس في إشكالات جديدة لا نجد لها في التعليل الصوتي العربي القديم وهي كما حددها الدكتور العبيدي: أن الألف إذا كانت ناتجة من التقاء فتحة بفتحة أخرى، فمن

1 ينظر : جامع الدراسات العربية: 2 / 107، وشذا العرف في فن الصرف: 132، ومحاجث في علم اللغة واللسانيات: 217.

2 محاجث في علم اللغة واللسانيات: 217.

3 دروس في علم أصوات اللغة، لكانطيتو: 148، ومحاجث في علم اللغة واللسانيات: 218.

4 المنهج الصوتي للبنية العربية: 194-195. وينظر: محاولة السنية في الإعلال: 170-171.

أين نتجت الألف في بعض الكلمات التي تلتقي فيها ضمة بفتحة أو كسرة بفتحة، فكيف تحولتا إلى ألف وليس بينهما تجانس؟، ثم يعلق على هذا كله بالقول: «(اليس في هذا ما يشير الغرابة؟ ففضلاً عن أننا غيرنا في مفاهيم وقواعد محددة وصلت إلينا وأفهمتنا سبب الإعلال الذي حصل، دخلنا في متأهلات جديدة أوجدها لنا البحث الصوتي المعاصر الذي اجتهد فيه هنري فليش، وكانتينو، ومالبرج، وبرجستاسير من لا صلة لهم بالعربية ولا بقوانينها ولا بتراثها العريق المتند في أصول هذه الأمة وحضارتها)»¹. وبهذا يكون الدكتور العبيدي قد رفض التعليل الصوتي الجديد لأنَّه لا يمتاز بالشمول الذي يمتاز به التعليل الصوتي العربي القديم، إذ يتضح، من مناقشته للمسألة، أنَّ التعليل الجديد ينطبق على الإعلال الذي تلتقي فيه فتحة بفتحة فتنتج عنهم ألف، وهذا لا يمكن تطبيقه على الحالات الأخرى التي يحدث فيها الإعلال نفسه مما تلتقي فيه ضمة بفتحة أو كسرة بفتحة، وهو ما دعاه إلى الحكم على هذا الجديد بأنه غير صالح للعربية ويدخلها في متأهلات لا حاجة لنا بها ناتجة عن أنَّ الدرس الذي أوجدها لا صلة له بتراث العربية. ومن المسائل التي عالجها الدرس الصوتي الحديث متأثراً بالدراسات الأوورية الحديثة، وقد وقف عليها الدكتور رشيد العبيدي وردها، مسألة صياغة اسم الفاعل من المعتل العين فالقاعدة الصرفية تنص على: أنَّ الواو أو الياء إذا وقعتا بعد ألف زائدة، قلبتا همزة، سواء أكانت في حشو الكلمة أم متطرفة، وذلك نحو: (قائل) من (قاول) و(بائع) من (بائع) و (عجائز) من (عجاوز) و (قبائل) من (قبايل) و (صحابئ) و (قلائد)، مع النظر إلى الواو واليء؛ فإذا لم تكونا صوتي ممدود، لم تبدلَا، نحو (معيشة) و(معايش)

1 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 218

و(مغارة) و(مغاور)¹. فيرى الدكتور العبيدي أن الدرس الصوتي الحديث عندما تناول هذه المسألة ((دخل في مزاق ما أنزل الله بها من سلطان فالدرس الحديث يذهب إلى أن (قائل وبائع) جاءتا من (قاول وبابع) ولكن الذي حصل هو سقوط الواو والياء، وهما قاعدتان، فبقيت قمتاهما الكسرة... فتحولت هذه الكسرة إلى همزة مكسورة))². ويعلق الدكتور على هذا التعليل الصوتي بالقول: ((فلست أدرى لم تسقط الواو) و(الياء)، ثم لست أدرى كيف يتحول الصوت - وهو الكسرة - إلى همزة مكسورة أي (قاعدة + قمة)، ومن أين تكونت هذه القاعدة، ولماذا كانت الهمزة؟!))³. ومن توقف عند هذه المسألة الأستاذ الطيب البكوش، الذي يرى أن مثل هذه الكلمات لم يقع فيها قلب وإنما سقط حرف الواو أو الياء فبقيت الكسرة وحدها فجلبت الهمزة، قال: ((والواقع أنه لم يقع قلب وإنما وقع حذف الواو والياء. وبقيت الكسرة، لكن العربية لم تتعود رسم الحركات وحدها وإن نطقت بها كما هو الشأن في ألف الاتكاء التي نجدها في أول الأفعال المزيدة مثل انفعل، فهي كسرة تعتمد حتى لا يبدأ بمحرفين متاليين؛ أي بمحرف ساكن. ونظرا إلى أن العربية لا تتصور رسم الحركات مستقلة عن الحروف، ولا يوجد فيها مقطع مبدوء بحركة؛ وهو أمر لا يتنافى والمعطيات العلمية الحديثة، فقد كان من الضروري أن تعتمد الحركة على همزة في مثل قائل ولذلك نقول للتبسيط - مع النهاية القدامى - أن الواو والياء قلبا همزة))⁴. وتعليق البكوش، هنا، لا يظهر مصدر

1 بنظر: شذا العرف في فن الصرف: 124، وجامع الدروس العربية 2 / 121، ومباحث في علم اللغة واللسانيات: 218-219.

2 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 219.

3 نفسه: 219.

4 التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث: 148-149.

المهزة في مثل هذه الصيغة على نحو مقنع ومقبول، ولذلك علق عليه الدكتور رشيد العبيدي بالقول: ((ولستنا ندري مصدر المهمزة عنده))¹. ومن التعليقات التي جاء بها المحدثون ما جاء عند الأستاذ احمد الحمو، إذ قال: ((وبناء عليه فإن ما يوجد في مكان العين من اسم الفاعل (فائل) و (بائع) هو الكسرة فقط ولا شيء سواها). ونستطيع ان نكتب أسماء الفاعل هذه على الشكل التالي: (قا-ل) بدلا من (فائل)، و(با-ع) بدلا من (بائع) لكن هذا لا يعني انه لا يوجد هنا همزة، إلا ان وجودها ليس ناشئا عن انقلاب الواو في (قاول) أو انقلاب الياء في (بائع)، بل يرتبط بما ذكرناه سابقا عن خصائص المهمزة فالهمزة تقوم هنا بوظيفة الفصل بين مصوتين متتابعين: الألف الطويلة والكسرة القصيرة. والسبب الثاني لوجود المهمزة هنا هو ان المرء لا يستطيع لأسباب فيزيولوجية ان ينطق بالمصوت لوحده عاريا عن أي صامت قبله دون ان يبدأ بنطق المهمزة. فلا نستطيع نطق ألف قصيرة (فتحة) ولا طويلة لوحدها دون ان نبدأ بنطق همزة في اوها، والشيء نفسه ينطبق على الواو والياء سواء أكانتا حرف مد أو حركة قصيرة. هذا يفسر ما قلناه آنفا عن الحديث عن أصل الواو الصامته في (قوْل) والياء الصامته في (بَيْع)، إذ ان هذين الصوتين ليسا سوى ضمة بعد تسهيل المهمزة الإلزامية التي في اوها بالنسبة للواو، وكسرة بعد تسهيل المهمزة الإلزامية التي في اوها بالنسبة للياء. لذلك نستنتج ان المهمزة التي توهمنها الصرفيون في عين اسم الفاعل ليست في حقيقة الأمر سوى المصوت القصير غير المسبوق بحرف صامت، ووجود المهمزة تابع لوجود ذلك المصوت وليس نتيجة انقلاب عن واو أو ياء لا وجود لهما أصلا²). ولم يقبل الدكتور

1 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 219.

2 محاولة السنية في الإعلال: 182.

رشيد العبيدي بهذا التعليل لهذه الظاهرة، فقال: ((نقول له : ثم ماذا بعد ذلك، ولم أصبح النطق بهما على زنة (فاعل) : قائل، وبائع؟ وما المسوغ لذلك كله؟))¹. وقد وصف مثل هذه الاجتهادات في توجيهه بعض الظواهر اللغوية وتحليلها أو تفسيرها بأنها تجرب على علماء العربية، قال: ((ومثل ذلك كثير، يقف عنده الباحث المعاصر، فيجد التجني وأضحا على علماء العربية وباحثي اللغة في تاريخ البحث اللغوي العربي))². ومن هنا نجد أن الدكتور العبيدي يرى أن مثل هذه التعليلات الصوتية غير مقبولة لأنها تعليلات غير متسقة؛ فهي تُقترح قواعد جديدة للإعلال من غير تفسير يوضح تلك القواعد المقترحة على نحو مقبول لغوياً أو حتى منطقياً على الأقل.

تأكيد عدم حاجة اللغة العربية للمناهج اللسانية أو عدم مناسبتها لها :

على الرغم من أن الدكتور العبيدي حاول- كما أشرنا إلى ذلك من قبل - أن يجد بعض الفضايا أصولاً في تراثنا اللغوي ومنها المنهج الوصفي مثلاً، فإننا نجد في مواضع أخرى يؤكد أن تلك المنهاج لا تناسب اللغة العربية أو لا يمكن تطبيقها عليها في أقل تقدير، ومن ذلك كلامه على أهمية دراسة اللهجات محدداً الغاية من تلك الدراسة في بعض الجوانب، مثل معرفة صلة اللهجة باللغة الأم واختلافها عنها في أحكام الصوت والدلالة، أما غير ذلك فيراه غير صحيح ، قال: ((أما دراستها لأجل وضع نحو خاص بها - وخاصة لهجات العربية - فهذا ما لا يقره البحث العلمي ولا ترضاه ظروفنا السياسية والاجتماعية))³. فهو يرى أنه لو أتيح للغة العربية المعاصرة أن تدرس الآن على وفق المنهج الوصفي من خلال نصوصها الأدبية مثل نتاجات طه حسين والسياب وإيليا

1 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 220.

2 نفسه: 220.

3 نفسه: 262.

أبى ماضى وغيرهم لما كانت القواعد التي سنتهى إليها مختلفة كثيراً عما انتهى إليه النحاة القدماء^١. ثم يقرر بعد ذلك : ((لذلك كله نرى أن استعمال المنهج الوصفي لدراسة النص اللغوي العصري المتمثل في مثل هذه النماذج لم يجرنا إلى نتائج بعيدة عن ما قررته الدراسة اللغوية العربية في عصور تقييد اللغة ويرجمة قوانينها))². ويؤكد توجّهه هذا في موضع آخر؛ إذ يقول - بعد أن عرض مفهوم الكلام عند سوسيير - : ((والذي يبدو لنا من خلال هذا التحديد للغة الكلام عند سوسيير وجعلها هي الميدان الطبيعي للدراسة انه لا ينسجم مع طبيعة لغتنا، التي احتفظت بكيانها الثابت المستقر بما توارثه من لغة الكتاب المنزل والحديث النبوى الشريف وأصول الفصاحة والبيان فهناك مستوىان في العربية، الأول هو المستوى المثالى وهو الذى يعبر عنه باللغة الفصيحة المشتركة التي كتب بها النص العربي السليم، والأخرى هي الخاصة أو المحلية المعروفة باللهجة العامية))³. ويبدو لنا أن الرؤية التي دفعت بالدكتور رشيد العبيدي إلى ما ذهب إليه من عدم حاجة اللغة العربية إلى المناهج اللغوية الغربية، ولا سيما المنهج الوصفي منها، تمثل في إيمانه بان اللغة العربية تختلف عن اللغات الأخرى، ومرد هذا الاختلاف يعود إلى ان اللغة العربية لغة لم يصبها تغير كبير لأنها حافظت على قوانينها وقواعدها؛ فهي ما تزال تحفظ بخصائص اللغة العربية الجزرية الأم؛ ومن ثم، فلا توجد حاجة إلى إعادة دراستها من جديد من خلال المنهج الوصفي لأن هذه الدراسة ستخرج بالنتائج نفسها التي خرج بها علماؤنا القدماء لأن اللغة حافظة على قواعدها وطريقة بنائها وتركيبها وخصائصها اللغوية الأخرى، قال: ((ومعلوم أنَّ كثيراً من اللغات - ولا سيما الأوربية - واقعة تحت تأثير التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وظروف التحولات السياسية والثقافية، ولذلك نجد فرقاً كبيراً بين لهجات اللاتينية قبل مئات السنين

1 نفسه: 263.

2 نفسه: 263.

3 العربية والبحث اللغوي المعاصر: 224.

واللغات اللاتينية المعاصرة في رومانيا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال وفرنسا ولاتينية أمريكا الجنوبيّة، في حين لا ينطبق هذا على العربية منذ أن كانت في حضن أمها الجزيرة العربية، وبعد بعدها الإسلام، ونزول القرآن حتى هذه اللحظة، والى ان تقوم الساعة، إنها لغة استمرت على قوانينها وقواعدها ونظامها، وما تزال تحفظ بخصائص اللغة العربية الجزرية الأم، كما هي، وإن ما كان ينظم به أمرؤ القيس من شعر، والمهلل وعبد وليد، وما تكلم به الأكديون والكنعانيون والأراميون وما يتكلم به أبناء العرب والمسلمون بعد خروج العرب من الجزيرة ما يزال يحكي النظام الذي هو خصيصة ثابتة غير متغيرة على المستويات الدلالية والصوتية والتركيبية والمفردات والأساليب، وذلك أن هذه اللغة قدر لها ان تخلد بكتاب الله تعالى وبما أمدت به أبناءها من نصوص متوارثة، وترااث أدبي وعلمي وفكري مروي منقول ومدون إلى يومنا هذا¹). وتفسير هذه الرؤية - التي يرتكز عليها، هنا، في حكمه هذا-: أن العربية لم تتغير وأنها حافظت على خصائصها، يتضح لنا على نحو أكثر وضوحاً إذا علمنا أنه يرى أنه لا وجود لعلاقة بين التغيرات الاجتماعية والبناء اللغوي في تلك المجتمعات التي تحصل فيها تلك التغيرات الاجتماعية، قال: ((ما تقدم نستخلص أن لا علاقة بين التغيرات التي تطرأ على المجتمعات والبناء اللغوي لتلك المجتمعات، إذ أن اللغة ليست بناء ظاهراً يتحكم فيه التغيرات الاجتماعية والفكرية والثقافية، بل إن اللغة الحية تكون قادرة في ذاتها على الاتساع والتحت والاشتقاق والتوليد في مفرداتها، وإذا كان ثمة من التغيرات التي تطرأ عليها، بتغير ظروف المجتمع، واتجاهاته الفكرية والثقافية والسياسية، فموقعه في استحداث مفردات، أو الاتساع في الدلالة، أو الخروج إلى المجاز والاصطلاح، وذلك كله ميدانه اللفظ، لا التركيب والنظام))². وفي حكم الدكتور رشيد العبيدي هنا شيء من التناقض، فهو يقرر أنه لا علاقة بين اللغة والتغيرات الاجتماعية ، لينتهي إلى القول بأن اللغة العربية

1 نفسه: 205

2 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 298

حافظة على نظامها وبنية الفاظها، فلم ينطبق هذا الحكم على اللغات الأخرى، وذلك لأن تبقى تلك اللغات محافظة، هي الأخرى، على خصائصها اللغوية، انطلاقاً من القول بأن العلاقة بين اللغات والتغيرات الاجتماعية معروفة وغير موجودة. ووقف الدكتور رشيد العبيدي على منهج النحو الوظيفي، كما قدمه الدكتور احمد المتوكل، فوجد فيه منهجاً غريباً بعيداً عن روح اللغة العربية وانه منهج يدخل الإرباك على اللغة ودارسيها لتعدد مصطلحاته وعدم دقتها ولأن كثيراً منها منقول عن دراسات غير عربية للغات الأوروبية وليس للغة العربية، ومن ثم، فهو منهج غير مناسب للغتنا¹. وقد وصف الدكتور العبيدي أن هذه الدراسات - وأمثالها من الدراسات الناجحة من تطبيق بعض المنهاج التي تجد من يتبناها ويدعو إليها - ذات خطورة على اللغة العربية، قال: ((والواقع أن معظم هذه الدراسات ذات خطورة باللغة على كيان العربية ، لا نقول هذا من باب التعصب الجاهلي، بل نقوله بعد أن عرفنا النوايا الخبيثة التي تخفي وراء هذه الصيغات والتقلبات الغريبة المكدرة لصفاء نهر اللغة ونقائه. خصوصاً أن من يحمل مثل هذا المنهاج والمذهب - غالباً ما - يكون جاهلاً بواقع لغته، وأصولها، لأن العارف لا يعززه منهج جديد لفهم لغته ومبادئها))². ولم يكتفِ الدكتور رشيد العبيدي في رفضه لهذا المنهج باتهام أصحابه بالجهل أو النوايا غير الصادقة، بل راح يعرض مجموعة من المفاهيم التي يعتمد عليها هذا المنهج ومناقشتها علمياً من زاويتين: الأولى مدى جدة هذا المنهج وأصالته موازنة العربي القديم منها والغربي المنقول، والزاوية الثانية هي الفائدة الفعلية والعملية التي يشعر عنها تطبيق هذا المنهج وترك القواعد العربية التي وضعها القدماء، وقد انتهى إلى أن الباحث احمد المتوكل أقحم هذا المنهج على العربية إفحاماً، قال: ((وعندما يطبق الباحث نحوه الوظيفي على بعض عبارات ترد في الاستعمال الغربي تختلط عنده أكثر من وظيفة،...، ومن الأمثلة التي تدل على أن

1 ينظر: نفسه: 252-253.

2 مباحث في علم اللغة واللسانيات: 250.

الباحث كان يحاول زج المفهوم الالسي في الحديث زجا غير موفق في ثنايا البحث اللغوي العربي أو حاولة التدليس في بعض قواعد اللغة العربية، موهما القارئ بشيء لا حقيقة له في البحث اللغوي العربي¹. وهكذا يرفض الدكتور رشيد العبيدي هذا المنهج لأنه منهج منقول غير أصيل، ولأن صاحبه الدكتور المتوكل مترجم له اعتمد على بعض تطبيقاته على اللغات الأخرى بغض النظر عن مدى ملاءمته للعربية أو عدم ملاءمته.

الخاتمة ونتائج البحث:

كان الهدف الأساس من هذا البحث هو تكوين صورة متكاملة عن نقد اللسانيات عند الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، والكشف عن أهم تحليات هذا النقد، وسعياً لتحقيق هذا الهدف انقسم البحث على محاور درس كل محور منها مظهراً من مظاهر نقد اللسانيات عنده. ولعل من أهم النتائج التي توصل إليها البحث هو أنَّ جهد الدكتور العبيدي في مضمار اللسانيات الحديثة كان يميل إلى الخلط بين اللسانيات التمهيدية التي غايتها التعريف بالنظريات والمناهج والدراسات اللسانية من جهة واللسانيات التراثية التي تعيد قراءة التراث العربي لتلمس ما فيه من أصول ملامح لسانية حديثة من جهة أخرى²؛ إذ ينصب جهده على التعريف بهذه الدراسات مع البحث عن أصولها في تراثنا العربي القديم، منطلاقاً من إيمان عميق بأنَّ ما قدمه علماؤنا القدماء في دراسة اللغة كان دقيقاً وشاملاً جاماً لا يحتاج إلى المناهج المستوردة التي لا تقدم جديداً أصيلاً حقيقياً، ولكن ما يوحذ على جهده هذا أنه غالباً ما كان يعتمد على مراجع وسيطة مترجمة غالباً في دراسته، ولم يست مصدر غريبة باللغات الأصلية التي كتبت بها تلك النظريات والدراسات الغربية، وعلى الرغم من ذلك لا يمكننا القول أنَّ الدكتور العبيدي لم يطلع اطلاقاً جيداً على تلك النظريات لأنَّه كان متابعاً لها ودائماً السعي للإلمام بها، كما أنَّ موقفه من تلك النظريات لم يكن رافضاً لها رفضاً مسبقاً، وإنما كان يبني موقفه منها على أساسٍ من دراسة هذه النظريات والوقوف

1 نفسه: 252-253.

2 ينظر: خصائص الخطاب اللسانى: أعمال ميشال زكريا نموذجاً: 50.

على ما فيها من ايجابياتٍ يمكن ان تفيد منها العربية، وسلبياتٍ ينبغي لنا ولها تجاوزها. ويمكننا القول إن أهم مظاهر نقه للسانيات تمثل في دراساته عن التناقض بين المناهج اللغوية الغربية ونقد بعضها بعضاً، من جهة، وفي تأكيده أن اللغة العربية لا تحتاج إلى المنهج اللساني لغرض دراستها، مستدلاً على ذلك بأنَّ تطبيق تلك المنهج البديلة يؤدي إلى أخطاء؛ منها الأخطاء التي وقع فيها الدعاة إلى تلك المنهج كما يؤدي إلى تعقيد فهم اللغة العربية ودراستها وتدريسها.

مصادر البحث ومراجعه

الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، لسنة 1989 م.

الألسنية: علم اللغة الحديث: قراءات تمهيدية، د. ميشال زكرياء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت، ط 2، 1405هـ - 1985 م.

البنيوية في اللسانيات، د. محمد الخناش، دار الرشاد الحديث - الدار البيضاء، ط 1، 1980.

البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن محر بن عبوب، الشهير بالجاحظ (ت 255هـ)، دار ومكتبة الهلال - بيروت، 1423هـ.

التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، تونس 1973.

جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلايني (ت 1364هـ)، المكتبة العصرية - بيروت، ط 28، 1993 م.

الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 4.

خصائص الخطاب اللساني؛ أعمال ميشال زكرياء نموذجاً، هبة خياري، الوسام العربي - الجزائر، منشورات زين - بيروت، ط 1، 1432هـ - 2011.

دروس في علم أصوات اللغة، كاتينيو، تعریب: صالح القرمادي، تونس، ط 1، 1966.

دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت 471هـ)، تعلق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدنى بالقاهرة - دار المدنى بمقدمة، ط 3، 1413هـ - 1992 م.

شذا العرف في فن الصرف، أحد بن محمد الحملاوي (ت 1351هـ)، تعلق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياضي، د.ط، د.ت.

العربية والبحث اللغوي المعاصر، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، منشورات الجمع العلمي - العراق، ط 1، 2004.

- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار الفكر العربي، ط 2 - القاهرة 1997.
- اللغة العربية واللسانيات المعاصرة، د. مجید المشطية، البصرة- مطبعة النخيل، سنة:2010م.
- اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ترجمة: د. مصطفى زكي التونسي، دار النهضة العربية، ط 1.
- مباحث في علم اللغة واللسانيات، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ط 1، 2002.
- مبادئ اللسانيات، د. احمد محمد قدور، دار الفكر-دمشق، ط 3، 2008م.
- محاضرات في علم اللسان العام، فردیناند دی سوسر، ترجمة: عبد القادر قتني، افريقيا الشرق- المغرب، ط 1، 2008.
- محاولة السنية في الإعلال، أحمد الحمو، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام- الكويت- الكويت، المجلد (20)، العدد(3) لسنة 1989م.
- مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية، د. صبري إبراهيم السيد، مكتبة الآداب- مصر، ط 1، 2011.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الحاخامي - القاهرة، ط 3، 1417هـ - 1997م.
- معجم الصوتيات، د. رشيد العبيدي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية- بغداد، ط 1، 2008.
- المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط سنة:1980.
- موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، حميد المطبعي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد، 1995م، ط 1، ج 1.



رابط بديل
lisanerab.com



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com

المحتويات

7	المقدمة
9	التعليقُ المصدريُّ ودلالاته في القرآنِ الكريم
9	مفهوم التعليق المصدري:
18	نوع المصدر المعقب به:
26	في الدلالة الصرفية للتعليق المصدري:
33	في الدلالة النحوية للتعليق المصدري:
56	دلالة التعليق المصدري بين النصب والرفع في ضوء القراءات القرآنية:
69	التعليق بمصادرتين في جملة واحدة:
91	ابتكار اللغوِيُّ في الخطابِ القرآني
91	عِنْدَ الطَّاهِرِ بْنِ عَاشُورٍ
91	دراسة في المفهوم والمرجعيات
93	مفهوم الابتكار عند الشيخ الطاهر:
137	الضمائر في (ردوا، وأيديهم، وأنوادهم):
144	يَوْمًا يَجْعَلُ الْوَلْدَانَ شَبِيًّا:
165	جماليات التحية في القرآنِ الكريم
165	في ضوء جهود المفسرين
165	توطئة في التحية الإسلامية:
171	كيفية التحية كما حددها الإسلام:
172	علة اختيار لفظ السلام في التحية الإسلامية:
185	صور التَّحِيَّةِ في القرآنِ الكريم:
185	أولاً: السلام في سياق التشريع:

ثانياً: سلام الله سبحانه على الأنبياء:.....	190
ثالثاً: سلام الله سبحانه على عباده من غير الأنبياء:.....	198
رابعاً: سلام العباد بعضهم على بعض (الأنبياء والملائكة والبشر):.....	201
الخاتمة والتائج:.....	228
نقدُ اللسانياتِ.....	281
عند الدكتور رشيد العبيدي.....	281
التناقض بين المناهج اللسانية:.....	290
البحث عن أصول لسانية في التراث العربي القديم:.....	293
الكشف عن أخطاء ناتجة من تطبيق المناهج اللسانية على العربية :	303
تأكيد عدم حاجة اللغة العربية للمناهج اللسانية أو عدم مناسبتها لها :	308



دار الأيام للنشر والتوزيع

عمان ش. الملك حسين - وسط البلد أول طلعة

جبل الحسين بجانب سرفيس جبل الحسين خدم 9

ص.ب 925636 العبدلي 11190 الأردن

هاتف: 00962 6 4633352 - 00962 6 4633362

جوال: 00962 795 707630 - 00962 797 509925

E-mail: salah_tallawi@yahoo.com



دار الرياضيين للنشر والتوزيع
جمهورية العراق-بابل-الحلة
ت: 07801342885
E-mail:rayaheenlib@yahoo.com

